



فهرست كتاب الغرر

فهرست غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

كتاب

غرر الخصائص الواضحة

وعرر النقائص الفاضحة للشيخ

الامام العلامة الاديب المتفنن ابى اسحق برهان

الدين ابراهيم بن يحيي بن على الكتبي

المعروف بالوطواط رحمه

الله تعالى

آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بالمطبعة الكلية بالسكة الجديدة بمصر

سنة ١٣٣٠ هـ – سنة ١٩١٢م

﴿ محل مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾

حضرة الشيخ محمد على المليجي الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر



الحمد لله الذي جعل اللسان عنوان عقل الانسان وآلة تظهر سر الجنان بفصيح العبارة وصريح البيان وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المجتبى من سرة عدنان المبعوث بجوامع الكلم الشاملة لانواع البيان الباهرة بفصاحتها عقول ذوى الفطن والاذهان والمخصوص بمحاسن الشيم المتممة لمكارم الاخلاق ومزايا الاحسان والحائز فى حلبات الاصطفاء قصبات الرهان وعلى آله وصحبه فروع شجرته الباسقة الافنان وفرائد سماء رسالته أعيان السادات وسادات الاعيان صلاة وسلاما دائمين ما دام طرف القلم مقادا بعنان البنان ﴿وبعد﴾ فانى لما رايت تغاير معانى الاخلاق دالاعلى تباين مبانى الاعراق والنفوس تتفاوت فى ميلها الى أغراضها على حسب اختلاف جواهرها واعراضها حدانى غرض اختلج فى سرى وأمل اعتلج فى صدرى على ان أجمع كلاما فى المحامد والمذام المتخلقة بها نفوس الخواص والعوام وأجعله كتابا يغنى اللبيب عن الخليل والنديم ويخبر بالحديث والقديم فشمرت عن ساق الجد وحسرت عن ساعد الكد وعمدت الى حسان الكتب المجموعة فى ضروب الادب فتصفحت مضمونها وتلمحت فنونها واستفتحت عيونها واستبحت أبكارها وعونها (وجمعت فى هذا الكتاب) من زواهر أسدافها وجواهر أصدافها ملح فكاهات جلت عرائس المعانى فى حلل موشاة وأظهرت نفائس المحاسن فى أنواع من البراعة مفشاة وأزاهر بيان يغدو المتلفظ بها غايات ويروح المتحفظ بها صاحب آيات وجعلته شاملا لمصايد شواردها ناهلا من الفضائل أعذب مواردها محتويا من احراز الالفاظ على درر منظومة تستفتح النواظر بلمحات سلكها ومن أسرار المعانى على سرر مختومة تستروح الخواطر بنفحات مسكها

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدر أو شمت لاغنت عن المسك

(وكسوته) من الاخبار بزة رفيعة وأبدعت فيما أودعت فيه من الفكاهات الرائقة البديعة من نوادر مطربات وأبيات مهذبات هى للاوراق شموس مشرقات ولآلئ انوارها بارقات ألفاظها أرق من النسيم وأروق من التسنيم

(مفرد)

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت * فأضحت وعجم الطير فيها تغرد

(وجنبته) خرافات الاخبار ومطولات الاسمار لئلا تسأمه عند المطالعة النفوس ولئلا يكون ذكرها وضحا فى غرر الطروس (وجعلته ستة عشر بابا) تسفر عن وجه الابداع نقابا وجعلتها متضادة لتضاد

الاخلاق والشيم وتباين الاقدار والهمم (كل باب يشتمل على ثلاثة فصول) فى ثلاثة معان تفك بلطائفها من أدهم الهم كل قلب عان وهذه الفصول قلائد أجناس فصلت بلآلئ أنواعها ومعاهد إيناس نصبت أشراك النفوس بربا عها فجاءت فصولا تعبر عن حسان فنونها ومعانيها وتخبر فى وجه عائبها وشانيها (وقدمت) فى أبواب المحامد فصلا فى مدائحها ليتنسم المتأمل عرف اليمن من فواتحها (واتبعته) فصلا ثانيا فيما ذكر عن المتخلقين بها من أزهار خمائل الاخبار وأبكار عقائل الافكار الفائقة باختبارها درر الامثال السائرة الرائقة فى اختيارها فهى عن غرر المفاخر سافرة (وعززت) بثالث فى ذم ما مدح من الاخلاق لسبب بطرأ عليها اذ البدر يطرأ عليه الخسوف والمحاق والشئ بالشئ يعرف فيذكر بعد أن كان يجهل وينكر فربما تجاذبت الاحاديث أذيالها فطلبت من المنمق أشكالها ولا غرو فالحديث كما يقال شجون واحسنه ماجذل جدة برقيق الهزل مقرون على أننى لم آل جهدا فى اضافة كل شئ الى مايشا كله ويلائمه ويضاهيه فى المعنى ويساهمه مما يجرى فى هذا الاسلوب ولا يخرج عن المقصود والمطلوب (ورتبت) فصول أبواب المذام على العكس من أبواب المحامد والمآثر وأطلعت فى دياجى مساويها من محاسن الملح الانجم الزواهر ترتيبا لا يرتاب فى جودته أريب وتقريبا يؤمن به من كل ماريب فأبوابه على اختلافها بائتلافها فى الحسن نظائر وبعضها لبعض ضرائر ان ازدهى الحسن بابا منها بتقسيمه ووصفه تنفس الآخر عن حسن ترصيعه وطيب عرفه

(مفرد)

ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وسددته جهدى رجاء أن يصيب صميم الآمال والاعراض وخوفا أن تصرفه النفوس عند النقد بالصد عنه والاعراض (ووسمته) بغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة اسم يكون لحلة أدبه طرازا معلما ويكنون أسراره معلنا ومعلما اذ الكتاب لا يعلم ما فى باطنه الا من سمة عنوانه كما أن الانسان يعلم ما فى قلبه من لفتات وجهه وفلتات لسانه (وانا راغب) لمن وقف على هذا الكتاب من سراة الاعيان والكتاب القاطفى أزهار الآداب من جنان الخواطر العاطفى نفار الالباب فى عنان النوادر أن لا يفوق لهدف الاختيار سهم الاختبار وأن يحدق اليه بصر الاعتقاد عند الانتقاد فأى جواد لا يكبو وأى مهند لا ينبو ومع هذا فان لسان التقصير عن القيام بالعذر قصير والمصنف وان استمان فى تنقيح ما ألف بمالك وعقيل معرض لطاعن وحاسد الا أن يتاح له عاذر ومقيل

(مفرد)

وانى لارجو أن يفخم أمره * من الناس حر شأنه الصفح والستر

(والله أسأل) أن يكسبه دلا معشقا يكون به لداء القلوب محظيا ويكسبه حسنا ورونقا حتى يكون بعيون العقول مرعيا وللافهام مرضيا وبه أستعين على سبيل الرشاد فيما أحاول فهو المعين بهدايته لتحقيق مارجوت (ولما انتهى) بنا جواد قريحتنا الى غاية البيان عن المراد وحاز قصب السبق فى مضمار النطق بالسداد رأينا صوابا أن نعقبه بذكر مقدمة فى حض الانسان على الدأب فى طلب المعالى ليظفر بالحظ الاوفر

من الشرف المتعالي تكون أسالما قصدنا فيه التحرير والتحبير من الكشف عن ماهية الاخلاق وحقيقة معانيها وكيفية صورها ومبانيها بقول شاف وتلخيص كاف وهو مما اخترناه من كلام الحكماء الاعلام أولي البصائر والاحلام (قالوا) الخلق عادة للنفس يفعلها الانسان بلا روية وهي نوعان جميل محمود وقبيح مذموم والاخلاق المحمودة وان كانت في بعض الناس غريزة فان الباقين يمكن أن يصيروا اليها بالرياضة والالفة ويرتقوا اليها بالتدرب والعادة فانهم وان لم يكونوا على الخير مطبوعين صاروا به متطبعين والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب منفعل والتطبع مجذوب مفتعل تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة وهمه مع ذلك تتشوف الى المنقبة وتتأفف من المثلبة لكن سلطان طبعه يأباه عليه واستعصاؤه مع تكلف ماندب اليه يختار العطل منها على التحلي ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي فلا ينفعه التأنيب ولا يردعه التأديب وسبب ذلك على ماقرره المتكلمون في الاخلاق أن طبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستبطانه اياها وكثرة اعانته لها والادب طار على المحل غريب فيه قال الشاعر في ذلك

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وقال آخر) ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء فان صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من مخالطة اللئام ورب طبع كريم أفسدته معاشرة الاشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الاخيار (وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وقال علي) رضي الله عنه لولده الحسن الاخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه وقال بعض الحكماء في وصية لولده يابني احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا يسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر ثم أنشد

واصحب الاخيار وارغب فيهم * رب من صاحبته مثل الجرب

فاذا كان الخليل كريم الاخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدى وبنجم رشده في طرق المكارم يهتدى واذا كان سيء الاعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه ويكد في الهواجر ويسهر الليالي الى أن يرتقي شرفات المجد والمعالي فقد قيل من شمر عن ساق الجد وجد مفتاح الجد ومن كلام الثعالبي لا يحصل برد العيش لا بحر النصب ولله در الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي حيث قال

سأعرض كل منزلة * يعرض دونها العطب

فان اسلم رجعت وقد * ظفرت وأنجح الطلب

وان أعطب فلا عجب * لكل منية سبب

(وقال عمرو بن العاصي) المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان وضعها اتضعت وقال الشاعر

وما الحر الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء النفس عروف غروف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وان أهملتها فسدت وقال الشاعر

صبرت على اللذات حتى تولت * وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وجرعتها المكروه حتى تجردت * ولو حملته جملة لاشمأزت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الآمال نفسي عزيزة * فلما رأت عزمى على الترك ولت

(وقال آخر) والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

(وقالوا) الفخر بالنفس والافعال لا بالاعمام والاخوال (وقالوا) الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية (وقال عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن فارس عامر * وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمقنب

(وقال أبو الطيب المتنبى)

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبجدى فخرت لا بجدودى

(وقالوا) كن عصامياً لا عظامياً ومعناه لا تفتخر بشرف آبائك ولكن بما برز من أبنائك وعصام المشار اليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان بن المنذر فسئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية والرتبة الحالية فقال

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

(وقالوا) شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه (يحكى فى هذا) أن رجلا من بنى هاشم تخطى رقاب الناس فى مجلس أحمد بن أبى داود فقال له أحمد يا بنى الادب ميراث الاشراف ولست أرى عندك من سلفك ميراثا فاستحسن كلامه من حضر مجلسه (شاعر)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك فى انتسابك شاهدا * بحديث مجد للقديم محقق

(آخر) اذا ما الحى عاش بذكر ميت * فذاك الميت حى وهو ميت
ومن يك بيته بيتا رفيعا * وهدمه فليس لذاك بيت

(ابن الرومى) وما الحسب الموروث لا در دره * بفيد الفتى الا باخر مكتسب
فلا تتكل الا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوى حسب
اذا المرء لم يثمر وان كان شعبه * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

(وقال آخر يهجو رجلاً شريفا)

من كان يعمر ماشادت أوائله * فأنت تهدم ما شادوا وماسمكوا
ما كان في الحق أن تأتي فعالهم * وأنت تحوي من الميراث ما تركوا

(وقال آخر) يزين الفتى أخلاقه ويشينه * وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

واني رأيت الوسم في خلق الفتى * هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

(وقال أبو الطيب مقتفياً أثره ومصدقاً خبره)

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال بعض من له في الحكمة فصل المقال منبها على ما تدرك به رتبة الكمال الانسان التام من نزع عن نفسه ربقة المساوي والملاوم وبذ بجده المساوي والمقاوم وهذا الحد قلما ينتهي اليه الانسان واذا انتهى الانسان الى هذا كان بالملائكة أشبه منه بالناس لان الانسان مضروب بأنواع الشر مستول عليه وعلى طبعه ضروب النقص والكمال وان كان بعيد الاتيان فانه ممكن وذلك ان الانسان اذا صرف عزيمته وأعطى الاجتهاد حقه كان ممكنا وهو أن يكون راغباً بجميع مناقبه وخصائصه متيقظا لصرف معايبه ونقائصه واردة طرائقه شرعة المكارم الصافية رافلة خلائقه في أبراد المحامد الضافية مستعملا كل فضيلة متجنبا كل رذيلة مجتهدا في بلوغ القصوى وقمع النفوس عما تحب وتهوى عاشقا لصورة الجمال مستلذا بمحاسن الخلال يرى الكمال دون محله والتمام أقل أوصافه ونيله فقد قيل قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا (قال المتنبي)

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

(وقال علي بن مقلة)

واذا رأيت فتى بأعلى قمة * في شامخ من عـــزة المترفع
قالت لي النفس العروف بفضلها * ما كان أولاني بهذا الموضع

(والمنهج القويم) الموصل الى الثناء الجميل أن يستعمل الانسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره ومن أخذ نفسه بما استحسن منها واستملح وصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل له كفاك تهذيبا وتأديبا لنفسك ترك ما كرهه الناس من غيرك (وقيل لعيسى عليه السلام) من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته

اذا اعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك
وليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

(وقالوا) من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الاحمق بعينه

لا تلم المرء على فعله * فأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله * فانما دل على جهله

(ويقال) الانسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز ويضارع البهيمة بقوة الشهوة والغذاء فمن صرف همته الى رتبة الفكر والتمييز حتى يرى بهما عاقبة فعله فحقيق أن يلحق بالملائكة فيسمى ملكا لطهارة أخلاقه ومن صرف همته الى رتبة القوة الشهوانية بايثار اللذة البدنية يأكل كما تأكل الانعام فحقيق أن يلحق بالبهائم فيصير اما غمرا كثور أو شرها كخنزير أو ضريا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو روّاغا كثعلب أو جامعا لذلك كشيطان ولقد صدق من قال

واذا الفتى ساس الامور بعقله * وأعين بالتأديب والتهذيب

سمت الامور به فبرز سابقا * فى كل حال مشهد ومغيب

(اللهم) كما خلقت الانسان بقدرتك فى أحسن تقويم وأعليته باختصاصك له ذروة التكريم وهديته بارادتك نجدى الخير والشر وصرفته بقضائك فى عنانى النفع والضر روّض اللهم جوامح نفوسنا الى اقتفاء أثر الاكارم واقتناء ما يبعث على حمدها من صنوف المكارم وذد اللهم سوائم طباعنا عن مراتع الملاوم ومرابع ما يتوجه به علينا لوم اللوائم فالبك الخذلان والعون وبيدك أزمة المكان والكون (وهذا) أوان انشقاق كمائم هذا الكتاب عما أكنته من زهرات الآداب واهتصار أفنان فنونه الدانية القطاف المتسقة بأنواع التحف والالطاف

﴿ الباب الاول فى الكرم وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان * الفصل الثانى فى ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن احساب الاكابر * الفصل الثالث فى ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان

﴿ الباب الثانى فى اللؤم وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى ذم من ليس له خلاق وما تصف به من قبيح الاخلاق * الفصل الثانى فى ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع * الفصل الثالث فى أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع

﴿ الباب الثالث فى العقل وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله الفصل الثانى فى ذكر أنواع الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد * الفصل الثالث فى أن هفوات العقال لا يغضى عنها ولا تقال

﴿ الباب الرابع فى الحمق وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى ذم الجهالة والجنون وما اشتملا عليه من الفنون * الفصل الثانى فى ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة * الفصل الثالث فى احتجاج الاريب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق

﴿ الباب الخامس فى الفصاحة وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى أن الفصاحة والبيان أزين ما تحلت به الاعيان * الفصل الثانى فيما يتحلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء * الفصل الثالث فى أن معرفة حرفة الادب مانعة من ترقى أعالى الرتب

﴿ الباب السادس فى العى وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فيما ورد عن ذوى النباهة فى ذم العى والفهاهة الفصل الثانى فيمن قصر باع لسانه عن ترجمة ما فى جنانه * الفصل الثالث فى أن الَّسن المكثار لا يأمن

آفة الزلل والعثار

﴿ الباب السابع في الذكاء وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان * الفصل الثانى فى ذكر البداهة البديعة والاجوبة المفحمة السريعة * الفصل الثالث فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

﴿ الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التعالى والتنزل * الفصل الثانى فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر اخبارهم المستظرفة * الفصل الثالث فى أن أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبلة

﴿ الباب التاسع فى السخاء وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل * الفصل الثانى فى ذكر منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد * الفصل الثالث فى ذم السرف والتبذير اذ فعلهما من سوء التدبير

﴿ الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى ذم الامساك والشح وما فيهما من الشين والقبح * الفصل الثانى فيما يستملح من نوادر المبخلين من الاراذل والمبجلين * الفصل الثالث فى مدح القصد فى الانفاق خوف التعيير بالاملاق

﴿ الباب الحادى عشر فى الشجاعة وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى مدح الشجاعة والبسالة وما فيهما من الرفعة والجلالة * الفصل الثانى فى ذكر ما وقع فى الحروب من شدائد الازمات والكروب * الفصل الثالث فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يطيق بها ملكة

﴿ الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى أن خلق الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار * الفصل الثانى فيمن جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء * الفصل الثالث فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما ينفى عنه الملام

﴿ الباب الثالث عشر فى العفو وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو * الفصل الثانى فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسىء الاعتذار * الفصل الثالث فى ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء

﴿ الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى التشفى والانتقام ممن احضر قسرا فى المقام * الفصل الثانى فى ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب * الفصل الثالث فى ان الانتقام لحدود الله خير فعلات من حكمه الله وولاه

﴿ الباب الخامس عشر فى الاخوة وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان * الفصل الثانى فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة * الفصل الثالث فى ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

﴿ الباب السادس عشر فى العزلة وفيه ثلاثة فصول ﴾ الفصل الاول فى ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافى الاجناس * الفصل الثانى فيما يحض على الوحدة والاعتزال من ذميم الخلائق والخلال * الفصل الثالث

فيما يختم به هذا الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

﴿الباب الاول في الكرم وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من الباب الاول﴾

(في وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان)

(قال الله تعالى) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس في الميزان شيء أثقل عند الله من الخلق الحسن وما حسن الله خلق رجل وخلقه فأدخله النار (وقال علي كرم الله وجهه) نعم الحسب الخلق الحسن (وقال الحسن البصري) سعة الاخلاق منحة من الله فاذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا حسنا (وقال عليه الصلاة والسلام) من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب الى لقائه وتنافست في مودته (وقالوا) أحسن الشيم ما تشام منه بارقة الكرم (وأوصى حكيم ولده) فقال يابني ان مكارم اخلاقك تدل على شرفك وطيب أعراقك (سمع) بعض الاعراب يقول لولده

أبني ان البر شيء هين * وجه طليق وكلام لين

وفي بعض الكتب القديمة الاخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة (وقالوا) من حسنت أخلاقه درت أرزاقه (وقيل لبعض الادباء) متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال اذا اتقى من خلقه وجاد بما رزقه واختار من القول أصدقه وحسن في كل الاحوال خلقه فذاك الذي أنهج الى الكمال طرقه (ويقال) ان في التوراة يقول الله تعالى ياموسى ليكن وجهك بساما وكلامك لينا تكن أحب الى الناس والى من يعطيهم الذهب والفضة (وقال) ابن الرومي

له محيا جميل يستدل به * على جميل وللبطنان ظهران

وقل من أضمرت خيرا طويته * الا وفي وجهه للخير عنوان

(وما أصدق قول القائل)

وما اكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

(وفي بعض الآثار المروية) عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة يكذب برسلك ويجحد آياتك فأوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه

﴿وعلى ذكر الحجاب وان لم يكن من الباب﴾

كانت العرب تقول ما شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم واذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوي الضعيف فخير خلال الولاة سهولة الحجاب ﴿وصف أخلاق أهل الوفاق﴾ فلان خلقه كنسيم الاسحار على صفحات الانوار أخلاق قد جمعت الحرية أطرافها وفرشت المروأة أكنافها * اخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته وتؤلف الآراء المشتتة في مودته * أخلاق هي المسك لولا فأرته والورد لولا مرارته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر

قدجمع شرف الاخلاق الى طيب الاعراق

له خلق على الايام يصفو * كما رقت على الزمن العقار

(آخر)

خلق سهول المكرمات سهوله * وتوعر الايام من أوعاره

ان لاح فهو الصبح فى أنواره * أو فاح فهو الروض فى نوّاره

(المتنبي)

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

(آخر)

موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتى ويجتنب

تسمو اليه عيون كلما انفرجت * للناس وجهة الابواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

﴿ عيون من مكارم الاخلاق الدالة على طيب الاعراق ﴾

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وهو ما أوصاه به ربه عز وجل فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وناطقه بشغاف قلبه أثنى على فعله بقوله تنويها بفضله الجسيم وانك لعلى خلق عظيم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه (وقال الحسين) بن مطير يفتخر

أحب مكارم الاخلاق جهدى * وأكره ان أعيب وان أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(وقال الاحنف بن قيس) واسمه الضحاك وقيل صخر لبنيه ألا أدلكم على المحمدة الخلق السجيح والكف عن القبيح (وقال أكثم بن صيفى) لولده يابنى ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها على المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (وقيل) لحمة بن رافع الدوسى من أكرم الناس قال من اذا قرب منح واذا بعد مدح واذا ظلم صفح واذا ضويق سمح (وقالوا) من الاخلاق التى تزين ولا تشين وتحض على المكرمات وتعين نشر البشر وترك الكبر ونصر الحر وسلامة الصدر (وقال) جعفر بن محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعا عند الضيق وأعدلهم حلما عند الغضب وأبسطهم وجها عند المسئلة وأرحمهم قلبا اذا سلط وأكثرهم صفحا اذا قدر (وقال عامر العدوانى) يامعشر عدوان الخير ألوف عروف وانه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم (وقال) يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فان الذم قلما ينجو منه أحد ومن رغب فى المكارم صبر على المكاره واجتنب المحارم (ويقال) المكارم موصولة بالمكاره فمن أراد مكرمة احتمل مكروها وقال أبو الشيص

عشق المكارم فهو معتمد لها * والمكرمات قليلة العشاق

وأقام سوقا للثناء ولم يكن * سوق الثناء يعد فى الاسواق

بث الصنائع فى البلاد فأصبحت * يجبى اليه مكارم الاخلاق

﴿ وقال أبو الطيب المتنبي ﴾

تلذ له المروأة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرام

(ولله در القائل) الحمد شهد لا يرى مشتاره * يجنيه الا من نقيع الحنظل

غل لحامله ويحسبه امرؤ * لم يوه عاتقه خفيف المحمل

(وقال علي بن الفضل) لو قرب الدر على جلابه * ما لجج الغائص في طلابه

ولو اقام لازما اصدافه * لم تكن التيجان في حسابه

ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه * الا وراء الهول من عبابه

من يعشق العلياء يلق عندها * ما لقي المحب من أحبابه

(وقال الشاعر)

دعيني أنل ما لا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والصعب في السهل

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(وقال الاشعث بن قيس) واسمه معدبكرب لقومه انما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم وأقضي حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل هذا فهو مثلي ومن زاد عليه فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه قيل له وما هذا قال احضكم على مكارم الاخلاق

﴿ومن روائع عادات السادات وشائع سادات العادات﴾

السخاء والنجدة والمروأة فالسخاء التبرع بالنائل قبل الحاف السائل والنجدة الذب عن الجار والاقدام عند الكريهة والمروأة حفظ الرجل دينه واحرازه نفسه عن الدنس الى غير ذلك من الاخلاق الجميلة التي هي بالمدح كفيلة وسنذكر جملة منها فيما سيأتي (وقيل) اسباب السودد سبعة العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء واداء الامانة واضيف الى ذلك الصبر والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة هي لمحاسن الشيم شاملة (وقال) ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحابة اسود من معاوية فقيل له اهو خير من أبي بكر وعمر قال هما خير منه وهو أسود منهما لحلمه وجوده فانا معشر قريش نعد الحلم والجود السودد (ويحكى) ان رجلا رأى معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال اني اظن هذا الغلام سيسود قومه قالت امه هند ثكلته ان كان لا يسود الا قومه (وقيل) السيد من اورى ناره وحمى معماره ومنع جاره وادرك ثاره (وقال النبي صلى الله عليه وسلم) اضمنوا لي ستا اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا ايديكم (وذكر) ان عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس فلم يلبث ان قام قال معاوية ما اكمل مروأة هذا الفتى قال عمرو انه اخذ بأخلاق اربعة وترك اخلاقا اربعة اخذ بأحسن البشر اذا لقي وبأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه وترك مخالطة لئام الناس وترك من الكلام كل

مايعتذر منه (وقال هشام بن عبد الملك) لخالد بن صفوان بم بلغ فيكم الاحنف مابلغ قال ان شئت اخبرتك بخلة واحدة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث قال فما الخلة قال كان اقوى الناس على نفسه قال وما الخلتان قال كان موقى الشر ملقى الخير قيل فما الثلاث قال كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغى (وقال رجل للاحنف) بم سوّدك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا بأصبحهم وجهاً ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف مافيك يا ابن أخى قال وماذاك قال بتركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك (وقال) عبد الملك لبنيه كلكم يترشح لهذا الامر ولن يصلح له الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن اليه القلوب وأمن تستقر به فى مضاجعها الجنوب (وقيل لقيس بن عاصم المنقرى) بم سدت قومك قال ببذل القرى وترك المرا ونصرة المولى * وروى على رضى الله عنه قال لما أتينا بسبايا طى كانت فى النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء لمياء خميصة الخصر هضيمة الكشح مصقولة المتن فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنستنى بمقالها مارأيته من جمالها فكان من كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تمن علىّ وتخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومها ان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة أبداً فقال عليه الصلاة والسلام من أبوها قالوا حاتم طى * فقال عليه الصلاة والسلام لو كان أبوها مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ثم قال للمسلمين ماحازت أسنتها وحوته أعنتها غير التهيئة والابضاع فلو فعلوا الفعلت فقالوا يارسول الله أمرنا لامرك تبع فاصنع مابدالك فقالوا أعلى أصحابى وأهلك أعدائى وأبدل الانصار بالمضاضة غضاضة وأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى أخيها عدى وكان بدومة الجندل فقالت ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فانى رأيت هدياً ورأياً سيغلب به أهل الغلب رأيت خصالاً أعجبتنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير ومارأيت احداً أجود منه ولا أكرم صلى الله عليه وسلم (وقال معاوية) لاينبغى للملك ان يكون كذاباً ولاحديداً ولابخيلاً ولاجباناً ولاحسوداً فانه ان كان كذاباً ووعد بخير لم يرج أو أوعد بشر لم يخف وان كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية وان كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وان كان جباناً اجترأ عليه عدوّه وضاعت ثغوره فذل وان كان حسوداً لم يشرف احداً ولا يصلح الناس الا باشرافهم (ويقال) ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته وليس له ان يكذب لان أحداً يستردّه حديثاً ولا أحد يكرهه على مايريد وليس له ان يكون حقوداً لان خطره عظيم عن المجازاة (وقال) عبد الله بن طاهر لاينبغى للملك ان يظلم وبه يستدفع الظلم ولا ان يعجل ومنه تلتمس الاناة ولا ان يبخل ومنه يتوقع الجود (وقالوا) ينبغى للملك ان يكون سخياً لايبلغ التبذير وحافظاً لايبلغ البخل وشجاعاً لايبلغ التهوّر ومحترساً لايبلغ الجبن وقائلاً لايبلغ الهذر وصموتاً لايبلغ العى وحليماً لايبلغ العجز (وقال) اسماء بن خارجة لاأشاتم أحداً ولا أردّ سائلاً فانما هو كريم اسد خلته أو لئيم استر عرضى منه * وروى البيهقى فى كتابه شعب الايمان باسناده عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن يشاء من عباده

صدق الحديث وصدق البأس وأن لايشبع وجاره وصاحبه جائعا واعطاء السائل والمواساة بالنائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهن الحياء * ومن اخلاقهم صون الوجه بقناع الحياء وعقل اللسان عن اللجاج والمراء الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل الصريح وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه نظم قلائد المحامد ونسق وجمع من خلال الكمال ماافترق (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ خلقا وخلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا من الايمان والايمان في الجنة وقال الحياء لا يأتي الا بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قيل كيف ذلك يارسول الله قال من حفظ الرأس وماوعى والبطن وماحوى وذكر الموت والبلا وترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الاولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء * فالحياء اسم جامع يدخل فيه الحياء من الله تعالى لان ذمه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (وقال) يزيد بن على انى لاستحيي من الله تعالى ان أفضى اليه بشئ أخفيه من غيره والحياء من الناس يكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تقوى الله اتقاء الناس * وقيل هو ان يستحيي منهم فى سره كما يستحيي منهم فى جهره (وقيل) من المروأة ان لاتعمل شيأ فى السر يستحيا منه فى العلانية * وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لابى علىك بالحياء والانفة فانك ان استحييت من الفضاضة اجتنبت الخساسة واما استحياء الرجل من نفسه فهو أن لا يأتى فى الخلاء الا ما يأتى فى الملا * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه وكان عثمان بن عفان قد خص من الحياء بأجل السهام ومنح منه بأوفر الاقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تستحيي منه الملائكة الكرام (قال) الامام مالك رضى الله عنه انه أول من ضرب الابنية فى السفر * وقالوا من لا يستحيي من نفسه فجدير أن لا يستحيي من غيره * وقالوا فى حد الحياء التوقى من فعل المساوى خوف الذم ويقال الحياء خوف المستحيي من تقصير يقع به من غير من هو أفضل منه (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) الحياء لباس سابغ وحجاب واق وستر من العيب وأخو العفاف وحليف الدين ورقيب من العصمة وعين كالئة تذود عن الفحشاء وتنهى عن ارتكاب الارجاس وسبب الى كل جميل (وقالوا) من عفت أطرافه حسنت أوصافه (ويقال) لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترض عقله ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه فان ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم فاذا قوى الحياء قوى الكرم واذا ضعف الحياء قوى اللؤم (وقال) بشار بن برد

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك مافى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال بعض الاعفاء)

ورب قبيحة ماحال بينى * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

(وقالوا) لايزال الوجه كريما مادام حياؤه ولم يرق باللجاج ماؤه * وقالوا حياة الوجه بحيائه كما ان حياة الغرس بمائه (وقال ابن المعتز) فى كتاب الادب من كساه الادب ثوبه ستر عن الناس عيبه * وقالوا فلان يتحدر من أسارير وجهه ماء الحياء ويشير لألاء غرته حنادس الظلماء (وقال) الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

(ليلى الاخيلية فى توبة الحميرى)

ويخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

(ولابن المعتز) ويظل صباغ الحياء بخديه * تعبا بصفر تارة وبورد

(وقال آخر) كريم وغض الطرف بعض صفاته * ويدنو وأطراف الرماح دوان

﴿ جوامع ممادح الاخلاق والشيم المتحلية بها ذووا الاصالة والكرم ﴾

(مدح اعرابى رجلا فقال) كان والله تعبا فى المكارم غير ضال فى طرقها ولا متشاغل بغيرها عنها * وقال آخر فلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم انه ضالته * ومدح أعرابى رجلا فقال كان والله صحيح النسب محكم الادب من أى أقطاره أتيته انثنى اليك بكرم فعال وحسن مقال وذكر أعرابى رجلا فقال كان الالسن والقلوب رضت له فلا تنعقد الا على وده ولا تنطق الا بثنائه وحمده * وقالوا فلان من شجر لا يختلف ثمره ومن ماء لا يأتلف كدره (وسأل) يحيى بن خالد رجلا عن ابنه الفضل فقال تركته وماء يتحدر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلى العلم منثرة من مسارب منطقه * نظم هذه الكلمات ابراهيم بن هلال الصابى فى أبيات يمدح بها الوزير المهلبى

له يد برعت جودا بنائلها * ومنطق دره فى الطرس منتثر
فخاتم كامن فى بطن راحته * وفى أناملها سحبان مستتر

(وقال زرعة بن سنان مادحا)

مآثره غر وأيامه زهر * وطلعته بدر وراحته بحر

وهذا غاية فى التقسيم (وقال ديك الجن) يفتخر بمثل ذلك

ان العلا شيمى والبأس من نعمى * والجد خلط دمى والصدق حشو فمى

(وقال النمر بن تولب مفتخرا)

لا يعلم اللامعات اللائحات نحوى * ماتحت كشحى ولا يعلمن أسرارى
ولا أخون ابن عمى فى حليلته * ولا البعيد ناى عنى ولا جارى

(وقال آخر يفتخر بنفسه وكان ذميم الخلق أى قصيرا)

ألم تعلمى يا عمرك الله اننى * كريم على حين الكرام قليل
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حتى يقال طويل

فان لم يكن جسمي طويل فانني * له بالفعال الصالحات وصول

(وقال ابن حبيب التميمي)

اذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي * له مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي * فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى * علي له فضلا بما نال من فضلي

(آخر) وما أنا بالساعي بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها * لابعثها خفا وأترك صاحبي
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدر * رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها وأردفه فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

(وقال ملك بن نويرة الفزاري)

لا يبعد الله قوما ان سألتهم * أعطوا وان قلت يا قوم انصروا انصروا
وان أصابتهم نعماء سابغة * لم يبطروها وان فاتتهم صبروا
والكاسرون عظاما لا اجبار لها * والجابرون عظاما ليس تنكسر

(وقال مروان بن أبي حفصة يمدح آل معن بن زائدة من أبيات)

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم * ولو أحسنوا في النائبات وأجملوا

﴿ والاسباب المانعة من السيادة سبعة ﴾

الحداثة والبخل والزنا والظلم والحمق والفقر والكذب واعتبرت هذه الاسباب فوجدتها قد تفرقت في الاعيان الاماثل والسراة الافاضل (أما الحداثة) فقد ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته (وأما البخل) فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من نار الحباحب وقيل من أبي حباحب (وأما الزنا) فقد ساد عامر بن الطفيل وكان ازنى من قرد (وأما الظلم) فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية (وأما الحمق) فقد ساد عيينة بن حصن وكان أظلم من دغة (وأما الفقر) فقد ساد أبو طالب وعتبة بن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق ولا يعرف في العرب والعجم كذاب ساد قط الا المهلب بن أبي صفرة فانه كان أكذب من فاختة وكان اذا أخذ في الحديث يقول أصحابه راح يكذب

﴿ شرح ماذكر من الامثال الواقعة في هذا المثال ﴾

(أما) سيادة أبي جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة نادي سادات قريش لا يدخلها الامسود (وأما) قولهم أبخل من أبي حباحب على أحد الروايتين فهو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارا ضعيفة فاذا أبصرها مستضيء أطفأها وعلى الرواية الاخرى فهي النار التي تقدحها الخيل بحوافرها وتوصف بالبخل لقلتها وعدم الانتفاع بها (وأما) قولهم أزنى من قرد فهو قرد بن عمرو بن معاوية الهذلي وقيل هو الحيوان المعروف (وأما) قولهم أظلم من حية فلانها لا تتخذ لنفسها بيتا بل كل جحر أمته هرب اهله منه وتركوه

لها (وأما) قولهم أحمق من دغة فانها مارية بنت مغنج وهو ربيعة بن عجل ومن حمقها أنها زوجت وهى صغيرة فى بنى العنبر بن تميم فحملت فلما أضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت الى بعض الغيطان فوضعت فاستهل الوليد فانصرفت الى الرحل تظن أنها أحدثت فقالت لضرتها ياهنتاه أيفغر الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه ثم مضت الضرة وأخذت الولد اليها وربته وبنو العنبر يعيرون بذلك ويعرفون ببنى الجعراء (واما) قولهم أفقر من ابن المذلق فهو رجل من بنى عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد بيتة ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالافلاس وفى أبيه يقول الشاعر

فاتك أن ترجو تميما ونفعها * كراجى الندى والعرف عند المذلق

ويروى بالدال المهملة (وأما) قولهم أكذب من فاختة فلان حكاية صوتها هذا زمان الرطب تقول ذلك والطلع لم يطلع (قال بعضهم)

أكذب من فاختة * تصيح عند الكرب * والنخل غير مطلع * هذا أوان الرطب

(وقالوا) عشر خصال فى أناس أقبح منها فى غيرهم الفسق فى الملوك والكذب فى القضاة والخديعة فى العلماء والغضب فى الابرار والغدر فى الاشراف والسفه فى الشيوخ والمرض فى الاطباء والتهزى فى الفقراء والشح فى الاغنياء والفخر فى الاعزاء

﴿ الفصل الثانى من الباب الاول فى ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن أحساب الاكابر ﴾

(قال خالد بن صفوان) كان الاحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه (لما) تولى عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان بعد موت أبيه من قبل الواثق دخل عليه عبد الله بن خليد بن سعد المعروف بأبى العميثل بقصيدة يمدحه فيها ويهنئه بالولاية فجاء منها قوله

يامن يؤمل أن تكون خصاله * كخصال عبد الله أنصت واسمع
أصدق وعف وبر وانصف واحتمل * واكفف وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن واشتد وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتى * وهديت للنهج الاسد المهيع

(آخر) ان كنت ترغب فى شأو الكرام فدر * فى الناس بالفضل والدين الذى شرعوا
حافظ اذا غدروا واشجع اذا جبنوا * واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا

﴿ فمن مآثر ذوى الكرم فى النجار الذب عن النزيل وحفظ الجار ﴾

كما قيل الكريم يرى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللفظ (وقالوا) وجه الكريم جنة وكنفه جنة * كان بعض الهاشميين اذا نزل به جار قال له ياهذا انك قد اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك على دونك فاحتكم على حكم الصبى على أهله * وهذا مثل تضربه العرب فى التزام مايحكم به عليها وذلك ان الصبى اذا كان عزيزا فى أهله حمله الدلال على طلب مايستحيل وجوده ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون فى تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدموه على أترابه (وكان) حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل بفنائه جراد فقصد أهل الحى اليه ليدفعوه عنهم فمنعهم منه وقال لهم ماتريدون منه قالوا نريد قتله فانه

نزل بجوارك فقال اما اذ سميتوه جاري فو الله لا تصلون اليه أبدا وطردهم عنه (وكان) ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بارضه ولا تضار (وحكي) أن زيادا الاعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على أبيه فجلسا يوما يشربان في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال له حبيب أنها فاقدة الف كنت أراه معها فقال زياد هو أشد لشوقها ثم أنشد

تغنى أنت في ذممي وعهدي * وذمة والدي أن لا تضاري
وعشك أصلحيه ولا تخافي * على زغب مصغرة صغار
فانك كلما غنيت صوتا * ذكرت أحبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبت ثأرا * لانك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فأصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه الى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار أبي لبابة جاري وذمته ذمتي والله لالزمنك دية الحر وأخذ له من ماله ألف دينار فقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية * قضى لي بها شيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجار أجرته * من الطير اذ يبكي شجاه ويندب

(ولما) ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر فأرسل اليهم أبا عون ومحمد بن أشعث الخزاعي بعسكر فهزم الحكم وبلغ صالح بن علي أن رجاء بن روح دخل مصر واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره فأرسل اليه فحضر فقال ألم أكرمك ألم أشرفك قال بلى قال فكان جزائي منك أن أجرت عدوي قال وما ذاك أيها الامير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلح الله الامير اختر واحدة من اثنتين لي فيهما براءة اما أن أثلج صدرك بيمين أو ترسل رجلا من ثقاتك يفتش منازلي قال وتحلف قال نعم فأحلفه بطلاق زوجته وعتق عبيده ومشيه الى مكة راجلا حافيا فحلف له ثم انصرف الى منزله وأعلم زوجته فاعتزلت عنه وقالت له لا تقطع عني لئلا يشعر بك فلما عزل صالح عن مصر ورجع الى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته وأعتق رقيقه ومشى الى مكة كما شرط عليه (ولما) كان يوم فتح مكة لجأ الحرث بن هشام الى منزل أم هانيء أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستجيرا بها فدخل عليها علي فخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت أم هانيء يا ابن أم قد أجرته فلم يلتفت الى قولها فوثبت فقبضت على يديه وقالت والله لا تقتله وقد أجرته فلم يقدر على أن يرفع قدمه عن الارض وجعل يتفلت منها فلا يقدر فدخل النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقالت يا رسول الله ألا ترى اني أجرت فلانا فأراد علي أن يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت ولا تغضبي عليا فان الله يغضب لغضبه أطلقي عنه فأطلقت عنه فقال عليه الصلاة والسلام يا علي غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت أرفع قدمي من الارض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو أن أبا طالب ولد الناس كانوا شجعانا (ومن أحسن ما يحكى في هذا الباب) أهدر المهدي دم رجل كان يسعى في فساد دولته وجعل لمن يقتله او يأتيه به مائة ألف درهم فاختفى الرجل زمانا ثم ظهر مستنكرا خائفا يترقب فبصر به رجل

فى بعض دروب بغداد فعرفه واخذ بيده وقال بغية امير المؤمنين فاجتمع الناس عليه وجهدوا على أن يطلقوه منه فلم يقدروا فربه وهو فى تلك الحالة معن بن زائدة فناداه يا ابا الوليد اجرنى اجارك الله فوقف الرجل وقال للرجل الذى تعلق به ماشأنك قال بغية امير المؤمنين الذى جعل لمن يقتله او يأتيه به مائة ألف درهم فقال معن لبعض غلمانه انزل عن دابتك واحمله عليها وانطلق به الى منزلى فقال الرجل اتحول بينى وبين بغية امير المؤمنين فقال معن اذهب الى أمير المؤمنين وأخبره انه عندى فذهب الرجل واوصل الخبر الى المهدى فبعث اليه من يحضره فركب معن وقال لمن خلفه من غلمانه فى منزله لايخلص الى هذا الرجل احد وفيكم عين تطرف فلما دخل على المهدى سلم فلم يرد عليه السلام وقال له اتجير على قال نعم قال ونعم ايضا فقال معن يا امير المؤمنين لقد قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر الفا فى ايام كثيرة عرف فيها بلائى وعنائى فما رايتمونى اهلا لان يوهب لى رجل واحد استجار بى فأطرق المهدى مليا ثم رفع راسه وقد سرى عنه وقال لقد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد فقال معن فان راى امير المؤمنين ان يصله فيكون قد احياه واغناه فقال قد امرنا له بخمسين الفا فقال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها له فان خير البر عاجله فعجلت فأخذها وانصرف بها الى الرجل ولم ير المهدى وجهه (والمثل المضروب) فى هذا الباب جار كجار ابى داود وذلك ان اباداود نزل بكعب بن امامة وكان كعب اذا جاوره رجل قام له بما يصلحه واهله وحماه ممن يقصده وان هلك له شئ اخلفه عليه وان مات وداه الى اهله فجاوره ابو داود الايادى فتعلم منه فكان يفعل بجاره مافعل كعب به فضرب به المثل ونسى كعب (قال) على بن العباس بن جريج الرومى

هو المرء اماماله فحلل * لعاف واماجاره فمحرم

(وقال شبيب بن البرصاء)

وجار اتامادمن فينا عزيزة * كاروى ثبير لايحل اصطيادها
يكون علينا نقضها وضمانها * وللجاران كانت تريد ازديادها

(وقال مروان بن ابى حفصة)

هم المانعون الجارحتى كأنما * لجارهم فوق السما كين منزل

(ولآخر)

الباذلون الندى والناس باخلة * والمانعون وحق الجار يحترم

﴿ومن صنيع من زكت فى الكرم ارومه صون المضيم بنفسه من عدو يرومه﴾

(ورد) فى بعض الآثار أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود داسمع منى والحق أقول من لقينى بحسنة واحدة حكمته فى رحمتى قال داود يارب وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب كربته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه (ويقال) من كفارات عظائم الذنوب اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب (وقيل) أفضل المعروف اغاثة الملهوف (ومن أمثالهم) رب أخ لك لم تلده أمك (فمن) الاخبار فى ذلك ماحكى ان حاتما الطائى مر بأرض عنزة فناداه أسير يا أباسفانة أكلنى القد والاسار والقمل فقال ما أنا

بأرض قومى وقد أخطأت اذ نوّهت باسمى ولامى ما أفديك به ثم قال للذى هو فى يده خل عنه سبيله واجعلنى فى القدّ مكانه ففعل وبعث الى قومه فأتوه بما فدى به نفسه (وذكر) ان بنى كلب بن وبرة أغاروا على حى من أحياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستنجدوا عليهم وقالوا اما الثأر واما الديات فسألوهم المهلة فى ذلك الى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا وأماهاموحيا حيا فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا زهاء مائة نفس فمروا بعطاردين حاجب بن زرارة ابن عدى فسألوه ذلك فقال قولوا شعرا وخذوهم فلم يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأتوا على بنى مجاشع فمروا بواد قد امتلأ ابلا وبه صعصعة جد الفرزدق وهو بفنائه ابل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذى جئتم فيه فأخبروه بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة هذا أول من ترك وأد البنات وفداهنّ بماله وكفت العرب عن وأدهنّ من بعد (ومما) يمتزج بما ذكرناه امتزاج اللبن بالماء القراح ويتعلق به تعلق الانامل بالراح ما حكاه الجهشيارى فى كتاب الوزراء أنه لما تفرق الامر عن مروان بن محمد الجعدى طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطلب وهما فى بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشى عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع بما يكره فقال لهم تثبتوا فان فى عبد الحميد علامات يعرف بها فارسلوا الى مرسلكم من يستوصفها منه فأينا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بدنه فأخذ وحمل الى أبى العباس السفاح فولى عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمى له طشتا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وأنا اذكره فيما يأتى من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (وقريب من هذه الحكاية) ما حكاه صاحب المستجاد قال لما أحرق جامع مصر ظنّ المسلمون أن النصارى أحرقوه فاحرقوا لهم خانا كانوا يبيعون فيه الزيت فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت فى يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت فى حجر رجل رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا أم لى ما باليت فالتفت اليه شاب كان الى جانبه فقال له فى رقعتى الجلد ولا أم لى فخذ رقعتى وادفع الى رقعتك فابى عليه فاقسم أن لا بد ففعلا فقتل هذا وجلد هذا (وحكى) الزبير بن بكار فى كتابه الذى سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة بن أبى جهل وسهل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه كلما دفع الى رجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه (مسلم بن الوليد) يمدح من هذه خلقه

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وقال عمارة بن حمزة)

ينمى مضرته لنفع صديقه * لا خير فى شرف اذا لم ينفع

(البحترى)

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفى لك عند العهد من لا تناسبه

وحسب الفتى من نصحه ووفائه * تعنيه أن يؤذى ويسلم صاحبه

(آخر) قوم اذا حالفتهم * لم تخش نابية الصروف
واذا وصلت بحبلهم * حبلا أمنت من المخوف

(وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يمدح الامين بحسن العهد والتذمم

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بفضل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام عنى لما درت * وأين مكاني ماعرفن مكاني

﴿ومن أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الامانة﴾

(قالوا) الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الاخلاص في الود وأحق الافعال بالشكر والحمد (وقالوا) الوفاء أتم حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة اليه وتجب المحافظة عليه ولقد صار رسمادارساً وحلة لاتجد لها لابساً ومنقبة قل ان تجد فيها مستأنساً ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر * مغرى برعى العهود مصطبر
هذا الذى لاأزال أسمعه * وماله فى الزمان من أثر
لو أن كفى بمثله ظفرت * قاسمته فى المتاع والعمر

(وقالوا) من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق وألزم نفسه رعي العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق (ويقال) بالوفاء تملك القلوب وتستدام الالفة بين المحب والمحبوب (وقالوا) من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء ولقد أحسن من قال

اذا أنت محضت المودة صافيا * ولم تر عن وصل الصديق مجافيا
ووفيت بالعهد الذى خانه الورى * ولم أر مخلوقا على العهد باقيا
فقد حزت أسباب المكارم كلها * وجددت للعليا رسوما عوافيا

(وقالوا) الوفاء ضالة كثير ناشدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام (وقالوا) اذا ترك الوفاء نزل البلاء (ويقال) من أودع الوفاء صدور الرجال ملك أعناقهم (ومن أمثالهم) في ذلك أوفى من السموأل وهو السموأل بن عادياء بن حياء اليهودى صاحب قصر تيماء المسمى بالابلق الفرد (ومن خبره) أن امرأ القيس كان قاصد الشأم فاودع السموأل أدراعه وكراعه فمات امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده فأبى أن يسلمه له فقال ان لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر فقال اجلنى الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل اشار بأن يدفع اليه ماطلبه منه فلما أصبح قال له ليس الى دفعها سبيل فافعل مابدالك فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بالادراع فدفعها الورثة امرئ القيس (وفيه) يقول الاعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من أبيات

كن كالسموأل اذطاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

بالابلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير غدار
فسامه خطتي خسف فقال له * قل ما بدا لك اني مانع جاري
فقال ثكل وغدر انت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك اني مانع جاري
فقال تقدمة اذ رام يقتله * اشرف سموأل فانظر في الدم الجاري
أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها * طوعا فأنكر هذا أي انكار
فشك أوداجه والصدر في مضض * عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه من ان يسب بها * ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا أشتري عارا بمكرمة * فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق * وزنده في الوفاء الثاقب الواري

(وفي ذلك يقول السموأل مفتخرا)

وفيت بادرع الكندي اني * اذا ما خان اقوامي وفيت
وأوصى عاديا يوما بان لا * تخرب يا سموأل ما بنيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت اشتفيت

والملك هو الحرث بن شمر الغساني (وحدث الكندي) في كتابه أخبار الامراء بمصر قال لما ولي المطلب بن عبد الله امارة مصر من قبل المأمون خوفه اهل مصر من ابراهيم بن نافع الطائي قبل الوصول اليه ان يثب عليه فطلبه المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان هبيرة بن هشام صاحب شرطة مصر يعرف المكان الذي اختفى فيه وكان ابراهيم بن نافع قد اودع ماله عند هبيرة بن هشام فسعي بهبيرة الى المطلب فأحضره وقال له ادفع الي ما اودعه عندك ابراهيم فقد بلغني الثقة ان ماله مودع عندك وان لم تجئني به اخذت ما فيه عيناك فأنكر فأوجعه ضربا وهو يزيد انكارا فلما طال على المطلب جحود هبيرة وخاف عليه التلف تركه ثم لما سكن عن ابراهيم الطلب اخرجه هبيرة من مصر سرا ثم ارسل اليه ماله بعد ذلك مع التجار وفيه يقول سعيد بن عنين

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه * هبيرة في الطائي وفاء السموأل
وقاه المنايا اذ أتته بنفسه * وقد برقت في عارض متهلل

(أتي الحجاج) بقوم ممن خرج عليه فأمر بهم فضربت أعناقهم وأقيمت صلاة المغرب وقد بقي من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به علي قال قتيبة فخرجت والرجل معي فلما كنا ببعض الطريق قال لي هل لك في خير قلت وماذاك قال اني والله ما خرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندي ودائع واموال فهل لك أن تخلي سبيلي وتأذن لي حتى آتي أهلي وارد على كل ذي حق حقه واوصي ولك علي ان ارجع حتى اضع يدي في يدك قال قتيبة فعجبت له وتضاحكت لقوله قال فمضينا هنيهة ثم اعاد علي القول وقال اني اعاهد الله لك على ان اعود اليك قال

قتيبة فو الله ماملكت نفسى حتى قلت له اذهب فلما توارى عنى شخصه اسقط فى يدى فقلت ماذا صنعت بنفسى وأتيت أهلى مهموماً مغموماً فسألونى عن شانى فأخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج فبتنا بأطول ليلة فلما كان عند أذان الغداة اذا الباب يطرق فخرجت فاذا انا بالرجل فقلت ارجعت قال سبحان الله جعلت لك عهد الله علىّ فأخونك ولا أرجع فقلت أما والله ان استطعت لا نفعنك وانطلقت به حتى أجلسته على باب الحجاج ودخلت فلما رآني قال ياقتيبة أين أسيرك قلت أصلح الله الامير بالباب وقد اتفق لى معه قصة عجيبة قال ماهى فحدثته الحديث فأذن له فدخل ثم قال ياقتيبة أتحب ان أهبه لك قلت نعم قال هو لك فانصرف به معك فلما خرجت به قلت له خذ أى طريق شئت فرفع طرفه الى السماء وقال لك الحمد يارب وما كلمنى بكلمة ولا قال لى أحسنت ولا أسأت فقلت فى نفسى مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءنى وقال لى جزاك الله خيراً أما والله ماذهب عنى ماصنعت ولكن كرهت أن اشرك مع حمد الله حمد أحد (ولما) تفرق الامر عن مروان بن محمد وأيقن بزوال ملكه وغلبة بنى هاشم عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيي اني قد احتجت ان تكون مع عدوى فتظهر لهم الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم اليك تمنعهم منك وتدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعنى فى حياتي والا فلا تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذى أمرتنى به انفع الامرين لك واضرهما بى وماعندى الا الوفاء حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ثم أنشد أسر وفاء ثم اظهر غدرة * فمن لى بعذر يشمل الناس ظاهر

فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك فى آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل ببوصير قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بنى أمية وكانت دولتهم ثلاثاً وتسعين سنة واحدى عشر شهراً وأياماً وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى بها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح بأمان فلم يحظ عنده وقال الجهشيارى قتل وقد ذكر آنفاً (ومن أحسن ماتطرب به الاسماع) ويلطف به كثيف الطباع مايحكى ان معاوية بن أبي سفيان تزوّج ميسون بنت بحدل ونقلها من البدو الى الشأم وكانت كثيرة الحنين الى اناسها والتذكر لمسقط رأسها فأنصت لها يوماً فسمعها تنشد

لبيت تخفق الارياح فيه * أحب الىّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى * أحب الىّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى * أحب الىّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الىّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دونى * أحب الىّ من قط ألوف
وبكر يتبع الاظلال صعب * أحب الىّ من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف * أحب الىّ من علج عنيف
خشونة عيشتى فى البدو أشهى * الى نفسي من العيش الظريف
فما أبغى سوى وطنى بديلا * فحسبى ذاك من وطن شريف

فلما سمع معاوية الأبيات قال مارضيت بي بنت بجدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً ثم طلقها وردها الى أهلها (ويقال) من الوفاء تشوّق الرجل لاخوانه وحنينه الى أوطانه وتلهفه على مامضى من زمانه (وقالوا) الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (ويقال) من علامة الكريم أن تكون نفسه الى مولده توّاقة والى مسقط رأسه مشتاقة (شاعر)

أحب بلاد الله مابين منعج * الى وسلمى ان يجود سحابها
بلاد بها نيطت علىّ تمائمي * وأول ارض مس جلدي ترابها

(وقالت الحكماء) أرض الرجل ظئره ودار مهده والغريب كالغرس الذي زايل أرضه فهو ذاو لا يمى وذابل لا ينضر وفطرة الرجل معجونة بحب الاوطان مجبولة على تذكر ماضي الزمان * وقد ذكر ابن الرومي السبب الموجب لحب الاوطان بقوله

وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(وقالوا) ليس في الحيوان السائح أشد وفاء من الفاختة فانها اذا مات الفها لا تزال تندبه ولا تألف غيره حتى تموت

﴿ ومن أحاسن فعلات الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف ﴾

(فالعدل) قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وله وضعت الموازين وهو المرغوب المألوف المؤمن من كل مخوف به تألفت القلوب والتأمت الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وانعقلت عرى اليمين والفلاح وشمل الناس التناصف والتواصل والتعاطف وهو مأخوذ من الاعتدال الذي هو القوام والاستواء المتجانبان للميل والالتواء وهو ميزان الله في أرضه الذي يوفى به الحقوق ويرأب به الصدوع والفتوق * وحقيقته وضع الامور في مواضعها لا توضع الشدة مكان اللين وبضد ذلك ولا السيف مكان السوط وبالعكس من ذلك والى هذا أشار المتنبي في قوله

ووضع الندى في موضع السيف بالعدى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

(والانصاف) هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالايد العادلة والسياسات الفاضلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فالانصاف استثمار والعدل استكثار فيصير الملك بالانصاف مستثمراً وبالعدل مستكثراً وما نقص ملك من انصاف ولا جاء من اسعاف * وقد قيل من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه * وقيل عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان * وروى الثقاة بأسانيد حسنة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة (وعن) عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا * وقال حكيم لبعض الملوك أيها الملك انما فخرك باظهار عدلك وايثار فضلك لا بجمال بزتك وتمكن عزتك وفراهة مركبك وكثافة موكبك (ويقال) الملك يبقى على العدل والكفر ولا يبقى على الايمان والجور واليه أشار الشاعر بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

(دخل) عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون قد وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك فقال انه أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما سمعي وبصري وقلبي وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وعما قلت (ويقال) اذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره (ويقال) حق على من ملكه الله على بلاده وحكمه في عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرا وللحق في السر والعلانية مؤثرا واذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

لكل ولاية لابد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل

(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل * وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله اذا أراد النظر في أمور الناس فكان اذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك (ويقال) انه كتب ثلاث رقاع في احداها أمسك غضبك فانك لست باله وانك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة احمل عباد الله على الحق فانه لا يسعهم الا ذلك وكان اذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فاذا رآه غضب على أحد ناوله الرقعة الاولى فان رآه تمادى على غضبه ناوله الثانية فان لم ينته ناوله الثالثة (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في الموسم فاذا اجتمعوا قال يا أيها الناس اني لم استعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من اعراضكم ولا من أموالكم شيأ انما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فأيكم كانت له عندي مظلمة فليقم * وصف أعرابي أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل في اقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب منحيز الى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا مخيف للغريب (وكان) شمس المعالي قابوس ابن وشمكير عادلا في ملكه كان لا يؤتى بمفسد الا أقام الحق عليه ولو أنه اقرب الناس اليه * وقع جعفر بن يحيى الى بعض عماله أنصف من وليت امره والا انصفه منك من ولى امرك * ووقع أخوه الفضل بئس الزاد الى المعاد التعدى على العباد (وسأل) عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغنى موفورا والفقير مبرورا فقال الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن اليه قلوب رعيتي * وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له هلا صبرت حتى يستقر بك المنزل فقال الخير سريع الذهاب وخشيت ان أفوته بنفسي وانما هي فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم * قال شاعر يمدح متوليا اتصف بهذه الخلة من الرؤساء الجلة

لا تقدح الظنة في حكمه * شيمته عدل وانصاف

يمضى اذا لم تلقه شبهة * وفى اعتراض الشك وقاف

﴿ومما اتفق على مدحه الاوائل والاواخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر﴾

(قالوا) ينبغى لمن عظم قدره وامتثل نهيه وأمره وانتشر فى الخافقين ذكره أن يكون للاعجاب مطرحا وعن الكبر منتبذا ومنتزحا فان همة الرجل العاقل الفاضل شريفة علية وباحتقار ما أوتيت من رياسات الاموال والاعمال ملية (قال ذو النون) من تطأطأ لقى رطبا ومن تعالى لقى عطبا (وقال عروة ابن الزبير) التواضع من مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها الا التواضع * ويقال التواضع فى الشرف أشرف من الشرف * ويقال اسمان يتفق معناهما ويفترق لفظهما التواضع والشرف * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويقول لو دعيت الى كراع لأجبت * وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم اذا أعيت ويأكل معها ويحمل بضاعته من السوق ويسلم مبتدئا ويصافح الغنى والفقير ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال لا تفضلونى على يونس بن متى ولا ترفعونى فوق قدرى فتقولون فى ما قالت النصارى فى المسيح ان الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا ويأكل الخبيص ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد (وقال) البراء بن عازب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة هذا ولسان فخره ينزع عن الابانة عن علو قدره فيقول أنا سيد ولد آدم آدم ومن دونه تحت لوائى أنا أول من تنشق عنه الارض لست كاحدكم انى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى شرف صرفت امانى الآمال عن بلوغ مداه وتقطعت دونه أيدى الطمع فلا تصل الى علاه (ولما) ولى أبو بكر الخلافة قال انى وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصرى قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه (وسئل) بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا فى زى مسكين (وقال ابن عباس) كان أبو بكر كثيرا ما ينشد

اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس قالته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

آخر

ان السعيد الذى تمت سيادته * فتى يفر من الدنيا الى الدين
يصد بالطرف منه عن زخارفها * فيغتدى ملكا فى زى مسكين

(وقال المرار بن المنقذ العدوي)

ياحبذا حين يمسى الريح باردة * وادى الاشاء وفتيان بها هضم * مخدمون كرام فى مجالسهم
وفى الرجال اذا صاحبتهم خدم * وما أصاحب من قوم فاذكرهم * الا يزيدهم حبا الى هم

وكان رضى الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون (وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتمونى وأنا

أرعى على خالات لى من بنى مخزوم يقبض لى القبضة من التمر أو الزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت على أن قصرت على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسى فقالت لى أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فاردت أن أعرفها قدرها (واشترى) أمير المؤمنين على رضى الله عنه تمرا بدرهم فحمله فى ردائه فسأله بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله (وحكى الشعبي) قال ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرنى يدك فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (ودخل) بعض الشعراء على الحسن بن زيد فأنشده * الله فرد وابن زيد فرد * فقال بفيك الاثلب الاقلب * الله فرد وابن زيد عبد ونزل عن سريره والصق خده بالارض (وكان) عبد الله بن عمر اذا سافر مع قوم يحتطب لهم ويطبخ لهم ويستقى لهم ويؤذن لهم (وكان) أبو هريرة خليفة مروان بن الحكم على المدينة يحتطب ويأتى بالحزمة الحطب على ظهره يشق بها السوق ويقول جاء الامير جاء الامير حتى يعلم الناس به فينصرفون اليه فى حوائجهم (البحترى مادحا)

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع

كذاك الشمس تبعد ان تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

(ولآخر) تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * الى طبقات الجو وهو وضيع

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد قال اخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع * ولما ولى على ابن عيسى الوزارة وذلك فى سنة ثلثمائة رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت اليهم وقال انا لا نرضى لعبيدنا ان يفعلوا هذا معنى فكيف نكلفه قوما احرارا الاحسان لنا عليهم ومنعهم من المشى فى ركابه فكأنما عناه أبو تمام حبيب بقوله

متبذل فى القوم وهو مبجل * متواضع فى الحى وهو معظم

(وقال الحسن) أربعة لا ينبغى لشريف ان يأنف منهن قيامه عن مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ من علمه (وقال عبد الله بن مسعود) رأس التواضع ان تبدأ بالسلام من لقيت وان ترضى بالدون من المجلس * وقال عبد الله بن شداد أربعة من كن فيه فقد برئ من الكبر من اعتقل العنز وركب الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الدون من الرجال

﴿ ومما يدل على شرف الابوة الزام النفس بأنواع المروءة ﴾

(قال بهرام بن بهرام) المروأة اسم جامع للمحاسن كلها * وقال بعض البلغاء المروأة جامعة لاشتات المبرات جالبة لاسباب المسرات دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق ناظمة لقلائد الفوائد عاقلة لشوارد المحامد * وقال بعض الحكماء المروأة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة (وقالوا) اولى الناس بالمروءة من له نبوة النبوة * وقد جمع الله تعالى متفرقاتها فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى * وجمعها النبى

عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخير ممنوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف * وجمعها آخر فقال مروأة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وكف الاذى عن جيرانه (وقال أعرابى) والله لولا أن المروأة ثقيل محملها شديدة مؤنتها ماترك اللئام للكرام منها شيأ * وقالوا المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال يزيد بن المهلب لولده كن أحسن ماتكون فى الظاهر حالا أقل ماتكون فى الباطن مالا (وقال عليه الصلاة والسلام) ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما ان الله جميل يحب الجمال (وقالوا) مروأة الرجل ان لا يلبس ثوب شهرة كما قال بعض الظرفاء كل مااشتهت نفسك والبس مايلبسه ابناء جنسك ولقد احسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب بها انسانا لبس ثوب شهرة فقال ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس

اما الطعام فكل لنفسك مااشتهت * واجعل لباسك مااشتهاه الناس

(وقالوا) التعرى البارح خير من الزى الفاضح (وقال عبد الملك بن صالح) ليس من لباس السادات ذوى المروآت ذوات الالوان فانها من لباس الغلمان والنسوان قال الشاعر

قل للذى يخرج عن شكله * ليرتقى اسباب اوعار * كيف ترجى أن تنال العلا

ولم تبال الدهر من عار * من فارق المعهود من زيه * فذاك لا كاس ولا عار

*ورأى انسان على ابى طاهر الخبز ارزى ثوبا حسنا فلامه فى ذلك وعنفه فأنشد

على ثياب فوق قيمتها فلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس

فثوبك صبح تحت اذياله دجى * وثوبى ليل تحت اذياله شمس

فكل من افتخر بمجده من الاكارم ومدح اسماله ورأى اكتساء حلل المكارم انمى لقدره واسمى له اقتدى بالعتابى فى هذا المذهب وتختم بقصه المذهب وذلك انه دخل على يحيى بن خالد فى سمل وكان لا يبالى مالبس فعابه عليه فقال ياأبا على خزى الله من يرفعه هيئاه جماله وماله حتى يرفعها أكبراه همته ونفسه وأصغراه قلبه ولسانه (قال شاعر) فى المعنى الذى نحاه

لاتنظرن الى الثياب فاننى * خلق الثياب من المروأة كاسى

(وقال أبو هفان وأجاد فى النحو الذى أراد)

تعجبت درمن شيبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر فى السدف

وزادها عجبا اذ رحت فى سمل * ومادرت در أن الدر فى الصدف

(ولآخر فى المعنى) ياهذه كم يكون اللوم والفند * لاتنكرى رجلا أثوابه قدد

ان عس منفردا فالسيف منفرد * والليث منفرد والبدر منفرد

أوكنت أنكرت طمريه وقد خلقا * فالبحر من فوقه الاقذاء والزبد

ان كان صرف الليالي در بزغته * فبين طمريه منه ضيغم لبد

* ومن المروأة التطيب فانه ورد عن مكحول أنه قال من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما ظهرت مروأته (وقيل) من الظرف والكرم الاستقصاء في التبخر * وكان صلى الله عليه وسلم يعرف خروجه من منزله برائحة المسك * وكان اذا سلك طريقا عرف السائل عنه أين يمم لطيب ريحه * وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا اجتاز في طريق قال الناس لطيمة مسك أو ابن عباس لطيب ريحه (قال الشاعر)

ويفوح مسكا طيب ريح ثيابه * وكذاك ريح الماجد الوهاب

﴿ الفصل الثالث من الباب الاول ﴾

(في ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تخلق بما ليس من خلقه فهو منافق (وقال) ابن مسعود من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ بذلك نفسه (وقيل) ما الدخان بأدل على النار من ظاهر الرجل على باطنه (وقال) زهير بن أبي سلمى

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

(وقال آخر) كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

(وقال) بعض الحكماء لتلميذله يامن باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق حسن ماشئت لما شئت (وقالوا) ما أقبح بالانسان أن يقول مالا يفعل وما أحسن الفعل ابتداء قبل القول فان من مات محمودا أحسن حالا ممن عاش مذموما (وقال) أكثم بن صيفي فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة (ويقال) أحسن المقال ماصدق بحسن الفعال (وكان) رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ماتقول وفوق ما في نفسك (فانظر) الى هذه الفراسة المفترسة لحبات القلوب المكشوف لها الغطاء عن خفيات الغيوب (وقال) بعض الحكماء لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب الي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين (وقال) ارسطوطاليس وجهك مرآة قلبك فانه يظهر على الوجوه ماتضمره القلوب وقالوا العيون طلائع القلوب (وقد) أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا (فمن ذلك) قول بعضهم

ان العيون لتبدي في نواظرها * مافي القلوب من البغضاء والاحن

(وقال آخر) تريك أعينهم مافي صدورهم * ان الصدور يؤدي سرها النظر

(آخر) عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

تظل في نفسك البغضاء كامنة * والقلب يضمرها والعين تبديها

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

(ويقال) العادات قاهرات فمن اعتاد شيأ في السر فضحه في العلانية (وقالوا) حقيقة النفاق اختلاف السر

والعلن واختلاف القول والعمل (وقال) أبو سعيد الجرجانى لا ينبغى أن يكون حسن القول تمهيد القبح الفعل (لام الشعبي) واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصير فى الخطبة لما كان عاملا على مصر وتركه استعمال البلاغة مع القدرة عليها فقال انى لأستحي من الله تعالى أن أقول بلسانى على منبرى خلاف ما أعلمه من قلبى (وكتب) رجل الى صديق له امابعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس

﴿ ومما يعاب من خلال الانسان أن يكون بديع مقال اللسان بعيد مجال الاحسان ﴾

قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من أخلاق المؤمنين (ابن المعتز) من كثر ملقه لم يعرف بشره * ذم اعرابى قوما فقال قلوبهم أمر من الدفلى وألسنتهم من العسل أحلى وقال الشاعر

اذا نصبوا القول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

(وقال ابن جبير) الناس شبه ظروف حشوها صبر * وفوق أفواهها شئ من العسل
تحلو الذائقها حتى اذا انكشفت * له تبين ما تحويه من زغل

(وقالوا) فلان يبدى وجه المطابق الموافق ويخفى نظر المسارق المنافق قال الشاعر

ياأيها المتحلى غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

(وقالوا) شر الناس من هو فى الظاهر صديق موافق وفى الباطن عدو منافق قال الشاعر

لعمرك ماود اللسان بنافع * اذا لم يكن أصل المودة فى القلب

(وقال) رجل لعلى رضى الله عنه علمنى السلام على الاخوان فقال لا تبلغ بهم النفاق ولا تقصر بهم عن الاستحقاق (ولقد) صدق صالح بن عبد القدوس فى قوله

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان وأهله

﴿ وقال آخر وبالغ فى الذم ﴾

لم يبق فى الناس الا المكر والملق * شوك اذا اختبروا زهر اذا رمقوا
فان دعاك الى ائتلافهم قدر * فكن جحيما لعل الشوك يحترق

(آخر) خل النفاق لاهله * وعليك فانهج الطريقا
واذهب بنفسك لن ترى * الاعدوا أو صديقا

(آخر) يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم
فبت حبالك من وصله * ولا تكثرن عليه الندم

﴿ ومما يلحق بهذا أن عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياء ﴾

(الرياء) من الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواردت بذمه القصص والاخبار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (وأما الحياء) فهو من ثلاثة

أو جه من الله ومن الناس وحياء المرء من نفسه فانه من استحيا من الله ولم يستحي من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيا من الناس ولم يستحي من الله فقد استهان بالله ومن استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر وويل لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بقلبه (وكان) أبو مسلم الخولاني يقول ما عملت منذ كذا وكذا سنة عملا أبالي أن يراه الناس الا حاجة الرجل الى أهله وحاجته الى الخلاء (وقال) الحسن البصري لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة (وقال) الفتح ابن خاقان كنت يوما ألاعب المتوكل بالنرد فاستؤذن لاحمد بن أبي داود فأذن له فلما قرب منا هممت برفعها فمنعني المتوكل وقال كيف أجاهر الله بشيء وأستره عن عباده (وكان) الشبلي اذا رأى من يدعي التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (وقال) شاعر يهجو المرائين منهم

قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير

(آخر) أظهروا للناس نسكا * وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

﴿ ولآخر يحض على الاعتزال عن هؤلاء ﴾

لا تصحبن عصابة * حلقوا الشوارب للطمع
يبكوا وجل بكائهم * ما للفريسة لا تقع

(قال) ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقال لي ما حاجتك قلت زيارتك قال ومن أنا حتى أزار لبس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمن الشباب فاسقا ثم تبت فصرت مرائيا والله ان المرائي لشر من الفاسق (ويقال) كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (ذم) البديع الهمداني قاضيا بالرياء فقال قد بيض لحيته بسواد صحيفته وأظهر ورعه ليخفي طمعه وقصر سباله ليظهر سرباله وتغشى محرابه ليغطي حرابه يبرز في ظاهر أهل السمت وهو في باطن أهل الصمت (شاعر)

تصنع كي يقال له أمين * وما معنى تصنعه الامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به طريقا للخيانه

(آخر) ودع التواضع فاللباس مجونا * فالله يعلم ما تكن وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عاص مجرم

(ويقال) أربعة لا يعتد بهن زهد الخصي وتوبة الجندي وشكوى المرأة وتقوى الاحداث (صلى) رجل صلاة خفيفة فقيل له أقصرت الصلاة قال لا بل هي صلاة ليس فيها رياء (نظر) أبا أمامة الباهلي رجل في المسجد وهو ساجد يبكي فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا في بيتك

﴿ ومن ظرف الحكايات وتحف الفكاهات عمن كان له من الرياء غرة فاضحة ومن عدم الحياء سمة لائحة ﴾

(وفد) على عمر بن عبد العزيز بلال بن ابي بردة فجعل يصلي ويطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعا فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا امير المؤمنين فأتى الى داره بين العشاءين فوجده يصلي فقال له خفف

فان لى اليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلى من امير المؤمنين فان انا اشرت بك عليه فى ولاية العراق فاتجعل لى قال لك على عمالتى سنة وكان مبلغ ذلك عشرين الف درهم فسأله العلاء ان يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له فأتى العلاء بالشرط الى عمر فقال انه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا (ودخل) على المنصور رجل اراد ان يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور ان كنت اردت الله بهذا فما ينبغى لنا أن نشغلك عنه وان كنت أردتنا فما ينبغى لنا ان نخدع لك ولم يوله شيأ (ومر) بعض المرائين بابن مزداد وهو جالس على باب داره وبين عينى الرجل سجادة عظيمة وكان ابن مزداد شيخا ابن ثمانين سنة ومقعدا من ثلاثين سنة فقال امرأتى طالق ان كان فى استى من القعود ما فى جبهة هذا من السجود (وضع) بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشد عليها نوما وبات بها فزاغت العصابة عن مكانها وصارت فى ناحية صدغه فاتهم فقيل لولده كيف اصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (وقال) ظريف من الشعراء المراءين يتهكم به فى معرض الوصية

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقاء بثوم
وامش الدبيب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وبلغ الرشيد) قول ابى نواس

يا احمد المرتجى فى كل نائبة * قم سيدى نعص جبار السموات

وقوله ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وقوله ماجاءنا أحد مذ مات يخبرنا * فى جنة جسمه قد كان أو نار

فقال هذا كلام زنديق وامر الفضل بن الربيع بحبسه فحبسه وتناساه زمانا فاظهر التوبة وكتب الى الفضل من الحبس بهذه الابيات

فارعوى باطلى واقصر جهلى * وتبدلت عفة وزهاده
بركوع أزينه بخشوع * واصفرار مثل اصفرار الجراده
لو ترانى شبهتنى الحسن البصـ * رى فى حال نسكه أو قتاده
التسابيح فى ذراعى والمصـ * حف فى لبتى مكان القلاده
فاذا شئت أن ترى ظرفة * تعجب منها مليحة مستجاده
فادع بى لاعدمت تقويم مثلى * وتأمل بعينك السجاده
ترا أثرا من الصلاة بوجهى * توقن النفس أنها من عباده
لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده
ولقد طال ماشقيت ولكن * أدركتنى على يديك السعاده

فلما وصلت الابيات الى الفضل ضحك منها وكلم فيه الامين فاطلقه ولما أطلق من حبسه كتب الى الفضل يشكره على جميل فعله

﴿ الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

(في ذم من ليس له خلاق وما تصف به من الاخلاق)

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم هذه النقائص كلها يجمعها سوء الخلق (وقيل) ان سوء الخلق شؤم يجذب صاحبه في الدنيا الى العار وفي الآخرة الى النار (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال الشؤم سوء الخلق (وقال) عمر بن الخطاب اذا كان في الانسان عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة هي سوء الخلق افسدت هذه الخصلة تلك التسعة (شاعر)

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه * فأصبح مذموما قليل المحامد

(وقالوا) من ساءت أخلاقه طاب فراقه (وقالوا) سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر ويكاد سيء الخلق أن يعد من البهائم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه والزمام في يد شيطان يجره الى النار أخرجه البيهقي في شعب الايمان (وقالوا) فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيمة مشؤمة وخيم وخيم وطبع طبع

﴿ فمن مساوي أخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والنميمة ﴾

(قالوا) النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار (وقال) بعض الحكماء الاشرار يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الالمة من الجسد ويترك الصحيحة (وقالوا) لم يمش ماش شر من واش والساعي بالنميمة يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه كما حكي ان عمرو بن معاوية بن عمرو ابن عتبة بن ابي سفيان العتبي رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به فان السامع شريك القائل وانما نظر شر ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة ساع الى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها والنمام شر من الساحر فان النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة (أتى رجل) عبد الله بن عباس وهو والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه بنميمة فقال له ان شئت سألنا عما جئت به فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك فقال ان شئت أن تفعل فافعل (شاعر)

توخ من الطرق اوساطها * وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع الحديث * شريك لقائله فانتبه

(وقال ابو الاسود الدؤلي)

لا تقبلن نميمة بلغتها * وتحفظن من الذي أنباكها
ان الذي ألقى اليك نميمة * سينم عنك بمثلها قد حاكها

هذا منظوم قول الناس من نم اليك نم عليك (وسعى رجل) برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت كاذبا فانت داخل تحت حكم هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك (وقال) بعض الملوك لولده ليكن أبغض رعيتك اليك أشدهم كشفا لمعايب الناس فان للناس معايب وانت أحق بسترها وأنت انما تحكم بما ظهر لك والله يحكم فيما غاب عنك واكره للناس ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تسغ الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان قال قول نصيح (وقال) أرسطاطاليس النميمة تهدى الى القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عنك (وقالوا) شر من النميمة قبولها لان النميمة دالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه (وقال المهدى) ما الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته ولا يخلو أن يكون الساعى حاسد نعمة فلا يشفى غيظه أو عدوا فلا يعاقب له عدوه لئلا يشمت به (ولقد) أحسن بعض الشعراء الظرفاء فى قوله

لا تسمعن من الحسود مقالة * لو كان حقا ما يقول الماوشى

(وقال آخر يذم صديقا له نماما)

وصاحب سوء وجهه لى أوجه * وفى فمه طبل بسرى يضرب
ولابد لى منه فحينا يغصنى * ويتساغ لى حينا ووجهى يقطب
كماء بدرب الحاج فى كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

(وقال السرى الرفاء يذم نماما)

أنم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن وكيع فى المعنى)

ينم بسر مسترعيه لؤما * كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب * ومن صافى الزجاج على عقار

(ولقد أحسن محمد بن شرف القيروانى فى قوله يصف نماما)

وناصت نحو أفواه الورى أذنا * كالقعب يلفظ منها كل ما سقطا
يظل بالقول والاخبار مجتهدا * حتى اذا ما وعاها زق ما لقطا

﴿ والنميمة والكذب رضيعا لبان وفى مشوار الدناءة فرسا رهان ﴾

(قال أبو حيان التوحيدى) الكذب شعار خلق وأدب سيئ وعادة فاحشة وقل من استرسل معه الا ألفه وقل من ألفه الا أذله (وأوصى) بعض الحكماء ولده فقال اياك والكذب فانه يزرى بقائله وان كان شريفا فى أصله ويذله وان كان عزيزا فى أهله (وقالوا) ثنتان لا يجتمعان الكذب والحياء (ارسطاطاليس) فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين النطق بالصدق (وقال بزرجمهر) الكاذب والميت سواء فانه اذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته (وقال) معاوية يوما للاحنف وقد حدثه اتكذب قال والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب شين (وقال) بعض الاعراب عجبت من الكذاب المشيد لكذبه وانما هو

يدل الناس على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه فلا تام له عادة والاخبار عنه متضادة ان قال حقا لم يصدق وان أراد خيرا لم يوفق فهو الجانى على نفسه بفعاله الدال على فضيحته بمقاله فما صح من صدقه نسب الى غيره وما صح من كذب غيره نسب اليه ويقال الكذب جماع النفاق وعماد مساوى الاخلاق عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه من نفسه وهو آمن ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال الشاعر)

ان النموم أغطى دونه خبرى * وليس له حيلة فى مفترى الكذب

لا يكذب المرء الامن مهانته * أوعادة السوء أومن قلة الادب

ويكفى فى ذم الكذب قوله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن يضعنى الصدق وقلما يفعل أحب الىّ من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل (وقيل) لا يجوز ان يكذب الرجل لصلاح نفسه فانّ ماعجز الصدق عن اصلاحه كان الكذب أولى بفساده (ولقد صدق من قال)

عود لسانك قول الصدق تحظ به * ان اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضى ماسننت له * فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

* ويكفى فى معرة الكذب ان من عرف به مقت اذا نطق وكذب وان صدق * قال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط فقال له أبو حنيفة اما هذه فواحدة اشهد عليك بها * وقال الاصمعى لرجل كذاب أصدقت قط قال نعم قيل له عجب قال خفت ان أقول لا فأصدق (وقيل لبعض الحكماء) أيما أشر الكذاب أو النمام فقال الكذاب لانه يخلق عليك والنمام ينقل عنك (شاعر)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيلة   من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليلة

(ومن ظريف أخبار الكذبة) ان رجلا من آل الحارث بن ظالم قال لقد بلغنى ان الحرث غضب يوما فانتفخ فى ثوبه فبدر من ثوبه أربعة أزرار ففقأت أربعة أعين من عيون جلسائه (شاعر)

حلفت برب مكة والمصلى * وايدا الواقفين على عكاظ

لا كذب مايكون اذا تألى * وشدّدها بأيمان غلاظ

* وآفة الكذب النسيان كذا ورد فى النبأ المأثور والخبر المشهور وقال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل * لدى الناس كذابا وان كان صادقا

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه ذا ذهن اذا كان حاذقا

﴿ومن مستقبح خلائق اللوم الدبراج اللسان البذي والوجه الوقاح﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم * وقال أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ما استب رجلان الاغلب ألأمهما وقال الاحنف بن قيس الا أخبركم بادوا الداء الخلق الدنىّ واللسان البذى (وقالوا) اللئيم بعد الخنى جنة والوقاحة جنة فوجهه صلب ولسانه خلب (وقالوا) الفاقة خير من الصفاقة (وقال أبو حيان) ان الخصم اذا كان الهوى مركبه والعناد مطلبه فلن يفلح معه ولو خرجت

اليد بيضاء وانقلبت العصا حية (قال بعض الشعراء يهجو معاندا)

تراه معدا للخلاف كأنه * برد على أهل الصواب موكل

(وقالوا) الوقاحة فى الرجل تدل على لؤم نجره وخساسة قدره وقلة خيره وكثرة شره وقال الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على أحد * الا تكمل فيه الشر واجتمعا

(وقال بعضهم فى ذمه أوقاحا)

لوان أكفانهم من حر أوجههم * قاموا الى الحشر فيها مثل مارقدوا

(ولابى العبر فى مثل ذلك وأحسن فى قوله)

ياليت لى من جلد وجهك رقعة * فاقد منها حافر اللاشهب

* أنشدنا ناصر الدين حسن الكنانى عرف بابن النقيب لنفسه فى أوقاح فقال

تعالى الله خالقها وجوها * فما أخلت من الحيوان حالا

لقد صلبت وخفت من حياء * وغير خلقها حتى استحالا

وجوه ليت لى منها حذاء * وليت لبغلتى منها نعالا

(وقال الناجم يهجو) لك عرض مثلم من قوارير * ووجه ململم من حديد

* ليم بعضهم على الوقاحة فقال الوجه ذوالوقاحة من الوجوه الوقاحة يقيء على صاحبه الانفال ويفتح له الاقفال ويلقطه الارطاب ويلقمه ما استطاب ويجسره على قول المنطيق وييسر له فعل مالا يطيق (ثم أنشد) اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

(وقال جعفر الصادق) ان الله يبغض السباب الطعان المتفحش قال الشاعر

من لم يكن عنصره طيبا * لم يخرج الطيب من فيه

كل امرئ يشبهه فعله * ويرشح الكوز بما فيه

أصل الفتى يخفى ولكنه * من فعله يظهر خافيه

﴿جماع مايتخلق به الانذال من الشيم والخلال﴾

(قال بعض الحكماء) أربعة من علامات اللؤم افشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الاحرار واساءة الجوار *وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه فتلكأ وأبى ان يخبره فأقسم عليه ان لابد فقال حسود كنود لجوج حقود فقال عبد الملك مافى ابليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره ومرق من جميع خلال الخير بأسره وتأنق فى ذم نفسه وتجرد فى الدلالة على لؤم طبعه وأفرط فى اقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال الموجبة لرضا ربه (وقال أبو تمام)

مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أربعة من كن فيه فهو منافق من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا ائتمن خان (وقالوا) اللئيم كذوب الوعد خؤن العهد قليل الرفد (وقالوا) اللئيم اذا استغنى بطر واذا افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألحف وان أسدى اليه صنيع أخفاه

وان استكتم سرا أفشاه فصديقه منه على حذر وعدوه منه على غرر

﴿ ومما اخترناه في غدر اللئام من درر الاهاجي والمذام ﴾

(ذم أحمد بن يوسف الكاتب بني سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال) محاسنهم مساوي السفل ومساويهم فضائح الامم ألسنتهم معقودة بالبلى وأيديهم معقولة بالبخل واعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل

لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولا تبيد مخازيهم وان بادوا

* وذم أعرابي قوما فقال أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلباسهم في الدنيا الملامة وفي الآخرة الندامة * وذم اعرابي قوما فقال أولئك قوم هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم تجريا على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء في حال وزارته فلما انصرف عنها لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيا فقال أبو العيناء لغلامه من هذا قال أبو موسى فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك فالحمد لله على ما آلت اليه حالك فلئن كنت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت قبائحها بالاقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالادبار عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعمة وماشكرت حق المنعم ثم أطلق يده من عنانه ورجع الى مكانه فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردني عنها بأقبح من خلقته (قال بعض الاعراب) نزلت بذلك الوادي فاذا ثياب أحرار على أجسام عبيد اقبال حظهم ادبار حظ الكرام (أخذ هذا المعنى شاعر فقال)

أرى حللا تصان على رجال * واعراضا تدال ولا تصان

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

(وسئل) بعض البلغاء عن رجل فقال هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر (وسئل آخر) عن رجل فقال لو قذف على الليل لؤمه لانطمست منه نجومه (وسئل آخر) عن رجل فقال يكاد يعدي بلؤمه كل من تسمى باسمه (وقال حجاج بن هرون) والله ماله في الشرف أسباب متان ولا في الخير عادات حسان (وذم أعرابي) رجلا فقال هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه (وذم آخر رجلا) فقال أما الوجه فدميم وأما الخلق فذميم وأما الخيم فوخيم وأما العرض فزنيم وأما الحسب فلئيم (وقال الجاحظ) فلان لا تنجع فيه الرقى ولا تنفذ فيه الحيل ولا يهزه المدح ولا يحزنه الذم ولا يخجله التقريع ولا يذله التوبيخ ولا يرحم المظلوم فان استرحمته ازداد غلظة ولا يرق لفقير وان تعرض له قتله جوعا (وقال آخر) فلان غث في دينه قذر في دنياه رث في مروأته سمج في هيئته منقطع الى نفسه راض عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كنوم لما آتاه الله من فضله حلاف لجوج ان سأل ألحف وان وعد أخلف لا ينصف الاصاغر ولا يعرف حق الاكابر (وأنشد لابن قادوس)

تأنست بذميم الفعل طلعته * تأنس المقلة الرمداء بالظلم

(وقالوا) فلان كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

(قال الشاعر يهجو قوما لئاما)

هم الكشوت فلا أصل ولا ثمر * ولا نسيم ولا ظل ولا ورق

جفوا من اللؤم حتى لو أصابهم * ضوء السهى فى ظلام الليل لاحترقوا

لو صافحوا المزن ما ابتلت أناملهم * ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا

(ومن محاسن التلفيق فى الذم) فلان له كيد مخنث وحسد نائحة وشره قوادوذل قابلة وملق داية وبخل كلب وحرص نباش ونتن جورب ووحشة قرد (قال ابن حجاج فى مثل ذلك)

نسيم حش وريح مقعدة * ونفث أفعى ونتن مصلوب

(وله يهجو) نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

(ومن التلفيق) فلان يروغ من الحق روغان الثعلب ويشره الى الادناس شره الخنزير ويستسلم الى عدوه استسلام الضبع ويدب الى الشر دبيب العقرب وينام عن الخير نوم الفهد ويجبن عن القرن جبن العصفور ويخبط فى الجهل خبط الناقة (ابن عروس يهجو)

كم قال منتقدوك أحمر زائف * ماذا أقول وقد عصيت الناقدا

ولقد عرضتك يا زنيم بدرهم * فيمن يزيدك فما وجدت مزايدا

سافر بطرفك هل ترى لك شاكراً * أو ذاكرا أو حاسدا وحامدا

(آخر) أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

﴿ الفصل الثانى من الباب الثانى ﴾

فى ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت (وقال الشاعر) اذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقا * وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع

(وقالوا) فلان لا يستحي من الشر ولا يحب أن يكون من أهل الخير فلو أفلتت كلمة سوء لم تنسب الا اليه وان رفعت لعنة لما وقعت الا عليه (وسئل معاوية) عن السفلة فقال الذى ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف كما قال بعض الاعراب وقد سئل عن رجل فقال عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بلؤم أصله وشهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال * وقال بعض العارفين أفعال المرء شهود لوا صفيه * وسئل محمد بن الحسن عن السفلة فقال من يبخل بقطعة الحجام ويفمل فى الطريق فعل الطغام وقال الاصمعى السفلة من لا يبالى بما قال أو قيل له (وقال يحيى بن أكثم) السفلة الذى لا يعيبه ما صنع (وقال أبو مسلم) ألأم الاعراض عرض لم يرتع فيه مدح ولا ذم وسمع الاحنف رجل يقول لا أبالى مدحت أو ذممت فقال يا هذا استرحت من حيث تعب الكرام

﴿ فمن فعلات من خلع فى اللؤم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن ﴾

(من أمثال العرب فى ذلك) أكفر من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بتربيته ذرعا فرباه وأحسن اليه فلما بلغ الحلم هجاه هجوا قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله (وحكى) الاصمعى ان اعرابيا ربى جرو ذئب وجعل يغذيه بلبن شاة له حتى كبر فخرج معها يوما للرعى كعادته فحركته الطبيعة الدنية والنفس الذئبية على افتراس الشاة فلما رأى الاعرابى الشاة فريسة أنشد

عقرت شويهتى وفجعت قومى * بشاتهم وأنت لها ربيب
غذيت لبانها ونشأت معها * فان أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

* وأغار خيثمة بن مالك الجعفى على بنى القين فاستاق منهم ابلا فاطلقوا خلفه الاعنة فلم يقدروا عليه ولا وصلوا اليه فنادوه وقالوا له ان امامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت جميلا فانزل ولك الذمام والحباء فنزل فلما اطمأن وسكن أخذته سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه

﴿ ومما يستغرب منه ويستعجب فى هذا الباب ويستعذب ﴾

لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد الاشعث برز من أصحاب عبد الرحمن عبد الله بن سواد الحارثى وطلب المبارزة فبرز اليه بعض أصحاب الحجاج فقتله عبد الله ثم عاد فطلب المبارزة فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد فطلب البراز فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد وطلب البراز فقال الحجاج للجراح بن عبد الله الحكمى أخرج اليه فخرج فقال عبد الله وكان صديقا له ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك فى خير قال الجراح وما هو قال أنهزم لك فترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وأما أنا فاحتمل مقالة الناس فى انهزامى حبا لسلامتك فانى لا أحب قتل مثلك من قومى قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح يريد قتله فصاح بعبد الله غلام له وكان ناحية عنه وكان معه اداوة وقال ياسيدى ان الرجل يريد قتلك فعطف على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه فقال له ياجراح بئس ماجزيتنى به أردت لك العافية وتريد قتلى انطلق فقد تركتك للصداقة التى بينى وبينك فشتان مابين الفعلين * قصد أبو بكر الخوارزمى الصاحب ابن عباد ومدحه بقصيدة قال فيها

وما خلقت كفاك الا لأربع * عوائد لم يخلق لهن يدان
لشكرك أفواه وتوبل نائل * وتقليب هندى وأخذ عنان

فلما بلغ الى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه تقدم ورأس فقال قصيدة مدحه بها جاء منها

ماخلقت بنانها * الا لسيف وقلم * فوق يدو تحت فم * بدتراها أبداً

فخلع عليه كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان فى مجلسه من الثياب موافقة للصاحب فحصلت له مائة جبة فلم يرضه ذلك وانصرف فهجاه بقوله

لاتحمدن ابن عباد ولو مطرت * كفاه بالجود حتى جازت الديما
لكنها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لابخلا ولا كرما

واتفق ان مات الخوارزمى عقب قوله هذه الابيات فلما بلغ الصاحب موته قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

﴿ ومما يدل على خبث نجار اللئيم الغدر بمن يركن اليه ويستنيم ﴾

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان (وقالوا) من نقض عهده ومنع رفده فلا خير عنده (وقالوا) العذر يصلح فى كثير من المواطن ولا عذر لغادر ولا خائن (شاعر)

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى الاصريع حوادث
مازالت الآراء تلحق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أوناكث

(وقالوا) الغدر من صغر القدر (ويقال) من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره وقال على رضى الله عنه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء * ذكر أن عيسى عليه السلام مر بانسان يطارد حية وهى تقول له والله لئن لم تذهب عنى لانفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا فمضى عيسى وعاد فوجد الحية فى جونة الرجل محبوسة فقال لها ويحك أين ما كنت تقولين قالت ياروح الله انه حلف لى وغدر وان سم غدره أقتل له من سمى * أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معديكرب فان عبد الرحمن غدر بالحجاج لما ولاه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله وكانت بينهم ثمانون وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه (وغدر) محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان عبيد الله ولاه اياها فصالح أهلها على ان لا يدخلها ثم عاد اليهم غادراً فاخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر (وغدر) الاشعث بن قيس ببنى الحرث بن كعب غزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى بعير فأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة فلم يؤدها لهم حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية (وكان) بين قيس بن معديكرب وبين مراد عهد الى أجل فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان يوم الجمعة فقالوا انه لا يحل لنا أن نقاتل يوم السبت فأخرهم فلما كان صبيحة السبت قاتلهم فقتلوه وهزموا جيشه (وغدر) معديكرب بمهرة وكان بينه وبينهم عهد الى أجل فغزاهم ناقضاً لعهدهم فقتلوه وفتقوا بطنه وملؤه بالحصا

﴿ ومما ينزع لباس الحسب والصيانة رفول المرء فى أطهار الخيانة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما (ومن الحكايات فى هذا الباب) ما يحكى أن شهر بن حوشب وكان من اجلة القراء واصحاب الحديث دخل على معاوية وبين يديه خرائط قد جمعت لتوضع فى بيت المال فقعد على احداها ومعاوية يراه فلما رفعت الخرائط فقد من عددها خريطة فأعلم الخازن بذلك معاوية فقال هى محسوبة لكم ولا تسألوا عن آخذها وفيه يقول الشاعر

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

* كان للمأمون خادم يسرق طست الذى يتوضأ فيه فقال له يوماً هلا اذا سرقت تأتينى بما تسرقه فأشتريه

منك قال فاشتر مني هذه وأشار الى التي بين يديه قال بكم هي قال بدينارين قال على أن لا تسرقها فقال نعم فأعطاه دينارين ولم يعد الخادم يسرق شيأ لما رأى من حلمه عنه * وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو المسلمين أكلت مال الله وخنت خليفة الله فقال يا أمير المؤمنين نحن عيال الله وأنت خليفته والمال مال الله فمن أين نأكل اذاً فضحك منه وأطلقه وأمر أن لا يولى عملا بعدها (سرق) رجل في مجلس أنوشروان جام ذهب وهو يراه فلما فقده الشرابي قال والله لا يخرج أحد حتى يفتش فقال أنوشروان لا تتعرض لاحد فقد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه (وأودع) بعض التجار عند قاضي معرة النعمان وديعة وغاب عنها مدة فلما جاء طالبه بها فأنكرها فاستشفع اليه برؤساء بلده في ردها فلم يزالوا به حتى أقر بها وادعى انها سرقت من حرزه فاستحلفه فحلف فعمل فيه ابن الدويرة الشاعر المعرى أبياتا منها

لا يصدق القاضي المؤمن اذا ادعى * عدم الوديعة من حصين المودع
ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

(وقال ابن حجاج)

وادعوهم الى القاضي عام * اذا وقع الجحود يحلفوني
واضيع ما يكون الحق عندي * اذا عزم الغريم على اليمين

(آخر)

اذا حلفوني بالغموس منحتهم * يمينا كسحق الاتحمي الممزق
وان أحلفوني بالعتاق فقد درى * سحيم غلامي انه غير معتق
وان أحلفوني بالطلاق رددتها * على خير ما كانت كأن لم تطلق

(وقف) بعض المجان على قبر سارق فقال رحمك الله فلقد كنت احمر الازار حاد السكين ان نقبت فجرذ وان تسلقت فسنور وان استلبت فحدأة وان ضربت فقاض ولكنك اليوم وقعت في زاوية سوء وليس كل حبس تحبس فيه الى التناد على اموال العباد

﴿ ومن الصنيع الدال على لؤم الاصول من كان بسيف جوره على العباد يصول ﴾

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقال عليه الصلاة والسلام اعتى الناس على الله وابغض الناس الى الله وابعد الناس من الله رجل ولاه الله تعالى من أمة محمد شيأ فلم يعدل فيهم (وقال) سفيان الثوري لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد (ويقال) من طال عدوانه زال سلطانه (وقال) أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم (ويقال) الظلم يجلب النقم ويسلب النعم (وقالوا) من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الحرية والملك الى دناءة العبودية والملك (ويقال) ليس شيء اسرع الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الاقامة على الظلم (وفي الخبر) يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري (وقالت الحكماء) شر الملوك الافاك السفاك (وقال) ابو منصور الثعالبي اخلق بالملك الظلوم ان يصير غصة للمرائين وعظة للراوين (وقالوا) الظلم اسرع الى تبديل النعم وتعجيل النقم من الطيور الى الاوكار ومن الماء في الانحدار (وقالوا) سبع خطوم خير من وال ظلوم (كان) زياد بن أبيه

ممن استطال بجوره وعسفه فى ولايته عراقى البصرة والكوفة فلما ذل له من فيهما كبرت عليه نفسه واستقلهما لها فكتب الى معاوية انى قد ضبطت العراقين بيمينى وبقيت شمالى فارغة فجمع له معاوية الحجاز واتصلت ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذوا بقبره يسألون الله تعالى الاقالة منه ورفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شمال زياد كما كفيتنا يمينه فطعن فيها فشاور شريحا فى قطعها فقال له رزق مقسوم وأجل معلوم وانى أكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجزم وان حم أجلك ان تلقى الله مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها فتقول بغضا للقائك وفرارا من قضائك فتركها فلما خرج شريح من عنده لامه الناس فقال انه قد استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا الامانة المشورة لوددت ان الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما يوما وزاره شريح بعد ذلك فلما خرج من عنده قال له مسروق كيف تركت الامير قال تركته يأمر وينهى فأول قوله فاذا هو يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه ومات من تلك سنة ثلاث وخمسين فى رمضان وكان مولده عام الهجرة ودفن فى أرض الكوفة وسنأتى على نتف من مولده ونسبه فيما يلى هذا الفصل ان شاء الله تعالى (ومن المفرطين فى العسف والعنف) يوسف بن عمر الثقفى قلده هشام بن عبد الملك العراق وكان شيطانا مريدا وجبارا عنيدا سفاكا للدماء مصروفا بالظلم والغشم ولما قلده أمره بالقبض على خالد بن عبد الله القسرى فسار اليه حتى هجم عليه وهو فى قصره على حين غفلة من أمره فأخذه ثم رقى المنبر وقال يا أهل العراق ان الحجاج كان دخانا أنا ناره ولهبا أنا شراره فعليكم بالطاعة العائدة بجزيل الثواب واياكم والمخالفة الموجبة لوشك العقاب وقد أعذر من أنذر ثم نزل (يحكى عنه) أنه دخل دار الضرب فعاير درهما فوجده ناقصا حبة فضرب فيها الامناء والصناع عشرة آلاف سوط (وكان) الفضل بن مروان وزير المعتصم ظالما غاشما متبجحا بالظلم متجبرا متكبرا كان المعتصم يقول الفضل بن مروان أسخط الله وأرضانى فسلطنى الله عليه دخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما من بعض عماله فصرف وجهه عنه ولوى عطفه فخرج من عنده وهو ينشد

تجبرت يا فضل بن مروان فانتظر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم التغيير والموت والقتل
فان تك قد أصبحت فى الناس ظالما * ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذى يعنى بقوله فقيل انه أراد الفضل بن يحيى والفضل بن سهل والفضل ابن الربيع فتغير وجهه ولم يلبث الا أياما يسيرة حتى قبض عليه (وفيه) يقول بعض الشعراء من أبيات هى قوافيها على ألفاظ الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ولقد أبدع وأجاد فيها

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل * وقلت فبينت المقالة للفضل
ألا ان فى الفضل بن يحيى لعبرة * ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وفى ابن الربيع الفضل للفضل زاجر * ان ازدجر الفضل بن مروان بالفضل
والفضل فى الفضل بن سهل مواعظ * ان اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
اذا ذكروا يوما وقد صرت رابعا * ذكرت بقدر السعى منك الى الفضل

فأبق جيلا من حديث تكونه * ولا تدع المعروف والاخذ بالفضل
فانك قد أصبحت للناس قائما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

من أبيات كثيرة أثبت منها على ما مست الحاجة اليه ووقع الاختيار عليه

(وقال شاعر فى نكبته)

لا تغبطن أخا الدنيا بمقدرة * فيها وان كان ذا عز وسلطان
يكفيك من غير الايام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان
ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

(وصف) بعض البلغاء عاملا للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا ضيعة الا أضاعها ولا غلة الا غلها ولا عرضا الا عرض له ولا ماشية الا امتشها ولا جليلا الا أجلاه ولا دقيقا الا دقه ولا رقيقا الا أرقه فضحك منه وصرفه عن أهل ناحيته (ووصف) بعضهم عامل ولاية فقال والله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين ولا السوس فى الخز من الصيف الا من العادلين ولا يزدجرد الاثيم فى أهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين (ووصف) آخر عامل ولاية فقال كان يجبى خراج الوحش ويأخذ جزية السمك ويطلب زكاة الملائكة ويلتمس جمع الريح ويروم القبض على الماء وحصر الحصا وكيل الانهار وتحصيل الهباء ولئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد جلت المصيبة بقوم نزل فيهم (وذم) البديع الهمدانى قاضيا ووصفه بالظلم فقال قاض لا شاهد عنده أعدل من السكر والجام يدلى بهما الى الحكام ولا ولى أصدق لديه من الصفر الذى يرقص على الظفر ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الفلق والغسق وأقسم لو ان اليتيم وقع بين الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منها أيسر من سلامته من أصحابه وما ظنك برجل يعادى الله فى الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس ولص لا ينقب الا الخزائن الاوقاف وكردى لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العدول والشهود (قيل) لبعض الاعراب أيما أحب اليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما قال ظالما قيل له ويحك ولم قال ما عذرى اذا قال لى خلقتك قويا فلم تستعد وانشد بيت زهير بن أبى سلمى

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

(ومن معايب من رغب عن المكارم القاء الحشمة فى ارتكاب المحارم)

كما يحكى ان نصر بن سيار مر بأبى الهندى وكان شريبا فى قومه وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندي لولم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان (وكان) يزيد بن معاوية يلقب بالسكران لكثرة انهماكه على كثرة شرب الخمر ولقب أيضا يزيد الخمر بلغه ان المسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد المسور حد القذف ففعل فقال المسور

أتشربها صرفا تطن دنانها * أبا خالد والحد يضرب مسور

وكان له قرد يكنى ابا قيس يحضره مجلس شرابه ويطرح له متكأ ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له أتانا وحشية قد ريضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركبه بهما عليها ويسابق بها الخيل يوم حلبة الرهان فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي هي الغاية ودخل الحجرة قبل مجيء الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

تمسك أبا قيس بفضل زمامها * فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

(وكان) الوليد بن يزيد بن عبد الملك مماجنا زنديقا مستهزئا مستخفا مستهينا بالخاصة والعامة مدمنا للخمر متلاهيا باللهو واللعب مصرا على ارتكاب الفواحش مشتغلا بخلاعته عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

مضى الخلفاء بالأمر الحميد * وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأى السديد

ذكر ثقات المؤرخين ان المؤذن أذنه يوما بالصلاة وهو في لهوه فأمر جارية من جواريه الفواسق أن تعتم وتتلثم وتصلي بالناس فخرجت على هذه الصفة وصلت بهم * وبلغ من تهكمه بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان والشاهد عليه مايقال انه من شعره

ألا من مبلغ الرحمن عنى * بأنى تارك شهر الصيام

(وقوله)

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن والبارد والفاتر

(وحكى) أنه استدعي أشعب الطامع من المدينة وألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب واقترح عليه صوتا يرقص به فلما فعل ذلك أعطاه ألف درهم وقيل انه لما دخل عليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قال لا قال فاسجد له فسجد وهو القائل يخاطب المصحف وقد جعله هدفا حين تفاءل منه فخرج قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

والسبب في قوله هذا أنه لما رأى حالته قد انحل نظامها ودولته مدبرة وقد نفدت أيامها فتح المصحف ينظر فيه فالا فخرج له واستفتحوا الآية

﴿ومن قوله يخاطب المصحف فمل من بدل وحرف﴾

تخوفنى الحساب ولست أدرى * أحقا ماتقول من الحساب
فقل لله يمنعنى طعامى * وقل لله يمنعنى شرابى
تلاعب بالنبوة هاشمى * بلا وحى أتاه ولا كتاب

فمنعه الله طعامه وشرابه كما أراد في مقاله وسلط عليه من قتله وهكذا عادة الله في أمثاله فقتل يوم الخميس لليلتين

بقيتا من جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة بالنجراء وهو قصر على ستة أميال من تدمر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة وقيل تسع وثلاثون وأشهر وكانت مدة خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وقرن به دف وطنبور ولم يزل أثر الدم على الجدران الى أن قدمها المأمون سنة خمس عشرة ومائتين فأمر بحكه (وكان) والبة بن الحباب من الخلعاء المستهزئين وهو الذى ربى ابانواس وأدبه ويحكى عنه أنه كشف يوما عن فقحته فقبلها فضرط على لحيته فقال له ويلك ماهذا فقال أما سمعت المثل * جزاء مقبل الوجعاء ضرطه * فزاد كلامه بمجابه (ويحكى) أن جماعة اجتمعوا فى مجلس لمطيع بن اياس يشربون الخمر فاقاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم يحيى بن زياد ليلة وهم سكارى ويحكم ماصلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلى فقام مطيع فأذن وقال للقينة تقدمى وصلى بنا واقرئى فى صلاتك

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

فتقدمت وصلت وكانت بلاسراويل وعليها غلالة رقيقة يظهر سائر جسدها منها فلما سجدت انكشف سترها وبدا هنها فوثب اليه مطيع وقبله ثم قال

ولما بدا هنها جاثما * كرأس حليق ولم يعتمد
سجدت عليه فقبلته * كما يفعل العابد المجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا لما نهوا عنه (ومن أشعارهم) قول أبى نواس

انما الدنيا غلام * وطعام ومدام
فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

فبؤسا لهم ألم يعلم عاقلهم وجاهلهم بأن الله يرى وأن بيده نواصى ماذرأ وبرأ ولكن غرهم الامهال حتى ظنوا أنه اهمال فبدلنا الله من سنة الغفلة يقظة الطاعة وألهمنا من العمل مانفوز بأجره الى قيام الساعة آمين

﴿ومن خلائق العريق فى الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرقاعة﴾

قال الشافعى أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (وقال) أبو مسلم ماضاع الاوضيع ولا فاخر الالقيط ولا تعصب الادخيل (وقال عمر) ماوجد أحد فى نفسه كبرا الالمهانة يجدها فى نفسه (ويقال) الاعجاب يغطى سائر المحاب ويكفى فى ذم الكبر قول الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال ابن عيينة حرمهم فهم القرآن (قال) بعض البلغاء الكبر من أخبث سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب لايرى صاحبه أبدا الافظا غليظا ولايرى لاحد سواه فى الفضل حظا حظيظا وكفى به شيمة مشؤمة وخلة مذمومة أهلكت الاكابر حديثا وقديما وعاد الكريم من الرجال ذميما مليما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر (وكان) يقال من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ومن أنف من عمل نفسه اضطر الى عمل غيره (وقالوا) من قل لبه كثر عجبه (وقال) أزدشير بن بابك ماالكبر الافضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه الى الكبر وقال الشاعر

وقل لمعتصم بالتيه من حمق * لو كنت تعرف مافى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

(آخر)

رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة * اذا كان منسوبا الى العجب والكبر

ومن ظن أن العجب من كبر همة * فانى رأيت العجب من صغر القدر

(وأنشد) الامام محيي الدين محمد عرف بحامى رأسه النحوى لنفسه

ومعتقد أن الرياسة فى الكبر * فأصبح ممقوتا به وهو لا يدرى
يجر ذيول الفخر طالب رفعة * ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

(وقال معاوية) ان التواضع مع البخل والجهل أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل فيالها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين * وقالوا من أصاب حظاً من جاه فأصاره الى كبر وترفع أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه وانها دون ما يستحق * مر المهلب بن أبى صفرة على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر فى جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفنى فقال له ومن أنت قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة نظم بعضهم هذه الكلمات فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن طلعته * يصير فى اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(ولآخر)

يامظهر الكبر اعجابا بصورته * انظر خلاك فان النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة * بأربع هو بالاقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا * أقصر فانك مأكول ومشروب

(ومن ظريف) ما يذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل الحضرمى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من سادات العرب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به الى منزل رجل من الانصار لينزله عنده وكان منزله بأقصى المدينة قال معاوية فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشى فى ساعة قيظ يشوى الوجوه وليس لى حذاء فقلت له أردفنى خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت انى ابن أبى سفيان قال قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت فألق لى نعليك قال لا تقبلان قدميك ولكن امش فى ظل ناقتى فكفاك ذلك شرفاً وان الظل لك لكثير قال معاوية فما مر بى مثل ذلك اليوم قط والله لخلته أنه من جهنم ثم أدرك سلطانى فلم أؤاخذه بل أجلسته معى على سريرى هذا (وحكى) أن عمارة بن حمزة وكان متكبراً جداً دخل على المهدى يوماً فلما استقر به مجلسه قام رجل كان المهدى قد أعده ليتهكم بعمارة فقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبنى ضيعتى وكانت من أحسن ضياع عمارة فقال المهدى قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفنى به أمير المؤمنين فلما خرج الرجل وانفض المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان

موضع جلوسه فلم يعلم (وكان) من تيهه انه اذا أخطأ بمر فى خطئه تكبراً عن الرجوع ويقول نقض وابرام فى ساعة واحدة الموت أهون منه (وقال) ابن عبدوس الجهشيارى كان عمارة أعور ردميا استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة والاهواز وكور فارس وقلده المهدى ذلك أيضاً * وكان عبدالدولة بن جهير وزير المستظهر بالله متكبراً كثير الكبر بكاد يعدّ كلامه عدّاً وكان اذا كلم رجلا كلاما يسيراً أهنىء ذلك الرجل بكلامه * ومن الكبر المستبشع والتيه المستشنع مايحكى أن نوابة دعا أكاراً فكلمه فلما فرغ من كلامه دعا بماء وتمضمض به استقذاراً لمخاطبته (وأنشدت) لبعض المتكبرين مفتخراً

أتيه على جنّ البلاد وانسها * ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي
أتيه فما أدرى من التيه من أنا * سوى مايقول الناس فى وفى جنسي
فان زعموا أنى من الانس مثلهم * فمالى عيب غير أنى من الانس

(ولابن صابر)

أيها المدّعى الفخار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

(وصف) البديع الهمداني متكبرا فقال كأن الدنيا خاتم فى خنصره وحساب خراجها فى بنصره وكأن الشمس تطلع من جبينه والغمام يندى من يمينه وكان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته * وقال آخر كان العجب شقيقه والبذخ رفيقه والنفخ أليفه والصلف حليفه * وقال جعيفران يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة

أم سعيد لم تلد تيــه * ملوثا بالكبر والتيــه
ليتك اذ جئت به هكذا * حين خريتيه أكلتيه

(آخر)

كبر بلا نسب تيه بلا حسب * فخر بلا أدب هذا من العجب

(والهجو) الفظيع القبيح قول بعض الشعراء فى أبى جعفر العباس بن الحسن

ان ابن عباس أباجعفر * يبذل للنائك أوراكه
براه من تيه ومن نخوة * كأنه نائك الذى ناكه

* وليم بعض المتكبرين على الاعجاب فقال التواضع يكسب المذلة والافراط فى المؤانسة يوجب المهانة وأنشد

ونفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

(وقال فى معناه صالح بن عبد القدّوس)

اذا ما أهنت النفس لم تلق مكرما * لها بعد ما عرضتها لهوان

(آخر)

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وجدّك لم تكرم على أحد بعدى

(واعتذر متكبر عن كبره بقوله)

ومالى وجه فى اللئام ولايد * ولكنّ وجهى فى الكرام عريض
أهش اذا لاقيتهم وكأننى * اذا أنا لاقيت اللئام مريض

﴿ الفصل الثالث من الباب الثانى ﴾

(فى أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع)

قال سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال وقال لو لم يزهد فى الدنيا الا لأنها فى يد الانذال لكان ينبغى لنا ذلك لهوانها على الله * وقال الشافعى فى ذم الدهر وسوء معاملته لسراته وسقياه لهم أكواب حسراته

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكابر فاسترق رقابهم * وتراه رقاً فى يد الاوغاد

(ابن الرومى)

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * وترفع كل ذى زنة خفيفه

(آخر)

رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع راية القوم اللئام
كأن الدهر موتور حقود * يطالب حقه عند الكرام

(وقال أسامة بن منقذ)

شغل الزمان بأهل النقص يرفعهم * حتى يثمر للوارث ما خزنوا
ألهاه رفع لئام الناس فهو على * ذوى المكارم والافضال مضطغن

(آخر)

يا دهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لا محالة زائدا

(آخر)

قل لدهر من المكارم عطل * يا قبيح الفعال جهم المحيا
كم رفيع حططته فى حضيض * ووضيع ألحقته بالثريا

(آخر)

عجبا للزمان يرفع حرا * ماله ويمنح المال نذلا
فهو مثل الميزان يرفع ما خف * ويهوى فى الوزانة ثقلا

(ولقد أحسن الآخر فى قوله)

سألت زمانى وهو بالخفض مولع * وبالجهل محفوف وبالنقص مختص
فقلت له هل من طريق الى العلا * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ويقال) اتضاع الاعالى بارتفاع الاسافل واذا ارتفعت الاراذل هلكت الافاضل (وقال) قيس بن زهير أربعة لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت (وقال) ازدشير ماشئ فى انتقال الدول أضر من رفع وضيع الى مرتبة شريف فان الوضيع اذا ارتفع تكبر واذا تمول استطال واذا تمكن صال (وقالوا) سوء القتل ولا رياسة النذل (ولنرجع) الى خبر أبى بكر الخوارزمى الذى ورد به شرعة الانصاف وحسم فيه بين العقلاء مادة الخلاف قال لا صغير فى الولاية والعمالة ولا كبير مع العطلة والبطالة وانما الولاية أنثى تصغر وتكبر بوليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها والصدر بمن يليه والدست بمن يجلس فيه والاعمال بالعمال كما أن النساء بالرجال (ويؤيد) قوله هذا أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى الهادى وكان أميرا على مصر من قبله عازم على خلعه فقال والله لأعزلنه بأخس من على بابى وقال ليحيي بن خالد اطلب لى

كاتباً عفيفاً يصلح لعمل مصر وا كتم خبره فلا يشعر به موسى حتى يفجأه فقال قد وجدته قال من هو قال عمر بن مهران وكتب له بخطه كتاباً الى موسى بتسليم العمل اليه فسار وليس معه غير غلام أسود واسمه أبو درة على بغل استأجره ومعه خرج فيه قميص ومبطنة وشاش وطيلسان وخف فلما وصل الى مصر نزل خانا فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعمن فيه من العمال وأخبر من كان بجواره فى الخان انه قد ولى مصر واستعمل منهم كاتباً وحاجباً وصاحب شرطة وقلد آخر بيت المال وأمر من تبعه وونق به أن يدخل معه على موسى فاذا سمعوا حركة فى دار الامارة قبضوا على الديوان فلما أبرم أمره بكر الى دار الامارة فأذن موسى للناس اذناً عاماً فدخل فى جملتهم ومن اتفق معه وموسى جالس فى دسته والقوادين يديه وكل من قضيت حاجته ينصرف وعمر جالس والحاجب ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته وهو يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى فقبله ووضعه على رأسه ثم فتحه وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم قال أقرئ أبا حفص السلام وقل له كن بموضعك حتى نتخذ لك منزلاً ونأمر الجند يستقبلونك قال أنا عمر بن مهران وقد أمرني أمير المؤمنين أن أقيمك للناس وأنصف المظلوم منك وأنا فاعل ما أمرني به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حيث قال أليس لى ملك مصر واضطرب المجلس فقبض على الديوان فبلغ موسى الخبر فنزل عن فرشه وقال لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة ماظننت ان أحداً بلغ من الحيلة والحزم مابلغت تسلمت منى العمل وأنت فى مجلسي ثم نهض عمر الى الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعزل وولى وكان بمصر قوم يدافعون الخراج فأحضر أشدهم مدافعة فطالبه فاستمهله ثم طالبه الثانية فاستمهله فلما كان فى الثالثة فاستمهله فحلف أيماناً مؤكدة لا يستأديه الا فى بيت المال ببغداد ووكل به من أشخصه الى بغداد فخاف الناس من مثل ذلك فلم ينكسر من الخراج بعدها درهم (وانما) ذكرنا هذه الحكاية لما فيها من التنبيه على أن الرتبة النفيسة اذا وليها ذو القدر الحقير والنفس الخسيسة لا يكون ذلك قادحاً فى جلالتها ولا مغيراً لها عن حالتها وانما ذلك بحسب ماينظر اليها الزمان فربما نظر اليها بسعد أو نظر اليها بحرمان فان سعدت وليها من هو أكبر منها وان حرمت تولاها من يصرف السعد عنها

﴿ ذكر من نال المراتب السنية * من ذوى الاعراق الدنية ﴾

ونقتصر منهم على ذكر ثلاثة وهم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وانما اقتصرنا على هؤلاء لانهم أقاموا دول من كانوا نوابهم من الخلفاء فزياد لمعاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان وأبو مسلم لبنى العباس (فأما زياد) فقيل فيه زياد بن أبيه وقيل زياد بن عبيد الثقفى وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبى سفيان وانما قيل ابن أبيه لاختلاف الناس فيمن ينسب اليه وسمية كانت عند كسرى فوهبها لابى الخير قيل من أقيال حمير فدخل بها الطائف فمرض فطبه الحرث بن كلدة طبيب العرب فنجع فيه طبه فوهب له سمية فولدت له نفيعاً ويكنى أبا بكرة ونافعاً ثم كانت تحت عبد لصفية بنت عبيد الله بن أسد بن علاج الثقفى وكان يسمى عبيداً فولدت له زياداً ويقال ان أبا سفيان واقعها على كره منها فى حال سكره وكانت بغياً فحملت منه بزياد وقيل لعبيد انه لفراشك فكان عبيد يكنى به * وروى ابن عبد البر فى الاستيعاب ان زياداً اشترى عبيداً بألف درهم

وأعتقه فكان يغبط بذلك * وأما السبب فى اضافة أبى سفيان زيادا الى نفسه والحاقه به ماذكر أن عمر بن الخطاب بعث زيادا فى اصلاح فساد وقع فى اليمن فلما رجع من وجهته خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاصى لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله انى لاعرف من وضعه فى رحم أمه فقال له أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له علىّ رضى الله عنه مهلا يا أبا سفيان فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص * يرانى يا علىّ من الاعادى
لاظهر أمره صخر بن حرب * ولم تكن المقالة عن زياد
ولكنى أحاذر خيف كف * لها نقم ولفق عن بلادى
فقد طالت مجاملتى ثقيفا * وتركى فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبى سفيان فلتة فذلك الذى حمل معاوية على الحاق زياد بأبى سفيان وذلك فى سنة أربع وأربعين وشهد عنده زياد بن أسماء ومالك بن ربيعة والمنذر بن الزبير على اقرار أبى سفيان بأنه ولده وكان أبو بكرة يقول ما رأت سمية أبا سفيان قط (ولما) ألحق معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم عليه فأنشده قول أخيه عبد الرحمن فيه

ألا أبلغ معاوية بن صخر * فقد ضاقت بما يأتى اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زانى
فاشهد أن آلك من زياد * كآل الفيل من ولد الاتان
وأشهد أنها حملت زيادا * وصخر من سمية غير دانى

وهذا الشعر يؤيد قول أبى بكرة ويروى أنها ليزيد بن مفرغ الحميرى وأولها

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة من الرجل اليمانى

(وقال يزيد)

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندى من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * فى رحم أنثى وكلهم لاب
ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا بزعمه عربى

وهذا يشير الى أن الثلاثة أولاد الحرث بن كلدة (وليزيد) يهجو عباد بن زياد

أعباد ماللؤم عنك محوّل * ولا لك أم من قريش ولا أب
وقل لعبيد الله مالك والد * بحق ولا يدرى امرؤ كيف ينسب

(وسأل) رجل الشعبى هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا فقال نحن منذ ثلاثين سنة نصلى خلفه ونرجو من الله القبول يعنى زيادا وقال زياد لرجل يا ابن الزانية فقال أتسبنى بشئ شرفت به أنت وآباؤك (قال المداينى) قدم زياد البصرة مع أخويه أبى بكرة ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلمين العربى والفارسى فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم عن القلم العربى ودرهم عن القلم الفارسى ثم ترقت به الحال وظهر مراتبه وانتهى أمره الى أن ادعاه معاوية أخا وولى فارس لعلىّ رضى الله عنه ثم

احتمل مالاوهرب الى معاوية وجمع له معاوية العراقين وهو أول من جمعاله وجمعا بعده لابنه عبيد الله ولمصعب بن الزبير ولمسلمة بن عبد الملك ولعمر بن هبيرة وليزيد بن عمر بن هبيرة ولم يجمعا لاحد غير هؤلاء في أيام بني أمية

﴿ومنهم كليب ثقيف الحجاج ذو المراء في سفك الدماء واللجاج﴾

ولؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه * قيل ان أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهي تخلل فقال يافارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم انك لنهمه وان كان من أكل البارحة فانك لقذره انصرفي فانت طالق فقالت سخنت عينك ماهو من ذا ولا من ذاك ولكني استكت فتخللت من سواك فاسترجع ثم خرج فاتى يوسف بن الحكم بن عقيل فقال اني قد نزلت اليوم عن خير نساء بني ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب دبره وأبى أن يقبل الثدي من المراضع وأعياهم أمره فيقال ان ابليس تصور لهم على صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه من دمه يومين وفي الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فانه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فاقبل على ثدي أمه فكسبه الرضاع الاول لؤما والرضاع بغير الطباع فكان في كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الخريت يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي

(وقال آخر) يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الازهر

هكذا رواه جميع الاخباريين والصواب ماذكره الحموي في كتاب البلدان له قال الكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد شاهدا على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الاولى به وقد تقدم منه الولوغ (وقال آخر)

كليب تعاظم في أرضكم * وقد كان فينا صغير الخطر

(ورأيت) في بعض كتب التواريخ ان الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى ملكا يموت قال نعم ولست به اني أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله كليب بذلك كانت أمي تسميني (ومما يؤيد ماذكرنا من لؤمه ما كتب به اليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضي الله عنه أما بعد فانك طغت لك الامور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت قدرك وركبت داهية دهماء أردت ان تزورني بها فان سوغتكها نصبت قدما وان لم أفعل رجعت القهقرى فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين ممسوح الساعدين أصك الرجلين أراك قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك

من الدناءة ذو اللؤم فاذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم وايم الله يا ابن المستفرية بعجم الزبيب لأغمزنك غمز الليث الثعلب ولاركضنّ بك ركضة تدخل بها في جعس أمك فاذا أتاك كتابي هذا فكن لانس أطوع من عبد لسيده والا أصابك مني سهم مشكل ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (وصف) الحسن البصري الحجاج فقال أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة لامن الله يتقي ولامن الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط (وفيه يقول الاحمر بن سالم وأحسن)

ثقيف بقايا من ثمود ومالهم * اب ماجد من قيس عيلان ينسب
وأنت دعي يا ابن يوسف فيهم * زنيم اذا ما حصلوا متذبذب

ويقال ان الحجاج طلبه فهرب الى هيت فأخذه عامله عليها فقتله وأحرقه وذراه في الريح (وجرى) بينه وبين بعض الخوارج مشاجرة فقال له الخارجي لو لم يكن من لؤم أبيك الا انه ولد مثلك لكفاه فأمر به فقتل (وقال) الحجاج يوما لعبد الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لانى لم تلدني أمة بيني وبين حواء الاهاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر كنت كلبا من الكلاب (وأول ولاية) تولاها تبالة فلما رآها استقلها فرجع عنها فقالوا في المثل أهون من تبالة على الحجاج * وأول أمره ومصيره الى روح ابن زنباع وتضمن ما اتفق من أمره معه وكيفية وصوله الى عبد الملك في المجلدة الثالثة من التذكرة * وفي كتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء لأبي حيان التوحيدي في سبب تولية الحجاج العراق قال المتبي لما اشتدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران اهل العراق قد علا لهبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وار فهل من رجل ذي سلاح عتيد وقلب حديد أبعثه لها فقام الحجاج وقال انا يا امير المؤمنين قال ومن انت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم اعاد الكلام فلم يقم احد غير الحجاج فقال كيف تصنع ان وليتك قال اخوض الغمرات واقتحم المهلكات فمن نازعني حاربته ومن هرب مني طلبته ومن لحقته قتلته اخلط عجلة بتأن وصفوا بكدر وشدة بلين وتبسما بازورار وعطاء بحرمان ولا على امير المؤمنين ان يجرب فان كنت للاوصال قطاعا وللارواح نزاعا وللاموال جماعا والا فليستبدل بي فقال عبد الملك من تأدب وجد بغيته اكتبوا له كتابه

(ومنهم ذو الاصل الدنيء والنفس الأبية ابو مسلم صاحب الدعوة العباسية)

كان ابو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبدا لعيسى بن معقل فباعه لاخيه ادريس جد ابي دلف واسمه قاسم بن عيسى بن ادريس العجلي وكان قهرمانا فجلس ادريس في الكوفة وابو مسلم معه يخدمه فرأى بكر بن هامان من ابي موسى حذقا وكيسا فقال لادريس ماهذا الغلام قال مملوك لي قال بعه لي قال هو لك قال لابد من ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه اربعمائة درهم واخذه وبعث به الى ابراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام فدفعه ابراهيم الى موسى السراج فسمع منه وحفظ عنه ومازال قدره ينبل حتى ارسله ابراهيم بالدعوة لبني العباس وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة وله من العمر احدى

وعشرون سنة وقدم الى خراسان يدعو الناس الى طاعتهم فى اول يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل قرية من قرى مرو ووثب دعاته فقال الناس رجل من بنى هاشم قد ظهر له حلم ووقار وسكينة فانطلق فتية من اهل مرو نساك وكانوا يبطلون الفتنة فأتوا ابامسلم فى عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبرى خير لكم من نسبي ثم سألوه عن اشياء من الفقه فقال ان امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن الى دعوتكم احوج منا الى اجابة مسئلتكم فاعفونا فقالوا والله مانعرف لك نسبا وما نظنك الا تبقى قليلا وتقتل وكان كذلك (ومن الدليل) على لوءم اصله مانقم عليه به ابو جعفر المنصور وهو أنه كتب اليه يخطب منه امينة بنت على بن عبدالله بن عباس وزعم انه ابن سليط بن عبدالله فقال له المنصور عند تقريعه بذنوبه لما اراد قتله لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا تفرع على نفسك انك دعى ثم ترغب فى بنات العباس (ونقم) عليه ايضا انه كتب اليه ايام خلافته عافانا الله واياك فبدأ بنفسه في الدعاء (ولما) اراد المنصور قتله استشار مسلم بن قتيبة فى ذلك فقال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابا امية قد اصبت الغرض ثم استدعاه ولم يأذن لاحد معه فلما دخل عليه واخذ مجلسه سأله ان يريه سيفه فلما تناوله منه جعل يذكره فعلاته التى نقمها عليه وهو يعتذر عنها ثم ركضه برجله فوثب عليه المرصدون لقتله فقتلوه وأخرج الى قواده وجنوده بالجوائز والخلع فقسمت بينهم ثم رمى برأسه اليهم فتفرقوا ورجعوا قائلين مضى مولانا بالدراهم انا لله وانا اليه راجعون وذلك فى سنة سبع وثلاثين ومائة (وكان) مولده على رأس المائة * وفيه يقول أبو دلامة واسمه زيد بن الجون يهجوه

أبا مجرم ماغير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

أفى دولة المهدى حاولت غدره * ألا ان أهل الغدر آباؤك الكرد

أبا مجرم خوفتنى بك فانتحى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

وقد تقدمت ترجمته وكيفية ماقتله المنصور فى المجلدة الثالثة من التذكرة التوحيدية (وخطب) المنصور لما قتله فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس لاتخرجوا من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان أحدا لايسر سريرة الا ظهر ذلك عليه فى فلتات لسانه وصفحة وجهه وبوادر نظره انا لم نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه انه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه خبء هذا الغمد وان أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث هو فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيرنا ولم يمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه (وانما) اقتصرت على ذكر هوءلاء الثلاثة دون غيرهم لعظيم ماارتكبوه من الجرائم التى نهى الله عن فعلها وأكد فى التحذير منها وبالغ فى الوعيد عليها وهى قتل النفس بغير حق واستباحة حريم مالها التى حرمته كحرمتها وهذا لايرضى فعله كفرة أهل الكتاب ولا من يعتقد أن الى الله المرجع والمآب

(ومماينبغى أن يلحق بهذا الفصل تسلى من خفضه الزمان من أهل الفضل)

بقلة الكرام وكثرة اللئام وتقلب الاحوال على مدى الايام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لايكاد يوجد فيها راحلة (وقالوا) الكرام فى اللئام كالغرة

فى جبهة الفرس أو كالرقمة فى يد الدابة (ويقال) لا يكاد يوجد كريم حتى يخاض اليه ألف لئيم * قال السموأل ابن عاديا اليهودى

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال ابن المعتز اذا خرفت الدولة وقرب زوالها هبطت بالاخيار ورفعت درج الاشرار (وقال) أبو طالب يحيى بن أبى الفرج المعروف بابن زيادة البغدادى الكاتب

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساجيا واذا حرك ثارت من قعره الاقذاء

وكان على بن الحسين بن على الوزير المغربى لمح هذا المعنى بقوله

اذا ما الامور اضطربن اعتلى * سفيه يضام العلى باعتلائه

كذا الماء ان حركته يد * طفا عكر راسب فى انائه

(ومن أحسن) ما ورد فى هذا الباب ما حكى أن المعتصم لما أراد أن يشرف اشناس التركى عقب فتح بابك أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له فكان فيمن ترجل الحسن بن سهل فرآه حاجبه يمشى ويعثر فبكى رحمة له فقال له لا يهمنك ما تراه ان الملوك شرفتنا ثم شرفت بنا (ولما عزل) قتيبة بن مسلم وكيع عن رياسة بنى تميم قال شاعرهم

فان تك قد عزلت فلا عجيب * ضياء الشمس يمحوه الظلام

(وقال آخر يسلى معزولا)

عزلوه كالذهب المصفى لا ترى * حال مغيرة له عن حال

لم يعزلوا الاعمال عنـه وانما * عزلوا العفاف به عن الاعمال

(آخر) ان الولاية لا تتم لواحد * ان كنت تنكر ذا فأين الاول

لا تجزعن فلكل وال معزل * فكما عزلت فعن قليل تعزل

ومن أحسن ما قيل فى تسلى معزول قول محمد بن يزيد الاموى فى مالك بن طوق

ليهنك ان أصبحت مجتمع الحمد * وراعى المحامى والمعالى عن المجد

وانك سنت الناس فيها وليته * وفرقت ما بين الغواية والرشد

فلا تحسب الاعداء عزلك مغنما * فان الى الاحرار عاقبة الورد

وما كنت الا السيف جرد فى الوغى * بأحمد سلا ثم رد الى الغمد

(آخر) ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لنقل النعـيم من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

(على بن الجهم) للدهر ادبار واقبـال * وكل حال بعـدها حال

وصاحب الآثار فى غفلة * وليس للايام اغفال

كم أبلت الدنيا وكم جددت * منى وكم تغنى وتغتال

تشهد أعدائى بأنى فتى * قطاع أسياف ووصال

لا يملك الشدة عزمي ولا * يبطرني جاه ولا مال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه ولا يضع شيأ الا رفعه (كتب) مفلس على خاتمه اصبر فالدهر دول

(راجز) وانما الدنيا دول * كراحل قبل نزل * ونازل قبل رحل

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشيء طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء (وقال) مطرف لا تنظروا الى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم * وأنشدت لابن الاعرابي

رب قوم رتعوا في نعمة * زمنا والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

ويقال لا يقوم عز الولاية بذل العزل (ويقال) العزل طلاق الرجال * قال ابن المعتز

وذل العزل يضحك كل يوم * وينقر في قفا الوالي المدل

(وله) كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب * وخمارها صعب شديد

(ابن زياد) لا تغبطن وزيرا للملوك وان * أحله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بأن له يوما تمور به الارض اطربا كما مارت لهيبته
هرون وهو أخو موسى وناصره * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

(ولآخر) تنح عن الوزارة لا تردها * فكل الخير فيما لا تريد
ألست ترى وزيرا كل يوم * يباع متاعه فيمن يزيد

(ومن أعجب ما يحكى في تنقل الاحوال) أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل على ألف بعير ثم روى ثقله في زنبيل وفيه أدوية لعلته تنقل من مكان الى مكان وروى ثقل الحسن بن سهل في زنبيل فيه نعلان وقميصان واصطرلاب ثم روى ثقله على ألف بعير (قال بعضهم)

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس الحال ترفعه * الى السماك وطورا تخفض العالي

(وتغير) أبو جعفر المنصور على وزيره أبو أيوب المرزباني فقال

ألا ليتني لم الق ما قد لقيته * وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا
رأيت علو المرء يدعو انحطاطه * ويضحي وسيط المال من كان ناجيا

ولهذا قيل الفقر مع الامن خير من الغنى مع الخوف (وقال) بعضهم مسليا عن العطالة

لعمرك ما طول التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه

(آخر) كن بخمول النفوس قانع * لا تطلب الذكر في المجامع

فلن يزال الفتى بخير * مالم تشر نحوه الاصابع

(ابن مقلة يقول عندما نكب)

زمان يمر وعيش يمر * ودهر يكر بما لا يسر
وحال يذوب وهم ينوب * ودنيا تناديك أن ليس حر

(آخر) وأحسن ما استشعر المسلمو * ن عند النوائب حلم وصبر
ولله فى كل ما يأتنى * وأبلى به منه حمد وشكر

(سمع) أعرابى يقول هذا غنى لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء وقيل لابن الجهم بعد ماصودر ما تفكر فى زوال نعمتك قال لابد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى (وقيل لاعرابى) صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبى اذا لعب

﴿ الباب الثالث فى العقل وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

فى مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله

(قال الله تعالى) ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (سئل) الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند الاشياء قولا وفعلا (وسئل) آخر فقال الاصابة بالظنون والتلمح فيما كان وما يكون ومراده فى القسم الثانى التجربة (وقالوا) هو درك الاشياء على ما هى عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها (وقيل لحكيم) ما مقدار العقل فقال مالم ير كاملا فى أحد فلا يعرف له مقدار (وقالوا) لكل شئ غاية وحد والعقل لاغاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار فى الرائحة والطيب (واختلف) الحكماء أيضا فى ماهيته كما اختلفوا فى حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغرزه فى القلب كالنور فى العين وهو البصر فالعقل نور فى القلب والبصر نور فى العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الاعمى من عمى بصره ولكن الاعمى من عميت بصيرته (وقال بعض الحكماء) العقل غريزة لا يقدر أحد أن يصفها فى نفسه ولا فى غيره ولا يعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل أن يوصف بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول (وقال العتبى) واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة البصر أخذه من هذه الابيات وتنسب الى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضى عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

ويفهم من فحوى ماذكرناه أن العقل فى القلب وهذا القول هو الموجود بصحة النظر والمعلوم من جهة

الأثر (قال) الله تعالى أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل فى القلب به يفرق بين الحق والباطل (وقال) بعضهم هو فى الدماغ واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (وقال) عمرو بن العاص يثغر الغلام لسبع ويحتلم لاربع عشرة وينتهى طوله لاحدى وعشرين وينتهى عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعد ذلك تجارب وقال بعضهم * كل شئ مفتقر الى العقل والعقل مفتقر الى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله (وقال) بعض الحكماء أربعة تحتاج الى أربع الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة (ويقال) هرم السن شباب العقل وقال البستى

ما استقامت قناة رأيى الا * بعد ما عوج المشيب قناتى

(ما اخترناه من محاسن الكلم وأسناها فى أن العقل أشرف المواهب وأسماها)

قال ابن عباس رضى الله عنه دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده والآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب اليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال أحسنهما عقلا قلت يارسول الله انما سألتك عن عبادتهما فقال ياعائشة انهما لا يسألان عن عبادتهما انما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس (وروى) البراء ابن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا (وقال) بزرجمهر الانسان صورة فيها عقل فان أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بانسان قال المتنبى

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

(وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما انى لأعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيأ آخر (وقالت) عائشة رضى الله عنها أفلح من جعل الله له عقلا (وقال مطرف) ما أوتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أفضل من العقل ويقال ما تم دين امرئ حتى يتم عقله وما استودع الله رجلا عقلا الا استنقذه به يوما ما (وقال الاصمعى) لو صور العقل لاضاء معه الليل ولو صور الجهل لاظلم معه النهار (وقال بزرجمهر) العقل كالملك ان خبأته عبق وان بعته نفق (وقالوا) كل شىء اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ولو بيع لما اشتراه الا العقلاء لمعرفتهم بفضله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر وبذر الآخرة العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط الابرار العقل (ويقال) العقل ويرز رشيد وظهير سعيد من اطاعه نجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم يصف العقل

لله در العقل من رائد * وصاحب فى العسر واليسر
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للامر
وان شأ فى بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر

فذو قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

(آخر) العقل حلة فخر من تسربلها * كانت له نسباً تغنى عن النسب
والعقل أفضل ما فى الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

﴿ومن قولهم فى أن من وهب الله له عقلا كمى من المناقب حلة لا تبلى﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت ما فاتنى من أنواع التطوع (وقال وهب) مثل العقلاء فى الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الدنيا الا بهما فكذلك المرء فى الدنيا لا حظ له الا اذا كان عاقلا (وقيل لانوشروان) أى الناس أولى بالسعادة قال أنقصهم ذنوبا قيل فمن أنقصهم ذنوبا قال أتمهم عقلا (وقالوا) اذا كان العقل فى النفس الاثيمة كان بمنزلة الشجرة الكريمة فى الارض الذميمة ينتفع بثمرها على خبث المغرس فاجتن ثمر العقل وان أتاك من لئام الانفس (والى هذا) أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى قوله لولده الحسن رضى الله عنه خذ الحكمة أنى أتتك فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فلا تزال تختلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها (وقال) سعيد بن جبير لم تر عيناى افضل من فضل عقل يتردى به الرجل ان انكسر جبره وان صرع أنعشه وان ذل أعزه وان اعوج أقامه وان عثر أقاله وان افتقر أغناه وان عرى كساه وان غوى أرشده وان خاف أمنه وان حزن أفرحه وان تكلم صدقه وان أقام بين ظهرانى قوم اغتبطوا به وان غاب عنهم أسفوا عليه وان بسط يده قالوا جواد وان قبضها قالوا مقتصد وان أشار قالوا عالم وان صام قالوا مجتهد وان أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شئ يقاربه
يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس قلة عقله * وان كرمت أعراقه ومناسبه
اذا أكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه

(آخر) ما وهب الله لامرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما * فان فقد الحياة أجمل به

(آخر) يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

(وقال طاوس) ما قلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقله لاراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل

﴿وما أثبتناه من الكلام الرائع الرائق فيما يمتاز به العاقل من المائق﴾

قال بعض أهل العلم ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال ان الله يخيرك واحدا من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت احسن من هؤلاء فى الجنة ثم مد يده الى العقل وقال اذ ينك اصعدا قالا لا نصعد قال اتعصيانى قالا لا نعصيك ولكنا أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال

يعرف بها بحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق الى بر من هو فوقه وينتهز الفرصة اذا امكنته لا يفارقه الخوف ولا يصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم فاذا تكلم غنم واذا سكت سلم واذا اعترضت له فتنة اعتصم بالله * وقال ابو عبادة مادحا

غريب السجايا ما تزال عقولنا * مدلهمة فى خلة من خلاله
عداه الحجى فى عنفوان شبابه * واقبل كهلا قبل حين اكتهاله

(وقالوا) من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنى (وفى) حكمة داود على العاقل ان يكون عالما باهل زمانه مالكا لسانه مقبلا على شانه (وقال) بعض الحكماء اربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب (وقالوا) ان اردت ان تعرف عقل الرجل فى مجلس واحد فحدثه فى خلال حديثك بما لا يكون فان انكر فهو عاقل وان صدق فهو احمق (وقالوا) لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد بما لا يستطيع انجازه (وقال) لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ماله مبذولا لا يصيب من الدنيا الا القوت التواضع احب اليه من الشرف والذل احب اليه من العز لا يسأم من طلب المعالى ولا يتبرم بطلب الحوائج اليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من نفسه وان يرى جميع اهل الدنيا خيرا منه وانه شرهم وهذه الخصلة تشيد مجده وتكبت ضده وتعلى قدره وتطيب فى العالمين ذكره (وقالوا) العاقل اذا والى بذل فى المودة نصره واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيستعين مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله (وقال) المهلب بن ابى صفرة واسمه ظالم بن سراقة يعجبنى ان ارى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبنى ان ارى لسانه زائدا على عقله (وقالوا) زيادة العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة والله اعلم

﴿شوارد مجموعة فى احتياج ذوى العقل والحلم الى اكتساب فضيلتى الادب والعلم﴾

(اما الادب) فقال بزرجمهر العقل يحتاج الى مادة الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الاطعمة (وقالوا) عقل بلا ادب فقر وادب بلا عقل حتف (وقالوا) عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح (وقالوا) لا عقل الا بادب ولا ادب الا بعقل (وقال افلاطن) عقل بلا ادب كالشجرة العاقر والعقل مع الادب كالشجرة المثمرة (وقال بزرجمهر) الادب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت (ابن المقفع) كما ان الادب لا يكمل الا بالعقل فكذلك لا يكمل العقل الا بالادب * وقالوا احرص ان لا يكون ادبك اغزر من عقلك فان من زاد ادبه على عقله كان كالراعى الضعيف فى الغنم الكثيرة * ويقال ادّبوا اولادكم صغارا تقر اعينكم بهم كبارا (شاعر)

قد ينفع الادب الاحداث فى صغر * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

(وقال) عبد الملك بن مروان لاعب ولدك سبعا وأدّبه سبعا واستصحبه سبعا فان أفلح فألق حبله على غاربه ولا عبرة بقول من قال

قولا لمن ينصح ابناله * يردد القول لتهذيبه
ضيع الوقت بلا طائل * فيكثر القول ويهزى به
له الى الله وتدبيره * ثم الى الدهر وتجريبه
فانما الاقدار لا بد أن * تأتى بما خط وتجرى به

فليس كما قال فانما الهمل فى الامهال ولا عذر له فى الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا ان يحتاج الى التثقيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف (ويحكى) أن أبا الاسود الدؤلى كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب الى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها * نحو الفراش مع الغواة الارجس
فليأتينك غاديا بصحيفة * كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فاذا أتاك معذرا بملامة * فعظنه موعظة اللبيب الاكيس
واذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما تجرعني أعز الانفس

(وأما العلم) فقدره كبير وفضله كثير ويكفى فى شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم (قال) بعض الحكماء اذا اجتمع العقل والعلم فى رجل فقد استطاب المحيا وسما الى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا (وقالوا) العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل الى معرفة الحقائق ويتوصل الى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه ولا يفتقر كاسبه ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه (وقال) معاذ بن جبل تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والوزير عند الخلاء والقريب بين الغرباء (شاعر)

أجل ما يبتغى يوما ويكتسب * ويجتنى من حلا الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت * لحامليه بآفاق العلا رتب
ان عاش عاش جميلا ساميا أبدا * لا يستضام ولا ينمى فيجتنب
وان تمت فثناء شائع حسن * وبعده رحمة ترجى وترتقب

(آخر)
العلم أعلى من الاموال منزلة * لانه حافظ والمال محفوظ

(وقالوا) العلم عز لا يبلى جديده وكنز لا يفنى مزيده (وقال) ابن المقفع تعلموا العلم فان كنتم ملوكا فقتم وان كنتم أوساطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم (وقالوا) لو لم يكن من شرف العلم الا أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك لكفى بذلك شرفا (وقال بعضهم)

العلم فيه جلالة ومهابة * والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه * والعلم يبقى باقيات الاعصر

(ويحتاج) طالب العلم الى ستة أشياء فراغ وجده وجدوا استاذ وطول عمر ومعونة من الله تعالى وهذا ملا كها الذى لابد منه ولا غناء لاحد عنه (نظم ذلك الشاعر فقال)

أصخ لى فليس العلم الا بستة * سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وارشاد استاذ وطول زمان

(وقالوا) العلم ميت يحييه الطلب فاذا حيي فهو ضعيف يقويه الدرس فاذا قوى بالدرس فهو محتجب تظهره المناظرة فاذا ظهر فهو عقيم نتاجه العمل (شاعر)

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب حفظه عليه كما * يحفظ ماعاش ماله ودمه
ومن حوى العلم ثم أودعه * غير محب له فقد ظلمه
وكان كالمبتنى البناء اذا * تم له ما أراده هدمه

﴿ الفصل الثانى من الباب الثالث ﴾

(فى ذكر الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد)

(قالوا) العقل أصل لكل محمود من الاخلاق فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل (وقيل) للحسن بن على رضى الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال اذا اعقله عقله عما لا ينبغى فهو عاقل (وقال) على بن عبيدة الزنجانى العقل ملك والخصال الحسنة رعيته فاذا ضعفت عن القيام عليها وصل الخلل اليها (وقال) بعض الحكماء الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والانسان يجمع الكل ابتلاء فان غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة وان غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب اليه رمسه (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم * وقالوا الهوى خادع للالباب صارف عن الصواب صاحبه أعمى مبصر أصم سميع (وقالوا) الهوى أشأم دليل والأم خليل واغشم وال وأغش موال يكذب العيان ويقلب الاعيان ويجلب الهوان * وقال أبو بكر بن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

(وقال) بعض الصالحين الهوى مركب ذميم يسير بك فى مضلات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن ويعلقك فى حبائل الاحن ويقال من كان لعنان هواه أملك كان لطرق الرشاد أسلك * ويقال بغلبة سلطان العقل على الهوى ينال السودد وقال شاعر

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواكا

(آخر) اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل مافيه عليك مقال

(ويقال) عبد الهوى أذل من عبد الرق * وقالوا أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده (شاعر)

ان الردى تبع الهوى * ومن الهوى حلو ومر اقنع بعيشك ترضه * واملك هواك وانت حر

(وقال على بن الحسين المغربى)

مالمطيع هواه * من الملام ملاذ   فاختر لنفسك اما * عرض واما التذاذ

* وقال حكيم لولده اعص هواك واطع من شئت

(قال بعضهم) اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الاعداء حقا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله

(آخر واجاد) اذا ما دعتك النفس يوما لشهوة * وكان عليها للحرام طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما * هواها عدو والخلاف صديق

(وقالوا) كم من عقل اسير عند هوى امير (شاعر)

وعاصى الهوى المردى فكم من محلق * الى النجم لما ان أطاع الهوى هوى

(ولبعضهم) وما يزع النفس اللجوج عن الهوى * من الناس الا حازم الرأى كامله

(وقالوا) اعدل الناس من انصف عقله من هواه ومنع نفسه مما يكون سببا لبلواه ولحظ الاشياء بعين فكره واضماره فعلم من ورود الامور عاقبة ايراده واصداره فيحسن بافعاله حمد الاوداء ويأمن فى ماله كيد الاعداء كما حكى ان نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغدى معه فلما رأى عبد الملك ظرفه وأدبه قال له هل لك فيما نتنادم عليه قال يا امير المؤمنين لونى حائل وشعرى مفلفل وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولم ابلغ ما بلغت من اكرامك اياى لا لشرف أب ولا كرم أم وانما بلغته بعقلى ولسانى فأنشدك الله يا امير المؤمنين ان لا تحول بينى وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه وما أحسن قول الخبز أرزى مشيرا الى قول نصيب

اری الكأس تذهب عقل الفتى * فيذهب عن كل مستمتع
ولولا ابتهاجى بكم لم أكن * لاشرب اكثر من أربع
وقالوا اسرور فقلت السرور * بان تتركونى وعقلى معى

(وقال آخر) رطلان لا أزداد فوقهما * فى الشرب ان حضروا وان وحدى
فليغتفر لى من ينادمنى * انى احث عواقب الرشد
واريد ما يقوى به بدنى * واجانب الامر الذى يردى

وعلى ذكر ما ينتج من شرب الخمر من زوال الذهن وذهاب العقل فحسن قول من قال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور وقول أبى الفضل الميكالى

عيرتنى ترك المدام وقالت * هل جفاها من الرجال لبيب
هى تحت الظلام نور وفى الاكباد برد وفى الخدود لهيب
قلت يا هذه عدلت عن النصـ * ـح وما للرشاد فيك نصيب
انها للستور هتك وفي الاا * باب فتك وفى المعاد ذنوب

(وقال) رجل لابنه وهو يتعاطى الشراب احذره فانه قئ فى شدقك او سلح على عقبك اوحد فى ظهرك

(وقال) الحصكفى ذاكرا لهذه العيوب

ونديم بت اعــذله * ويرى عذلى من العبث

قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت منها القيء قال نعم * شرفت عن مخرج الخبث
قلت للازمات تشربها * قال طيب العيش في الرفث

(وقريب من هذا) ماحكي ان الحجاج وفد على الوليد بن عبد الملك فلما كان بعد ايام وقد اخذ يتجاذبان اذيال المذاكرة فقال له الوليد هل لك في الشراب قال يا امير المؤمنين ليس محظوراً مداخلة امير المؤمنين ولكني امنع اهل عملي منه واكره ان اخالف قول العبد الصالح لقومه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه فاستحسن ذلك منه واعفاه (وقال اسحق) ابن ابراهيم الموصلي دخلت على الهادي فقال غني صوتا اطرب منه ولك حكمك فغنيته واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر
فقال احسنت والله وضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا فقال زدني فغنيته

فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فقال احسنت ثم ضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا آخر فقال له زدني فغنيته

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فقال أحسنت وشق باقي دراعته من شدة الطرب ثم رفع طرفه اليّ وقال لي تمن واحتكم فقلت أتمنى عين مروان قال اسحق فرأيته وقد دارت عيناه في رأسه حتى خلتهما جمرتين ثم قال يا ابن اللخناء أتريد أن تشهرني بهذا المجلس وتجعلني سمرا او حديثا يقول الناس أطربه فوهبه عين مروان والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحة عقلك لالحقتك بمن غبر من أهلك ثم أطرق اطراق الافعوان فرأيت ملك المالك بيني وبينه ينتظر أمره في ثم رفع رأسه ودعا بابراهيم بن ذكوان وقال له خذ بيد هذا الجاهل وادخله بيت المال فان اخذ مافيه فدعه واياه قال اسحق فدخلت واخذت مايساوي عين مروان اضعافا (وما احسن) ماقال بعض البلغاء يصف انسانا بصيرا بالعواقب فلان يعرف من مبادي الاحوال خواتيم الاعمال ومن صدور الامور اعجاز مافي الصدور (وقال آخر) فلان يرى العواقب في مرآة فكره فلا يشتبه عليه نفعه بضره * نادرة قيل لبعض المجانين هل لك في الشراب فقال ان العاقل يشرب الخمر حتى يتشبه بي فانا اذا شربته فبمن ذا اتشبه (واحسن منها) مايحكى ان اعرابيا راودا امرأة عن نفسها فأنعمت له فلما قعد بين شعبتيها قام عنها ولم يقض وطرا ولا عفى من غرضه اثرا فقالت له ياهناه ما الذي عراك وقد بلغت مناك فقال ان رجلا يبيع جنة عرضها السموات والارض باصبعين بين فخذيك لقليل الخبرة بالمساحة * والعاقل من اهتدي بمشورة نصحائه وكشف لهم عن مستور اغراضه وانحائه (قال الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله فهذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم اصحابه مافي المشورة من البركة لا لحاجة منه لرأيهم اذ هو المؤيد في حركاته وسكناته بالوحي من ربه والمستغني بمايلقى في روعه من الرأي المصيب عن آراء صحبه (قال) الحسن البصري ان الله عز وجل لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة اصحابه لحاجة به الى رأيهم وانما اراد ان يعرفهم ما بالمشورة من البركة (وقال) عليه الصلاة والسلام المشورة حصن من الندامة وامن من الملامة (وقال) عمر بن الخطاب رضي

الله عنه الرجال ثلاثة رجل ينظر فى الامور قبل ان تقع فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتأمل فاذا نزلت به نازلة شاور اصحاب الراى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتم رشدا ولا يطيع مرشدا * وقالوا مادة العقل من العقول كمادة الانهار من السيول (وقال) امير المؤمنين على كرم الله وجهه نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد * وقال حكيم لولده يابنى ان رأيك ان احتجت اليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان فاياك ان تستبد برأيك فيغلبك حينئذ هواك (وقالوا) الخطأ مع الاستشارة احمد من الاصابة مع الاستبداد (ويقال) اذا استخار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى امره ما احب * وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه (وقالوا) عليك بالمشورة فانها تأمر بالتى هى احسن وتهدى للتى هى اقوم * وقالوا لا تستبد بتدبيرك ولا تستخف بامرك فمن استبد بتدبيره زل ومن استخف بامره ذل (وقالوا) من شاور الاخلاء أمن من كيد الاعداء * ومن امثالهم زاحم بعود اودع (وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من ابيات)

وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيباً ولا تعصه
وان ناصح منك يوماً دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

(ولآخر)
ان اللبيب اذا تفرق امره * فتق الامور مناظراً ومشاطرا
وأخو التكبر يستبد برأيه * وتراه يعتسف الامور مخاطرا

(بشار بن برد)
اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل اختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

(آخر)
لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا بدا من ناقص
فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط رتبته هوان الغائص

(آخر)
شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوماً وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحاً مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(آخر)
تأن وشاور فان الامو * ر منها مضىء ومستغمض
فرأيان أفضل من واحد * ورأى الثلاثة لا ينقض

(قال بزرجمهر) أفره الدواب لاغنى له عن السوط وأعقل النساء لاغنى لها عن الزوج وأدهى الرجال لاغنى له عن المشورة

﴿فمن يعتمد عليه فى المشورة من تكون النفس بآرائه مسرورة﴾

(قالوا) لا تدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء فيقصر بك ولا جباناً فى حرب فيخوفك ولا حريصاً فى بذل فيصدك فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله (قيل) استشار زياد رجلا فقال حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أرانى كذلك (قال الشاعر)

خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعاً بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك فى الحقيقه

فمن حصلت له هذى المعانى * فتابع رأيه والزم طريقه

(وقال آخر) اذا الامر أشكل انفاذه * ولم ترمنه سبيلا نجيحا

فشاور لامرك فى ستره * اخاك اللبيب الشفيق النصيحا

(آخر) واذا الامور عليك يوما اشكلت * فاعمد لرأى أخ نصيح مرشد

واحفظ نصيحة من بدا لك ودّه * وبرأي أهل الخير جهدك فاهتد

(آخر) فما كل ذى ودّ يوليك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

(وقال) الاحنف بن قيس لاتشاور المعزول فان رأيه مغلول * وقالوا لاتشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال افلاطون) اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه قد خرج بالاستشارة من عداوتك الى موالاتك * ولما نوى ابن أبى مريم قاضى مرو أن يزوج ابنه استشار جار اله مجوسيا فقال سبحان الله يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابدّ أن تشير علىّ فقال ان كسرى رئيس الفرس كان يختار المال وقيصر رئيس الروم كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ومحمد نبيكم كان يختار الدين فانظر بمن تقتدى (وقالوا) لاتشاور بخيلا فى صلة ولا جبانا فى حرب ولا شابا فى جارية (وقال) بعض الحكماء عليكم بمشورة من حلب ضرع دهره ومرت عليه صروف خيره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أورى زنده ولذلك كانت العرب تقتدى برأى الشيوخ وتعتمد فى النوازل على مشورة الكهول لما يوجد فيهم من اصالة الرأى واصابة الحدس وصحة النظر مع مامنحوا من حسن الاختبار وسمت الوقار * وقد عدل قوم عن هذا المرتع ونزعوا غير هذا المنزع فجعلوا الشباب أيسر الاقسام من توقد الفطنة وأوفر السهام من نشاط النفس وقوّة المنة فربما قصرت عن مقاومتهم الكهول ولجأت اليهم فى كثير من تنقيح الفروع والاصول لتوفر غريزة العقل فيهم وحدّة الخاطر التى ترشدهم الى الصواب وتهديهم ولهذا قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا * ولا يقسم على عدد السنينا

ولو أن السنين تقسمته * حوى الآباء أنصبة البنينا

(وكان بعض الحكماء) يقول عليكم بآراء الاحداث ومشورة الشبان لان لهم اذهانا تفد القواصل وتحطم الذوابل (وقالوا) آراء الشبان خضرة نضرة لم يهصر غصنها هرم ولا أذوى زهرها قدم ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم وقال الشاعر

عليكم بآراء الشباب فانها * نتائج مالم يبله قدم العهد

فروع ذكاء تستمد من النهى * بأنوار فى الآراء من قمر السعد

(ومن) أحسن ماقيل فى مدح شاب غزير العقل كثير الفضل طاهر الفعل قول الشاعر

أدركت مافات الكهول من الحجا * فى عنفوان شبابك المستقبل

واذا أمرت فلا يقال لك اتئد * واذا قضيت فلا يقال لك اعدل

(وقيل) بل العاقل من أخذ بالاستبداد فى الامور وأجراها مختارا على حكم القضاء المقدور (قال المهلب بن أبى صفرة) لو لم يكن فى الاستبداد بالرأى الاصون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به (وقال بزرجمهر) أردت نصيحا أثق به فما وجدت غير فكرى واستضأت بنور الشمس والقمر فلم استضئ بشئ أضوأ من نور قلبي (وقال) على بن الحسين رضى الله عنهما الفكر مرآة ترى المؤمن سيآته فيقلع عنها وحسناته فيكثر منها فلا تقع مقرعة التقريع عليه ولا تنظر عين العواقب شزرا اليه (وقال) عبد الملك بن صالح ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور وانك متى استشرت تضعضع شأنك ورجفت بك أركانك وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه فاياك والمشورة وان ضاقت عليك المذاهب واشتبهت لديك المسالك وأنشد

فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(وقال) عبد الله بن طاهر ما حك ظهرى مثل ظفري ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطا أحب الى من أن أستشير فألحظ بعين النقص والتقصير (وما أصدق قول القائل)

ليس احتيال ولا عقل ولا أدب * يجدى عليك اذا لم يسعد القدر
ولا توان ولا عجز يضر اذا * جاء القضاء بما فيه لك الخير

*وعلى المستبد أن يتروى فى رأيه فان أفضل الرأى ما أجادت الفكرة نقده وأحكمت التروية عقده (وقالوا) كل رأى لم تمحض به الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام (شاعر)

اذا كنت ذا رأى فكن ذا أناءة * فان فساد الرأى أن تتعجلا
وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

(وقال شاعر فى مستبد) ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه خلقت من التأييد
واذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(وقالوا) فلان الخير معقود فى نواصى آرائه واليمن منقاد فى نواحى أنحائه فلان اذا أذكى سراج الفكر أضاء ظلام الامر (وقال ابن العميد) العاقل من استنتج فى كل أمر خاتمته وعلم من كل بدء عاقبته وطالع بقلبه من كل غصن ما يجنى منه ومن كل زرع ما يحصد عنه (ولله من قال) مادحا اصابة الرأي

وذو يقظات مستمر مريرها * اذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه
وابن يفر الحزم منه وانما * مرائى الامور المشكلات تجاربه

(وقال أبو عبادة البحتري فى سليمان بن عبد الله)

يريك بالظن ما فاق اليقين به * اذا تلبس دون الظن ايقان
كأن آراءه والحزم يتبعها * تريه كل خفى وهو اعلان
ماغاب عن عينه فالقلب يكلؤه * وان تنم عينه فالقلب يقظان

(ومنها) يرى العواقب فى اثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان

لافكرة منه الانحنها عمل * كالدهر لادورة الا لها شان

(وله) يريك بالظن ماقل اليقين به * والشاهدان عليه العين والاثر

كانه وزمام الدهر فى يده * يرى عواقب ماياتى ومايذر

(آخر) بديهته وفكرته سواء * اذا ما نابه الخطب الخطير

واحزم مايكون الدهر يوما * اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من تحيله الحبائل واقتنص بهاشوارد المطالب والوسائل

قالوا بالحيله يستنزل الطير من جو السماء ويستخرج الحوت من جوف الماء (فمن المحكى فى ذلك) ماذكر أن رجلين وثبا على أحد مرازبة كسرى أنوشروان فقتلاه ولم يعر فاخشى ان هو لم يقتلهما كان ذلك عارا عليه وعجزاً ينسب اليه فقال فى مجمع من الناس ان من قتل المرزبان لعظيم القدرة شديد الباس ولو ظهر لجازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس فلما بلغهما كلامه ظهرا وأقرا فقال أنوشروان انى مجازيكما بما تستحقان فانه لايكون جزاء من قتل سيده وغدر به الا القتل وأمار فعكما على الناس فانى أصلبكما على اطول جذع أجده ثم أمر ففعل بهما ذلك (واحسن منها) حيلة عملت على الاسكندر تخفى عليه الصواب فى التخلص منها وهى ماحكى عنه أنه كان لايدخل مدينة عنوة الا هدمها وقتل من فيها فقدم على مدينة كان فيها مؤدب له فخرج اليه فأعظمه وأكرمه وأكبره ثم قال له ماجاء بك قال أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأعانك عليه لأنا وان أهل هذه المدينة أبوا طاعتك وطمعوا فيك لمكانى منك وأحب أن لاتشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ماأسألك فيه من أمرهم فلما سمع الاسكندر مقالته ظن ذلك نصحا له وان غرض المعلم وافق غرضه وسر بذلك فلما رأى المعلم سروره طلب منه العهد على ذلك فعاهده فلما استوثق منه ذلك قال أيها الملك انى أرى من الرأى أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها فقال الاسكندر لاسبيل الى ذلك ولابد من مخالفتك قال فارتحل عنها اذا فارتحل (أمر) عمر بن الخطاب بقتل الهرمزان فشكا العطش فأتى باناء فيه ماء فلما تناوله أظهر رعشة فى يده يوهم أنها من خوف فقال عمر لابأس عليك حتى تشرب فرمى الاناء من يده فكسره فأمر عمر بقتله قال أو ليس قد أعطيتنى الامان قال متى قال ألست قلت لابأس عليك حتى تشرب ولم أشرب فقال عمر قاتله الله أخذ منا الامان ولم نشعر (ومن ظريف الحيل) ماحكى ان سلمان الفارسى خطب بنتا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجابه الى تزويجه فشق ذلك على ولده عبد الله وشكاه الى عمرو ابن العاص فقال له أنا أرده عنك فقال ان رددته بما يكره غضب أمير المؤمنين فقال لك على أن أرده راضيا ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه وقال هنيأ لك أباعبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك بنته فالتفت اليه مغضبا وقال انى يتواضع والله لاتزوجها (وأسر) معاوية عمرو بن أوس الاودى وكان من أصحاب على يوم صفين فقدمه للقتل فقال لاتقتلنى فانك خالى فقال من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين أود صهارة فقال ان أخبرتك يكن نافعى عندك قال نعم قال أليست أختك أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين قال بلى قال فأنا ابنها وانت أخوها فاستظرف قوله وخلى سبيله (وحاصر) سعد بن أبى وقاص حصنا تيماء فطلب من فيه الامان فأجابهم الى ذلك فلما تسلمه قتل كل من فيه الا رجلا واحدا (وعزم

معن بن زائدة) على قتل جماعة من الاسراء فلما مثلوا بين يديه قام أصغر القوم وقال أيها الامير أتقتل أسراك وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشربوا قام اليه وقال أيها الامير أتقتل اضيافك فخلع عليهم وخلى سبيلهم * ولما قبض على ابن المقنع وكل به رجل يعذبه في مال طلب منه فلما طال عليه ذلك وخشي على نفسه التلف اقترض من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به خوفا على ماله (واقتحم رجل) على الاحنف بن قيس مجلسه فلطمه فقال له ماحملك على مافعلت فقال لطمني رجل من تميم فأقسمت أن اقتص من سيدهم فقال له الاحنف لم تبر في يمينك ولست بسيد تميم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب الرجل اليه فوجده بين قومه فلطمه فأمر بقطع يده فقطعت فيقال ماقطع يده الا الاحنف الذي جرأه على غيره ولم يؤدبه على فعله وان كانت هذه الحكاية ليست جارية على المعهود من حلم الاحنف فان النفوس الشريفة تأبى الاسترسال في الاحتمال لما يحصل في حقها من اهمال الجهال كما قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي معتذرا عمن أحوجه الذب عن سيادته الى الخروج عن عادته

اذا أحوجت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أخلاق اللئام

وماخرق اللئيم وان تعدّى * بأبلغ فيك من حقد الكرام

(ولى عبد الملك بن مروان) اخاه بشرا العراق وضم اليه روح بن زنباع فلما دخل العراق اغرى بالشراب وثقل عليه ابن زنباع فقال يوما من يحتال لي فيه فقال ثمامة الباهلي أنا ثم صار الى دهليز روح وكتب على حائطه

ياروح من لزنابير محرشة * اذا يقال لاهل المغرب الباغي

ان الخليفة قد شالت نعامته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباغ

فلما قرأه ماظن الا أن بعض الجن كتبهما فعدا الى بشر فاستأذنه في الرجوع الى الشام فامتنع بشر من الاذن له وجعل يسأله أن يقيم فأبى فأذن له فلما دخل على عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك ياأمير المؤمنين قال وما ذاك فأخبره الخبر فقال له سخر بك بشر وأهل العراق لما ثقلت عليهم فاحتالوا للراحة منك (وقدم قوم) غرماؤهم الى قاض وادعوا عليه بمال فصدقهم فأمره القاضي ان يدفع لكل ذي حق حقه فقال اذ لي ريعا وقد حان استغلاله فان رأوا ان يؤجلوني أياما حتى أستغله وأؤدي اليهم حقوقهم فلا بأس فسألهم القاضي ذلك فقالوا والله مانعلم له سبدا ولا لبدا فقال له القاضي اذهب فقد فلسك غرماؤك (وحكي) أن رجلا أراد الحج فأودع عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده اياه فأتى اياسا القاضي فأخبره فقال له لاتعلم أحدا انك جئتني وعد الي بعد يومين ثم دعا اياس ذلك الرجل المودع عنده وقال له انه قد تحصل عندنا مال لأيتام وأريد دفعه اليك ليكون وديعة في حرزك فحصن بيتك وانتخب أقواما ثقات يحملونه معك فرجع الرجل وأصلح منزله ثم دعا اياس صاحب المال وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أنت لم ترده على شكوتك للقاضي فذهب الرجل اليه وطلب منه المال فرده عليه فأخبر الرجل اياسا بذلك فقال ربما كانت الحيلة وسيلة الى درك المطلوب ولم يعاود اياسا ذلك الرجل المودع عنده فيما وعده به

﴿ والحازم من اضاف الى تاج رياسته عقودا من جواهر سياسته ﴾

فانهم قالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة (ويقال) اذا صحت السياسة ثبتت الرياسة

(وصف) انوشروان سياسته فقال لم أهزل فى أمر ولا نهى ولم أخلف فى وعيد ولا وعد وأعاقب للادب لا للغضب وأثيب للغنى لا للهوى فأودعت قلوب الرعية هيبة لا يشينها منهم هلع ومحبة لا يشوبها فيهم طمع وعممت بالقول وحذفت الفضول (وقال اردشير) لاصحابه وقد سعى عنده بانسان انما املك الظواهر لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الاعمال لا عن السرائر (ومن كلامه) لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالت الحكماء) اسوس الملوك لرعيته من قاد ابدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (وقالوا) قلوب الرعية خزائن ملكها فما اودعها من شئ فليعلم انه فيها (وقال بزرجمهر) العقل حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب له الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع بعضده الجيش والجيش اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل اساس به قوام العالم (وقالوا) ينبغى للملك ان يتفقد أمر رعيته فى كل شهر وأمر خاصته فى كل يوم وأمر نفسه فى كل ساعة (وقال ابو منصور الثعالبى) اذا كان الملك واضح ميسم العدل فارش مهاد الفضل باسط جناح البر منبت نور المحبة ممتد ظل الهيبة مالك عنان السياسة فقد ارخ الزمان بحسن آثاره وشق على الملوك شق غباره (ومن كلام بعض البلغاء) خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف (وقال الشاعر فى بعض ولاة بنى مروان)

اذا ما قضيتم ليلكم بتمامكم * وافنيتم ايامكم بمدام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ألم تعلموا ان اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

(ويقال) ينبغى للملك ان يعمل بخصال ثلاثة تأخير عقوبة المسىء وتعجيل ثواب المحسن والعمل بالاناة فيما يحدث له فان فى تأخير العقوبة امكان العفو وفى تعجيل ثواب المحسن المسارعة بالطاعة وفى الاناة انفساح الرأى واتضاح الصواب (وسأل المأمون) رسول الروم لما قدم عليه عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وسل سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ولجأت اليه رهبة سهل النوال حزن النكال فالرجاء والخوف معقودان فى يده قال له فكيف حكمه قال يردع الظالم ويحنو على المظلوم فالرعية اثنان راض ومغتبط قال فكيف هيبته فيهم قال يتصور فى القلوب فتخشع له الابصار فقال له المأمون لله أبوك لقد أحسنت فيما وصفت (وما أحسن) قول معاوية لمسلم بن زياد لما ولاه خراسان ان أباك كفاك أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل ان أقول اياى منك فان الظن اذا اخلف منى فيك اخلف منك فى وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد اتعبك أبوك فلا تريحن نفسك (وقال أنوشروان) الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة هم خاصة الابرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة هم خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة تسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين (وقال عبد الله بن طاهر)

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل أوفق للنذل

(وقال معاوية بن أبي سفيان) انى لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذاك قال ان جذبوها أرخيتها وان أرخوها مددتها (وكان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى بلدك واعلم بأنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استعنا بقوتك واحسنا على خيانتك أدبك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك وأوطأنا عقبك (وقالوا) اذا كان للمحسن من الحق ما لا يقنعه وللمسيء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن النصح رغبة وانقاد المسيء الى الحق رهبة (ولا ينبغي) لاحد من الملوك أن يعدل عن قول أردشير بن بابك المستفاد منه والمستفاض عنه وهو قوله لبعض موابذته (أعلم) ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر لان الدين هو أس الملك وعماده والملك هو قائم سيف الدين ونجاده ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم (واعلم) انه يجب على الملك وعلى الرعية أن لا يكون للفراغ عندهم موضع فان التضييع في فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعية (ويقال) شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية (وقال المأمون) أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته فأسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته عنها (كان الرشيد) في بعض غزواته فالح عليه الثلج ليلة فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر والرعية قارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الاذية واليه أشار بعض مداحه

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا * لما نهضت لنصرة الاسلام
ناموا الى كنف بعدلك واسع * وسهرت تحرس غفلة النوام

﴿ والعاقل من شغله عيبه عن عيب من سواه ولم يطع في جواب السفيه أمير هواه ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (وقال عليه الصلاة والسلام) لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في رحله (وقال أكثم بن صيفي) استر عيب أخيك لما تعلم من نفسك (وقالوا) أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه (قيل) للربيع بن خثيم مالك لا تعيب أحدا قال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لعيوب الناس ومذامهم (وقالوا) من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومن تتبع مساوي العباد فقد تحملهم عرضه قال الشاعر

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا * فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(وما أحسن قول القائل)

اذاشئت ان تحيا سليما من الاذى * ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينتطق منك اللسان بسوءة * فللناس سوآت وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك مساويا * لقوم فقل ياعين للناس أعين
فعاشر بانصاف وكن متوددا * ولا تلق الا بالتى هى أحسن

(وقالوا) فلان يصم أذنه عن الفحشاء ويخرس لسانه عن التكلم بها (وقال الشاعر يمدح)

غنى عن الفحشاء أما لسانه * فعف وأما طرفه فكليل

(آخر) كريم له عينان عين عن الخنا * تنام وأخرى فى المكارم تسهر

(آخر) واذا اتو اخاك امرؤ بقبيحة * فأجبه بالاحسان والاجمال

(حكى) أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر ماهى فيه لا بقدر مافيه منها وقال الشاعر

أرى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وماخير من تخفى عليه عيوبه * ويبدو له بالعيب عيب أخيه

(وقالت رابعة العدوية) الانسان اذا نصح لله فى نفسه أطلعه الجبار على مساوى عمله فيتشاغل بها عن خلقه

والعاقل من جعل أغضاءه عن المساوى حصنا اليه من ذم الاثام ياوى

يقال ربما سخط العاقل فيبدى الرضا ويغضى عن مثل جمر الغضا (وقيل لبزرجمهر) من اعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان الغالب عليه التغافل (وقال أبو بكر الصديق) رضى الله عنه من امتطى زمام التغافل ملك زمام المروأة (وقالوا) أشرف الكرم تغافلك عما تعلم (ويقال) التغافل من الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام أنشد الباخرزى فى الدمية لابى الفضل عبد الله بن محمد الحيرى رحمه الله تعالى

يامن يعرض بالخنا متوهما * جهلى به مهلا فانك جاهل
كم مرة أغضيت منك على قذا * لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

(آخر) ويشتمنى النذل اللئيم فلا أرى * كفؤ العرضى عرضه فاجامله
أجر له ذيلى كأنى غافل * أضاحكه طورا وطورا أخاتله

(وقيل) لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء ان أسمعتها * واسكت كأنك غافل لم تسمع

(ولبعضهم ممر بابكرمه وممر قابشيمه)

وانى لاغضى عن أمور كثيرة * ومن دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب الناس اننى * جهلت الذى آتى ولست بجاهل

(آخر) وأغضى عن العوراء حتى يقال لى * بأذنيه وقر عندها حين ينطق
حياء واكراما لعرض أصونه * ولا خير فى عرض يظل يمزق

(آخر) دعي ملاحاة من هجانى * يانفس ان تغفلى تصانى

اذا حكيت البذا عليه * فما هجانى سوى لسانى

﴿وأما ما قيل فى التغاضى والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال﴾

(قالوا) أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة السفيه (وقال) بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب (قال الشاعر)

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت
فان جاوبته فرجت عنه * وان خليته كمدا يموت

(وقال بعضهم) لا ترجعن الى السفيه حكاية * الا جواب تحية حياكها
فمتى تحركه تحرك جيفة * تزداد نتنا ما أردت حراكها

(آخر) أرى الكف عن شتم السفيه تكرما * أضر به من شتمه حين يشتم

(وقالوا) اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عذابا (ويقال) ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من أحمق وبر من فاجر وشريف من دنىء (شاعر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل
فأصبحت اما نال عرضك جاهلا * سفيه واما نلت ما لا تحاول

(وقال بعض الاعراب يمدح قومه)

تخالهمو صما وعميا عن الخنا * وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر
ومرضى اذا لوقوا حياء وعفة * وعند الحفاظ كالليوث الجوادر
لهم دل انصاف ولين تواضع * وعفو عن المولى وحسن تصابر
تخال بهم داء يخافون عاره * وما وصمهم الا اتقاء المعاذر

﴿والعاقل من قنع من الدنيا باليسير وحصل فيها من التقوى زاد المسير﴾

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن بصر بها بصرته ومن نظر اليها أعمته (ووصف) ابن السماك الدنيا فقال من نال منها مات فيها ومن لم ينل منها مات عليها (ووصف) محمد بن تومر الدنيا فقال لحظة بين عدمين فيها شركاء متشاكسون (وقال حكيم) الدنيا تطلب لثلاثة أشياء للغنى وللعز وللراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعيه استراح (وقال) عيسى عليه السلام أنا الذى كببت الدنيا على وجهها وجلست على ظهرها فليس لى زوج تموت ولا دار تخرب (وقال) ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ان قربت من أحدهما بعدت عن الآخر (ويروى عنه) أنه قال الدنيا والآخرة ضرتان متى ارضيت احداهما أسخطت الاخرى ثم قال لا بل أختان ولا يمكن الجمع بين الاختين (وقال) عليه الصلاة والسلام الدنيا كم هذه أهون فى عينى من عراق جرو فى يد مجذوم (ويقال) عين الدهر تطرف بالمساوى والخلائق نيام بين أجفانها (وقال) بعض

المستقبلين منها وأحسن أف لدنيا ليست تواتيني * الا بنقضي لها عرى ديني
عيني لحيني تدير مقلتها * تريد ما ساءها لترديني

(مر) محمد بن واسع على قوم فسأل عنهم فقيل له هؤلاء الزهاد قال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب (وقال) منصور بن عمار الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء (وقال) لقمان لابنه يابني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا (وقال) الفضيل بن عياض لو عرضت على الدنيا بحذافيرها حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقال) جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا (وقال) يوسف بن اسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها انما خلقت لينظر بها الى الآخرة (وقال) ابراهيم بن أدهم مساكين الاغنياء طلبوا الراحة فعدموها ووجدها الزهاد فلزموها (ومن المنظوم في ذلك)

يا طالب دنيا لا بقاء لها * كأنما هي في تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غدر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان ما منحت ما ضمنت ارم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم في طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد له * ولا يخاف به موت ولا هرم

(وقال بعض الزهاد وأحسن)

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(آخر)

يا خاطب الدنيا الى نفسه * انته عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غرارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال الا فجائع * عليها وما اللذات الا مصائب
فكم سخنت بالامس عين قريرة * وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وذكرت) الدنيا عند الحسن البصري فقال

ألا انما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا حاولت بالامس لذة * فأفنيتها هل أنت الا كحالم

(آخر)

انما الدنيا كظل زائل * طلعت شمس عليه فاضمحل

كان فى دار سواها داره * علّلته بالمنى ثم ارتحل

(آخر) لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * ولكنها دار انتقال لمن عقل
اذا رفعت حطت وان هى أحسنت * أساءت وان أعطت فايامها دول

(آخر) مذمومة بالهم مخطومة * سم زعاق سم اخلافها
ولم تزل تقتل ألافها * أف لقتالة ألافها

(ويقال) ليس الزاهد فى الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه وانبتت منه ولم تمكنه من متاعها وضاقت عليه مع اتساعها وهو مضطر الى ذلك لظهور عسرته ونفود يسرته وانما الزاهد فى الدنيا من أقبلت عليه وحشدت فوائدها اليه وحسنت له فى ذاتها وأمكنته من لذاتها فأعرض عنها وزهد فيها (شاعر)

اذا المرء لم يزهد وقد جمعت له * ضروب من الدنيا فليس بزاهد

(ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الزاهد فى الدنيا من يكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك (وما أكثر انصاف من قال)

نراع بذكر الموت فى حال ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كان منها فهو شئ محبب

(وقال بعض البلغاء) صاحب الدنيا ساكن راحل وأيامه مراحل وأنفاسه رواحل صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحبرة وعبرة صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب (حكي) أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه كيف ترى مانحن فيه فقال عمر سرور لولا أنه غرور وحرم لولا أنه عدم وملك لولا أنه هلك وحياة لولا أنه موت ونعيم لولا أنه عذاب أليم فظهر فى وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفى سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وكانت ولايته سنة ست وتسعين

﴿الفصل الثالث من الباب الثالث فى أن هفوات العقال لا يغضى عنها ولا تقال﴾

(كما قيل) لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة * للسهو فيها للوضيع معاذر
ذو العلم يعسر أن تقال عثاره * وتقال عثرته الجهول العاثر

ولسليمان بن عبد الملك فيما قصدناه كلام هو النور اللائح والهادى الى الطريق الواضح (وهو قوله) السكوت عما يعنيك خير من الكلام فيما يضرك والسكوت عما لا يضرك خير من الكلام فيما لا يعنيك (وقال) عمر ابن الخطاب رضى الله عنه زلة الرجل تجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر (قال بعضهم)

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(وقالوا) طعن اللسان أنفذ من طعن السنان وجرح الكلام أصعب من وقع السهام (وقالوا) رب لسان أتى على انسان

﴿ذكر من أرسل سهما من فيه فأصاب مقتله ولم يكد يخطيه﴾

(حكي) أن رجلا من الفرس وقف الى شيرويه لما قتل ابرويز فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان يأخذ بالاحنة ويقتل

بالظلمة ويخيف البرى ويذل السرى فلما سمع شيرويه كلامه قال للحاجب احمله الى فلما مثله بين يديه قال كم كان رزقك قال ألفين قال والآن قال ما زيد شيأ قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم ترع له ذلك وأمر بنزع لسانه من قفاه (ولما) ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسين بالمدينة فى أيام أبى جعفر المنصور دخل عليه سديف بن ميمون فانشده أبياتا يحرضه فيها على اظهار الدعوة ويطعن فى دولة بنى العباس يقول فيها

انا لنأمل أن ترتد الفتنا * بعد التبعد والشحناء والاحن
وتنقضى دولة أحكام قادتها * فينا كاحكام قوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم ننهض ببيعتنا * ان الخلافة فيكم يا بنى حسن

فبلغت المنصور الابيات فكتب فيه الى عبد الصمد بن على وكان عامله على مكة فأخذه وقطع يديه ورجليه وجدع أنفه فلم يمت فدفنه حيا (وكان) دعبل الخزاعى هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متحاملا لا يبالى ما صنع حتى عرف بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن حماد الباهرى ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه أبياتا يهجو فيها المعتصم وذكر قوم أنها له وهى

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندى فى الوفاء ككلبهم * لانك ذو ذنب وما أذنب الكلب

فبلغت المعتصم الابيات فأمر بطلبه فهرب الى زويلة بلد بالسودان بناحية المغرب فمات بها وقيل بالاهواز * وقيل لدعبل أنت القائل هذه الابيات قال لا والله ولكن من حشا الله قبره نارا يعنى ابراهيم بن المهدى اشاط بدمى لما هجوته بقولى فيه وهو خليفة

يامعشر الاعراب لاتقنطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف نعطيكم شريجية * لاتدخل الكيس ولا تربط
والمعبديات لقوادكم * وما بهذا أحد يغبط
وهكذا يرزق أصحابه * خليفة مصحفه البربط

(وكان المعتصم) يلقب بالثمانى لانه اتفق له عدد الثمانية فى كثير من أموره ولد فى شهر شعبان وهو الثامن من شهور السنة وهى سنة ثمان وسبعين ومائة وهو ثامن بنى العباس مولدا وثامنهم ولاية وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وعمر ثمانيا وأربعين وغزواته وفتوحاته ثمان وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمان بنين وثمان بنات وترك ثمانمائة ألف دينار ومثلها دراهم الى غير ذلك من عدد الثمانية (رجع ما انقطع) * ذكر أبو القاسم الايادى أن جماعة من بنى أمية دخلوا على أبى العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح اليه أبو العباس بالنظر فلما رأى الغمر ذلك منه أنشده

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لاتناديك من مكان سحيق
والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرى بعقد وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه يميناً وشمالاً وقال لهم انى أريد أن أخلطكم بنفسي واستخلصكم لها فشكروه على ذلك فبينماهم يتحدثون اذ دخل عليهم سديف فأنشد السفاح القصيدة التي أولها * عمر الدين فاستبان مليا * حتى أتى على آخرها فقال السفاح يا ابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال قولا معجلا لحينه وأرباب بني أمية ان شاعرنا لاشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسان فقال السفاح وما قال شاعركم فقال

لو تحمل البخت والافيال مثقلة * أحلامهم تركت عقرى الاباهير

لا يعبثون اذا سجت جحافلهم * زين المجالس فرسان المنابير

فاحمرت عينا السفاح وهاجت به حمة كانت فيه قد سكنت ثم ضرب على فخذ الغمر وقال

طمعت أمية أن تجاوز هاشما * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد ومليكه * حتى يبيد كفورها وحرونها

ثم قال قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان فأعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ما خرجت من الانبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤسهم (ولما) بنى زياد بيضاء البصرة وهي أول بناء بني بالجص والآجر بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس ما يقولون فيها ويبلغوه ويأتوه بالقائل فأتى بانسان قيل انه لما رآها تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فقال زياد ما حملك على هذا قال لم يكن أيها الامير هذا عن قصد وانما خطرت على قلبي فتلاها لساني فقال والله لاعملن فيك بباقي الآية واذا بطشتم بطشتم جبارين وأمر به فبني عليه ركن من أركانها (وكان) أحمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات وكان بمجالس المأمون وكان المأمون اذا تبخر لا يستقصي البخور وتخرج المجمرة بما يبقى فيها فتوضع تحت الرجل والرجل من الجلساء اكراما لهم واعتناء بهم فجاءت النوبة يوما لاحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعه المأمون فقال ألنا يقال هذا ونحن نجيز رجلا واحدا من خدمنا بعشرة آلاف درهم وأكثر ويحك انما قصدنا اكرامك أن أكون أنا وأنت اقتسمنا بخورا واحدا ولا يأبى الكرامة الا لئيم ثم أمر المأمون أن يطرح في المجمرة ثلاث مثاقيل من العنبر ويبخر بها أحمد ويدخل رأسه في طوقه حتى ينفذ ريحها ففعل به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس الى منزله فمات من ليلته

﴿ وممن أسقط من العقلاء في كلامه فكان سببا مؤكدا للومه وايلامه ﴾

ذو الرمة فانه وصف لعبد الملك بن مروان ذكاؤه وجودة شعره فأحب أن يراه فأمر باحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده قصيدته المذهبة وافتتحها بقوله

مابال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلاء مفرية ينسرب

واتفق ان كانت عينا عبد الملك يسيلان دائما فظن أنه عرض به فغضب فقال له مالك يا ابن اللخناء ولهذا السؤال ثم قطع انشاده وأمر باخراجه فأقام حتى أذن للشعراء مرة ثانية فدخل معهم وقد غير ما قال أولا وأنشده

مابال عيني منها الماء ينسكب * حتى انتهى الى قوله

كحلاء في برج صفراء في نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فاجازه وأكرمه وقال له لو أنها قيلت في الجاهلية لسجدت لها العرب (ودخل) أبو النجم الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده أرجوزته التي أولها * الحمد لله الوهوب المجزل * حتى انتهى الى قوله يصف الشمس * وهي على الافق كعين الاحول * ولم يقل الاحول وقطع انشاده وارتج عليه وعلم أنها زلة عاقل تخشى أن تكون غفلة جاهل لان هشاما كان احول فقال له هشام ويلك اتمم البيت وأمر بوجء عنقه واخراجه من الرصافة (ولمامات عبد الملك بن مروان) وذلك في النصف من شوال سنة ست وثمانين وكان عمره يومئذ ستين سنة وأياما وقيل اثنين وستين وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وأياما سجاءا بنه الوليد فأنشده هشام أخوه

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدّما

فلطمه الوليد على فمه وقال اسكت يا ابن الاشجعية فانك أحول أكشف تنطق بلسان شيطان (ودخل) جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعدما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره فأنشد

أتصحو أم فؤادك غير صاح * عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن اللخناء فحصر جرير وخرج خائبا وفي هذه القصيدة يقول مادحا بما لم يأت أحد بمثله

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(خاصم رجلا) خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا الى بلال بن أبي بردة وكان أمير الكوفة وقاضيها فقضى على خالد ثم مر به مركب بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول سحابة صيف عن قليل تقشع * فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتي سوط وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضرباته فنكب بلال بعد ذلك وأحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد جالسا عنده فقال له أيها الامير ان بلالا عدو الله ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت الى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك وهدّ أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهر اللمعصية فقال بلال يا خالد انما استطلت عليّ بثلاث الامير عليك مقبل وعني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك وأنا غريب فأفحمه

﴿ ومن الهفوات الجارية مجرى التطير المؤذن لفظها بالزوال والتغير ﴾

قال علوية كنت مع المأمون لما خرج الى الشأم فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا قصرا من قصورها فوجدناه مفروشا بالرخام الاخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي روضة قد جمعت فيها أنواع الاشجار وفي القصر من أجناس الاطيار ومايغني صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام والشراب فأكلنا وشربنا ثم قال غني بأطيب صوت وألذه فلم يمر بخاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك وعلى بنو أمية لعنة الله فعلمت اني قد أخطأت فأخذت اعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين أتلومني ان أذكر بني أمية وزرياب عبدهم كان يركب في مائتي غلام ومملوك له ومالك ثلثمائة ألف دينار الى غير ذلك من الضياع والاثاث وأنا عبدكم أموت جوعا فقال ماوجدت شيأ تذكرني به نفسك غير هذا ثم سكت ساعة وقال اعدل عن هذا وغني بما اقترحت عليك فلم يحضرني غير هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق ولم * أرضى دمشق لاهلها وطنا

فرماني بالقدح فأخطأني وقال قم الى لعنة الله وحر سقره ثم قام وركب فكان آخر عهدي به حتى مات ومات المأمون لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت خلافته منذ قتل الامين محمد عشرين سنة وأشهرا وله من العمر ثمان وأربعون سنة ومات المعتصم أيضا في هذا العمر وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك عمر عبد الله بن طاهر وتوفي في ربيع الاول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة امارته بخراسان تسع عشرة سنة (ولما) فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه مع جمع من أعيان جلسائه وندمائه سرورا به فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فقام اسحق بن ابراهيم الموصلي وأنشده قصيدة يهنئه فيها أولها

يادار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعري ماالذي أبلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا من بادرته وهفوته مع علمه وفهمه وطول خدمته للملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيرا فذكر انه لم يعد اليه بعد (ومن قبيح ماوقع لابي نواس الذي اساء فيه أدبه وخالف به مذهبه) ماحكي ان جعفر بن يحيي البرمكي بنى دارا وتأنق فيها وانتقل اليها فدخل عليه أبو نواس مع من دخل اليه من الشعراء لهنائها فأنشده

أدار البلا ان الخشوع لبادي * عليك واني لم اخنك ودادي

فعذرة مني اليك بأن ترى * رهينة ارواح وصوت غوادي

ولا دراً الضراء عنك بحيلة * فما انا منها قائل بسعادي

فان كنت مهجور الفناة فارمت * بدا الهجر عن قوس المنون فؤادي

فان كنت قد بدلت بؤسا بنعمة * فقد بدلت عيني قذى برقاد

وختمها بقوله سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغاد

فتطير جعفر لها واظهر الوجوم ثم قال نعيت الينا أنفسنا يا أبا نواس فلم تكن الامدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد (وزعم بعض أهل التاريخ) ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشيء كان في صدره من الممدوح وسبب ذلك ان ابا نواس دخل عليه يوما فلم يهش له ولم يدن مجلسه وكلح في وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد فهش له وأدنى مجلسه واقبل عليه فحمل ابا نواس واغراه الحسد فعمل هذه القصيدة على طريق التطير وقال المبرد في الروضة ان ابا نواس عملها في الفضل بن يحيي (وحكى الصابي في كتاب الهفوات) ان شرف الملك اباسعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنؤنه ويمدحونه فأنشده أحد

الشعراء من قصيدة يعاتبه

وأنت حصني الذي ألوذ به * فاله قد تهدمت شرفه

فتطير من ذلك لمناسبة شرفه بشرف الملك في لقبه ثم انشد آخر قصيدة أولها

عقد الصيام بيوم الفطر محلول * فقدم الكاس فالقنديل معزول

فازداد تطيره وعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فلما كان السابع من شوال قبض عليه
من استدرك هفوة لسانه من العقلاء وردبالاعتذار عنه ما نزل به من البلاء

(يحكى) ان المنصور قال حججت سنة احدى وار بعين ومائة وانا خليفة ماشيا النذر لزمني فانفردت عن الناس فاذا أنا باعمى كنت اعرفه يتردد الى مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت بيده فقال من أنت قلت رفيقك الى الشام وانت تريد مروان بن محمد فرد على السلام وانشد

* آمت نساء بني امية منهم * وبناتهم بمضيعة ايتام
نامت جدودهم واسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له والغضب مستول علي والرفق به مشير الي كم كان مروان اعطاك قال اغناني حتى لا اسأل احدا بعده ما بدا ملكني الغلمان والجواري والمال والعقار قلت واين ذاك قال بالبصرة قال المنصور فلولا ان حق الصحبة منعني عنه كنت هممت به وشفيت نفسي منه فقلت له اتعرفني قال ما اثبتك معرفة ولا انكرك من سوء قلت انا المنصور فأسقط في يده ووقعت عليه الرعدة ثم قال يا امير المؤمنين اقلني جبلت القلوب على حب من احسن اليها فأقلته وانصرفت ثم طلبته بعد ذلك ليسامرني فلم أجده فكان البيداء أبادته قال أبو الفرج الاصفهاني وهذا الاعمى هو أبو العباس بن السائب بن فروخ من بني الليث وقيل من بني الديل بن بكر له في بني أمية مدائح أجزلوا له بها المنائح فمنها قوله

وكل خليفة وولي عهد * لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كنتم * وبعض امارة الامراء داء
وكنتم تحسنون اذا ملكتم * وغيركم اذا ملكوا أساؤا
هم أرض لارجلكم وأنتم * لايديهم وأعينهم سماء

(ولى عمر) رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ لديها * واسق بالله مثلها ابن هشام

فعزله فلما قدم عليه قال له انت القائل وانشده البيت قال نعم والقائل بعده

عسلا بارداء ماء سحاب * انني لا احب شرب المدام

فقال له عمر قاتلك الله كذا قلت ورده الى عمله (واتى) عبد الملك بمصلقة بن هبيرة الشيباني وكان ممن اخذ مع الخوارج فامر بقتله وقال ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فقال يا امير المؤمنين انما قلت امير وفتح الراء فاستحسن ذلك منه واطلقه (فانظر) الى حذق هذا الرجل سكن جأشا بحركة امد عمره من اجلها بالبركة وذلك بفتح الراء من كلمة وجعل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف منصوب ابدا وقبل هذا البيت

الا ابلغ امير المؤمنين رسالة * وذو النصح ماترعاه منك قريب
فانك الارض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فناسو بذا البيت (وقال الحجاج) لعبد الرحمن بن أبي بكرة ماما لك قال لقد ختمت على ألف الف درهم ثم ان عبد الرحمن بن أبي بكرة شعر بزلة لسانه وخاف غائلة الحجاج فتداركها مسرعا وقال ولقد أصبحت وما املك الاخاتمي (وأتى المأمون) برجل ادعى النبوة فقال له ما اسمك قال انا احمد النبي فقال له لقد ادعيت زوراً ثم أمر به ليضرب فلما رأى الرجل الاعوان قد أحاطت به قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فتدارك المأمون مابقي من رمق المنة بالمنة وأورى له زند المحبة بالمحنة وهذا الفن كثير لايحصى ولا يعز وجوده عند الاستقصا

الباب الرابع فى الحمق وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من هذا الباب
فى ذم الجهالة والجنون * وما اشتملا عليه من الفنون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وفى ولدها ضياع وفى حديث آخر لا تسترضعوا الحمقاء فان لبنها يغير الطباع (وقال) عمر رضي الله عنه لم يتم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج الولد مائقاً (حد الحمق) قالوا هو قلة الاصابة ووضع الشئ فى غير الموضع الذى وضع له * وقيل هو فقدان مايحمد من العاقل * وقيل لعمرو بن هبيرة ماحد الحمق قال لاحد له كالعقل (وقال) أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون فأنت منه فى راحة لترك الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه فى تعب لضرورتك اليه وأما العاقل فقد كفيت مؤنته

فمن قولهم فى ذم الحمق واظهار خافيه وأنه داء عضال لا يمكن تلافيه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد (وقيل) من لاعقل له لادين له ومن لادين له لا آخرة له (وقال الشعبي) اذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمته فان أول مايغير منه عقله (وقالوا) الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

(وقال بعض الحكماء) لوجاز لوم الاحمق على أن يعقل جاز لوم الاعمى على أن يبصر (وروى) أن عيسى عليه السلام أتى بأحمق ليداويه فقال أعيانى دواء الاحمق ولم يعينى مداواة الاكمه والابرص وقال الشاعر

وعلاج الابدان أيسر خطبا * حين تعتل من علاج العقول

(وقال) معلم موسى الهادى له فى معرض التقريع له يا أحمق فهشم أنفه فسأله أبوه المهدى عن السبب فقال قال لى يا أحمق ولو قال لى يا مجنون لاحتملته (وقال الشعبى) خطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقام اليه رجل اعرابى وقال ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا انه مجنون فقال الحجاج ان اقرّ بالجنون خليت سبيله فجاء الى الرجل أهله وسألوه أن يقر لهم بالجنون فقال لا والله ولا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ الحجاج كلامه فعظم فى نفسه وأطلقه (وقال الاصمعى) قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجنى على حمقي جناية تذهب مالى ويبقى حمقى (وقال) سعيد بن عمار مكتوب فى التوراة ان من صنع لاحمق معروفاً فهو خطيئة مكتوبة عليه (وقيل) اذا قيل لك ان فقيراً استغنى او غنياً افتقر او حياً مات او ميتاً عاش فصدق واذا بلغك ان احمق استفاد عقلا فلا تصدق (وقالوا) الاحمق تمنى امه لو ثكلته وتمنى زوجته انها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويريد جليسه منه الوحشة

﴿ ومما اخترناه من حكم أولى التجارب فى ذم التعرف بمن هو للنهى محارب ﴾

قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه مجامعة العاقل فى الغل والوثاق خير من مجامعة الجاهل على السندس والاستبرق (وقال) الاحنف بن قيس انى لأجالس الاحمق ساعة فاتبين ذلك فى عقلى (وقال) لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن مخبره قبيح اثره (وقال الجاحظ) لا تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح فان الفساد أشد التحاما بالطبائع (وقال بزرجمهر) مقاساة الاحمق عذاب الروح (وقال) مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك الى احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته (وقالوا) العاقل مرجو خيره على كل حال والاحمق مخوف شره على كل حال (وقالوا) صحبة العاقل فى لجج البحار واهوال القفار ألذ من صحبة الجاهل بين جنات وانهار وألوان اطعمة وثمار (وقالوا) صحبة الاحمق غدر ومجاورته خطر والبعد عنه ظفر (وقال) الحسن بن على بن ابى طالب رضي الله عنه هجران الاحمق قربة الى الله تعالى (وقال) ابن المعتز ان الاحمق ضال مضل ان أونس تكبر وان اوحش تكدر وان استنطق تخلف وان ترك تكلف مجالسته تضر وموالاته تغر ومقارنته شقاء ومفارقته شفاء (وقال) على بن بسام

لا تيأسن من اللبيب وان جفا * واقطع حبالك من حبال الاحمق
فعداوة من عاقل متجمل * اولى واسلم من صداقة اخرق

(وقالت الحكماء) العاقل يضل عقله عند مجاورة الاحمق (وقالوا) مثل الاحمق كالثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر (وقال) مسكين الدارمى

اتق الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانخرق
او كصدع فى زجاج فاسد * هل ترى صدع زجاج يرتتق
واذا عاتبته كى يرعوى * زاد جهلا وتمادى فى الحمق

(وقالوا) الاحمق كالرمل المنهار كلما قومت منه جانبا انهار عليك جانب آخر

﴿ ما يستدل به من ذميم الخلائق على خافي حمق الاهوج والمائق ﴾

(قالوا) مما حكمت به التجربة ان من طالت قامته وصغرت هامته وانسدلت لحيته كان حقيقا على من يراه ان يقرئه عن عقله السلام (ابن الرومي) يهجو الاحي

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالي مخلوقة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا * ة ولكنها بغير شعير
لو رأى مثلها النبي لاجرى * في لحى الناس سنة التقصير

(وقال آخر) صاحبنا الخياط ذو لحية * كأنها في عرضها والكمال
ملحفة للهو مضروبة * ووجهه من فوقها كالخيال

(في التوراة) ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن افرط عليه طولها قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو احمق (وقالت) اعرابية لقاض قضى عليها صغر رأسك فبعد فهمك وانسدلت لحيتك فانشمر عقلك وما رأيت ميتا يقضي بين حيين غيرك (وقال) المأمون اذا طالت اللحية تكوسج العقل (وقال) مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حمق الرجل في اربع طول لحيته وبشاعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال لهم أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال ابو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قيل فأي الطعام احب اليك قال الجلنجبين وهو الورد المربى فأنشد مسلمة

مابعد كنيته وطول لحيته * ونقش خاتمه شك لمعتبر

﴿ وممن شهر بالعقل النافر وعرف بالحمق الوافر ﴾

المعلمون (قال الجاحظ) قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزأ في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس * وقال الشاعر

كفى المرء نقصا أن يقال بانه * معلم صبيان وان كان فاضلا

(آخر) وان أحمق خلق الله كلهم * من كان بالفصل والتعليم مشتغلا
الله صاغهم حمقى وكونهم * نوكى وأوجدهم بين الورى سفلا
ذاعت حماقتهم في الناس واشتهرت * بين البرية حتى أصبحوا مثلا

(وحكى الجاحظ) قال مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت أصعد نظري فيه فقهم عني وأنشدني

ماطار تحت الخافقيــــن أقل عقلا من معلم ولقد جلسنا في الصنا * عة من قريب رب سلم

فكأنما ألقم في حجرا فانصرفت وتركته * وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف يرجى العقل والرأي عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

(ومن أمثالهم) أحمق من معلم ومن راعي ضأن * قال المتنبي

يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه

والنساء (قالوا) لاتدع أم صبيك تؤدبه فانه أعقل منها وان كانت أسن منه بل أدبه بزجرك وهذبه بهجرك (ويقال) عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصى وعقل مائة خصى بعقل امرأة * ويكفى فى ذمهن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين وقوله لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم بوران لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة * والخصيان (قال الجاحظ) فى الخصى عشر خصال متضادة لم يخرج من ظهر مؤمن ولا يخرج من ظهره مؤمن وهو أكثر الناس غيرة وأشدهم قادة وهو أضعف الناس معدة وأشرههم على الطعام وهو أسوأ الناس أدبا ويعلمهم الادب وهو أغزر الناس دمعة وأقساهم قلباً ما خلا مع رجل الا حدثته نفسه أنه امرأة ولا خلا مع امرأة الا حدثته نفسه أنه رجل (بعض الشعراء) يذم الخصيان

ليس حد الخصيان فى الناس الا * شدة الصبر عند سد الفقاح
معشر اشبهوا القرود ولكن * خالفوها فى خلقة الارواح

(وقد بلغ المتنبي) فى هجو كافور الاخشيدى وتعداد معايبه واوصافه فلا حاجة الى ذكرها فى هذا المختصر ولا بد من ايراد شيء منها (فمن ذلك) قوله

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الاولى ملكت كفاك قدرهم * فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لا شيء أقبح من حر له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم

وقوله

العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه فى يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود
أولى اللئام كفيا بغير مقدرة * فلا جميل ولا عفو ولا جود
وذاك أن الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

(قبح الله الشعراء) ما أقل حفاظهم وأكثر ما تتفاوت بالكذب فى المدح والذم ألفاظهم يقول هذا بعد أن قال فيه وقد وصف خيلا أركبها اليه

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضاً خلفها وما قيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

لقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيأ يسيرا وحال بينه وبين العهد الوفاء وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع ويسامحها فى اختيار المبتاع ويخلع خلعة تساوى بدرة على عرض يساوى نقرة ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنه كريمة ولم يعرف له قيمة لو رأى الطمع فى بحر النار لدخله ولو أتاه الدرهم من دبر كلب لاخذه وما غسله فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما عجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطى ثم يسترجع عطيته فكم حر سلبه لحاءه وكم عرض جرد عنه كساءه ومن صحيفة كل منهما ثم شرق فيها ومن طويه زهدها ثم عكف عليها

(وصف بعضهم) الخصيان بادحالهم فقال هم الامناء على الحرم البعداء عن التهم ولهم التظرف والتلطف والوقار وقلة الضحك وهم طراز الملك وجمال الدول وعنوان النعم وكثيراً ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم طريق السياسات ودربوهم * والحاكة (يقال) الحمق عشرة أجزاء تسعة منها فى الحاكة وواحد فى سائر الناس (وقالوا) لو أن للحائك قرناً لنطح به (وسأل رجل) الاعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول فى شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين (وقال الحسن) البصرى من نظر الى طراز حائك لم يرجع اليه عقله اربعين يوماً والسبب فى زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكاً فسألته كيف اخذ فدلها على غير الطريق التى سلك فقالت اللهم توّهه فلا يوجد الا تائهاً وفى رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة الناس وأقلهم عقلا (قيل) لرجل من الحاكة هل فى بلدكم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فاذا كلكم حاكة (قالوا) فلان مجنون وأجن منه لا يكون فلان اذا رأيته نسيت مجنون بنى عامر

﴿ طرف مما ذم به اهل الجهالة المتمسكون بعرى الغواية والضلالة ﴾

يحكى ان أبا الاسود الدؤلى قال اذا أردت ان تقهر عالماً فأحضره جاهلا (وقالوا) لا معية أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه (وقالوا) لا مصيبة أعظم من الجهل (وقالوا) الجهل فى القلب كالاكلة فى الجسد (وقال) بزرجمهر العالم كبير وان كان صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا (وقال) جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما الادب عند الجاهل كالماء فى اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال) وهب بن منبه يقال ان الجاهل اذا تكلم فضحه عيبه واذا سكت فضحه جهله لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وذم اعرابى رجلا فقال فلان أن أعرضت عنه اغتم وان اقبلت عليه اعتز وان حلمت عليه جهل عليك وان جهلت عليه حلم عنك * البشامى يهجو جاهلا

لنا جليس تارك للادب * جليسه من نوكه فى تعب
مخالف يغضب فى حال الرضا * عمداً ويرضى عند حال الغضب
كأنه من سوء تأديبه * أسلم فى مكتب سوء الادب

(وقال بزرجمهر) الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره * وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان فى بنى اسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبح غيره * شاعر يهجو جاهلا

ليس يدرى من الجهالة من ذا * دوّر البعر فى بطون الجمال

آخر

يظن بأن الحمل فى القطف نابت * وأن الذى فى باطن التين خردل

وقالوا فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الارض ولا الطول من العرض ينظر الى العالم نظر المغشى عليه من الموت ان أصاب أحجم وان أخطأ صمم (وقالوا) فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد * وقال الشاعر

يصيب ولا يدرى ويخطى وما درى * وكيف يكون النوك الا كذلكا

(وقالوا) الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود

الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفس وخبث الطوية (ويقال) أشد حوادث الدنيا عالم يجرى عليه حكم جاهل * وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل * شاعر

واذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته منى السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

(وفى منثور الحكم) من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل (وقالوا) لا يرى الجاهل الا مفرطا أو مفرطا يسىء عمدا او يحسن غلطا (وقيل لبزرجمهر) مالكم لا تعاقبون الجهال على أن يعقلوا فقال انا لا نكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا (وقال) بعض الحكماء عمى الجهل أشد من عمى العين لان الاعمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الارض أو يسقط فيما انخفض منها والجاهل ربما عثر فيما لا يستقبل منه ووقع فيما لا مخرج له عنه * ابن الرومى

كالثور عقلا ومثل التيس معرفة * فلا يفرق بين الحق والفند
الجهل شخص ينادى فوق هامته * لا تسأل الربع ما فى الربع من أحد

(وقالوا) الجاهل يجنى على نفسه وليس شىء أحب اليه منها * استأذن رجل من ثقيف على الوليد وعنده عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلعبان بالشطرنج فستر عبد الله الشطرنج فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله فأخبره ثم قال له أقرأت القرآن قال لا والله يا أمير المؤمنين شغلنى عنه أمور وهنات قال أرويت من الحديث شيأ قال لا والله يا امير المؤمنين قال اتعرف الفقه قال لا والله يا امير المؤمنين فكشف عن الشطرنج وقال شاهك يا ابا جعفر فقال عبد الله لو رفعت فقال العب فما عندك أحد

﴿ومن صفات من عدم خلال النهى واعتراه فى عقله اختلال فو هى﴾

ان تكلم عجل وان حدث وهل وان استنزل عن رأى نزل وان حمل على باطل فعل (ومن علاماته) الغضب فى غير شىء والكلام فى غير نفع وافشاء السر والثقة بكل أحد وان لا يعرف صديقه من عدوه (ومن علاماته) العجلة والخفة والتوانى والضياع والتفريط والغفلة والسهو (ومن علاماته) ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان فرح اشر وان بكى خار وان ضحك نهق وان اعطيته كفرك وان اعطاك من عليك (وقالوا) من علامات المائق كثرة الالتفات وسرعة الجواب وتحريك الرأس اذا مشى واذا اعتبرنا هذه الخلال الرذلة وجدناها فى كثير من الناس فلا نكاد نعرف العاقل من كثرة الالتباس كما قال عليه الصلاة والسلام ليس من أحد الا وفيه حمقة فيها يعيش * وقال وهب بن منبه خلق ابن آدم أحمق ولولا ذلك لما هنأه العيش (نادرة) قيل لبهلول عدّ لنا المجانين فقال هذا يطول ولكنى أعدّ العقلاء * نظر الى هذا المعنى بعض الشعراء فقال واجاد

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا اقل من القليل

﴿الفصل الثانى من الباب الرابع﴾

فى ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة

فمن شهر منهم بالملح وعرف واستحسن كلامه النادر واستظرف

جعيفران واسمه جعفر وانما صغر للتحبيب وهو القائل فى نفسه

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه اضحى لقوم كثير * فكلهم يدّعيه

هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

ويقال ان هذه الابيات وضعها فى دعبل فيكون قوله * مادعبل لابيه والرواية الاولى هى التى رواها أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى وكان جعيفران متشيعا قيل له يوما اشتم فاطمة وخذ درهما قال لابل اشتم عائشة وآخذ نصف درهم * واستقبلته امرأة صبيحة فبدر اليها وقبلها فانكب الناس عليه يضربونه فأنشد علقوا اللحم للبزا * ةعلى ذروتى عدن

ثم لاموا المحب فيه على خلعه الرسن لو ارادوا عفافه * نقبوا وجهها الحسن

(ووقف) على على بن اسمعيل الهاشمى فقال له اعطنى درهما فأمر الغلمان بطرده فطردوه فولى وهو ينشد

قد زعم الناس ولم يكذبوا * انك من غير بنى هاشم

فقال لغلمانه ردّوه واعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

قد كذب الله احاديثهم * ياهاشمى الاصل من آدم

(وحكى الجاحظ) قال كان جعيفران يماشى رجلا فدفعه الرجل على كلب فقال له ماهذا قال اردت ان اقرنك به قال فمع من انا منذ الغداة *وتشاجر رجلان فى رجل ادّعياه فقال احدهما هو من طفاوة وقال الآخر هو من بنى راسب وتحاكما الى جعيفران فقال ألقوه فى الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بنى راسب قال النسابون راسب بن سعدان بطن من الازد وطفاوة من ولد اعصر وهو منبه بن سعد بن قيس عيلان وهذه الحكاية نسبها الميدانى فى كتاب الامثال لهبنقة الليثى المضروب به المثل فى التغفل والحمق

﴿ ومن مشاهير مجانين الكوفة البهلول ذو العقل السقيم والذهن المفلول ﴾

ولد لاسحق بن محمد الصباح بنت فساءه ذلك وامتنع من الطعام والشراب فدخل عليه بهلول وقال ايها الامير ماهذا الجزع والحزن جزعت لخلق سوى وهبة الملك العلى ايسرك ان يكون مكانها ابن وانه مثلى فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب واذن للناس بالدخول عليه للهناء (ومر) بهلول بقوم في اصل شجرة يستظلون بفيئها فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمعوا اليه قال أحدهم يا بهلول تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها فى كمه ثم قال هاتوا سلما فقالوا لم يكن فى شرطنا سلم قال كان فى شرطى دون شرطكم * وسئل عن مسئلة من الفرائض وهى رجل مات وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيأ فقال للابن اليتم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت ومابقى من الهم فللعصبة * وحمل عليه الصبيان يوما فألجؤه الى دار مفتوحة فولجها فوجد فيها قوما وبين ايديهم مائدة فيها من انواع الاطعمة ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فرجع وغلق الباب ودخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ الى دار بعض العلويين فرأى رجلا ضخما بضفيرتين فقال ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى

الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فخرج الرجل واغلق الباب وحماه من الصبيان *وحمل عليه الصبيان يوما فالجوءه الى مضيق فشد عليهم بالقصبة وهو يقول

اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه من الفرج

(وسمع البهلول) مجنونا يقول يوم عيد يا ايها الناس انى رسول الله اليكم فلطم وجهه وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال له الرشيد يوما من احب اليك قال من اشبع بطنى قال انى اشبعك فهل تحبنى قال له الحب لا يكون بالنسيئة وأحضره يوما واجلسه فى صحن الدار وجلست ام جعفر حيث لا يراها وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له الرشيد عد لنا المجانين فقال اولهم انا والثانى هذه واشار الى ام جعفر فقال له عيسى يا ابن اللخناء تقول هذا الاختى قال بهلول وانت الثالث ياصاحب العربدة فقال الرشيد اخرجوه فقال بهلول وانت الرابع (وقال) رجل لبهلول قدامر الامير لكل مجنون بدرهمين فقال له امض وخذ نصيبك لئلا يفوتك (وقيل) ايما افضل ابو بكر او على فقال اما وانا فى كندة فعلى واذا كنت فى بنى ضبة فأبو بكر وكندة فى الكوفة من غلاة الشيعة وبنو ضبة اهل نصب وهم اصحاب الجمل

﴿نبذ مما يجلب التسلى لقلب المحزون من الفكاهات المحكية عن عليان المجنون﴾

ذكر انه وصف للمأمون فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وامر به ان يجلس فى مجالس العامة ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال عليان ان تسخروا منا فانا نسخر منكم فسوف تعلمون فهابه المأمون وعظم فى عينه بها (ومر به) رجل وهو يأكل تمرا والصبيان يؤذونه فقال الرجل انظر الى هذا التمر من رحمة الله وهؤلاء الصبيان من عذاب الله *وتولع الصبيان به يوما فقال له رجل هل لك فى طردهم عنك قال نعم وانت معهم (ورآه رجل) وهو يأكل تمرا فى السوق فقال له يا عليان اتأكل فى السوق قال من جاع فى السوق اكل فى السوق * ورآه من لا يعرفه فقال له انت مجنون فقال كل الناس مجانين ولكن حظي اوفر *وقال له رجل ما الذى صبرك الى ما أرى قال محتوم القضا *وقال له من لا يعرفه اغريب انت قال أما عن العقل فنعم واما عن البلد فلا * وادخل بهلول على الرشيد وعنده عليان فكلمهما فأغلظا له فى القول وامر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثة فضحك الرشيد وعفا عنهما * ومات ابوه وخلف ستمائة درهم فأخذها القاضى وحجر عليه ليختبر عقله فجاءه بعد مدة فقال له انك حجرت على لما علمت انى مصاب فى عقلى وانا جائع فادفع لى مائتى درهم حتى اقعد بها فى اصحاب الخلقان ابيع واشترى فان رأيت منى رشدا اجنحت الى الباقى وان اتلفتها كان الذى اتلفت اقل مما بقى فأعطاه مائتى درهم فأخذها ولزم الحيرة حتى انفدها ورأى القاضى بعد ذلك فقال يا عليان ما صنعت بالدراهم قال انفقتها فليزن القاضى اعزه الله من ماله مائتى درهم ويردها الى الكيس حتى يرجع المال الى ما كان عليه

﴿طرف من لطائف اخبارهم الانيقة ونتف من لطائف نوادرهم الرشيقة﴾

(حكى) أن ثمامة بن اشرس قال بعثنى الرشيد الى دار المجانين لاصلح ما فسد من حالهم فرأيت فيهم شابا حسن الزى كانه صحيح العقل فقال لى يا ثمامة انك تقول ان العبد لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لديها وانت تبيح المطبوخ ارأيت لو سكرت ونمت وقام اليك غلامك وأولج فيك مثل ذراع

البكر فقل لي اهذه نعمة يجب الشكر عليها او بلية يجب الصبر لديها قال ثمامة فلم ادر بماذا اجيبه فقال مسئلة
قلت ماهي قال متى يجد النائم لذة النوم ان قلت في حال نومه فمحال وان قلت اذا استيقظ فبعيد ان يجد لذة شيء
انقضى ومضى فبهت لا احير جوابا فقال مسئلة اخرى قلت وماهي قال انك تزعم ان لكل امة نذيرا
فانذير الكلاب قلت لا أدري فقال اما الجواب عن المسئلة الاولى فيجب ان تقول النعم ثلاثة نعمة يجب
الشكر عليها وبلية يجب الصبر لديها وبلية يجب الصبر عنها فهذه من القسم الثالث وهي البلية التي يجب الصبر عنها
واما المسئلة الثانية فالجواب عنها انها محال لان النوم داء ولا لذة مع وجود الداء واما المسئلة الثالثة واخرج
من كمه حجرا وقال اذا عدا عليك كلب فهذا نذيره ورماني بالحجر فأخطأني وأصاب الاسطوانة فلما رآه
قد اخطأني قال فاتك النذير يا ايها الكلب الحقير فعلمت انه مجنون وان عقله مصاب فتركته
وانصرفت وقنعت من الغنيمة بالاياب (وكان) في بني أسد مجنون يسمى لغدان فمر بقوم من بني تيم الله بن
ثعلبة فعبثوا به فقال يابني تيم الله ما أعلم في الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال لان بني أسد ليس فيهم مجنون
غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين وليس فيكم مقيد (وكتب) بعض المجانين الى عاوة كتابي
اليك لثلاث ساعات من ليلة الميلاد التي صبحها يوم المهرجان ودجلة تطفح بالماء مباهيا والحجارة لا تزداد
الا كثرة والصبيان فللهم الله وبدد شملهم لا يزدادون الا وقاحة فان قدرت أن لا تبيت الا وحولك حجارة
فافعل واستعمل قول الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم (وركب) بختيشوع المأمون فتعلق به مجنون وقال أيها الطبيب جس نبضي فجسه وقال له ماتشتكي
قال الشبق فقال له خذ سواك اراك وادخله من وراك فانه صالح لذاك فرفع المجنون فخذه وضرط وقال
خذ هذا جزاك حتى نجرب دواك فان كان صالحا لذاك شكرناك وزدناك ولا يكون لنا طبيب سواك
فخجل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون (ووقف) صباح الموسوس على قوم فسألهم شيأ فردوه
فولى وهو ينشد

أسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس

(وقال بعضهم) رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يؤثر كل واحد منهما صاحبه به وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما
وأنا أظن اني أربح عليهما انا آكله ان لم تأكلاه فقال أحدهما يا أحمق ان معه ادما لا يسوغ الا به قلت وماهو
قال ضيق الخنق ووجع العنق فوليت عنهما فقالا يا مجنون لولا غضاضة الادم لا كلناه منذ حين (وسمع)
ابو الصقر المجنون سقاء يصيح في يوم حر هذا يوم يسقى فيه الماء فقال وأي يوم يطعم فيه الخبز (وحكى) على
ابن الجهم الشاعر قال مررت بمجنون والناس مجتمعون عليه يعبثون به فلما رآني قصدني دونهم وأخذ
بعنان بغلتي ثم أنشد

لا تحفلن بمعشر الـ * همج الذين تراهم
فوحق من أبلى بهم * نفسي ومن عافاهم
لو قيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم جال بطرفه في الحلقة فرأى فيها شابا مليح الوجه حسن الهيئة فوثب اليه ومزق ما كان عليه ثم نظر الي
وأنشد

هذا السعيد لديهم * قد صار بي أشقاهم

(ووقف) بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه فقال لهم أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم
ضاربيه قالوا لا قال فهبوني حمارا فانه لا عقل لي فرقوا له واطلقوه (وقال المبرد) دخلت دار المجانين فوقفت

نجاه مجنون واخرجت لسانى نحول وجهه عنى فجئت الى الناحية التى حول وجهه اليها واخرجت لسانى نحوّل وجهه الى ناحية أخرى فجئت اليه وفعلت مثل ذلك فلما اضجرته رفع رأسه الى السماء وقال أنظر يارب من حلوا ومن ربطوا

﴿ ما اختير من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم فى سلك جواهر الجدّ والهزل ﴾

(حدّث) ابن حبيب فى كتابه الذى صنفه فى اخبار عقلاء المجانين باسناده الى ابى اسحق ابراهيم الابلى قال رأيت غورنا المجنون يوما خارجا من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يبكى فقلت له ما خبرك يا ابا محمد قال اذانى هؤلاء الصبيان اما يكفينى ما انا فيه من العشق والجنون قلت ما اظنك مجنونا قال بلى والله وعاشق قلت وهل قلت فى عشقك شيأ قال نعم ثم انشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حدّ وهذا له حدّ
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا * على مهجتى ان لا يفارقها الجهد
وأى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين مامنهما بد

قال الابلى فوليت عنه فقال قف واسمع ما اقول فان شرح غرامى على الخلى يطول فوقفت فأنشد

جنون ليس يضبطه الحديد * وحب لا يزول ولا يبيد
فجسمى بين ذاك وذا نحيل * وقلبى بين ذاك وذا عميد

ثم قال لى انصرف ما سمعته يكفيك * واخذ يوما بيد المتهم بعشقه فقال له المعشوق رجاء الخلاص منه كيف اصبحت فقال

اصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
* واراك نحوى غير ملتفت * منحرفا عن غير منحرف
* يا من اطال بهجره اسفى * اسفى عليك اشد من تلفى

(وحكى ايضا) ان هرون الرشيد مرّ بدير فى ظاهر الرقة فلما اقبلت مواكبه اشرف اهل الدير ينظرون اليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هرون رمى بنفسه بين يديه وقال يا امير المؤمنين قد قلت فيك اربعة ابيات فأنشدك اياها قال نعم فأنشده

لحظات طرفك فى العدا * تغنيك عن سل السيوف
وعزيم رأيك فى النهى * يكفيك عاقبة الصروف
وسيول كفك بالندى * بحر يفيض على الضعيف
وضياء وجهك فى الدجى * ابهى من البدر المنيف

ثم قال يا امير المؤمنين هات اربعة آلاف درهم اشترى بها كيسا وتمرا فقال هرون تدفع له فحملت الى اهله

(وحكى ايضا) قال ادريس بن ابراهيم اللخمى سمعت مجنونا انشد فى يوم غيم

ارى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * واقتامه فاليوم لاشك ماطر

فقال بديهاً من غير روية

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المعاجر

(ومرّ) ابراهيم بن المدبر بالاهواز وقد صرف عنها فتعرض له مانى الموسوس واسمه محمد بن القاسم فأخذ بلجام بغلته وقال

ليت شعرى اى قوم اجدبوا * فأغيثوا بك من طول العجف
نظر الله اليهـــم دوننا * وحرمناك لذنب قد سلف
ياابااسحق سر فى دعـــة * وامض محموداً فما عنك خلف
انما انت سحاب هاطل * حيثما صرفه الله انصرف

فأمر له بستمائة درهم (ونظر) اليه انسان وهو يأكل تمراً ويبلع نواه فقال له لم لاترمى نواه قال هكذا وزن على * وقيل له في كم يصير الانسان مجنونا فقال على قدر الصبيان * ومن شعره

زعموا أن من تشاغل باللـذات يوماعن حبـه يتسـلى
كذبوا والذى تساق له البد * ن ومن دار بالطواف وصلى
ان نار الهـوى احر من الجمـر على قلب عاشق يتصـلى

واخبار مانى احلى من مسامرة الامانى لكن استيفاؤها ربما يخرج عن الغرض ويبدل جوهر ماشرطناه بالعرض (وحكى المبرد) قال خرجنا من بغداد الى واسط فملنا الى دير هرقل ننظر الى المجانين فنظرنا الى فتى منهم ناحية عنهم فملنا اليه وسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام فقال له ماتجد فقال

الله يعلم اننى كمد * لااستطيع ابث ماأجد
روحان لى روح تضمنها * بلد واخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يفوتها جلد
واظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى اجد

فقلنا له احسنت فأومأ بيده الى شئ ليرمينا به فولينا هاربين فقال سألتكم بالله الامارجعتم حتى انشدكم فان احسنت قلتم أحسنت وان اسأت قلتم أسأت قال فرجعنا فقلنا له قل فأنشدنا

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العـين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم * نادبت لا حملت رجلاك ياجمل
ويلى من البين ويل حـل بى وبها * من نازل البين جد البين وارتحلو
ياحادى العيس عرج كى نودعهم * ياراحل العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم انقض مودتهم * ياليت شعرى لطول الدهر مافعلوا

قال فقلنا له ماتوا فصاح وقال أناوالله أموت وأستلقى على ظهره وتمدد فمات فمابرحنا حتى دفناه رحمة الله عليه

﴿ الفصل الثالث من الباب الرابع ﴾

فى احتجاج الاريب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ عبر بالافئدة وهى القلوب عن العقول لانها مقرها (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفى طريق آخر ان الله يحاسب كل امرئ على مقدار عقله * وفى بعض الآثار ماجعل الله لرجل عقلا وافرا الا احتسبه عليه من

رزقه وقيل من زيد فى عقله نقص من رزقه

﴿ماقيل فى ان لذاذة العيش لاتحصل الا بالجهالة والطيش﴾

(ذكر) ان بعض الحكماء سئل من أقر الناس عينا واحسنهم حالا واطيبهم عيشا وانعمهم بالا فقال من كفى أمر دنياه ولو لم يهتم لآخرته * أخذه المتنبي فقال

تصفو الحياة لجاهل أوغافل * عما مضى فيها ولايتوقع
ولمن يغالط فى الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فيطمع

(ولابى بكر الكاتب)

من رزق الحمق فذوا نعمة * آثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهم عن نفسه * والفكر فى الدنيا وفى الآخره

(وقال حكيم) ثمرة الدنيا السرور ولاسرور للعقلاء * وقال الشاعر

الروح والراحة فى الحمق * وفى زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش فى راحة * فليلازم الجهل مع الحمق

(ومن أمثالهم) ماسر عاقل قط * وقولهم الهم والعقل لايفترقان * وقولهم استراح من لاعقل له * وقال بعض الحكماء العاقل فى ربقة من عقله تحجبه عن اللذات وتصده عن الشهوات فتى جرى على حكم البشرية فأطاع هواه واتبع غرضه ومنه قيل زلة عاقل وهفوة ذاكر فنعوذ بالله من شرها ونرغب الى الله فى الكفاية منها * وقال الشاعر أرى العقل بؤسا فى المعيشة للفتى * ولاعيش الا ماحباك به الجهل

(وقالوا) الجاهل ينال اغراضه ويظفر بآرابه ويطيع قلبه ويجرى فى عنان هواه وهو برئ من اللوم سليم من العيب تغفر زلاته وتتعمد هفواته * وقال آخر الجاهل رخى الذرع خالى البال عازب الهم حسن الظن لايخطر خوف الموت بفكره ولايجرى ألم الاشفاق على ذكره (وقالوا) الجهل مطية المسرة والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابى صاحبه فى زمام من عهدة اللوم والعتب وأمان من قوارص الذم والسب * وقال الشاعر ورأيت الهموم فى صحة العقل فداويتها بامراض عقلى

(وقال) المغيرة بن شعبة ما العيش الا فى القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل
وألقى عصاه عامدا فى بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل فى المعنى زائدا عن الآراب وحائلا دون الاغراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكم بين الطليق والعانى وأين المعقود من الشارد وهل من يتصرف على اختياره ويجيب داعى أهوائه كمن يقسر ويحصر ويكره ويجبر (وقالوا) لولم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام اذهما عين الشجاعة والبسالة وسببان لتحصيل الرفعة والجلالة وقال شاعرهم

مالى وللعقل لاأصحبته أبدا * فالعقل ينزل دار الذل والهون
لقد تعاقلت دهرا لاارى فرحا * ومذ تحامقت صار الناس يدنونى

(وقال يحيى بن اكثم) ما رأيت العقل قط الا خادماً للجهل (وقالوا) كم عاقل اخره عقله وجاهل صدره جهله (وقال) الشريف ابو يعلى بن الهبارية

تجاهلت لما لم أرى العقل شافعاً * وانكرت لما كنت بالعلم ضائعاً
وما نافعي عقلي وفضلي وفطنتي * اذا بت صفر الكف والبطن جائعاً

(وما احسن) قول عبد الله بن المعتز في هذا المعنى مع زيادة للمصنف العقل كالمرآة المصقولة يرى صاحبها فيها مساوي الدنيا فلا يزال في محو ومهموماً متعذر السرور حتى يشرب الخمر فان اكثر منها غشيه الصدا كله حتى لا تظهر تلك المساوى فيفرح ويمرح * والجهل كالمرآة الصدية لا يرى صاحبها الا مسروراً ابداً قبل الشرب وبعده من هنا للمصنف (فالعاقل) يستدعي حالة الجهل الى نفسه لترادف الهموم عليه في العواقب والغرض في اكتساب المحامد والمناقب فاذا ضاق بهاذرعا ولم يستطع لردائها نزعا احتال على ذهابها بالشراب لينحل عنه عقال الهموم والاتراح بأيدي المسرات والافراح (ومن) مستظرف ما نظم في هذا المعنى قول ابي معاذ بشار بن برد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * والعيش في الدنيا لغير العاقل
رحلت عيسا من كرائم بابل * فغدوت من عقل بيعد مراحل

ومن أحاسن أقوالهم في أن العقل طريق الى العناوسد يمنع صاحبه من الوصول للغنى

(روى) عن الامام محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه قال وكل الله الجهل بالغنى والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل ولبعلم أن ليس له من الامر شيء (وفي مثل هذا) يقول نصر بن احمد المعروف بالخبزارزي

سبحان من قدر الاشياء منزلها * وصير الناس مرفوضاً ومرموقا
فعاقل فطن أعيت مذاهبه * وأحمق جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

(قال رجل) لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما اصنع بالمناظرة رأيت الظاهر فاستدللت به على الباطن رأيت الاحمق مرزوقاً والعاقل محروماً فعلمت ان التدبير ليس من العباد (وقيل) اعجب الاشياء نجح الجاهل واكداء العاقل حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم (قال حبيب بن أوس الطائي)

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدى الفتى في دهره وهو عالم
فلو كانت الارزاق تجري على الحجى * هلكن اذاً من جهلهن البهائم

(المتنبي)

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(آخر)

العقل ليس بمسعد خلقا اذا * ما طال حتى يسعد المقدور
وحكومة الايام يسعد جاهل * فيها ويشقى العالم النحرير

آخر

لو كانت الارزاق يدركها الفتى * بجلادة أو قوة وشراس
لاخذت أفضلها ببارع همتى * وبمنطقي وبمجلسي ومراسي
لكنها قسم وليس بمدرك * مالم يقدره الاله الناس

(حدث ابن حبيب) في كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن علي بن عطاف قال كان عندنا رجل عاقل ظريف اديب يسمى عامرا وكان مع كثرة أدبه محروما فقيل لي انه قد تحامق فجعلت أتطلبه حتى ظفرت به في بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ماهذه الحالة فأنشد عجلا ومرتجلا

يا عاذلي لا تلم أخا حمق * يضحك فالحمق ألوان
حمقت نفسي لكي أنال غنى * فالعقل في ذا الزمان حرمان

(وكان) الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال حماقة تعولني خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلوني على الحماقة جهلا * وهي من عقلهم ألذ وأحلى
حمقي اليوم قائم بعيالي * ويموتون ان تعاقلت ذلا

﴿ومن المنظوم في أن من أفعال الزمان الباس العقلاء أسمال الحرمان﴾

(أبو يعلى بن الهبارية)

الجهل أروح للفتى من عقله * يمسي ويصبح آمنا مسرورا
ترك العواقب جانبا عن فكره * وسعى رواحا في الهوى وبكورا
والعقل يعقله على حسراته * ويصده فيرده محسورا
وتراه مهتما كثيرا همه * يحيا أسيرا أو يموت فقيرا
لما علا الجهال في أيامنا * ورقوا ونالوا منزلا وسريرا
أخفيت علمي وأطرحت فضائلي * علي أكون اذا جهلت أميرا

(آخر) دع عنك عقلك فالعقول مخارق * لا ينفع الانسان الا جهله
كم عاقل أمسى عقالا عقله * دون المنا وغدا فضولا فضله

(آخر) ولما رأيت الدهر أحمق جاهلا * يصيب ولا يدري ويخطي ولا يدري
ينيل ويعطي الاحمق الغمر سؤله * ويقصد ابناء الفضائل بالعسر
فيمنعهم من القرى ويذودهم * اذا وردالنوكى تحامقت للدهر

(عبد القاهر الجرجاني)

كبر على العقل يا خليلي * ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا تعش بخير * فالسعد في طالع البهائم

(آخر) طاب عيش الرقيع في ذا الزمان * والجهول الغفول والصفعان
فاغتنم حمقك الذي انت فيه * تحظ بالمكرمات والاحسان

(اخر) اذا كان الزمان زمان حمق * فان العقل حرمان وشوم
فكن حمقا مع الحمقى فاني * أرى الدنيا بدولتهم تدوم

(آخر) ان اما فيه تسربلت خزا * وترديت في الرجل البرودا
لزمان أبدى النحوس الى النا * س وأخفى عن العيون السعودا

(آخر) قد كسد العقل وأصحابه * وفتحت للجهل أبوابه
فاستعمل الحمق تكن ذا غنى * فقد مضى العقل وأربابه

(آخر) تحامق مع النوكي اذا ما لقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى فعل
فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

(آخر) أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

(وقال) بعض ظرفاء الادباء وهو أبو الحسن المائق

طلبت الرزق بالحذق * من الغرب الى الشرق
فلم يكسبنى العقل * سوى البعد من الخلق
فأدبرت عن العقل * وأقبلت على الحمق
فخاف الناس اشعاري * وقالوا أحمق الخلق
وجاؤا لابى الجحش * بما شاء من الرزق
فمن لام على الحمق * فقد حاد عن الحق

وعماذكر ان الحظ أجدى لصاحب الحجا
وأهدى فى طرق مآربه من نجوم الدجى

ماحكى أهل التجارب فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعلة والمعلول لا ينفصل لاحدهما عن الآخر (قالوا) افراط العقل مضرّ بالجدّ (وقيل) استأذن العقل على الجد فحجبه فقال اذهب انت بى لا أنا بك (قال شاعر)

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

(آخر) لا تنظرن الى عقل ولا أدب * ان الجدود حديقات الحماقات

(آخر) الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجدك فى الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(آخر) متى ما ترى الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والله من حيلة الفتى * ولكن أحاظ قسمت وجدود

(آخر) لا تنظرن الى الجهالة والحجا * وانظر الى الادبار والاقبال
كم من صحيح العقل أخطأه الغنى * وعديم عقل فاز بالاموال

(ودعت) أم الاسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظا يخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ (وخير رجل) بين أمرين فأبى ان يختار وقال أنا بجدى أوثق منى بعقلى (ومن أمثالهم) أن تجدّ فلا تكدّ (قال) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السما كان السماك كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

(وقال بعضهم)

قالوا أقمت ومارزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فاجبتهم ما كل سير نافع * الحظ ينفع لاالرحيل المقلق
كم سيرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتئب الحريص ويخنق
كالبدر يكتسب الجمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

(آخر)

لايوجد الرزق بالامعان فى الطلب * ولا بكد ولاحرص ولاتعب
بل الحظوظ التى تعلو بصاحبها * لابالحظوظ التى فى سائر الكتب
كم من غلام أديب فيصل ذكر * شهم مهيب كحد السيف ذى الشطب
يمسى ويضحى من الافلاس فى تعب * يقلب الكف بالنيران واللهب
وآخر جلف طبع لاخلاق له * مذبذب العقل نور امتن الذنب
لايعرف الميم من واو اذا كتبا * ولايميز بين التين والعنب
قد أقبلت نحوه الايام ضاحكة * وأخدمته الليالى كل ذى حسب

(وللشافعى رضى الله عنه)

بالجد يدنو كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا وأثمر فى يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
لوكان بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أقطار السماء تعلق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذوهمة يبلى برزق ضيق
فلربما مرت بقلبى ضجرة * فأود منها أننى لم أخلق

(ويقال) اذا أقبل جد المرء فالاقدار تسعده والاوطار تساعده واذا أدبر فالايام تعاديه والنحوس تراوحه وتغاديه (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا والى هذا أشار حبيب بن أوس فى قوله

واذا تأملت الجبال وجدتها * تنزى كما تنزى الرجال وتعدم

(وقال آخر) وهو أبدع ماقيل فى هذا الباب

واذا السعادة لاحظتك بعينها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وقال ابن نباتة ألا لاتخش مايرجى وجدك هابط * ولاتخش من شئ وجدك رافع

فلانافع الا مع النحس ضائر * ولاضائر الا مع السعد نافع

(آخر) اذا كنت مرموقا بعين سعادة * فلاتخش يوما من رجوع الكواكب

فان الذي قد قرب الله سعده * بعيد لعمرى من صروف النواكب

(ومن الظريف) المطبوع فى هذا الباب قول محمد بن شرف القيروانى

اذاصحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب

ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب

﴿ الباب الخامس فى الفصاحة وفيه ثلاثة فصول ﴾

الفصل الاول من هذا الباب

﴿ فى ان الفصاحة والبيان أزين ماتحلت بهما الاعيان ﴾

قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا (حد البيان) قال الجاحظ فى كتابه الذى سماه البيان والتبيين البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقة اللفظ ويهجم على محصوله كائنا ما كان (وقيل) لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ما البيان فقال ان يكون الاسم محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك (وقال آخر) خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقيه وموجزا ليخف على اللسان تعاطيه

﴿ فمما ورد عن جهابذة هذا العقيان مدح موهبتى الفصاحة والبيان ﴾

قول ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وقال سهل بن هرون البيان ترجمان اللسان وروض القلوب (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالفصاحة فى منطقك فانها مع صواب لفظك كالريش البهى فى حسن الصورة (ويقال) من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار (وقال) هشام بن عروة ما أحدث الناس مروأة أعجب الىّ من الفصاحة (وقال) بعض البلغاء الفصاحة أوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل وأقوى دليل على استكمال الذكاء والنبل لم تزل تشيد لاهلها فى ربوع المجد فخرا وترفع لهم فى مراتب العلوم ذكرا وبها سوّدت غير مسود ورفعت من الحضيض الاوهد الى محل النسر والفرقد (ويقال) بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الجلى من أمره والمستور فان العزيز لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شانه

﴿ ومما يتميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان ﴾

(قال) بعض الحكماء الكلام حد الانسان الحى الناطق (وقالوا) الصمت منام والكلام يقظة وقال عبد الملك بن مروان ان الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضياء يجلو الظلم حاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الاغذية (ويقال) حد الانسان انه ناطق فمن كانت رتبته فى النطق أبلغ كان بالانسانية أخلق (وقال) أبو الفرج الببغاء فى رسالة له مدح فيها الكلام الحيوان كله متساو بنعت الحركة والنموّ والانسان والبهيمة باشتمال هذا الوصف عليهما سيان وانما فضل العالم الانسى بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب الى العقل فاذا صحت بهذه القاعدة ان الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع فقد وجب أن

يكون أكمل هذا الجنس فضلا وأحمد هذا العالم فعلا ومن كان قسطه بفضيلة النطق موفورا فمحله من ربع البلاغة معمورا (وقال أيضا) من زعم أن الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد حكم على الكلام بالنقصان وأحل الى محل البيان ولو كان الصمت افضل من الكلام لتعبدنا الله به فيما انشدنا به بالالهام وكان توحيد الله بحجج العقول في غنى عن واسطة أو رسول (وقيل) لبعض الحكماء ايما افضل الصمت أو النطق فقال ان الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق لبيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وماعبرت به عن شئ فهو افضل منه (ويقال) من فضل الناطق على الصامت ان الناطق يهدى ضالا ويرشد غاويا ويعلم جاهلا (وقيل) لزيد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم الصمت خير أم الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للعى والله للمماراة أسرع فى هدم العى من السنان فى نبش العرفج (وقال آخر) الصمت مفتاح السلامة ولكنه قفل الفهم (وقال الشاعر)

خلق اللسان لنطقه وكلامه * لا للسكوت وذاك حظ الاخرس

فاذا نطقت فكن مجيبا سائلا * ان الكلام يزين رب المجلس

(وقالوا) اللسان عضو ان مرنته مرن وان تركته حرن (وقالوا) اللسان اذا كثرت حركته رقت عذبته كالرجل اذا عودت المشى سعت (وقال) خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الاصورة ممثلة أو بهيمة مرسلة أو حالة مهملة (وقال أيضا) لسان الفتى أوجه شفعائه وأنفذ سلاحه على اعدائه به يتصل الود ويحسم الحقد (شاعر)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الاصورة اللحم والدم

(وقال) بعض البلغاء مغرس الكلام القلب وزارعه الفكر وقيمه العقل وزهره الاعراب وثمره الصواب وجانيه اللسان

﴿ ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان ﴾

قالوا اللسان جوهر الانسان من خصائصه ان الله رفع قدره على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وألهمه لتمجيده ومن خصائصه انه اداة يظهر بها البيان وظاهر يخبر عما بطن فى الجنان وحاكم يفصل بالخطاب وناطق يرد الجواب وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن الفحشاء وشاهد يسأل به عن الغائب وشافع تدرك به المطالب وموثق يلهى الخاطر ومؤنس يزيل وحشة النافر ومعز تسكن به غلة الخليل ومزين يدعو الى الجميل وزارع ينبت الوداد وحاصد يذهب الضغائن والاحقاد

﴿ ومما ينال به الخامل أعلى الرتب التحلى بأنواع جواهر الادب ﴾

الادب نوعان نفسى وكسبى فالنفسى بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الافعال الدالة على كرم الطباع والكسبي ما استفادته الانفس من أحاسن الاقوال الآخذة بأعنة القلوب والاسماع وهو الذى ترجمت عليه فى هذا الموضع ليقع ذكره في النفوس أحسن موقع لترمقه لاجل العيون بالاجلال وتجمل النفوس به لميلها اليه بتتابع الادلال وهو الظرف في اللسان الكائن عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وانشاء النثر ومايتعلق بذلك من علم البديع والمعانى والبيان وماذكرناه فهو الذى نال به حماد الراوية والاصمعى واسحق الموصلى العلا من الخلفاء والجوائز من

الوزراء وسموا لتشريفالهم بالجلساء والندماء (قال) أكثم بن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح (وقال بزرجمهر) الادب شريف لا يطيع الا في مثله (وقال الاحنف) لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف الادب (وقال أنوشروان) عجبت لمن يشهره الادب كيف تدعوه نفسه الى مكرمة (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالادب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك (وقال) عبد الملك لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا بررتم وان كنتم أوساطا فقتم وان أعوزكم المعاش عشتم استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة (وقال) بعض الاعراب تعلموا الادب فانه زيادة في الفضل ودليل على العقل وصاحب في الغربة وانيس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب الى درك الحاجة (وقال المأمون) والله لان أموت طالبا للادب خير من أن أموت قانعا بالجهل (ويقال) ذك قلبك بالادب كما تذكى النار بالحطب (وقال الخليل) بن أحمد من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا (وقال آخر) الادب أكرم الجواهر طبيعة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وينجح القصد والوسيلة فالبسوه حلة وتزينوه حلية فانه أنفق معاش وأجمل رياش (وقال) الشعبي الادب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال

﴿ ومما ذكر أن التحلي بالآداب يلحق الدنيء بذوي الاحساب ﴾

(قالوا) من قعد به نسبه نهض به حسبه (وقالوا) من تأدب وليس له حسب الحقه الادب بأهل الرتب (وقد) يستغنى بالادب عن الحسب كما حكي عن سيبويه قال تكلم رجل بين يدي المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين فقال نعم الحسب الذي انتسبت اليه (ولهذا قيل) المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وبآدابه لا بثيابه وبفضيلته لا بفصيلته وبعقله لا بعقائله وبأنبائه لا بآبائه وبكماله لا بجماله قال الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

(وقال بزرجمهر) من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثر حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (وقالوا) من دأب في طريق الادب أدرك حاجته وملك ناصيته ونبل قدره ونبه ذكره قال الشاعر

لكل شئ زينة في الورى * وزينة المرء تمام الادب

قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع الحسب

﴿ وما أحسن قول بعض الاعاجم يفتخر ويعتذر ﴾

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي

واذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

(ويقال) حسن الادب يستر قبيح النسب (وقالوا) الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والنسب (ويقال) الادب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضيع القدر ليس له * في العز بيت ولا ينمى الى نسب

قد صار بالادب المحمود ذا شرف * عال وذا حسب محض وذا نشب
يعلى التأدب اقواما ويرفعهم * حتى يساووا ذوى العلياء فى الرتب

﴿ ذكر من دأب فى طلب الادب فنال به أعلى المناصب والرتب ﴾

يكفى دليلا على ماذكرناه وانموذجا لما وصفناه حال أحمد بن أبى دواد فى ترقيه الى بقاع المجد من الحضيض الوهد (يحكى أنه) كان يختلف الى مجلس بشر المريسى فى حالة رثة وهيئة رديئة وينصرف عنه فى قائم الظهيرة معلقا محبرته متأبطا دفتره فيقيل عند أخ له فلما وجه المأمون المعتصم الى مصر التمس من بشر رجلا من أصحابه يكون فى صحبة المعتصم يوليه على المظالم ويكتب اليه أخباره فقال يا أمير المؤمنين معنا قوم لهم فقه ولكن لم يجمعوا اليه الادب ومعرفة أمور السلطان ثم وصف له أحمد بن أبى دواد فقال انه جمع الى فقه أدبا وبيانا وعقلا فأرسل اليه وقلده المظالم ففعل ثم حل من المعتصم محلا عظيما لاختياره له أيام مقامه بمصر معه (ومنهم) الفضل بن سهل ذو الرياستين كان اهل بيته مجوسا وتجارا وصناعا فيهم الدهقان وبائع الخمر فبلغ به الادب الى ارفع الرتب (ذكر عنه) انه كان يتقلد بسيفين احدهما احمر الجفن مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر اسود الجفن مكتوب عليه رياسة التدبير ولهذا سمى ذو الرياستين وصحب الفضل المأمون فى حداثته ايام ابيه الرشيد وهو مجوسى فغلب عليه وحمله على ايثار الادب وطلب الحكمة وكان الفضل يعلم احكام النجوم فأخبره انه يرى فى طالعه انه يلى الخلافة سلبا وان تدبيره يبعد عنه شرقا وغربا فبلغ الرشيد شأنه وخبره فهدر دمه فاستتر حينا ثم بدا له ان يظهر فأتى الرشيد وهو فى الحلبة فمثل بين يديه وهو يقول اعوذ يا امير المؤمنين برضاك من سخطك واعترف بالذنب واسلم لله على يدك فقال الرشيد من هذا قالوا المجوسى الذى هدرت دمه فقال قد وهبناك دمك اذ أسلمت له فاياك ومعاودة ما بلغنا عنك (ومنهم) محمد بن عبد الملك الزيات قال له العلاء بن ايوب يوماً وقد دارت بينهما محاورة فى مناظرة ليس هذا كيل الزيت ولا عد الجوز قال له ابالتجارة تعيرنى قد كنت تاجرا وكنت متأخرا فقدمنى الله بالادب واصارنى بعد التجارة الى الوزارة وليس المعيب من كان خسيسا فارتفع وانما هو من كان شريفا فاتضع ولو كنت عاملتك معاملة الفضل بن سهل واذللتك كما اذلك لم تقدم على بمثل هذا القول الذى لم ينفعك فقد كنت تدخل دار الخلافة تلوذ بالجدران وتتبع الافياء ناكس الرأس غضيض الطرف خوفا منه لكنى رفعتك فى المجلس فوق من هو ارفع منك وقدمتك على من هو متقدم عليك فقال له العلاء مهلا انما قلت كلمة مقولة وتمثلت بمثل مضروب لم اعتمدك به فأما قولك انى كنت الوذ بالجدران واتبع الافياء خوفا من الفضل فقد كان ذلك ولكنى لم اكن اراك هناك وان اولى الناس ان لا يعير احدا باستخفاف الفضل لانت فقال ابن الزيات هذا اشر من ذاك ونهض من مجلسه وقال احجبوه عنى فكان العلاء يأتى بابه كل يوم فيقف حتى ينصرف الناس ثم يمضى فلما راى ابن الزيات صبره وادبه صالحه وخالصه (واراد) العلاء بقوله فان اولى الناس ان لا يعير احدا باستخفاف الفضل لانت ان الفضل رأى على ابن الزيات سوادا فأمر بتمزيقه عليه وقال لا تتشبه باصحاب السلطان وارباب المراتب ثم لم تطل مدة الايام والليالى حتى قلد ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين يديه * وكان ابن الزيات مليا بعلم الادب كاتبا شاعرا لا يشق

فى شئ منها غباره ولا تدرك آثاره (يحكى) فى سبب تقدمه بعد ان كان يتولى قهرمة الدار ويسرف على المطبخ انه ورد على المعتصم كتاب البريد يخبر فيه ان بلاد الجبل نزل بها مطر عظيم كثر منه الكلا فقال المعتصم لاحمد بن عمارة وكان متقلد العرض عليه ما الكلا قال لا أدرى فقال المعتصم انا لله وانا اليه راجعون أخليفة أمى وكاتب عامى ثم قال من يقرأ لنا الكتاب فعرف بمكان محمد بن عبد الملك الزيات فطلبه فلما مثل بين يديه قال له ما الكلا قال النبات كله رطبه ويابسه فالرطب خاصة يقال له العشب واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع فى وصف النبات من ابتدائه الى انتهائه فهذا هو السبب لما ذكرناه

﴿ ومن ممادح أهل هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة ﴾

وصف مسلم بن بلال بني العباس وقد سئل عنهم فقال أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون (ومدح) خالد بن صفوان رجلا ببراعة المنطق فقال كان والله جزل الالفاظ عزيز مقال اللسان فصيح مأخذ البيان رقيق حواشي الكلام بليل الريق قليل الحركات ساكن الاشارات (ومدح) اعرابي رجلا فقال فلان أخذ بزمام الكلام فقاده اسهل مقاد وساقه احمل مساق فاسترجع به القلوب الجامحة واستصرف به الابصار الطامحة (ووصف) ابن المقفع بليغاً فقال مازالت ينابيع حكمه تترقرق فى مغابن الآذان حتى أعشبت بها القلوب عقولا (وقد) الم بهذا المعنى المتنبي فى قوله

نطق اذا ما القول حط لثامه * اعطى بمنطقه القلوب عقولا

﴿ ولابى اسحق الصابى فى الوزير أبى محمد المهلبى رحمه الله تعالى ﴾

قل للوزير أبى محمد الذى * قد اعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أذن الاريب سلافه
فكان لفظك لؤلؤ متنحل * وكأنما آذاننا اصدافه

(قيل) فلان اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر فلان اذا أنشأ انتثرت زهرات الآداب من عذوبة لسانه واذا أنشد حرك ذا الوقار طربا باحسانه لله در فلان ما أسبط لسانه وأطول عنانه وأفصح بيانه وأجود افتنانه

(أبو عبادة البحترى يصف بليغا)

حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه
كالروض مؤتلفا بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها فى السمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

(ولبعض شعراء العصر)

مقال تقدبه أوائل وائل * وتقدبه أحقابا أعارب يعرب
هو الزهر الغض الذى فى كمامه * أو اللؤلؤ الرطب الذى لم يثقب

آخر

قول هو الماء لذ مطعمه * وكل قول سواه كالزبد

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لاترى بينها فصلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع * لذى اربة فى القول جداً ولا هزلا

(آخر) كلام كوقع القطر فى المحل يشتفى * به من جوى فى باطن القلب لاصق

﴿ الفصل الثانى من الباب الخامس ﴾

﴿ فيما يتحلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء ﴾

ولنورد امام هذا الفصل نبذة يسيرة فى حدّ البلاغة وأقسامها والطريق الذى يوصل سلوكه الى معرفة نقصها أو تمامها (قال العتابى) واسمه كلثوم بن عمرو البلاغة اظهار ما غمض عن الخلق وتصوير الباطل فى صورة الحق (وقال) على بن عيسى الرمانى أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وكثر اعجازه وتساوت صدوره وأعجازه (وقالوا) البلاغة ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ (وقيل) لبعض البلغاء من البليغ قال الذى اذا قال اسرع واذا أسرع أبدع واذا أبدع حرك كل نفس بما أودع (وقالوا) لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى لا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (وقال) عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الحمار البلاغة ما رضيته الخاصة وفهمته العامة

﴿ والعرب سباق حلبة البيان * يعترف لهم بذلك فصحاء كل زمان ﴾

قال بعضهم نحن أمراء الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا تدلت غصونه فنحن نجتني منهما ما حلو لى وعذب ونترك الملوح وخبث (وقال الجاحظ) ليس فى الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق فى الاسماع ولا أقود للطباع ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء (وسئل) بعض البلغاء أى أشرف العرب أو العجم فقال العرب احلى وأحلم وأعلى وأعلم واقوى واقوم وانكى وأنكر وأذكى وأذكر وأعطى وأعطف وأحصى وأحصف وأبلى وأبلغ وأسمى وأسمح وأشرى للفخار وأشرف وأنفى للعار وآنف (وسأل كسرى) الحرث بن كلدة لما وفد عليه ما الذى يحمد من أخلاق العرب ويحفظ من مذاهبهم فقال لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وأنساب صريحة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وأرق من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروّع اذا نام

﴿ فمن وشائع ألفاظهم البارعة * وبدائع معانيهم الرائعة ﴾

ما يحكى ان اعرابيا قال عند ضجره فى طلب الرزق والله لقد تقلبت بى الاسباب وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب ورضيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان الاقائضا والنجح الاغائضا * واعترضت اعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك فى الحالتين واعظم عليك النعم فى المنزلتين سلبك خليفة الله وأفادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما منحك (ووقف اعرابى) على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح والالسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامى فيعذرنى من مقامى (ووقف اعرابى) بقوم فقال يا قوم أشكو اليكم زمانا كلح لى بوجهه وأناخ علىّ بكلكله بعد نعمة من الباب وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتنى جديداه

بنبال مصائبه عن قسى نوائبه فأتركالى ناغية أجتدى ضرعها ولا راغية أرتجى نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيأ فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جودا وليس الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم فى مالكم * ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالموت خير من صلاح حالكم

(ومن كلامهم) فى الاوصاف وصف اعرابى امرأة فقال هى السقم الذى لا برء منه والبرء الذى لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء (ووصف) آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا مانقص منه وتم منها (وقال آخر) سبقنا الحى وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الالسن عن الكلام (وقال آخر) خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر (وأرسل) اعرابى ولده فى حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت (وصف أعرابى مصيبة) فقال انها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا (وقيل لبعض الاعراب) هل عندكم فى البادية طبيب قال كلا ان حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار (وقيل لاعرابى) كيف حالك فقال أمزق دينى بالذنوب وأرقعه بالاستغفار (وقيل لاعرابى) مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق سجيح وسعى نجيح ووعد مريح

﴿ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل الهاذى جلال سحرها بحرام سحر بابل﴾

ولنورد امام ذلك كلاما فى فضل الكتابة كافيا ولكتاب من أدواء الخمول شافيا (قلت) الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره وأطواده باقلامهم تبسط الارزاق وتقبض الآجال وباحلامهم تصان المعاقل اذا عجز عن صونها الرجال (وقالوا) الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء (وقالوا) لو أن فى الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة (وقالوا) الكتابة قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل * وبالكتاب قامت السياسة والرياسة واليهم ألقى تدبير الاعنة والازمة وعليهم يعتمد فى حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال (شاعر)

قوم اذا أخذوا الاقلام عن غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

(آخر)

قوم اذا خافوا عداوة حازم * سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتب ببنانه * أمضى وأنفذ من رقيق حسام

(قال ابن المقفع) الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب للملوك (ومن فضل الكتابة) ان صاحب السيف يزاحم صاحب القلم فى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه

﴿فن موجز بلاغتهم ومعجز صياغتهم﴾

ما كتب به النبى صلى الله عليه وسلم من كتاب أما بعد فكانتا فى الثقة بك منك وكانك فى الرقة علينا

منا الانام نرجك فى أمر الانلناه ولا خفناك عليه الأمناه (ومن بليغ مكاتبتهم) ما كتب به يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه فى بيعته أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام (ومنها) ما كتب به عبد الحميد لرجل بالوصاية على انسان حق موصل هذا الكتاب اليك كحقه على اذرآك موضعا لامله ورآنى أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فحقق أمله (ومنها) ما ذكر ان المأمون قال لعمرو بن مسعدة اكتب الى عاملنا فلان كتاب عناية بانسان فى سطر واحد فكتب هذا كتاب واثق بمن كتب اليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله (ومن بدائعها) ما كتب به أبو بكر الخوارزمى جوابا عن هدية وصلت التحفة ولم يكن لعاتب الا ان باذلها مسرف فى البر وقابلها مقتصد فى الشكر والسرف مذموم الا فى الجد والاقتصاد محمود الا فى الشكر والحمد (وكتب) ابن العميد الى محمد بن يحيى يستعطفه من رسالته وما حسبنا اشتركنا الا فى الاسم فقط وشتان بين محمد ومحمد فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الاعزل ولو كنا النسرين لكنت الطائر وكنت الواقع ولو كنا السعدين لكنت السعود وكنت الذابح أخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن لا تلاقى الخلائق

(وكتب) أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى بديع الزمان يستعطف أيضا انى خدمت مولاى والخدمة رق بغير اشهاد وناصحته والمناصحة للمودة أوثق عماد ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمطاعمة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص مشكور بكل لسان (وكتب) أبو العيناء الى أبى الوليد يستجديه مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا الود والشكر فان لم نعطنا فلسنا ممن يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون * وأبو العيناء كما قال فيه محمد بن مكرم وقد سئل عنه من زعم ان عبد الحميد أكتب من أبى العيناء اذا أحسن بكرم أو شرع فى طمع فقد ظلم (وبعث) ملك الروم الى المعتصم كتابا يتوعده فيه ويتهدده فأمر الكتاب ان يكتبوا جوابه فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيأ فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار (ومن محاسن لطائفهم) ما حكى ان الرشيد قال ليحيى بن خالد انى أردت أن أجعل الخاتم الذى فى يد الفضل الى جعفر فاحتشمت منه فاكفنيه فكتب يحيى الى الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله قدره وأنفذ أمره أن ينقل خاتمه من يمينك الى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قال أمير المؤمنين فى أخى وما انتقلت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه فانظر الى هذه المآثر والمكارم التى هى للجباه غرر وللثغور مباسم (ومن ملحهم) ما كتبه أبو العبر وهو أحمد ابن محمد بن عبد الله الهاشمى تقليد الابى العجل يا أبا العجل وفقك الله وسددك والى كل خير أرشدك وليتك خراج ضياع الهواء ومساحة الفضاء وكيل ماء الانهار وعدورق الاشجار وطرار الاوبار وصدقات اليوم وقسم الشوم بين الهند والروم وأجريت لك من الارزاق ما يقوم باودك فى الانفاق بغض أهل حمص لاهل العراق وأمرتك ان تجعل عيالك بنيسان واصطبلك بهمدان ومطبخك بحران

وبيت مالك بسجستان وديوانك بغانه ومجلسك بفرغانه وخلعت عليك خفي حنين وقميصا من شين وسراويل من دين وعمامة من سخنة عين وحملتك على حمار مقطوع الذنب والاذنين مكسور اليدين والرجلين فدر في عملك كل يوم مرتين واحمد الله على ما أطمنا فيك وقابلنا بالشكر على ما نوليك

ولنذكر من كلام الخطباء ذوى البراعة واللسن ماكان ذا لفظ بديع

ومعنى حسن بعد أن نورد في شرف الخطابة والخطباء

كلاما يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصهباء

قال الله تعالى في حق داود عليه السلام مبينا عن شرف ما أجزل له في العطاء وأطاب وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (ذكر) ان فصل الخطاب هو أما بعد في الخطبة وانه اول من قالها * وقالت العرب ان أول من قالها قس بن ساعدة الايادى * وأول من خطب لقمان بعد داود عليه السلام وبه يضرب المثل في الحكمة والموعظة الحسنة (وفي الحديث) ان شعيبا خطيب الانبياء (وفي المثل) أخطب من قس هو قس ابن ساعدة الايادي ولاياد وتميم شرف ليس لاحد من العرب لان النبي صلى الله عليه وسلم روى كلام قس وموعظته بعكاظ وهذا استناد تعجز عنه أماني الرجال وتنقطع دونه الآمال وبذلك كان خطيب العرب قاطبة (واما تميم) فان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الايهم عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر فاجابه بكلام مدحه فيه بما فيه فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ماقال ورأى انه غض منه وانها عثرة لاتقال فقال في الحالة الراهنة كلاما ذمه فيه بما فيه فصدق في الاول ولم يمن في الثاني فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة فهمه وتحريه الصدق في مدحه وذمه وقال في وصف كلامه ماهو به أحرى عطفا على قوله لبيد ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا قال قيس بن عامر يمدح قوما بالخطابة

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

(وقال آخر يفتخر بقومه في المعنى)

واني من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

(وقال) أبو العباس الاعمى واسمه السائب بن فروخ مادحا لبني أمية بالخطابة في المعنى أيضا

خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وان قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

(والخطابة) جزالة اللفظ وشدة المعارضة (وقال الجاحظ) رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بالايجاز (وقال) ابن أبي داود تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق بغض والنظر في عيون الناس عى ومس اللحية هلك والخروج عما بني عليه أول الكلام اسهاب

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي حكمت فصاحتها بالعى لقس والفهاهة لسحبان ورجعت خاسئة عن مجاراتها في ميدان البلاغة سوابق الاذهان غير أنا نورد منها في هذا المكان قطرة من سحابها الصائب لنصيب الغرض المقصود واصابة الهدف السهم الصائب

(خطب) عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم الاوان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد قضى لايدرى ماالله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فو الذى نفس محمد بيده مابعد الموت مستعتب ومابعد الدنيا دار الا الجنة أو النار فيالها كلمات لو صادفت سمعا واعيا وقلبا لجاب الله داعيا (وخطب) أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم وقد غشى المسلمين بمصيبتهم به ماغشيهم فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ان الله اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتاب الله وسنته فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قال أشهد أن الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله حى لايموت وانا لله وانا اليه راجعون * وكان اذا فرغ من خطبته يقول اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك (وكان عمر) يقول آخر خطبته اللهم لاتدعنى فى غمره ولا تأخذنى على غرة ولاتجعلنى من الغافلين (وخطب) على رضى الله عنه فقال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار اليوم وغدا السباق فاعملوا الله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة وان أخوف ماأخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل (وخطب) معاوية رضى الله عنه فى يوم شديد الحر فقال بعد التحميد ان الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم فلم يهملكم فقال ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الاوأنتم مسلمون (وخطب) يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان أمير المؤمنين معاوية كان حبلا من حبال الله تعالى مده ماشاء أن يمده ثم قطعه حين أراد قطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ولا ازكيه عند ربه وقد صار اليه فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست اعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم اذا كره الله شيأ غيره واذا أراد أمرا يسره (خطب) سليمان ابن عبد الملك فقال ألا انما الدنيا دار غرور ومنزل باطل تضحك باكيا وتبكى ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريا وتثرى فقيرا اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح اذا تنفس ظلام الليل اذا عسعس (وخطب) عمر بن العزيز فقال أيها الناس أصلحوا اسرائركم تصلح لكم علانيتكم وأصلحوا ادنياكم تصلح لكم آخرتكم وان امرأليس بينه وبين آدم أب حى لعريق فى الموتى وكان يقول فى آخر خطبته اللهم ان ذنوبى عظمت عن أن تحصى وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى * وخطب فى زواج فقال الحمد لله ذى الكبرياء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرهبة منا فيك أجابت وقد زوجناك على كتاب الله وسنة رسوله امالما امساك بمعروف أو تسريح باحسان (وخطب) السفاح لما قتل مروان بن محمد وبويع فقال ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية ثم قال نكص بكم ياأهل الشام آل حرب وآل مروان ماذا يقول زعماؤكم يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اذا يقول الله وفاء بما وعد لكل ضعف ولكن

لاتعلمون أما أنا فقد غفرت لكم الزلة وبسطت لكم الاقالة وعدت بفضلي على نقصكم وبحلمي على جهلكم فليسكن روعكم ولتطمئن بكم داركم ولتعظكم مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا (وخطب) المنصور فقال أحمد الله حمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل وقال اذكرك من ذكرتنا به وانت في ذكره يا امير المؤمنين فقال المنصور مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما واعوذ بالله ان اكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وفي رواية قال سمعا وطاعة لمن سمع عن الله وذكر به واعوذ بالله ان اذكر به وأنساه لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم التفت الى الرجل وقال وأما انت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقال قام فلان فقال فعوقب فصبر وأهون بها من قائل لو كانت وأنا انذركم أيها الناس اختها فان الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا نبتت ثم قال رحم الله امرأ نظر في دنياه لآخرته فمشى القصد وقال القصد وجانب الهجر ثم اخذ بقائم سيفه وقال ان بكم داء هذا شفاؤه وأنا زعيم لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل ان يعتبر به فما بعد الوعيد الا الايقاع وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (وخطب) المأمون في يوم عيد فقال أيها الناس عظم قدر الدارين وتباين جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين الله الله انه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن هوى فقد خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار (فلله) هذه الكلمات ما اجلاها لصدا الذنوب واحلاها وقعا في القلوب ولم تزل خلفاء بني العباس يخطبون على المنابر في الجمع والاعياد وآخر من فعل ذلك منهم الراضي (خطب العمال) قال الشعبي ما سمعت أحدا يتكلم الا تمنيت ان سكت مخافة ان يخطئ الا زيادا فانه كان لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا خطب فقال أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون ان تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون فان الشاعر يقول اعمل بقولي ولا تنظر الى عملي * ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

كذا وقعت لي هذه الحكاية ثم وجدت بعد ذلك في بعض التعاليق هذا البيت منسوبا للخليل بن احمد ويجوز أن يكون الخليل أنشده متمثلا به والله أعلم وقال بعد انشاده البيت اسمعوا قولي هذا وعوه فانما على ما حملت وعليكم ما حملتم (وخطب) مصعب بن الزبير لما قدم العراق واليا عليه من قبل أخيه عبد الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) واشار بيده نحو الشام والحجاز والعراق (ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشأم يريد عبد الملك بن مروان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض) وأشار نحو الحجاز يريد أخاه عبد الله (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار نحو العراق يريد أجناد عبد الملك (وكان الحجاج) من الفصحاء البلغاء (قال الشعبي) كنت ممن شاهده على المنبر ما رأيت أحدا أبين من الحجاج ان كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم عليه حتى أقول في نفسي انى لأحسبه صادقا وانى

لاظنهم كاذبين (خطب) فقال أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقصروا طول الامل بقصر الاجل قال الشعبي كلام حكمة خرج عن قلب خرب (وخطب) سليمان بن علي بالعراق لما قتلت الامويون فقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا القوم عابدين قضاء مبرم وقول فصل وما هو بالهزل الحمد لله الذي صدق عبده وأنجز وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء ارثا وجعلوا القرآن عضين لقد جاءهم ما كانوا به يستهزؤن فكأين من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيد أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذتهم فكيف كان نكير فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (وخطب) داود أخوه بالمدينة فقال أيها الناس حتام يهتف بكم صريخا أما آن لراقدكم أن ينتبه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال هيهات منكم وكيف بكم والسوط والسيف مشيم ثم أنشد

حتى نبيد قبيلة وقبيلة ✻ ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا ✻ يمسحن عرض نواصي الايتام

قال الجاحظ داود وسليمان من أفصح خطباء بني هاشم كما في البيان فرسي رهان الى أن داود أفتق لسانا وأروق بيانا وكان لا يتقدم في تحرير خطبة قط

(وواجب أن يكون بهذا الفصل لاحقا ذم من ظل بمستثقل التقعير ناطقا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثرثارون الذين يتكلمون بالكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحد من قولهم نهر ثرثار لكثرة مائه والمتفيهقون تأكيده وهو مأخوذ من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ (وقال) بشر بن المعتمر اياك والتقعير فانه يسلمك الى التعقيد فتستهلك معانيك ويمنعك من اصابة مراميك (وقال) بعض البلغاء أحذركم والتعمق في القول والتكلف وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعاني المستخفة المستملحة فان المعنى المليح اذا كسا الفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان في قلب السامع أحلى ولصدره أملى (وقال) بعض الحذاق اياك والنحو بين العامة فانه كاللحن بين الخاصة وما أحسن قول ابي عمرو بن العلاء في نحو هذا المعنى

لعمرك ما اللحن من شيمتي ✻ ولا انا عن خطأ اللحن
ولكنني قد قست الكلام ✻ أخاطب كلا بما يحسن

(وقالوا) خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا عربيا وحشيا (وقال) أبو الاسود الدؤلي لولده يابني اذا كنت في قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه سنك فيستثقلوك ولا بكلام هو دونك فيزدروك ويحتقروك

﴿ فمن نوادر المتقعرين وشوارد نوادر المتفيهقين ﴾

ما حكى عن أبي علقمة النحوي أنه هاج به دم فأتى بحجام فقال ياهذا اشدد قصب المحاجم وأرهف ظبة المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن آبيا ولا تردن آتيا

فقال له الحجام جعلت فداك ان هـذه الصنعة لا أحسنها وهـذه حرب لا تشب نارها ولا يشق غبارها الا عمرو بن معديكرب ثم تركه وانصرف ولم يحجمه (ومن أظرف ماينسب اليه) مايحكى عنه أنه هاج به يوما مرار فسقط على وجهه وأقبل قوم يعضون ابهامه وقوم يؤذنون فى أذنه ظناً منهم أنه مصروع فلما أفاق من غمرات غشيته رآهم محدقين به فقال مالى أراكم تتكأكؤن على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيته تتكلم بالهندية (اشترى) الفضل بن الحباب جارية فوجدها ضيقة المسلك فقال ياجارية هل من بساق أو بزاق أو بصاق لان العرب تبدل السين صادا وزايا فقالوا صقر وسقر وزقر فقالت الجارية الحمد لله الذى لم يمتني حتى رأيت حرى قد صار ابن الاعرابى يقرأ عليه اللغة (وأتى) رجل بعض الولاة فقال أعز الله الامير ان لى ابن أخ أشرا بطرا قد انضوى الى كل سكير وخمير عمد الى عود فنحته والى مى فقضبه فطن وطنطن حتى فطن به فأحب عقوبته حتى ينتهى عن ذلك فتقدم الامير باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا ابن أخى ألم أطعمك ألذ الطعام ألم أسقك أطيب الشراب قال بلى ياعم قال مالك والتعدّى أتحجموه وجئوا عنقه فالتفت اليه الشاب وقال والله ياعم لوقع السياط على بدنى أحب الىّ من وقع كلامك فى أذنى فضحك منه الامير وأطلقه (أنشد) العجاج واعرابى حاضر عند الوليد بن عبد الملك

أمست الغانيات ترمى صدودا * وأرانى للغانيات مصيدا

فقال الاعرابى للعباس بن الوليد تنح عنه لئلا تسقط عليك من فيه كلمة فتشدخك * ومن أجل هذا النادر استثقل التقعير أهل الرشاقة فى الالفاظ والحلاوة وقادوا طباعهم الى اللطافة والطلاوة فقالوا متى كان اللفظ كريما فى نفسه متخيرا فى جنسه وكان سليما من التقعير والتعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت له الاسماع وارتاحت اليه القلوب وخف على ألسنة الرواة وشاع فى الآفاق ذكره (ومدحوا) التارك للتقعير فقالوا فلان لم يرض بالتكليف مذهبا ولا اتخذ التصنع مركبا (وقالوا) فلان له ألفاظ لا يشوبها كدر العى ولا يطمس رونقها التكلف ولا يمحوا طلاوتها التفيهق أعذب من الماء وأبعد من السماء

(الفصل الثالث من الباب الخامس)

(فى ان معرفة حرفة الادب مانعة من ترقى أعالى الرتب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماازداد الرجل حذقا فى صنعة الا كان ذلك نقصانا من رزقه (وقالوا) المتقدّم فى الحذق متأخر فى الرزق (وقالوا) حرفة الادب أعدى لصاحبها من الجرب (وقالوا) الرزق عند ذوى الادب أروغ من ثعلب * ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولنى خير من علم أعوله (وقال) الخليل بن أحمد اذا كثر الادب قل خيره واذا كثر خيره كثر شره (وقال) أبو بكر الخوارزمى فى هذا المعنى

ان سرك حرمان * به تصبح مقليا

فكن ذا أدب جول * وكن مع ذاك نحويا

* ويقال حرفة الادب لا يسلم من حرمانها أديب (وقالوا) التأديب تعذيب وأنشد الخليل بن أحمد

ماازددت من ادب حرفا أسربه * الا تزايدت حرفا تحته شوم

ان المقدم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال ابن رشيق) أشقى بجدك ان تكون اديبا * اوان يرى فيك الورى تهذيبا
ان كان مستويا ففعلك اعوج * يوما وان اخطأت كنت مصيبا
كالفص ليس يبين معنى نقشه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(ابن طباطبا) أليس عجيبا انى مع تسبي * وشعرى ما اعطيت جداً ولا حدا
وانى اذا مازرت قوما مسلما * حجبت فظنوا أننى ابتغى رفدا
وقد طال افلاسى واحسب منزيا * فأصبحت لايجدى على واستجدي

(آخر) قالوا أديب فأين المال قلت لهم * قوسى بلا وتر سهمى بلا فوق
من لا يكون له جد يساعده * تكون آدابه كالنفخ فى البوق

(ولما) خلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله ادركته حرفة الادب فلم يقم فى الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبله وهطل عليه طل الحرمان وو بله فهرب الى دار ابن الجصاص التاجر فاختفى عنده ثم اخرج منها الى القضاة والشهود العدول ميتا بعد ايام يسيرة وذلك فى يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه بن بسام من أبيات يرثيه بها

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والآداب والحسب
مافيه لولا ولا ليت فتنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

(وقال) ابو عبيدة معمر بن المثنى قال لى ابى اذا كتبت كتابا فالحن فيه فان الصواب حرفة والخطأ نجح اخذه بعض الشعراء فنظمه فى قوله

ان كنت يوما كاتبا رقعة * تبغ بها نجح وصول الطلب
اياك ان تعرب الفاظها * فتكتسى حرفة اهل الادب

(وقال) ابو عبيدة من اراد ان يأ كل الخبز بأدبه فلتبك عليه البوا كى (ولقد) اجاد ابو اسحق الصابى فى قوله

قد كنت أعجب من مالى وكثرته * وكيف تغفل عنى حرفة الادب
حتى انثنت وهى كالغضبا تلاحظني * شزرا فلم تبق لى شيأ من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط * واستدركته وأفضت بى الى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع الفضل والذهب

﴿والسبب فى حرمان الادباء موهبة الحظ وخمول النجباء﴾

ماذكره بعض المنصفين منهم فى قوله ان ذا الادب لايزال متسخطا على دنياه ذاما الحاله لما يرى من ميل الزمان للئامه وجهاله فهو لايمدحهم لعلمه بقصورهم عن ادراك منظومه ولا يثاب اما الجهل ممدوحه واما من افراط بخله التابع عن لومه (وقيل) للحسن البصرى لم صارت الحرفة مقرونة بمن جعل العلم والادب شعارا والثروة بمن كساه الجهل والحمق دثارا فقال ليس القول كما قلتم ولا الامر كما زعمتم ولكنكم طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل عند أهل العلم والادب وهو قليل ولو نظرتم الى من

نحارف من أهل الجهل لو جد تموهم أ كثراقتارا والمال عنهم اشد نفارا (وقال) أبو الحسن على المعروف بابن البغل متضجرا من الخمول

الدهر ضـد ذوى الفضائل كلهم * حتى كأن عـدوه من يفهم
لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

(آخر) يطرى لاهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يحبس من بينها * الا التى تطرب أصواتها

(الحدلجى) قل عنى غناء عقلى ودينى * ودخولى فى العلم من كل باب
أدركتنى وذاك أعظم دائى * حسنات من حرفة الآداب

(آخر) قد عقلنا والعقل شر وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
ان من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا بعد قسمة الارزاق

وربما أعدت حرفة الادب أهل الوراقة
فأظلتهم منها سحائب الحرمان والفاقة

(قال) أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبى هفان سألت وراقا عن حاله فقال عيشي أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة وجاهى أوهى من الزجاج وحظى أشد سوادا من العفص اذا خلط بالزاج وسوء حالى أزم لى من الصمغ وطعامى أمر من الصبر وشرابى أكدر من الحبر والهم والالم يجريان فى علفة قلبى مجرى المداد فى شق القلم فقلت يا أخي لقد عبرت ببلاء عن بلاء فأنشد

المال يستر كل عيب فى الفتى * والمال يرفع كل وغد ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم وجه الحائط

(آخر) ان الوراقة والتفقه والتشاغل بالعلوم
اصل المذلة والاضافة والمهانة والهموم

(وأنشدت لابى النصر بن أبى الفتح كشاجم)

غبط الناس بالكتابة قوما * حرموا حظهم بحسن الكتابه
واذا أخطأ الكتابة حظ * سقطت ناؤه فصارت كآبه

(وقال) اسحق بن ابراهيم بن حمدويه المعروف بالحمدوى

نقتان من أدوات العلم قد ثنتا * عنان حظى عما رمت من نعم
وحيرت لى صحاف الحبر محبرة * تذود عنى سوام المال والنعم
والعلم يعلم انى حين آخذه * لعصمتى نافر خلو من العصم

(سمع) بعض مجان الادباء رجلا يقول لا خير فى علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فقال نعم الا أنه متى لم يكن معه دانق يخرج به بقى رهنا (ابن صادة الاندلسى)

اماالوراقة فهي أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبهابابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

(وأنشد)أبو منصور عبدالملك بن اسمعيل الثعالبي في اليتيمة لابي حاتم الوراق

* ان الوراقة حرفةهزلت * محرومة عيشى بها زمن
ان عشت عشت وليس لي أكل * أومت مت وليس لي كفن

(وقال الشريف)أبو يعلى بن الهبارية من قصيدته المخمسة التي أولها * حي على خير العمل * يذم الوراقة تبالرب المحبرة * ياويله ماأدبره وعيشه ماأكدره * ورزقه ماأقتره ان لم تصدقني فسل

(آخر) أدمى البكا عيني والمآقي * وظلت ذاهم وذا احتراق
مالي أرى في الارض والآفاق * أزرى ولا أشقى من الوراق
اذابدا في القمص الاخلاق * يفرح بالحبر والاوراق
كفرحة الجندي بالارزاق

(آخر) هربت من الوراقة ملء شوطي * فردني الزمان الى الوراقه
* وترك المرء حرفته فرارا * لامر ليس يدريه حماقه *

﴿والسبب في حرمان ذوي النباهة فقدان أهل الفضل والوجاهة﴾

(يروى)ان عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهماذكرت يوماقول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقالت لله أبوه ما كان أشعره لقد صدق قالوا وكيف ياأم المؤمنين قالت كان أحدهم اذاعلم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم اذاعلم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم ثم جاء من بعدهم قوم اذاعلم أحدهم من أخيه خلة أحب ان يسأله فاذاسأله أعطاه ثم جاء من بعدهم قوم اذاعلم أحدهم من أخيه خلة أحب ان يسأله فاذاسأله منعه ثم بعد ذلك يفضحه فيقول جاء فلان يسألني فلم اعطه ولله در القائل

لا يغرنك اللباس * ليس في الاثواب ناس هم وان نالوا الثريا * بخلاء وخساس
كل من يدعى رئيسا * هو في الجنة راس كم يدتصلح للقطـ * ـع فتفدى وتباس

(آخر) علام تحركي والحظ ساكن * وما قصرت في طلبي ولكن
أرى نذلا تقدمه المساوي * على حر تؤخره المحاسن

جحظة لي حاجة لوانها قضيت * لعشت في خير وظل ظليل
حياة من مات وموت الذي * ليس الى احيائه من سبيل

(دخل) بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وهو في السجن يريد زيارته فقال له ماتشتهي فقال ان اري انسانا فأخذ الرجل المرآة وارا ه وجهه فيها فشكر له ذلك ثم انشده

مااكثر الناس بل ماقلهم * الله يعلم انني لم اقل فندا

انى لافتح عينى حين أفتحها ❊ على كثير ولكن لم ارى احدا

(وقيل) لسعيد بن المسيب وكان فى عينيه ماء ألا تقدح عينيك فقال حتى انظر بهما الى من (ومثل ذلك) ماقاله ابو العيناء معتذرا عن عماه

قالوا العمى منظر قبيح ❊ قلت بفقدى لكم يهون

والله ما فى الانام حر ❊ تأسى على فقده العيون

(وسأل رجل) من رجل حمارا عارية فأخرج له كافا وقال له اجمله على من شئت (ومر رجل) بصديق له فرآه واقفا على الطريق فقال له ما وقوفك ههنا فقال (وقيل لابى العيناء) هل بقى من يلقى قال نعم فى البئر (ومر) ببعض السكك فحبسه انسان يريد العبث به فقال له ابو العيناء من أنت قال ابن آدم فأقبل يسلم عليه سلام مستوحش وقال عجب والله ماظننت الا ان هذا النسل قد انقطع يشير الى ضياعه من أهل زمانه (وقال الشاعر)

المادحون اليوم اهل زماننا ❊ اولى من الهاجين بالحرمان

ذهب الذين يهزهم مداحهم ❊ هز الكماة عوالى المران

كانوا اذا مدحوا رأوا مامدحهم ❊ فالاريحية منهم بمكان

(وقال بشار بن برد) لقد عشت فى زمان وادركت اقواما لو اختلفت الدنيا ماتجملت الابهم وانا الآن فى زمان مااری فيه عاقلا حصيفا ولا فتكا ظريفا ولا ناسكا عفيفا ولا جوادا شريفا ولا خادما نظيفا ولا جليسا خفيفا ولا من يساوى على الخبرة رغيفا وانشد

ما الناس بالناس الذين عهدتهم ❊ ولا الدار بالدار التى كنت اعرف

(ابن الرومى) ايست من دهرى ومن اهله ❊ فليس فيهم احد يرتضى

ان رمت مدحالم اجد اهله ❊ او رمت هجوا لم اجد عرضا

(وله) قيل لى لم ذممت كل البرايا ❊ وهجوت الانام هجوا قبيحا

قلت هب اننى كذبت عليهم ❊ فارونى من يستحق المديحا

(بعض العرب) ذهب الذين اذا رأونى مقبلا ❊ هشوا الى ورحبوا بالمقبل

وبقيت فى خلف كان حديثهم ❊ ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(ابن منير الطرابلسى)

قالوا اهجرت الشعر قلت ضرورة ❊ باب الدواعى والبواعث مغلق

فسد الزمان فلا كريم يرتجى ❊ منه النوال ولا مليح يعشق

(ابن المباركه) خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ❊ ما فى البرية كلها انسان

واذا البيادق فى الدسوت تفرزنت ❊ فالرأى ان تتبيذق الفرزان

﴿الباب السادس فى العى وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

﴿فيما ورد عن ذوى النباهة فى ذم العى والفهاهة﴾

قال الله تعالى اومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين (وقال الله تعالى) حكاية عن فخر فرعون على موسى بالبيان فى قوله ام أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ذكر اهل التفسير ان موسى عليه السلام لما سمع هذا القول من فرعون قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال قد أوتيت سؤلك ياموسى وحل الله تلك العقدة واطلق تلك الحبسة (حد العى) قالوا هو معنى قصير يحويه لفظ طويل (وقال) أكثم بن صيفى هو ان تتكلم فوق ماتقتضيه حاجتك (وقالوا) العى الناطق اعيى من العى الساكت لان المفحم يأتى مالا يرضاه ويطلب فوق مافى قواه (قالوا) العى بلاغة بعى (كما ذكر) ان ربيعة خطب فاطال واعجبته نفسه والى جانبه اعرابى فالتفت اليه وقال يااعرابى ماتعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الاصابة قال فاتعدون العى قال ما كنت فيه منذ اليوم قال الشاعر

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * هـذر الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت سلامة * ومن التكلم ما يكون خبالا

(وقال كسرى) عى الصمت خير من عى الكلام (وقال الجاحظ) يذم رجلا بالعى والجبن لم أر جبانا أجرأ منه ولا جريا أجبن منه نظم بعض الشعراء معناه فقال

حصر مسهب جرىء جبان * خير عى الرجال عى السكوت

﴿فيما يشين حسان الصور العى فى البيان والخبر﴾

(قالوا) فضل الانسان على الحيوان بالبيان فاذا نطق ولم يفصح عادبهيما (ويقال) مالعى مروأة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك يافوخه فى عنان السماء (وقالوا) العى داء دواؤه الخرس (وتكلم رجل) عند معاوية وكان ذا عى فقال عمرو بن العاص سكوت الالكن نعمة وقال معاوية وكلام الاحمق نقمة (وقالوا) البيان بصر والعى عمى والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل (يحكى) ان رجلا قام الى محمد بن عبد الملك الزيات فقال له انى مظلوم فقال هذا كلام يحتاج الى شهود وبينة وأشياء غير ذلك فقال الرجل أصلحك الله الشهود هم البينة والبينة هم الشهود وأشياء غير ذلك حصر وعى وزيادة هى نقص فى القيام بحجتك فضحك منه وكشف ظلامته (وقيل لبزرجمهر) أى شىء أستر للعى قال عقل قالوا فان لم يكن له عقل قال مال قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان قال يكون شيأ صامتا كالحجر ولا يلحقه ضرر وقال الشاعر

وما حسن الرجال لهم بزين * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

(آخر)

والصمت أزين للفتى * مالم يكن عى يشينه
والقول ذو خطل اذا * مالم يكن له لب يعينه

(وقال الجاحظ) لا يعاب الاخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العى (وصف) اعرابى قوما بالعى فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه

ومنهم من يلج كلامه الاذان فيحملها عبأ ثقيلا الى الاذهان قال شاعر ينزه لسانه عن العى

ومابى من عى ولا أنطق الخنى * اذا جمع الاقوام فى الخطب محفل

(آخر) وقلنا بلا عى وسنا بطاقة * اذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

﴿ ومن علامات العى الواضحة وسمات اللكن الفاضحة ﴾

(الاستعانة) وهو أن يرى المخاطب اذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع الىّ واسمع منى وألست تفهم وافهم عنى * ومنهم من يقول فى خلل كلامه أما قولى كذا فأعنى به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الاول فبيانه أبدا يقصر عن ايضاح أشكاله وان أتى بأنواع الكلام وأشكاله (وذم) بعض البلغاء غبيا فقال قلبه ميت الفطانة ولسانه بادى اللكنة ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون بين التهافت اذعضته ولدغته المساجلة والمساورة تثاءب للعطاس وتثاقل للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وقرع السن وفتل الاصابع فعجزه ظاهر وعيه حاضر شاعر فى مثل ذلك

ملى بهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

(ومن علاماته) التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والاكباب فى الارض من غير علة

(وقال ابن المعتز) ومن الكبائر مقول متتعتع * جم التنحنح متعب منهور

﴿ ومن عيوب اللسان المزيلة للاحسان المزرية بقدر الانسان ﴾

التمتمة والفأفأة والعقلة والحبسة واللفف والرتة والغمغمة والطمطمة واللكنة والغنة واللثغة (قال الاصمعى) التمتمة اذا تعتع فى التاء فهو تمتام (واذا) تردد فى الفاء فهو فأفاء قال الراجز

ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر فى الكلام

(والعقلة) التواء اللسان عند الكلام (والحبسة) تعذر النطق ولم يبلغ حدّ الفأفاء ولا التمتام * ويقال انها تعرض أول الكلام فاذا مرّ فيه انقطعت (واللفف) ادخال بعض الكلام فى بعض قال الراجز

كان فى فيه لفيفا ان نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

(والرتة) ايصال بعض الكلام ببعض دون افادة (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه (والطمطمة) أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم وهى حميرية * وقالوا هى ابدال الطاء بالتاء لانهما من مخرج واحد فيقولون السلتان والشيتان بمعنى السلطان والشيطان وكانت فى لسان زياد بن سلمى الاعجم وكان خطيبا شاعراً كاتبا (واللكنة) هى ادخال بعض حروف العرب فى بعض حروف العجم وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية وهى ابدال الهاء من الحاء وانقلاب العين همزة وكانت فى لسان عبيد الله بن زياد وصهيب الرومى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) أن مولى لزياد قال أيها الامير أحدوا لنا همار وهش يريد أهدوا لنا حمار وحش فلم يفهم زياد قوله فقال ماتقول ويلك فقال أحدوا لنا ايراً فقال زياد رجعنا الى الاول فهو خير (وحكى) الجاحظ ان وازدانقار الفارسى كان له كاتب جلف فى لسانه لكنة فأملى عليه يوما فى كتابه انا اعتبرنا الحاصل بالهاء فوجدناه ألف كر فكتبها الكاتب كما لفظ بها فلما أعاد عليه ما أملاه فطن لاجتماعهما على الجهل فقال أنت لاتهسن أن تكتب وأنا لا أهسن أن

أملى فاكتب الجاصل ولا تعجم الجيم (والغنة) ان يشرب الصوت الخيشوم (والخنة) ضرب منها (والترخيم) حذف بعض الكلمة لتعذر النطق به (واللثغة) قال الجاحظ فى كتابه البيان الحروف التى يدخلها اللثغة أربعة وهى القاف والسين والراء واللام (فالتى) تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أراد أن يقول قلت وقال قال طلت وطال بمعنى قلت وقال ومنهم من يبدلها كافا فيقول كلت وكال بمعنى قلت وقال وكانت فى لسان أبى مسلم وعبيد الله بن زياد * وقال بعض الشعراء فى أم ولد له يصفها بذلك

أكثر ما أسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر * والسوأة السوء فى ذكر القمر

لانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر (وأما) التى تعرض للسين فانهم يبدلونها ثاء فيقولون بثم الله اذا أرادوا بسم الله ويثره الله بمعنى يسره الله وهى مستحسنة من الجوارى والغلمان وأحسن ما سمع فيها قول بعضهم

واهيف كالهلال شكوت وجدى * اليه بحسنه وأطلت بثى
وقلت له فدتك النفس صلنى * تحز حسن الثواب فقال بثى

(ومن قبيح الابدال) ابدال الثاء المثلثة بالتاء المثناة وكانت فى لسان شعبة وذلك فاش فى لغة اهل صعيد مصر وما اقبحهم اذ قالوا تلاتة آلاف وتلتمائة وتلاتة وتلاتين وتلت وفى الناس من يبدل الجيم ضادا وهم من أهل صعيد مصر أيضاً فاذا اجتمع لاحدهم جيم وضاد فى كلمة مثل ضج وضجر قالوا جض وجضر يجعل الجيم ضادا والضاد جيما وفى الناس من يبدل الخاء المعجمة حاء مهملة فيقول فى خوخ حوح وفى خلخال حلحال وهى مستحسنة من الغلمان والجوارى (واما) التى تعرض فى الراء فهى اربعة احرف فنهم من يجعلها غيناً معجمة فاذا أرادوا ان يقولوا عمرو قال عمغ وهى غالبة على لسان غالب اهل دمشق والعجب انه اذا اجتمع لهم راء مع غين فى مثل رغيف نطقوا بالراء غينا وبالغين راء فيقولون غريف ومنهم من يجعلها عينا مهملة فاذا أراد ان يقول عمرو قال عمع ومنهم من يجعلها ياء فيقول عمى ومنهم من يجعلها زايا فيقول عمز وهى لغة خسيسة ومنهم من يقولها بالظاء اخت الطاء والاولى كانت فى لسان محمد بن شبيب الخارجى والثانية كانت فى لسان واصل بن عطاء المعتزلى وكان لاقتداره على الكلام يجتنب النطق بها حتى كأنها ليست من حروف المعجم (ومن عجب ما يحكى عنه) انه ذكر بشار بن برد بكلام اسهب فيه واطنب فلم يأت بكلمة فيها راء وهو أما لهذا الاعمى المكتنى بأبى معاذ من يقتله والله لولا أن قتله خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه يريد بقوله الاعمى يعنى الضرير وقال المكتنى بأبى معاذ ولم يقل بشار ولا ابن برد وقال من اخلاق الغالبة ولم يقل المغيرة وقال من يبعج ولم يقل يبقر وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

﴿ ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء ﴾

ويجعل للبر قمحا فى تصرفه * وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله * فقال بالغيث اشفاقا من المطر

ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء أيضا

ولثغته لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل

(وأما) التي تعرض في اللام فان من أهلها من يبدلها ياء فيقول اعتييت بمعنى اعتللت وبدل جمل جمي وهي أوضعهن لذي المروأة وقوم يجعلون اللام كافا وهي قبيحة ولا حاجة بنا الى تكملة بيان هذه الحروف (قال الجاحظ) وليس اللجلاج والتمتام والالثغ والفأفاء وذو الحبسة وذو اللفف والرتة في سبيل من حصر في خطبته وعي في مناضلته وخصومته

وقد يكون البليغ عييا عند سؤال مطلوبه كالعاشق متى رام شكوى حاله لمحبوبه

(سئل) محمد بن أبي دواد متى يكون البليغ عييا قال اذا سأل ما يتمناه وشكا حبه الى من يهواه ثم أنشد

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بليغ

(آخر) قالت عييت عن الشكوى فقلت لها * جهد الشكاية ان أعيا عن الكلم

(آخر) وكم من حديث قد خبأناه للقا لها * التقينا صرت أخرس ابكما

(آخر) عي المحب لدى الحبيب بلاغة * ولربما قتل البليغ لسانه

(قال بعضهم) موطنان لا آنف من العي فيهما اذا شكوت الى محبوبي عشقي واذا سألت حاجة لنفسي فان السائل قد يهاب المسؤل ويتبعه مع الهيبة ذل السؤال (وسأل العتابي) رجلا حاجة فأقلل في كلامه فقال له مالك من طوق في ذلك فقال كيف لا يقل كلامي ومعي حيرة الطلب وذل المسئلة وخوف الرد (وحكي) أن الفضل بن الربيع سار بعد نكبته الى أبي عباد واسمه ثابت بن يحيى يسأله حاجة فارتج عليه فقال يا أبا العباس ابهذا البيان خدمت خليفتين فقال أنا تعودنا أن نسئل ولا نسأل فاستعبر لكلامه ورق لحاله قضى حاجته (علي بن الجهم)

ان دون السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار

ارض للسائل الخضوع وللقا * ذف ذنبا مضاضة الاعتذار

﴿ واما ما يعتري العاشق المشوق من الافحام عند رؤية المعشوق ﴾

فكما قال ابو بكر الصنوبري

آية من علامة العشاق * اصفرار الوجوه عند التلاقي

وانقطاع يكون من غير عي * وولوع بالصمت والاطراق

(آخر) فما هو الا ان اراها فجاءة * فأبهت لا عرف لدي ولا نكر

وانسى الذي قد كنت فيما اقوله * كما يتناسى لب شاربها الخمر

(عمرو بن ربيعة) ضل عني لشدة الوجد عقلي * وجفان الذكا وعي لساني

ونسيت الذي نظمت من القو * ل لديها وغاب عني بياني

(آخر) افكر ما اقول اذا التقينا * واحكم دائما حجج المقال

فأنساها اذا نحن التقينا * فانطق حين انطق بالمحال

﴿ ولبعض الصوفية ﴾

ينوي العتاب له من قبل رؤيته * فان رآه فدمع العين مسكوب

لا يستطيع كلاما حين ينظره * كل اللسان وفي الاحشاء تلهيب

(وقال) ابو المعالى شيدله الصبوة والشوق والارتياح والتوق والفراق والتلهف والفوت والتأسف دوع تستأثر الصبر وتحصر عن وصفها المحجوب السنة الحصر

﴿ ومما يشين البليغ بين اترابه عطل بيانه من حلى اعرابه ﴾

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض (وكان) ايوب السختيانى يقول تعلموا النحو فانه جمال الوضيع وتركه هجنة للشريف (شاعر)

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
فاذا اردت من العلوم اجلها * فأجلها منها مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره * وتراه يسقط من لحاظ الاعين
وترى الدنى اذا تكلم معربا * نال النباهة باللسان المعلن
ما ورث الاباء فيما ورثوا * ابناءهم مثل العلوم فأتقن

(آخر)

لو لم يكن في النحو الا انه * يذر الضئيل من الرجال مهيبا
يخشى التكلم حيث حل كأنما * اضحى بأفواه الانام رقيبا

(وقال) عمر تعلموا العربية فانها تقوى العقل وتزيد فى المروأة (وقال) عبد الملك بن مروان اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه (وسمع) المأمون لحنا من بعض ولده فقال ما على احدكم أن يتعلم العربية يصلح بها لسانه ويفوق اقرانه ويقيم اوده ويزين مشهده ويفل حجج خصمه بمسكتات حكمه ايسر احدكم ان يكون كعبده او امته فلا يزال الدهر اسير كلمته (سمع) الاعمش انسانا يلحن فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى منه يتألم (وقال) الحسن البصرى ربما دعوت فلحنت فأخاف ان لا يستجاب لى (وفى الحديث) ان الله لا يسمع دعاء ملحونا * والعلماء لا يرون الصلاة خلف اللحنة وكيف لا يكون كذلك وادنى حركة مغيرة للمعنى مؤدية الى الكفر (قال) سعيد بن مسلم دخلت على الرشيد فلأ قلبى رعبه فلما لحن خف على امره (يحكى) انه لم يسمع من الحسن البصرى ولا من الشعبى ولا من ايوب بن القرية ولا من عبد الملك بن مروان لحن قط فى جد ولا هزل (وكان) سيبويه واسمه عمرو بن قنبر يختلف الى حماد بن زيد يقرأ عليه الحديث فكان يلحن فى قراءته فيرد عليه حماد فأبرمه يوما لحنه فقال له كم تلحن أما لك مروأة فخجل ووجم فلما قام من مجلسه انقطع الى الخليل بن احمد فقرأ عليه النحو فمهر فيه وفاق وسار ذكره فى الآفاق

﴿ وهذه نبذة مستحسنة من التعريف بنوادرهم المستظرفة فى التحريف ﴾

قال يوسف بن خالد لعمرو بن عبيد ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفاها قال احسن قال من قفاءها قال اصلح قال من قفاؤها قال له عمرو ماعناك بهذا قل من قفاها واسترح وارح وكان يوسف يقول هذا احمر من هذا اى اشد حمرة (وكان) الوليد بن عبد الملك لحنة خطب الناس يوم عيد فقرأ فى خطابته ياليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وارا حنا منك * ودخل اليه اعرابى وعنده عمر بن عبد العزيز

فقال له من أنت ووصل الهمزة فظن الاعرابى أنه يقول مننت فقال المنة لله ولامير المؤمنين فقال عمر للاعرابى ان أمير المؤمنين يقول لك من أنت قال فلان بن فلان قال ماشانك وفتح النون قال جدرى فى وجهى وفحج بساقى قال عمر ويحك ان أمير المؤمنين يقول ماشانك وضم النون قال ظلمنى ختنى قال ومن ختنك وفتح النون قال وماسؤالك عن ذلك ياأمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمر ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك وضم النون قال فلان وقيل للوليد ان العرب لاتحب ان يتولى عليها الامن يحسن كلامها فجمع أهل النحو ودخل بيتا ليتعلم فيه النحو فأقام فيه ستة أشهر ثم خرج منه أجهل من يوم دخل وكان بشر المريسى ممن شهر باللحن دعا القوم فقال قضى الله لكم الحوائج على خير الوجوه واهناها فأنكروا عليه لحنه فقال قاسم التمار يصح هذا على قول الشاعر

ان سليمى والله يكلاها * ضنت بشئ ما كان يرزاها

فكان احتجاج قاسم أظرف من لحن بشر (وكان) خالد بن عبد الله القسرى لحنة وفيه يقول ابن نوفل من أبيات وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق والخطب

(قرأ) سابق الاعمى ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا فقال بعض المجان ولاان آمنوا (ترافع) الى زياد رجل وأخوه في ميراث فقال ان أبونا مات وان أخينا وثب على مال أبانا فأكله فقال زياد الذى أضعت من نفسك أضر عليك مما أضعت من مالك * وأما القاضى فقال لارحم الله أباك ولاجبر عظم أخيك قم فى لعنة الله وحرسقره (وقال رجل) للاعمش من أين أقبلت قال من السوق قال وما اشتريت قال عسل قال هلازدت ألف فقال له الاعمش وهلازدت فى ألفك ألفا (وعكسها) ما حكى ان رجلا قال لسعيد بن عبد الملك تأمرنا بشيأ قال نعم بتقوى الله واسقاط الالف (ويحكى) ان خالد بن صفوان دخل الحمام يوما وفى الحمام رجل معه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ماعنده من البيان فقال لولده يابنى اغسل يداك قبل وجهك والتفت الى خالد وقال ياأباصفوان ان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ماخلق الله له اهلا قط

الفصل الثانى من الباب السادس

فى ذكر من قصر باع لسانه عن ترجمة مافى جنانه

قيل لابن المقفع وكان مفحما عن نظم الشعر لم لاتقول الشعر قال الذى أرضاه لايجيء والذي يجيء لاارضاه

وزهدنى فى الشعر ان قريحتى * بما تستجيد الناس ليس تجود

وقال ابن عبدون الكاتب

قلبى من العلم مملوء جوانبه * وذا اللسان كليل لايواتينى

﴿فمن ارتج عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والجحافل﴾

(يزيد بن أبى سفيان) كان أبو بكر رضى الله عنه ولاه ربعا من أرباع الشأم فلما رقى المنبر ارتج عليه فقطع الخطبة وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال ثم نزل وروى هذا الكلام لعثمان بن عفان وعليه اكثر المؤرخين (وصعد) عبد الله بن عامر منبر البصرة في يوم عيد الاضحى فحصر فقال لاأجمع عليكم عيا وبخلا ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهى له وعلى ثمنها

(ثم صعد مرة أخرى) فحصر فالتفت يمينا وشمالا فرأى عتاب بن ورقاء وكان شيخا أصلع فقال أما بعد يا أصلع فوالله ما غلطني غيرك فلعنها الله من صلعة على به فلما مثل بين يديه أمر أن يضرب عشرين سوطا ومنعه من دخول المسجد الجامع بعدها (وصعد) عدي ابن ارطاة المنبر فلما رأى جمع الناس ارتج عليه فقال الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم ثم نزل (وصعد) روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا اليه باسماعهم ورمقوه بابصارهم قال نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فان المنبر مركب صعب واذا الله يسر فتح قفلا تعسر ثم نزل (وخطب) مصعب ابن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك وأراح هنك ألهذا دعوناك (وصعد) وازع اليشكرى المنبر يوم جمعة فلما رأى جمع الناس هابهم فحصر فقال لولا ان امرأتي حملتني على اتيان الجمعة ماجمعت وأنا أشهدكم انها طالق ثلاثا ثم نزل (وخطب) ثابت مولى يزيد بن المهلب فارتج عليه فنزل وهو يقول

فالا أكن فيكم خطيبا فانني * بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فبلغ ذلك المهلب فقال لو قال هذا على المنبر لكان من أخطب الناس (وخطب) خالد بن عبد الله القسرى فارتج عليه فقال ان هذا الكلام يجيء أحيانا ويعسر أحيانا وربما كوبر فأبى وعولج فنبا والتأنى لمجيئه خير من التعاطى لابيه وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره وقد يختلط من الجرىء جنانه وينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول ثم نزل (وارتج) على أبي العباس السفاح فنزل ثم صعد وقال أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل لكلاله ويرتجل لارتجاله ونحن أمراء الكلام بنا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه وانا لا نتكلم هدرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين (وذكر المسعودى) ان المعتضد خرج يوم الفطر وكان يوم الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين الى مصلى أحدثه بالقرب من داره ليصلي بالناس فكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الثانية تكبيرة واحدة فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر فحصر ولم يسمع له خطبة وفي ذلك يقول الشاعر يعتذر عنه في هذا المقام

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس في حل ولا احرام

ماذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عي ولا افحام

(وخطب) داود بن علي فارتج عليه فقال اتقوا الله وافعلوا ما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه ثم نزل ولقد جمع في هذه الكلمات بين الحكمة وفصل الخطاب وأحسن لهم في النصيحة وأطاب (صعد) بعض الخطباء المنبر فحصر بعد الحمدلة ففكر رهامرارا فقال بعض من حضره على ما أبلانا منك فانه لا يحمد على المكروه غيره ثم ولى وهو ينشد

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر

فاذا أراد النطق خلت لسانه * لحما تحركه لصقر ناقر

(قال) ابن ذولاق في أخبار ولاة مصر لم يكن الناس يصلون بالجامع العتيق صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلثمائة أو ثمان صلى فيه العيد أحمد بن عبد الملك الفهمى المعروف بابن أبي حجر صلاة عيد الفطر ويقال انه خطب يومئذ في دفتر فكان مما حفظ منه ان قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مشركون فقال فيه الشاعر

وقام في العيد لنا خاطبا * يحرض الناس على الكفر

ومن ارتج عليه من الأئمة في محرابه وكان تركه للصلاة خوف الخجل أحرى به

رجل صلى بقوم فقرأ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وارتج عليه فجعل يكررها فقال له مزيد والله انك لاتحسن القرآن فما ذنب الشيطان (وصلى) سيفويه القاص بقوم فقرأ سورة الاخلاص فارتج عليه عند رأس آيتين منها فالتفت الى من خلفه وقال من اراد ان يسمع باقي السورة فليحضر مسجد بني فلان ثم خرج وتركهم (وصلت) أعرابية مع قوم فقرأ الامام وانكحوا الايامى منكم ثم ارتج عليه فجعل يرددها مرارا فخرجت المرأة تعدو حتى لحقت باختها وقالت يا اختاه لم يزل الامام يأمرهم بنكاحنا حتى خشيت ان يقعوا على (وخرج رجل) من بيته فلما مر بمسجد يصلى فيه الصبح فدخل ليصلى فقرأ الامام الفاتحة وابتدأ سورة يوسف فلما انتهى الى قوله تعالى فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى فرددها مرارا فقال الرجل من خلفه فان لم يأذن لك ابوك الى الظهر يطول مقامى معك ويفوتنى قضاء حاجتى ثم مضى وتركه (وارتج) على الحجاج فى صلاته فلم يجسر احد ان يهديه لما ضل عنه فتلى قوله تعالى ردوها على فردت عليه فلله دره ما احسن ما اجال فكره حتى أدرك به الفهم العازب ولم تبطل صلاته بكلامه بل كان من اشرف المواهب (واحسن منها) ما حكى ان المهدى لما ولى الخلافة صلى بالناس من الغداة فى داره فارتج عليه فهيب ان يفتح ما انتهى فلما طال عليه انتظار من يرشده تلى قوله تعالى أليس منكم رجل رشيد فرد الراشد الشارد على الناشد (اجتمع) الكسائي واليزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب فتقدم الكسائى فصلى فارتج عليه فى سورة قل يا ايها الكافرون فلما سلم قال اليزيدى قارئ الكوفة يرتج عليه فى سورة قل يا ايها الكافرون فحضرت صلاة العشاء فتقدم اليزيدى فارتج عليه فى سورة الفاتحة فلما سلم قال له

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(حدث) ابو الحسن بن راهويه قال صلى يحيى بن المعلى الكاتب فقرأ قل هو الله احد فغلط فيها وارتج عليه وكان فى المجلس ابو نواس والعباس بن الاحنف والخليع وصريع الغوانى فقال ابو نواس

أكثر يحيى غلطا * فى قل هو الله احد

(فقال الاحنف) قام طويلا ساكتا * حتى اذا اعيا سجد

(فقال الخليع) يزحر فى محرابه * زحير حبلى لولد

(فقال الصريع) كأنما لسانه * شد بحبل من مسد

(واتصلت) هذه الحكاية بأبى على بن رشيق فقال

ونسى الحمد فما * مرت له على خلد

هذا ما اورده ابن رشيق فى كتاب العمدة (ثم) انى عثرت عند مطالعتى لكتاب بدائع البداءة على زيادة وجب ذكرها وهو ما حكى ان ابا العباس بن الحطيئة لما سمع هذه قال

ورام شيأ غيرذا * يقرؤه فما وجد

﴿ومن اخذ الى بعنان قلمه وظهر كلف التكلف فى صفحات كلمه﴾

ماحكي أن بعضهم كتب الى بعض العمال على مدينة حلب يخبره أن سلندبين من شوانى المسلمين غرقا (ما مثاله) اعلم أيها الامير أعزه الله ان سلندبين أى مركبين صفقا أى غرقا فهلك من فيهما أى تلفوا فكتب اليه العامل كتابا على الحكاية يستخف به ورد كتابك أى وصل وفضضناه أى فتحناه وفهمنا مافيه أى علمناه فأدب كاتبك أى اصفعه واصرفه أى اعزله واستبدل به أى غيره فانه مائق أى أحمق والسلام أى قد تقضى الكتاب (وكتب) بعض عمال طاهر بن الحسين اليه كتابا وفيه وقد وجهت الى الامير ثوب ديباج أحمر احمر احمر فكتب طاهر اليه قد قرأت كتابك فعلمت أنك أحمق احمق احمق فأقدم اقدم اقدم والسلام (ومما) عابه ابن الاثير من كلام المترسلين القدماء وادعى انه قصور وعي فى صناعة الانشاء وهو أشبه شئ بالاقواء والايطاء قال فى فصل من كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر اذا وردت فى كلام المترسل سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه والاخرى من حشو الكلام الذى لايحتاج اليه (وقد) وجدت كثيراً من ذلك فى كلام المفلقين من أهل هذا الشأن كالصابى وابن العميد (فمن ذلك قول الصابى فى تحميده) الحمد لله الذى لاتدركه الاعين بألحاظها ولاتحده الالسن بألفاظها ولاتخلقه العصور بمرورها ولاتهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثراً الا طمسه ومحاه ولارسما الأ أزاله وعفاه فلافرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لافرق بين محو الاثر وتعفية الرسم (ومن كلامه أيضاً من كتاب) وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها راسخ لايتزعزع وبنيانها ثابت لايتضعضع فمعلوم ان الاعتلال والالتياث بمعنى والطور والمرة بمعنى والرسوخ والثبوت بمعنى (وله من كتاب) وصلني كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقليد لامور المسلمين بما عراقه الزكية مجوّزة لاستمراره وارومته العلية مسوغة لاستقراره (ومنه) فلابدّ من اتفاق أشراف كل قطر وافاضله واعيان كل صقع واماثله فهذا السجع كله متساوى الالفاظ والمعانى فان امارة المؤمنين وتقليد أمور المسلمين بمعنى وكذلك الاعراق والارومة بمعنى والتجويز والتسويغ بمعنى وكذلك الاعيان والاماثل والقطر والصقع (ومن كلام ابن العميد فى كتاب) وهو لايوجه همته الى أعظم مرغوب الاطاع ودان ولاتمتدّ عزيمته الى مطلوب الا كان واستكان وكل هذه الالفاظ مستوية المعانى (قلت) وفيما ذكرناه من هذا الفن كفاية ومقنع على ان الخاطر اذا انشرح انقاد واذا كل تمنع (ورأيت صوابا) الحاق هذه الحكاية بهذا الفصل وهي ماحكاه دعبل الخزاعى قال خرجت انا ورفيقان لى من قرية تسمى طهيانا وهي من قرى بغداد للتنزه فيها فاقتنا بها يوما فلما أردنا الانصراف قلت لرفيقي ليقل كل منا فى صفة يومنا شيأ قالا فابتدئ أنت فقلت * نلنا لذيذ العيش فى طهيانا *

فقال أحدهما * لما حثثنا القدح احثاثا *

وأرتج على الآخر فقال * وأم عمرو طالق ثلاثا *

فقلنا له ويحك ماذنب المرأة فقال والله مالها ذنب الا انها قعدت على طريق القافية

﴿الفصل الثالث من الباب السادس﴾

في أن اللسن المكثار لا يأمن آفة الزلل والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله اذا قلت فأوجز فاذا بلغت حاجتك فلا تتكلف (وقال) بعض الحكماء الاكثار يزيل اللسان ويزيل الاحسان (وقيل) لعدى ابن حاتم أى شيء أوضع للانسان قال كثرة الكلام (وقال) جعفر بن يحيى اذا كثر الكلام اختل واذا اختل اعتل * وقال خير الكلام ماقل ودل ولم يطل فيمل (وقال معاوية) لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز (وقال) خالد بن صفوان ليس البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد الى الحجة (وقال) خير الكلام ما كان عن الحصر بعيدا وللاسماع مفيدا وهو ان يكون لا مائلا الى الحصر فتضعف الحجة ولا الى الهذر فتتلف المهجة قال الشاعر

للقول مستمع يزرى بصاحبه * منه الغلوّ وقد يزرى به الحصر
وخير حال الفتى فى القول أقصدها * بين الطريقين لاعى ولا هذر

(وقال) عى يذرى بك خير من هذر يأتى عليك (قال شاعر)

وصمتك من غير عي اللسا * ن أزين من هذر المنطق

(وقال) عمرو بن العاص الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان أكثرت منه صرع * وقال لولده عبد الله قصر اذا قلت واقتصر اذا طلت واياك والاكثار فانه شين العاقل وحين الجاهل (وقالوا) العثار مع الاكثار (وقال بزرجمهر) من ملكه طول لسانه أهلكه فضل بيانه (ويقال) من طال لسانه بطل احسانه قال الفقيه منصور لا تكثرن فخير الكلام * قليل الحروف كثير المعانى

احتجاج من أمسك عن الكلام من غير حرس
وخاف من الملام فحذر واحترس

(قال الاحنف بن قيس) اللسان قيمة الانسان فمن قوّمه زادت قيمته * وقال أكثم بن صيفى هلك الانسان فى طول اللسان (وقال) سفيان الثورى لان أرمى عدوّى بسهمى خير له من ان أرميه بلسانى لان أرمى اللسان لا يخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح * فساق اليه سهم حتف معجل

(وقال ابن مسعود) لسانك سيف قاطع يبدأ بك وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد فى المقال واياك ومايوغر صدور الرجال (وقال اعرابى) الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم عاد اسيرا فى وثاقها (اجتمع) اربعة من الملوك على اربع كلمات تواردوا فيها واوردا النصائح واخرجوا درر معانيها من بحار القرائح قال كسرى انا على مالم اقل اقدر منى على رد ماقلت وقال ملك الصين انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم اتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة اذ ذكرت عنه ضرت وان لم تذكر عنه لم تنفعه وقال قيصر لأن اندم على مالم اقل احب الىّ من ان اندم على ماقلت فهذه كلمات صدرت عن صدور صافية من كدر الغل وغشه ليتحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونهشه (وقالوا) من اطلق لسانه بما يجب كان اكثر مقامه حيث لا يجب (وقال) صلى الله عليه وسلم ما اعطى العبد شرا من

طلاقة اللسان (وقال) لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو اشد من الحجر وانفذ من الابر وامر من الصبر واحر من الجمر وان من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فان لم تنبت كلها نبت بعضها (وقال زياد) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يقع بها ربقة عنز فتبلغ امامه فيسفك دمه (ويقال) حفظ اللسان راحة الانسان (وقال) صعصعة ابن صوحان طول اللسان يقصر الاجل وخطأ القول يصيب المقتل (ويقال) من حزن لسانه حقن دمه ومن ملك كلامه أمن ندمه فاللسان سيف مرهف لا ينبو حده والكلام سهم مرسل لا يمكن رده (وقال بعض الحكماء) الجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل احكامها واخراجها وان لم يحن أوان تمامها فاذا سددها تخطى غرض الصواب (وقال) الخبرارزى

اذا ما لسان المرء أكثر هدره * فذاك لسان بالبلاء موكل

اذا شئت أن تحيا عزيزا مسلما * فدبر وميز ما تقول وتفعل

﴿ ومما اخترت من كلام الحكماء الاعلام فى مدح الصمت وذم الكلام ﴾ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنت سالم ما سكت واذا تكلمت فلك أو عليك (وقال) ابن مسعود ان كان الشؤم فى شئ ففى اللسان (وقال) أبو نواس

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالنطق مغاليق الحمام انما السالم من ألجم فاه بلجام

(وقالوا) صمت يعقب الندامة خير من نطق يسلب السلامة (وقالوا) الصمت زين الحلم وعوذة العلم يلزمك السلامة ويصحبك الكرامة ويكفيك مؤنة الاعتذار ويلبسك ثوب الوقار (وقال الشاعر)

الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

(وقالوا) لسانك كالسبع ان عقلته حرسك وان ارسلته افترسك (ويقال) أخزن لسانك كما تخزن مالك واعرفه كما تعرف ولدك وزنه كما تزن نفقتك وأنفق منه بقدر وكن منه على حذر فان انفاق ألف درهم فى غير وجهها أيسر من اطلاق كلمة فى غير حقها (وقال الشاعر)

احفظ لسانك واحتفظ من شره * ان اللسان هو العدو الكاشح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * فيه يلوح لك الصواب اللائح

والصمت من سعد السعود بمطلع * تحيا به والنطق سعد الذابح

(وقال) بعض الحكماء عليك بالصمت وان أصبت فى القول وبرزت فى الفضل فانه زينة العاقل وحلية الفاضل (شاعر) احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(آخر) وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدى الرجل من الستور المنطق

(وقالوا) رب كلمة جلبت مقدورا واخربت دورا وعمرت قبورا (شاعر)

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن

(آخر) احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تخاف لقاءه الاقران

(وقالوا) كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل واياك ومايسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش اخوانه تبرأ من الحرية (شاعر) يدل على جهل الفتى فضل نطقه * ونطق أخي العقل الرصين قليل

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل

﴿ وما أحسن عذر من غص بالملام على كثرة صمته وقلة الكلام ﴾

حيث قال قالوا اراك كثير الصمت قلت لهم * ماطول صمتي من عي ولا خرس

الصمت احمد في الاشياء عاقبة * وأزين الآن لي من منطق شكس

أأنشر البز فيمن ليس يعرفه * وأنثر الدر للعميان في الغلس

(ومن الخرافات) الموضوعة على ألسنة الحيوانات في مدح الصمت وذم الكلام أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث اني لاعجب من حالي وحالك أنا أفصح منك لسانا وأرجح ميزانا وأوضح بيانا وأكبر منك شبابا وأكثر طيرانا ولي في بحر العبودية سباحة وفي ساحته سياحة ومع هذا كله فقد أحاط بي الفضوع وأحرمني الجوع المجوع وأنت على علاتك في جميع حالاتك تأكلي وتشبعي وفي نواعم الابدان ترتعي قالت نعم أنت بين العالم مطنطنة وعلى رؤوسهم مدندنة وطول لسانك سبب حرمانك وأما أنا فالتلطف صناعتي والصمت بضاعتي وانما توصلت الى قوتي بسكوتي

ومماله في هذا الموضع من النفوس حسن موقع حفظ الاسرار أن تدال على الاحرار والانذال قال الله تعالى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليهما السلام حين قص عليه رؤياه فعلم منها بدء أمره ومنتهاه يابني لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان (وكان) عليه الصلاة والسلام اذا اراد غزا ورى بغيرها (ومن امثالهم) صدرك أوسع لسرك (ويقال) اذا انتهى السر من الجنان الى عزبة اللسان فالاذاعة مستولية عليه وعيون الحوادث تنظر شزرا اليه (وقال) عمرو بن العاص الصدور خزائن الاسرار والشفاه اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره (وقالوا) اذا ضاق صدرك عن نجواك فكيف تستكتمه سواك (وقال) بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك فانك متى تكلمت به ارقته وكما انه لاخير في آنية لاتمسك مافيها فكذلك لاخير في لسان لايملك سره (وقال آخر) كن على سرك احرص منك على حقن دمك (وقالوا) سرك اسيرك فان بدلته كنت اسيره (ابن نباتة السعدي)

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر

أسيرك سرك ان صنته * وأنت اسير له ان ظهر

(آخر) ولا تخبر بسرك بل أمته * وصير في حشاك له حجابا

فما اودعت مثل القلب سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

(وقال) عمرو بن العاص ما وضعت سري عند احد فافشاه فلمته لاني كنت اضيق صدرا منه حين استودعته

اياه (وقال الشاعر) اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر اضيق

اذا المرء افشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو احمق

(وقال معاوية) الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة ان تنتقل صداقته فيذيع سره (شاعر)

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديـــق فكان اعلم بالمضرة

(وكان يقال) الكاتم سره بين احدى فضيلتين الظفر بحاجته او السلامة من شر اذاعته (ويقال) اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه (وقال آخر) كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على افشائه (ابراهيم بن خفاجة)

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجوامد ما يشير وينطق

واذا الحك اذاع سراخ له * وهو النضار فمن به يستوثق

(وقال الاحنف) ادنى اخلاق الشريف كتمان سره واعلا اخلاقه كتمان ما اسر اليه قال الشاعر

ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا انا عن اسرارهم بسؤول

ولا أنا يوما للحديث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول

(آخر) تبوح بسرك ضيقا به * وتحسب كل اخ يكتم * وكتمانك السر ممن تخاف

ومن لا تخافهم احزم * اذا ذاع سرك من مخبر * فأنت اذا لمتـه ألوم

(وقال كعب بن زهير)

لا تفش سرك الا عند ذي ثقة * اولا فأفضل ما استودعت اسرارا

صدرا رحيباً وقلباً واسعاً صمتا * لم تخش منه لما اودعت اظهارا

(وقيل) لابي مسلم الخراساني باي شيء أدركت ما ادركت قال ائتزرت بالحزم وارتديت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فأدركت مرادي وحزت ما في نفسي ثم انشد

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا

مازلت أسعى عليهم في دمارهم * والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومـة لم ينمها قبلهم أحـد

ومن يدع غنما في أرض مضيعة * ونام عنها تولى رعيها الاسـد

﴿ وأما المزاح وما ورد فيه عمن اباحه ومن يجافيه ﴾

فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مزح استخف به (وقال آخر) تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد عسر وفحلان اذا ألقحا لم ينتجا غير ضر (وقالوا) المزاح يضع قدر الشريف ويذهب هيبة الجليل (وقال) حكيم لولده يا بني اياك والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه ويحط من المروءة (شاعر) الارب قول قد جرى من ممازح * فساق اليه الموت في طرف الحبل

وان مزاح المرء في غير حينـه * دليل على فرط الحماقة والجهـل

(آخر) اياك اياك المـــزاح فانه * يطمع فيك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعـد العز صاحبـه ذلا

(ويقال) أوكد أسباب القطيعة المزاح وان كان لاغنى للنفس عنه فليكن بمقدار ما يحتاج الطعام من الملح كما قال أبو العباس البستى

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * براح وعلله بشئ من المـزح
ولـكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

(وقال) سعيد بن العاص لولده اقتصـد فى مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء (ويقال) المزاح أوله فرح وآخره ترح (شاعر)

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحا تضـاف به الى سوء الادب
لا تغضبن أحـدا اذا مازحتـه * ان المزاح على مقدّمـة الغضب

(أبو جعفر الطبرى)

لى صاحب ليس يخلو * لسـانه من جراح
يجيد تمزيق عرضى * على سبيل المزاح

﴿الباب السابع فى الذكاء وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول من هذا الباب﴾

فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان

قال ابن الانبارى فى كتابه الذى سماه بالزاهر قولهم فلان ذكى معناه كامل الفطنـة نافيهما من قول العرب ذكت النار تذكو اذا زادوقودها (ويقال) مسك ذكى اذا كان طيب الريح (قال جميل)

صادت فؤادى بعينيها ومبتسم * كأنه حين أبدت لنا برد
عذب كأن ذكى المسك خالطه * والزنجبيل وماء المزن والبرد

(فن) انشقت كمائم مبانيه عما أخفته من زهرات معانيه فعطفت اليه قلب شانيه بعـد ما أنف ان يدانيه سعد بن ضمرة قالوا كان كثيرا ما يغير على بلاد النعمان بن المنذر وينقص أطرافها حتى عيل صبره وبدا ضره فبعث اليه النعمان ان لك ألف ناقة حمراء على أن تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان سعد بن ضمرة نحيفا قصيرا دميما وكان ملتفا بعباءة فلما رآه النعمان ازدراه وقال لان تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقـال سعد أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان ولا يمسوك يستقى بها من الغـدران وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان فقال له النعمان أنت ضمرة بن ضميرة (ونظر) عمر ابن الخطاب الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف بعباءة فترك عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب وذهب فيه ذلك المذهب العجيب فلم يزل عنده فى الذروة العليا الى ان عقد له من الرياسة على تميم ما كان له ثابتا الى ان فارق الدنيا (قال) عبد الملك بن عمير قدم علينا الاحنف الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين أحنف ولـكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه سائر العيوب (خرج) عثمان رضى الله عنه من داره فرأى عامر بن عبد قيس على

بابه وقد ألقى رأسه بين ركبتيه وكان عامر شيخا دميما أسى فظا فانكره وأنكر مكانه فقال يا اعرابى أين ربك قال بالمرصاد فيقال ان عثمان لم يقحمه أحد غيره (ونظر معاوية) الى النجار بن أوس العدوى الخطيب النسابة فى عباءة فى ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه فتبين النجار ذلك فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها وكمال الرجل آدابه لا ثيابه وأنشد

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد همماتى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

وأراد بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لرثاثة ثوبه وخسة حاله وأبى أن يكلمه فقال مالكم يا عبيد الثياب واشباه الكلاب حقرتمونى لاطمارى ولم تسألونى عن مكنون أخبارى ثم أنشد

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب المهذم
فاذا قدحت زناده ووزنته * بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

ودخل كثير بن عبد الرحمن وكان يلقب بزب الزباب لقصره على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته فاقتحمته عينه ففهم عنه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه واسع الفناء شامخ البناء عالى السناء ثم أنشد للعباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا * ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا * وأم الباز مقلاة نزور
ضعاف الاسد أكثرها زئيرا * وأصرمها اللواتى لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصغير بكل أرض * ويبزله على الخسف الجرير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى * ولا عرف لديه ولا نكير
فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك قاتله الله ما أطول لسانه وأمد عنانه وأجرأ جنانه فقال انى لاحسبه كما وصف نفسه وأمر له بصلة حسنة (وقال) أبو عبيد البكرى فى لآلئه ان كثيرا كان لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل على عبد الملك يقول له حين يراه طاطئ رأسك لئلا يصيبه السقف تهكما به وفيه يقول الحر بن الشاعر

قصير قيص فاحش عند بيته * يعض قراباسته وهو قائم

(وكان الجاحظ) واسمه عثمان بن بحر دميم الصورة قبيح الوجه ناتئ العينين يحكى عنه أنه قال ما أخجلنى أحد قط الا امرأة أخذت بيدى وحملتنى الى نجار وقالت له مثل هذا ثم تركتنى وانصرفت فبقيت متعجبا من أخذها الى مثالا فسألت الصانع فقال ان هذه المرأة سألتنى ان اصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها فقلت لها انى لم أر شيطانا قط حتى أعمل على مثاله وطلبت منها مثالا فقالت أنا آتيك به فجاءتنى بك * وقرع الباب

يوما فخرج غلامه فسئل عنه فقال هاهو ذا يكذب على ربه قيل له كيف ذلك قال نظر فى المرآة وجهه فقال الحمد لله الذى خلقنى فأحسن صورتى الا انه كان اذا كتب وشى حلل الطروس بأقلامه واذا تكلم لفظ الدر من منثور كلامه (وفيه) يقول أحمد بن سلامة الكتبى يهجوه ويذكر قبحه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الادون قبح الجاحظ
واذا المرآة جلت عليه وجهه * لم تخل مقلته بها من واعظ

﴿وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء فى جحظة﴾

من كان مشتاقا الى منكر * فجحظة أنكر من منكر
لو عذب الله به ناره * أطفأها بردا ولم تزفر

وأنشد اعرابى

خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(لقى) أعرابى شيخ قبيح الصورة فتاة حسناء فعرض عليها نفسه فأعرضت عنه وقالت أمخادع غائل أم ركيك هازل قال بل لبيب عاقل محب مائل قالت فما أصنع بك قبيحا فقيرا شيخا كبيرا قال أستمنح لفقرى ملوكا فيزول وأصبغ شيبى حلوكا فيحول قال فقالت فقبحك الى م يؤول فولى عنها وهو يقول

تزهى على بدلها وشبابها * وتقول لى ياشيخ أنت مخادع
قبح وافلاس وشيب شائع * وطمعت فينا أخلقتك مطامع
فاجبتها الافلاس يذهبه الغنى * والشيب يذهبه الخضاب اليانع
قالت فقبحك ليس فيه حيلة * والقبح ليس له دواء نافع
ياصدقها ما كان أصدق حجتى * لو كان يدفع قبح وجهى دافع

رجعنا (قال بعضهم) كنت بفناء الكعبة اذ مر بنا رجل اصلع أرسح افحج كان انفه بعرة أشد سوادا من أست القدرة عليه ثوبان قطوبان فرأيت الناس يهرعون اليه من كل جانب يطلبون السبق فى السلام عليه فقلت من هذا قالوا هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبى رباح *وصفه آخر فقال كان أعور افطس اشل أعرج ثم عمى بعد ذلك (قال) عثمان بن عطاء الخراسانى انطلقت مع أبى نريد هشام بن عبد الملك فلما قربنا اذا بشيخ على حمار أسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لابى من هذا الاعرابى قال اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبى رباح فلما قرب منازل أبى عن بغلته ونزل هو عن حماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام فما استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما فلما خرج أبى قلت له حدثنى ما كان منكما قال لما قيل لهشام ان عطاء بن أبى رباح بالباب أذن له فوالله مادخلت الا بسببه فلما رآه هشام قال مرحبا مرحبا ههنا ههنا ولا زال يقول له ههنا ههنا حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته وعنده اشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له ماحاجتك يا أبا محمد قال يا أمير المؤمنين اهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم أرزاقهم

وعطياتهم قال ياغلام اكتب لاهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ثم قال هل من حاجة غيرها ياأبا محمد قال نعم ياأمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم قال نعم ياغلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم هل من حاجة غيرها ياابا محمد قال نعم ياأمير المؤمنين أهل الثغور يردون من ورائكم ويقاتلون عدوكم تجرى لهم أرزاقا تدرها عليهم فانهم ان هلكوا ضاعت الثغور قال نعم ياغلام اكتب بحمل أرزاقهم اليهم هل من حاجة غيرها ياأبا محمد قال نعم ياامير المؤمنين أهل ذمتكم لايجبى صغارهم ولايتقنع كبارهم ولايكلفون مالايطيقون فان ماتجبونه منهم معونة لكم على عدوكم قال نعم ياغلام اكتب لاهل الذمة بأن لايكلفوا مالايطيقون هل من حاجة غيرها ياأبا محمد قال نعم اتق الله في نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولاوالله مامعك ممن ترى أحد فأكب هشام ينكت في الارض وهو يبكي فقام عطاء فلما كنا عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس لاأدرى مافيه دنانير أم دراهم فقال ان أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال لاأسألكم عليه اجرا ان أجرى الا على رب العالمين فوالله ماشرب عنده قطرة ماء

وأكثر مايوجد الذكاء المفرط عند العميان

فانهم عوضوا عن البصر سرعة الحفظ وبطء النسيان

كان قتادة بن دعامة أكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحلق التي فيها الخطافانه ماوصل الى سمعي شيء فأداه الى قلبي فنسيه (وممن) ولد أكمه بشار بن برد وكان رأس طبقة في الشعراء المولدين وهم أشجع السلمي ومسلم بن الوليد وابو العتاهية وأبو نواس وغيرهم وقال الشعر وله من العمر احدى عشرة سنة (ومنهم) ابو العلاء احمد بن سليمان المعرى ومن عجيب حكاياته ان أبازكريا التبريزى كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز فجاء حلقة ابا العلاء فسأل عنه فأخبر انه غائب في بعض شأنه فقال له ابو العلاء ماتريد به قال جئت برسالة من عند أهله فقال هاتها حتى توصلها اليه قال انها مشافهة قال فاسمعناها حتى نوصلها اليه قال انها بالفارسية قال لاعليك ان تسمعناها ولاتسقط منها حرفا فأوردها عليه فلما جاء التبريزى اخبر ان رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة من أهلك فقال ليتكم اخذتموها منه فاني مشوق لمايرد من اخبارهم فقيل له انه قال انها مشافهة فتأسف لذلك فلما رأى ابو العلاء تأسفه قال له لاعليك اني سمعتها منه وحفظتها ثم املاها عليه فجعل التبريزى يضحك مرة ويبكي مرة فسأله ابو العلاء عن ضحكه وبكائه فقال تارة تخبرني بمايسرني فاضحك وتارة تخبرني بمايحزنني فابكي وعمي أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من جدري أصابه وقال الشعر وله احدى عشرة سنة (ولبشار)

وعيرني الاعداء والعيب فيهم * وليس بعار ان يقال ضرير

اذا ابصر المرء المروءة والتقى * فان عمى العينين ليس بضير

رأيت العمى اجرا وذخرا وعصمة * واني الى تلك الثلاث فقير

(ولعبد الله بن عباس)

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي فؤادى وقلبي منهما نور

قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم بالقول مشهور

ولبعضهم يتوجع

عزاك ايها العين السكوب * وصبرك انها نوب تنوب

وكنت كريمتى وجمال وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب

وانى قد ثكلتك فى حياتى * وفارقنى من الدنيا الحبيب

على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب

من اخترع من الاوائل حكمة بثاقب فكره فكانت سببا للتنويه بقدره وابقاء ذكره

(اردشير بن بابك) والمخترعات أربعة اثنتان فى صدر الاسلام وهما النرد والشطرنج واثنتان اسلاميان وهما النحو والعروض (فأما النرد) فوضعها اردشير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الاخيرة وأول من وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر وان الانسان ليس له تصرف فى نفسه لا يملك لها نفعا ولا يدفع عنها ضررا ولا يقدر أن يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعدا ولا شقاء بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طورا للنفع وطورا للضر وجعلها أيضا تمثيلا للحظ الذى يناله العاجز بما يجرى لديه من الملك والحرمان الذى يبتلى به الحازم بما داربه عليه الفلك وضعها على مثال الدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والبروج وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر والدرج التى هى لكل برج ثلاثين درجة ومعناهما ان كل ثلاثين درجة على سبعة أيام ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل لها تشبيها فوضع ٢ وشبهها بالنير وصور فيها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار فى كل ناحية منها اثنا عشر بيتا وصير لها ثلاثين كلبا تشبيها بأيام الشهر ودرج الفلك ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار وتوصل الى ايصال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار فجعل لكل فص ستة أوجه كجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال لانه عدد له نصف وثلث وسدس وجعل فى كل جهة من الفصين سبع نقط تحت الستة واحد وتحت الخمسة اثنين وتحت الاربعة ثلاثة تشبيها بعدد الايام وعدد الكواكب السيارة وأنزلهما منزلة القضاء والقدر ثم جعلها محنة بين رجلين أنزلهما منزلة الليل والنهار يشير الى أن الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير والشر فكما ان الانسان لا يعلم مما يرد ان عليه من خير أو شر أو نفع أو ضر فكذا لا يعلم ما يعطيانه الفصان او يبدلانه هل يكون غالبا أو مغلوبا اذ ليس له من الامر شئ وأشار فيها أيضا الى تقلب القدر بالانسان فتارة يكون شريفا ثم يكون مشروفا وبالعكس أو يكون فقيرا ثم يصير غنيا وبالعكس الى ما لا نهاية له من تقلب الاطوار فى تغاير الاوطار (ولقد) أحسن السرى الرفاء فى وصفهما من أبيات

ومحكمان على النفوس وربما * لم يحكما فيهن حكما عادلا

اخوان قد وسما على متنيهما * سمة تحث على البليد غوائلا

يلقاهما المرزوق سعدا طالعا * ويراهما المحروم سعدا آفلا

فاذاهما اصطحبا على كف الفتى * ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

(وأما الشطرنج) فان الفرس لما افتخرت بوضع النرد وكان ملك الروم يومئذ بلهيث فوضع له رجل من

---

٢ بياض بالاصل

الحكماء يسمى صصة الشطرنج وضربها مثلا على ان لا قدر وان الانسان قادر بسعيه واجتهاده يبلغ المراتب العلية والخطط السنية وان هو أهملها صارت به من الحول الى الحضيض وأخرجته من روض العيش الاريض ومما جعله دليلا على ذلك ان البيدق ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان فى الرياسة وجعلها بصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها درجات ومراتب وجعل الشاه المدبر الرئيس والفرس والفيل مركوبان له والفرزان وزيره والبيادق رعاياه فكما ان الواحد من الرعية اذا أعطى الاجتهاد حقه فى تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عونا له على ان ينال رتبة الفرزان فكذلك الفرزان اذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه الى نيل رتبة الشاه وقتاله وكذلك ما يليهما من القطع (ويقال) فى سبب وضعها ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه أخرجه الى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموته فوضع يعلمهم بعض حكمائهم الشطرنج وبين لهم فيها ما خفى عنهم من مكايد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوة والجلد والشجاعة والباس فمن عدم شيأ من ذلك علم موضع تقصيره ومن أين أتى بسوء تدبيره لان خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف المهج والاموال واعلم ان فى ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جالب للعطب والهلاك والتقصير سبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع الى الانكشاف وامرهم ان يلعبوا بها بين يدى الملك فلما لعب بها قال الغالب للمغلوب شاه مات ففطن الملك للمراد وأمر أن يعزى بولده ثمرة الفؤاد (ويقال) ان صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له مكنون سرها قال له اقترح ما تشتهى قال ان تضع حبة بر فى البيت الاول ولا تزال تضعفها حتى تنتهى الى آخر البيوت فما بلغ تعطينى فاستخف الملك عقله واحتقر مطلبه وقال كنت أظن برجاحة عقلك وتوقد فكرك ان تطلب شيأ نفيسا فقال أيها الملك انك لما صرفتنى الى التمنى لم يخطر ببالى غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فأنعم له الملك بما سأل وتقدم باحضار الحساب وأمرهم بحساب ذلك فاعملوا فى بلوغ قصده مطايا الافكار حتى لاح لهم نجم صدقه فعرفوه بعد الانكار فلم يجدوا فى بلاد الدنيا من البر ما يفى للحكيم بمراده ولو كانت الرمال من أمداده (وذلك) انهم وضعوا حبة فى البيت الاول وفى الثانى حبتين وفى الثالث أربعة وفى الرابع ثمانية وفى الخامس ستة عشر وهكذا ولولا خشية التطويل لذكرنا تضعيف عددها ونهاية مددها ولم أهمل ذلك فانى وجدت بعض الحذاق حصرها بالاعداد الهندية ونظمها فى بيت من الشعر فذكرت ذلك استحسانا لوجازته (فالبيت)

هاو اهيط وصفر بعده ز جز * ون صفر اوقل ددز و ددحا

٦١٥ ٠٩٥٥١ ٧ ٠٠٧٣ ٧٤٤ ٦ ١٨٤٤

والعدد ٦١٥ ٥٥١ ٧٠٩ ٧٣ ٧٤٤٠٠ ٦ ٤٤ ٨ ١

(وقال السرى) من الابيات التى تقدم ذكرها فى صفة النرد يصف الشطرنج وقد أحسن فى قوله

وكتيبتا زنج وروم ذاكيا * حربا يسل بها الذكاء مناصلا
فى معرك قسم النزال بقاعه * بين الكماة المعلمين منازلا

لم يسفحا فيه دما وكأنما * رشح الدماء أعاليا وأسافلا
تبدى لعينك كلما عاينتها * قرنين جالا مقدما ومخاتلا
فكأن ذا صاح بسير مقوّما * وكان ذا نشوان يخطر مائلا
فاعجب لماهر باثير اذا التقت * فضل الرجال ولا تثير قساطلا

(وقالوا) ان أصل شطرنج شش رنك ومعناه ستة ألوان لان شش عندهم ستة ورنك لون فكأنهم قالوا ستة ألوان فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون (واما) مااخترع فى الاسلام فالنحو والعروض (فاما النحو) فان على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى ابتكره واخترعه (وقالوا) فى أصل وضعه له ان ابا الاسود الدؤلى كان ليلة على سطح بيته وعنده بنت له فرأت السماء ونجومها وحسن تلألؤ أنوارها مع وجود الظلمة فقالت يا أبت ما أحسن السماء بضم النون فقال أى بنية نجومها وظن أنها ارادت اى شئ احسن منها فقالت يا ابت انما اردت التعجب من حسنها فقال قولى ما احسن السماء فلما اصبح غدا على علىّ رضى الله عنه وقال يا امير المؤمنين حدث فى اولادنا مالم نعرفه واخبره بالقصة فقال هذا بمخالطة العجم ثم امره فاشترى صحفا واملى عليه بعد ايام اقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وجملة من باب التعجب وقال انح نحو هذا فكان ذلك اول ماالف فى النحو ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر قال فجمعت منها اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لى لم تركتها فقلت لم احسبها منها قال بل هى منها فزدتها فيها ثم جاء بعد ابى الاسود ميمون الاقرن فزاد على ما ألفه ابو الاسود ثم تلاه فى ذلك عنبسة بن معدان الذى يقال له عنبسة الفيل فزاد فيه ثم جاء عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى وابو عمرو بن العلاء فزادا فى ذلك ثم الخليل بن احمد وكان على بن حمزة الكسائى رسم فى ذلك رسوما اخذها عنه الكوفيون ثم اخذ ذلك سيبويه عن الخليل وكل من جاء بعده فمن بحر كتابه يغترفون وبتقدمه عليهم يعترفون (وأما العروض) فأول من اخترعه وابتدعه الخليل ابن أحمد وأبوه أول من سمى احمد فى الاسلام وهو أول من وضع العروض واستخرج غرائبه واستنبط عجائبه وجعله ميزانا للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ له من التفاعيل ثمانية أجزاء لايخرج شعر موزون عنها صيرها له كالمثاقيل وهى فعولن فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعلاتن مفاعلتن متفاعلن مفعولات وهذه المثاقيل مركبة من سبب ووتد (فالسبب) نوعان خفيف وثقيل فالخفيف متحرك بعده ساكن نحو ماوهل والثقيل متحركان نحو لم وبم اذا سألت (والوتد) نوعان مجموع ومفروق فالمجموع متحركان بعدهما ساكن نحو دعا ورمى وسعى والمفروق متحركان بينهما ساكن نحو كيف وجعل البيت الشعر مثال بيت الشعر لان البيت من الشعر لايقوم الا بالاسباب وهى الاطناب والاوتاد التى تضرب فى الارض وتربط فيها الاطناب فيقوم البيت وانما مثل بذلك لان فى الشعر حروفا مضطربة يطرأ عليها الزحاف فسميت أسبابا لاضطرابها تشبيها باسباب البيت الشعر وفيه حروف ثابتة لايطرأ عليها الزحاف فسميت أوتادا لثباتها* والى ماقصده الخليل فى هذا التمثيل أشار ابو العلاء المعرى فى قوله

والحسن يظهر فى شيئين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وفسر الناس هذا البيت بأن بيت الشعر يحتوى على المعانى كاحتواء بيت الشعر على الصور * وسمي نصف البيت الاول صدرا والنصف الاخير عجزا وآخر جزء فى الصدر عروضا وآخر جزء فى العجز ضربا * وحصر أقسامه فى خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا وهى المختلف والمؤتلف والمجتلب والمشتبه والمتفق (فالطويل) وهو أصل دائرة المختلف مبنى على فعولن مفاعيلن ثمانية اجزاء وسمي طويلا لانه أكثر الشعر عدد حروف وعدد حروفه سبعة وأربعون حرفا وربما كان مصرعا فجاء على ثمانية وأربعين حرفا (والمديد) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلن ثمانية اجزاء وانما سمي مديدا لامتداد سببيه فصار سبب فى أول جزء ابتدائه وسبب فى آخره (والبسيط) وهو مبنى على مستفعلن فاعلن ثمانية اجزاء وانما سمى بسيطا لانبساط الاسباب فى أول أجزائه فى الدائرة وهن ينفككن من دائرة المختلف (والوافر) وهو اصل دائرة المؤتلف وهو مبنى على مفاعلتن مفاعلتن فعولن ستة اجزاء وسمى بذلك لانه استوفى عدد أجزائه فى الدائرة فهو موفور الحركات ناقص الحروف (والكامل) وهو مبنى من متفاعلن متفاعلن ستة أجزاء وانما سمي بذلك لكمال أجزائه وحركاته وحروفه ولم ينتقص منه شيء كما نقص من الوافر ومنها انه جاء على اثنين واربعين حرفا منها ثلاثون متحركات فلما كثرت حركاته وزادت على سائر الاجناس سمى كاملا وهما ينفكان من دائرة المؤتلف (والهزج) وهو أصل دائرة المجتلب وهو مبنى على مفاعيلن مفاعيلن ستة أجزاء وهو مشتق من تهزج الصوت وهو التردد لانه يتوالى فى آخر كل جزء سببان فتواليهما هو التهزج (والرجز) وهو مبنى على مستفعلن مستفعلن ستة اجزاء سمى بذلك لان فى كل جزء منه سببين فهو سريع لاضطرابه والرجز هو أن تتحرك قوائم البعير مرة وتسكن أخرى (والرمل) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وهو مشتق من السرعة فى السير وهن ينفككن من دائرة المجتلب (والسريع) وهو أصل دائرة المشتبه وهو مبني على مستفعلن (١) فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لسرعته على اللسان (والمنسرح) وهو مبني على مستفعلن مفعولات ستة أجزاء سمى بذلك لانسراحه فى سهولته (والخفيف) كالرمل فى السرعة وانما غوير بينهما فى التسمية وهو مبنى على فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن ستة اجزاء (والمضارع) وهو مبنى على مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ستة أجزاء وسمى بذلك لمضارعته الهزج وقيل المجتث وقيل المنسرح وقيل الخفيف ولكل قول من هذه الاقوال حجة مذكورة فى كتب العروض يضيق عنها الوقت ويفوت الغرض المقصود فى هذا الكتاب (والمقتضب) وهو مبنى على مفعولات مستفعلن ستة أجزاء سمى بذلك لانه اقتضب من المنسرح وقيل من السريع (والمجتث) وهو مبنى على مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لانه اجتث من الخفيف كما اقتضب المقتضب من المنسرح وهن ينفككن من دائرة المشتبه (والمتقارب) وهو رب دائرة المتفق لا يشركه فيها غيره وهو مبني على فعولن ثمانية أجزاء وسمى بذلك لتقارب أوتاده من أسبابه لانه سبب ووتد ووتد وسبب فأسبابه كأوتاده واوتاده

---

(١) قوله على مستفعلن فاعلاتن الخ صوابه على مستفعلن مستفعلن مفعولات الخ كما هو ظاهر اه

كأسبابه (وزاد الاخفش) بحراً آخر وسماه الخبب وهو مبني على (١) فعلن فعلن ثمانية أجزاء وهو عند الخليل غير مستعمل ويسمى المتدارك والمخترع وركض الخيل وهو والمتقارب يفكان من دائرة المتفق (نادرة) حكي أن الخليل كان له ولد جاهل فدخل عليه يوماً فوجد أباه قد أدخل رأسه في حب وهو يقطع بيت شعر فخرج صارخاً يقول ادركوا أبي فقد جن فدخل اليه أصحابه وأعلموه بما قال ولده فأنشد مخاطباً له

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ومن بديع فصاحة البلغاء وصنيع بلاغة الفصحاء

في وصف ذي الذهن الوقاد والطبع السليم المنقاد

وصف بعض البلغاء ذكياً فقال فلان يعلم من مفتتح الامر خاتمته ومن بديهه عاقبته فلان له بصيرة حاضره وروية مستأمره كل علم في سكناته وكل دهاء في حركاته فلان له رأي كاهن وطنة منجم متى حصل في عارض مشكل وأمر معضل دله فؤاده على الهداية وأمنه من الجهالة والغواية فلان عنده مشكل الامر مشكول أخذه من قول حبيب

يري الحادث المستعجم الخطب معجما * لديه ومشكولا اذا كان مشكلا

(ولعنان جارية الناطفي في جعفر بن يحيي)

بديهته وفكرته سواء * اذا اشتبهت على الناس الامور

وصدر فيه للهم اتساع * اذا ضاقت من الهم الصدور

(وصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب (وصف) سهل بن هرون رجلا فقال ما رأيت أكثر فهما للجليل ولا أحسن تفهما للدقيق منه (وصف) الباخرزي أطروشاً يفهم ما يكتب له على ظهر الكف فقال اذا خط له صاحب عرض ببنانه على ظهر كف وقف على المراد ورضي نيابة البنان عن الانبوب المغموس في المداد حتى كأن لكل شعرة من بدنه واعياً مصغياً باذنه وذاك لعمري كالرقم على بسيط الماء بالخيال أو كالنقش على قائم الهواء بالهباء ومن عجيب أمره أنه في الصمم بحيث أقول في غيره

وأسلخ في منفذي سمعه * صمام من الصمم المطبق

فلو نفخ الصور في عصره * لاقلت حيا ولم يصعق

(وصف) اليوسفي غلاما بالذكاء فقال كان يعرف المراد باللحظ كما يعرفه باللفظ ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر أقرب الى داعيه من يده متعاطيه حديد الذهن ثاقب الفهم يغنيك عند الملامة ولا يحوجك الى الاستزادة (قال أبو نواس) يصف نفسه في محبة مخدومه بالذكاء

اذا جعل اللفظ الخفي كلامه * جعلت له عيني لتفهمه اذنا

(وقال) الشريف بن طباطبا يمدح صاحباً له بهذه الصفة

---

(١) قوله على فعلن الخ الاولى على فاعلن لانه الاصل . اه مصححه

لى صاحب لاغاب عنى شخصه * أبدا وظلت ممتعا بوداده
فطن بما يوحى اليه كأنما * قد نيط هاجس فكرتى بفؤاده

وكل الناس الاذكياء عيال على زياد بن أبيه (حكى عنه) انه كان يوما جالسا فى مجلس عمر فاملى عمر على كاتبه كتابا سرا فكتب الكاتب خلافه فقال زياد يا أمير المؤمنين انه كتب غير ما أمليته فتناول عمر الكتاب فوجد الامر كما قال زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجع فيك وحركة قلمه فلم أر بينهما اتفاقا

الفصل الثانى من الباب السابع

فى ذكر بداهة الاذكياء البديعة وأجوبتهم المفحمة السريعة

(قالوا) البديهة قدرة روحانية فى حلية بشرية كما أن الرؤية صورة بشرية فى حلية روحانية (ويقال) بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول (ويقال) ميسور الرأى عند البديهة خير من الاطناب بعد الفكرة (فممن أبدع) فى بديهته من الفضلاء من غير ما سؤال ولا ابتلاء (أبو نواس) وذلك انه اجتمع ندماء الامين فى مجلس أنس وخلاعة وهو فيهم فخرج عليهم الامين فى زينته مخمورا والجوارى يحملنه على سرير فلما رآه أبو نواس قال ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فلله حسن انتزاع هذا الرجل ما أبدعه وأبرعه وفكره ما أصدعه وأسرعه لقد جاوز شأو الاختراع فى الانتزاع وتعدى الغاية وصرف العقول لاستحسان ما أشار اليه بهذه الآية لان آباه هرون الرشيد وعمه موسى الهادى وهو وارثهما (وصعد) سليمان بن عبد الملك يوم جمعة المنبر ويقال الوليد وعليه أكثر المؤرخين فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قالوا البيعة يا أمير المؤمنين فأمر بهدمها فهدمت فبلغ ذلك ملك الروم فكتب اليه ان هذه البيعة أقرها من كان قبلك فان كانوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فسأل سليمان من خواص دولته الجواب فأعياهم فقال الفرزدق عن اذن أمير المؤمنين قال قل قال يكتب اليه ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فسر بذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم (وخطب) قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عند ما قدمها والياً فسقطت العصا من يده فتطير من ذلك فقام بعض الاعراب فمسحها وناوله اياها وقال أيها الامير ليس كما ظن العدو وساء الصديق ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فسرى عنه ما كان وجده من الغم وأمر له بخمسة آلاف درهم (وخرج) طاهر بن الحسين لقتال على بن عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء وسها انها فى كمه فأسبل كمه فتبددت فتغير لذلك وتطير منه فأنشده شاعر كان معه

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابها منه ذهاب الهم
شئ يكون الهم نصف حروفه * لاخير فى امساكه فى الكم

(ودخل) أبو الشمقمق واسمه مروان بن محمد على خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وقد قلده المأمون الموصل فلما دخل الموصل مر ببعض الدروب فاندق منه اللواء فى بعض أبوابها فتطير خالد من ذلك فقال أبو الشمقمق يسليه عن الطيرة

ما كان مندق اللواء لطيرة * تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عنه ما كان وجده وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك فزاده ديار ربيعة فاعطى خالدأبا الشمقمق عشرة آلاف درهم

﴿ وممن سئل من الاذكياء فأجاب وأتت سرعة بديهته بالشيء العجاب ﴾

ما يحكى أن المأمون دخل يوما ديوانه فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه حسنه فقال من الشاب فقام وقال الناشئ في دولتك والمؤمل لخدمتك والمتقلب في نعمتك الحسن بن رجاء فاستحسن كلامه وأمر له بمائة ألف درهم (ودخل) محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون فسلم فقال من أنت قال سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك فاعجبه وسأله عن حاجته فقضاها له (وقال أبو عبادة البحتري) دخلت يوما دار الفتح بن خاقان فوجدت الشعراء في دهليز داره وبينهم صبي صغير السن قصير القامة فقلت ما أنت ياغلام فقال شاعر فتبسمت عجبا منه ثم قلت أجز ليت ما بين من أحب وبيني * قال من البعد أم من القرب قلت من القرب فقال مثل ما بين حاجبي وعيني * فقلت فان أردناه من البعد فقال مثل ما بين ملتقى الخافقين * فأخذت بيده وأوصلته الى الفتح وأخبرته بما دار بيني وبينه فعجب منه وأجازه (لام السفاح) خالد بن برمك على كثرة عطائه وصلاته فقال له خالد لم أر شكري يحيط بنعم أمير المؤمنين فاستعنت بألسنة الناس عليها (ومثلها) ما حكي ان الواثق قال يوما لاحمد بن أبي داود قد ضجر من كثرة حوائجه يا أحمد قد أخليت بيوت الاموال من افراطك في الطلب للائذين بك فقال يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك ومالي من ذلك الاعشق اتصال الالسن بخلود المدح فيك فقال الواثق والله يا أبا عبد الله ما منعناك ما يزيد في عشقك ويقوي من همتك وأمر ان يجرى على عادته في عرض حوائجه (وكان) بالفضل بن يحيى يرسل الى القاسم بن اسحق البصري مع جوائزه رقاعا مختومة فيرد الجواب برقاع منشورة فنقم عليه وكره ذلك منه فكتب اليه القاسم رقاعك تشتمل على برور رقاعي تشتمل على شكر فانت تكتم برك وأنا أنشر شكري فكل منا فعل ما وجب عليه وندب اليه (وفد) حاجب بن زرارة على باب كسرى وكان قد منع تميم ريف العراق فقال لحاجبه قل للملك ان بالباب رجلا من العرب يريد الوفود عليك والمثول بين يديك فاعلم الحاجب كسرى بما قال فأذن له فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال سيد العرب قال أليس القائل للحاجب انك رجل من العرب قال نعم قلت ذلك قبل وصولي اليك ومثولي بين يديك فاما وقد تشرفت بخدمتك وحظيت برؤيتك فقد صرت سيد العرب فقال كسرى زه وأمر أن يحشى فمه جواهر ورمى اليه وسادة تكرمة له فأخذها ووضعها على رأسه فتغامز عليه من كان حاضرا من المرازبة واستجهل فقال له كسرى ليس هذا مكانها انما هي للجلوس عليها فقال علمت أيها الملك ولكني لما رأيت عليها صورتك أجللتها فوضعتها على أشرف أعضائي لتشرف بها فقال كسرى زه وأمر ان يسور فسور (ورؤي كثير) راكبا ومحمد بن علي الباقر رضي الله عنه يمشي معه فقيل أتركب ومحمد يمشي فقال هو أمرني بذلك فطاعتي له في الركوب أفضل من عصياني له في المشي (ودخل) عدي بن أرطاة على شريح

القاضي فقال اني رجل من اهل الشام قال بعيد سحيق قال واني قدمت بلدكم هذه قال خير مقدم قال واني تزوجت قال بالرفاء والبنين قال وان امرأتي ولدت غلاما قال يهنؤك الفارس قال وقد كنت شرطت لها صداقا قال الشرط املك قال وقد أردت الخروج بها الى بلدي قال الرجل أحق بأهله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال بشهادة من قال بشهادة ابن اخت خالتك (ودخل) عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان وقد فتحت ازهاره واينعت ثماره وبسقت أشجاره واطردت أنهاره وتغردت أطياره فقال له عبد الملك ما احسن هذا البستان فقال انت أحسن منه لانه يؤتي أكله كل عام وانت تؤتي اكلك كل حين (ووقف المنذر) على عجوز من العرب فقال ممن انت قالت من طيء فقال ما منع طيأ أن يكون فيهم مثل حاتم قالت الذي منع الملوك ان يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها وامر لها بصلة (وركب الرشيد) وجعفر بن يحيى يسايره فرأى الرشيد في طريقه احمالا مقبلة فسأل عنها فقيل له هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى بن ماهان وكان الرشيد ولاها بعد الفضل بن يحيى فقال الرشيد لجعفر اين كانت هذه ايام اخيك قال في منازل اصحابها يا امير المؤمنين (نادرة) ولى المنصور سليمان بن راشد الموصل وضم اليه الفا من العجم وقال له قد ضممت اليك الف شيطان تذل بهم الخلق فلما أتى الموصل عاثوا في البلاد وقطعوا السبل فانتهى خبرهم الى المنصور فكتب اليه كفرت النعمة يا سليمان فأجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل المنصور عذره وصرفهم عنه (وقال المتوكل) لابي العيناء اشد ما مر عليك في ذهاب بصرك قال فوت رؤيتك يا امير المؤمنين (وحكي) ان الحجاج طاف ليلة فظفر برجلين سكرانين فقال من انتما فقال احدهما

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ❊ وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره ❊ فمنهم قيام حولها وقعود

وسأل الآخر فقال

انا ابن من ذلت الرقاب له ❊ ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ❊ يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبويهما فاذا أبو الاول باقلاني وأبو الآخر حجام فقال الحجاج أطلقوهما لادبهما لا لنسبهما انما أخطأ النسب فما أخطأ الادب (وقد) أخذ بعض الشعراء قول الثاني فقال يمدح حجاما في معرض التهكم والاستهزاء

أبوك حز النجاد عاتقه ❊ كم من كمي أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه ❊ لم يمس من ثائر على وجل

❊وممن رشق من الفهماء بسهام المقال فزبرها بمعارضة أحد من النصال❊

عروة بن الزبير وذلك أنه دخل على عبد الملك بن مروان يوما فلما استقر به المجلس تجاذب الجلساء اذيال المذاكرة وتساقوا أكواب المحاورة فذكر أخاه عبد الله فقال كان أبو بكر يفعل كذا وكذا وكان ابو بكر يقول كذا فقال له انسان تكنيه عند أمير المؤمنين لا ام لك فقال الي يقال لا ام لك وانا ابن عجائز الجنة يعني أن صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدته وعائشة ام المؤمنين خالته واسماء ذات

النطاقين امه (ودخل) شاب على المنصور فسأله عن والده فقال مرض والدى رحمه الله يوم كذا ومات رحمه الله يوم كذا وترك من المال رحمه الله كذا فانتهره الربيع وقال بين يدى أمير المؤمنين توالى بالدعاء لابيك فقال الشاب لا الومك ياربيع لانك لم تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور وخجل الربيع وذلك ان الربيع كان مولى للمنصور لا يعرف له اب (قال ابو الفرج الاصفهانى) كان الربيع يدعى انه ابن يونس ابن ابى فروة وبنو فروة يدفعون ذلك ويزعمون انه لقيط وجد منبوذا وكفله يونس فلما كبر وهبه يونس للمنصور قبل الخلافة فلما ولى الخلافة جعله حاجبا ثم جعله وزيرا وقال ابن عبدوس الجهشيارى هو الربيع بن يونس بن محمد بن ابى فروة واسم ابى فروة كيسان مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان وكان يونس شاطرا بالمدينة تعلق امة قوم بالمدينة ووقع عليها فجاءت بالربيع فاستعبدو ولم يكن ليونس مال فيبتاعه فابتاعه زياد بن عبد الله خال أبى عبد الله السفاح فأهداه اليه ولم يزل يخدمه حتى مات فخدم أبا جعفر بعده فخص به واستولى على أمره لحذاقته ونباهته (وحكى) ان قرشيا سأل خالد بن صفوان بن الاهتم التيمى عن اسمه فانتسب له فقال القرشى ان اسمك لكذب ما أحد فى الدنيا بخالد وان أباك لحجر بعيد من الرشح وان جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد قد سألت فأجبتك فمن أنت قال من قريش قال من أى قريش أنت قال من بنى عبد الدار قال خالد لم تصنع شيأ يا أخا عبد الدار فمثلك يشتم تميما فى عزها وشرفها وقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح ورذخت رأسك فهر وخزمت أنفك مخزوم ولوت بك لؤى وغلبتك غالب ونفتك مناف وزهرت عليك زهرة وأقصتك قصى فجعلتك عبد دارها ومنتهى عارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فخر الرجل ميتا من شدة الغيظ فكانت امرأته تنادى فى أزقة البصرة صارخة خالد قتل بعلى بلسانه وادعى أهله على خالد بديته لانه مات بسبب كلامه (وافتخر) قوم باليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان أجبهم فقال ماعسى ان أقول لقوم هم بين ناسج برود ودابغ جلد وسائس قرد ملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة (وقال) معاوية لعقيل ماحال عمك أبى لهب قال فى النار يفترش عمتك حمالة الحطب (ودخل) عقيل بعد ما كف بصره على معاوية يوما فقال له مابالكم تصابون فى أبصاركم يابنى هاشم يعرض به وبعبد الله بن عباس قال كما تصابون أنتم فى بصائركم يابنى أمية (وحكى) ان هند ابنة عتبة بن ربيعة وقفت بالموسم وقالت يابنى هاشم أين أبى أين أخى أين عمى أين الذين كانت وجوههم تضىء للسارى فى الليل العاكر ونسق بمدحهم لسان الذاكر فقال لها عقيل بن أبى طالب اذا دخلت النار فخذى على شمالك (ودخل) يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك فلما رآه دميما حقيرا قال له لعنة الله على رجل أجرك رسنه وولاك خيله فقال يا أمير المؤمنين رأيتنى والامر عنى مدبر فلو رأيتنى والامر على مقبل لاستعظمت منى مااستصغرت فقال له سليمان أترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد فقال يا أمير المؤمنين يجىء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك فضعه حيث شئت (ودخل) بعض الشعراء على أمير يريد مدحه فقال له الامير ممن أنت قال من تميم قال الذين يقول فيهم الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(أخذت امرأة) فى زنا فطيف بها على جمل فقال لها بعض المجان كيف خلفت الحاج قالت بخير وكانت أمك

فى النفر الاول * وقال رجل للفرزدق كيف عهدك بالحر قال منذ ماتت عجوزك * وقال عبد الله بن طاهر لرجل مابال شدقك معوجا قال عقوبة عاقبنى الله بها لكثرة ثنائى عليك بالباطل (اجتمع) أبو حنيفة النعمان ابن ثابت وشيطان الطاق ابراهيم بن هرون عند المهدى بعد موت جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه وعن آبائه فقال أبو حنيفة لشيطان الطاق يعرض به مات امامك فقال له أبشر فان امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فقال المهدى لله درك لقد أجدت وأمر له بعشرة آلاف درهم * ومازح المتوكل أبا العيناء فقال هل أبصرت طالبيا حسن الوجه فقال يا أمير المؤمنين وهل يسئل أعمى عن مثل هذا قال انما سألتك عما سلف اذ كنت بصيرا قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ولا ألطف شمائل قال المتوكل نجده كان مؤاجرا ونجدك كنت قوادا عليه قال أبو العيناء وتفرغت لهذا يا أمير المؤمنين أترانى كنت أدع موالىّ وأقود على الغرباء قال اسكت يا مأبون قال مولى القوم منهم قال المتوكل أردت أن أشتفى منهم به فاشتفى لهم منى (وقال رجل لمغنية) أشتهى أن أقتلك قالت ولم قال لانك زانية قالت فكل زانية تقتل قال نعم قالت فابدأ بمن تعول * لقى خالد بن صفوان الفرزدق وكان كثيرا ما يداعبه وكان الفرزدق دميما فقال له ابافراس ما انت بالذى لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فقال الفرزدق ولا أنت أبا صفوان بالذى قالت الفتاة لابيها فى حقه يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (رأى أبو نواس) غلاما جميلا يمشى فى بعض السكك فقال له ما تصنع الحور بين الدور فقال الصبى ما يصنع الشيطان بين الحيطان (وحبس) عمرو بن العاص عن جنده العطاء فقام اليه رجل حميرى وقال أصلح الله الامير اذا لم تعطنا شيأ فاتخذ جندا من حجارة لا يأكلون ولا يشربون فقال له عمرو اخسأ يا كلب فقال الحميرى ان كنت كما ذكرت فانت اذن أمير الكلاب

﴿ وممن تهكم فى خطابه واعتمد الهزل فى جوابه ﴾

ما حكى ان خالد بن الوليد لما قدم اليمامة نزل عسكره على قصر من قصور الحيرة يقال له قصر بنى بقيلة فسألهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى أنسابهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة فأقبل يدب فى مشيه فقال خالد بعثوا الينا شيخا لا يفهم شيأ فلما وصل اليه قال أنعم صباحا فقال خالد ان الله أكرمنا بتحية خير من هذه ثم قال له اين اقصى اثرك قال ظهر أبى فقال من اين خرجت قال من بطن أمى قال علام انت قال على الارض قال فيم انت قال فى ثيابى فقال له تعقل قال نعم واقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شئ لقتلنى قال كم سنك قال ست وثلاثون قال خالد ما رأيت كاليوم أسألك عن شئ وتجيبنى عن غيره قال ما أجبتك الا عما سألت قال كم عمرك قال ثلثمائة وخمسون سنة فجعل لا يسأله عن شئ الا اجابه (وقال الحجاج) لرجل من الخوارج اجمعت القرآن قال ما كان مفرقا فاجمعه قال افتحفظه قال ما خشيت فراره حتى احفظه قال ما تقول فى امير المؤمنين قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملى وتلقاه بدمى (وكان المنصور) قد ألزم الناس بلباس قلانس طوال وان يطيلوا حمائل سيوفهم وان يكتبوا عليها فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائة وفى هذه السنة وفد الشافعى رضى الله عنه فدخل عليه (١) أبو دلامة واسمه زيد بن الجون فى هذا

---

(١) أي على المنصور اه

الزى فقال له كيف انت يا أبادلامة قال كيف حال من صار وجهه فى وسطه وسيفه فى استه ونبذ كتاب الله وراء ظهره فضحك منه وأمر بتغيير تلك الزى (وماتت) حمادة بنت عيسى عمة المنصور فخرج فى جنازتها فرأى أبادلامة واقفا على شفير قبرها فقال ما اعددت لهذه الحفرة يا أبادلامة قال عمة أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة فتدفن فيها فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه بطرف ردائه حياء من الناس (قال فتى لابيه) زوجنى قال أو نحسن أن تعمل قال نعم أقيم ايرى واسدطعنى وألصق عانتى واشد ضمى فقالت أمه لابيه تعلم اسخن الله عينك من ابنى فديته (عرض رجل) يقال له ابو البقر وكان ظريفا مطبوعا ماجنا على موسى بن عبد الملك فقال والله ما أعرف هذا فقال والله انك لاعرف به من الترك باليوم والغزاة بالروم والعرب بالشيح والقيصوم ولكنك تجرت ضجر المحب من الرقيب فقال انت أبو البقر قال انا ابو القوم الذين بين يديك فضحك منه وقضى حاجته (وتعرض) ابو العير للمتوكل والمتوكل مشرف من قصره الجعفرى وقد جعل فى رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفا وجعل سراويله قميصا وقميصه سراويل فقال المتوكل علىّ بهذه المثلة فلما مثل بين يديه قال له انت شارب قال لا بل عنفقة يا أمير المؤمنين قال انى اضع رجلك فى الادهم وانفيك الى فارس قال ضع رجلى فى الاشهب وانفنى الى راجل قال أترانى فى قتلك مأثوم قال لا بل ماله بصل يا أمير المؤمنين فضحك منه ووصله

﴿ وممن ليم على قبيح فعاله فسدده بعفالطات مقاله ﴾

ماذكر ان رجلا كان له ارض الى جانب ارض لرجل آخر فكان الرجل يضم كل سنة قطعة منها الى أرضه فقال له يوما ماهذا النقصان فى ارضى والزيادة فى أرضك قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال فمن أين أوتيت النقص قال يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم (وسئل) بعض الوعاظ لم تتصرف أشياء فلم يفهم ماقيل له فقال لسائله ياهذا اقتف آثار المهتدين ولا تسأل سؤال الملحدين أما سمعت قول من يحيى الموتى ويميت الاحياء يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء لقد ارتكبت بمخالفتك ذنبا عظيما فاستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما (وقرأ قارئ) فى روضة تخبزون(١) فقال ماجن خشكارام حوارى فقال ما أرادوا فقيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين (وقال) يحيى بن اكثم لشيخ من أهل البصرة بمن اقتديت فى تحليل المتعة قال بعمر بن الخطاب قال يحيى كيف هذا وعمر كان أشد الناس فيها لان الخبر الصحيح أتى عنه انه صعد المنبر فقال الله ورسوله أحل لكم متعتين وانى محرمهما عليكم وأعاقب من فعلهما قال فنحن نقبل شهادته ولا نقبل تحريمه (وحكى) ان الفضل بن الربيع قال كنت أقرأ كتابا ورد علىّ والى جانبى رجل مدنى ينظر فيه فقلت له ماتصنع ويحك قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نظر فى كتاب أخيه المؤمن بغير اذنه فكأنما تطلع فى النار ولنا أشياخ تقدموا فأردت أعرف أين مكانهم منها فشغلنى الضحك منه عن الانكار عليه (ولما) قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فأمر الحجاج الناس ان يجتمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أهل مكة بلغنى بكاؤكم على ابن الزبير وكان من أحبار هذه الامة حتى رغب فى الخلافة ونازع أهلها فيها فخلع طاعة

---

(١) أى اجعل على الحاء نقطة وعلى الراء نقطة اه

الله واستكن بحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنعت آدم عليه السلام حرمة الجنة لان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أكبر حرمة من الكعبة (وجلس نحوى) الى جانب منبر واعظ فلحن الواعظ فقال له النحوى أخطأت يالحنة فقال الواعظ بديهاً أيها المعرب فى أقواله اللاحن فى أفعاله مالى أراك تأنها منكراً كل ذلك لانك رفعت ونصبت وخفضت وجزمت هلا رفعت الى الله يديك فى جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الممات وخفضت نفسك عن الشهوات وجزمتها عن اتباع المحرمات أوما علمت انه لا يقال يوم القيامة ألا كنت فصيحا معربا وانما يقال لك لم كنت عاصيا مذنبا فلو كان الامر كما زعمت لحوطب كما حكمت لكان هرون احق بالرسالة من موسى اذقال الله تعالى اخبارا عنه واخي هرون هو افصح مني لسانا فجعل الرسالة فى موسى لفصاحة تبيانه لا لفصاحة لسانه فالفصاحة فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان ثم أنشد

مجازف فى الفعال ذوزلل * حتى اذا جاء قوله وزنه
قال وقد أعجبته لفظته * تيهاً وعجباً أخطأت يالحنه
فقلت أخطأ الذى يقوم غدا * ولا يرى فى كتابه حسنه

(ومن اظرف ماقيل)

ياه على الناس باعرابه * أى فاحذرونى اننى ملسن
ان كان فى أقواله معربا * فانه فى فعله يلحن

(نظر رجل) الى مخنث ينتف لحيته فعنفه فقال له أتحب أن يكون فى استك قال لا فقال شئ لا تحبه أن يكون فى أستك كيف أحب ان يكون فى وجهى (وقيل لمخنث) لم تنتف لحيتك فقال لسائله وأنت أيضا لم لا تنتفها *وسمع بعضهم قارئا يقرأ الا كرادأشد كفرا ونفاقا فقال له ويحك انما هى الاعراب فقال كلهم يقطعون الطريق عليهم لعنة الله وسخطه

الفصل الثالث من الباب السابع

فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

(ينبغى) لنا أن نذكر مقدمة تنتج عنها حقيقة ما ترجمنا عليه وساقنا الغرض اليه وهى ان الانسان اذا كان ذا فكر ثاقب وقريحة وقادة ربما تشكل له فيها خيالات وهمية وأمور حدسية تؤيدها اصابات اتفاقية خارقات للعوائد الفعلية كالحدقة اذا زادشعاع باصرها عن حد الاعتدال ربما أدركت من المرئيات مالا يمكن العبارة عنه فكان كالنقص والاختلال وكذلك السمع أيضا من شدة حدة الحاسة ربما عرض له طنين لكثرة ماوعى من السمعيات كما قلنا فى ادراك حدة البصر من المرئيات فتقرطس سهام تلك الخيالات الفكرية أعراض الاقدار ولا يعلم صاحبها أن الله اجراها بارادته شريكى عنان عبرة لاولى البصائر والابصار فمن لم يجعل الله له نورا قادته فرعنة طبعه الى القول والعناد وحسنت له ان يتصف بغير صفات العباد أو يقول ان السعادة اذا كانت مناطة بافعال الانسان فى حركاته وسكناته مساعدة له فى سائر حالاته حتى انه اذا باشر متعسرا تيسر أو صعبا هان اوشديدا لان ربما سولت له خيالات شيطانية ان تلك الافعال انفعلت بقدرته لا بالقدرة الالهية فتخرج النفس بدعاويها عن صفاتها البشرية واطوارها الطينية كما فعل النمروذ وفرعون

ومن تابعهما بتخيلاتهم الفاسدة من أصحاب المقالات وأرباب المحالات وكل منهم عبد صنم هواه فأضله وأغواه ورقاه بدعواه أصعب مرتقى فهوى به الى أسفل دركات الشقاء (فمنهم) ممن نازع الله رداءه فاشمت به مخالفيه واعداءه المقنع الخراساني واسمه عطاء وكان أعور قصارا من اهل مرو وكان لا يدع القناع عن وجهه لئلا يرى قبحه وكان يعرف بسرعة السحر والنيرنجيات والهندسة وكان اصل معتقده الحلول والتناسخ فادعى الربوبية فى قومه فتابعوه وقالوا بقوله واسقط عمن تبعه الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن مفصل اباطيله أنه زعم ان الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا حل فى آدم ثم من آدم فى نوح ثم الى صورة بعد صورة من صور الانبياء والحكماء حتى وصل الى صورة أبى مسلم الخراسانى فحل فيها ثم منه اليه فعبده قومه وقاتلوا دونه واتخذ وجها من ذهب لئلا يرى قبح وجهه فلا يعبد ولهذا اسمى المقنع * وكان ظهوره فى خلافة المهدى وحميد بن قحطبة والى خراسان يومئذ واشتدت شوكته ودامت فتنته أربع عشرة سنة وكانت بما وراء النهر بنواحي الصغد وايلاق وما دانا ها من بلاد الترك ولما تمادي أمره أنفذ اليه المهدى عسكرا فقاتله فكانت الحرب بينه وبين جموعه سجالا فلما أحس بالغلبة صنع له أخدودا من نار وألقى نفسه فيه وقيل أمر أن يغلى له سكر وقطران ثم ألقى نفسه فيه فذاب ولم يبق له أثر فازداد أصحابه بذلك ضلالا وقالوا قد رفع الى السماء وذلك فى سنة ستين ومائة من الهجرة * (وممن كان) * يقول بالحلول وأجمع معاصروه على ضلالة مايقول حسين الحلاج وهو الحسين بن منصور ويكنى أبا محمد وابا عبد الله وابا مسعود وأبا مغيث وكان ظهوره فى سنة احدى وثلثمائة فى خلافة المقتدر (فمما) أورده المؤرخون الثقاة من كلامه المنتقد عليه قوله أنا الحق وقوله ما فى الجبة الا الله وقوله أيضا

سبحان من أظهر ناسوته * سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا محتجبا ظاهرا * فى صورة الآكل والشارب

(ومن كلامه لمن تابعه) من عذب نفسه فى الطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شئ من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه السلام ولا يريد اذ ذاك شيأ الا كان كما أراده ويكون جملة فعله فعل الله * وكان يظهر أنه سني لمن كان من أهل السنة وشيعي لمن كان من أهل الشيعة ومعتزلي لمن كان يعتقد الاعتزال وكان مع ذلك شعبذيا يستعمل المخاريق حتى استهوى به من لا تحصيل عنده ثم ادعى الربوبية وقال بالحلول وعظم افتراؤه على الله وكان يدعى أنه المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود وكان لا يحسن من القرآن شيأ ولا من الحديث ولا من الفقه ولا من الشعر شيأ وكان عنوان كتبه الى أصحابه من الهو هو رب الارباب الى عبده فلان وكانوا يكتبون اليه ياذات الذات يا منتهى غاية الغايات اشهد أنك مصور فيما شئت من الصور وانك لتتصور في صورة الحسين بن منصور الحلاج ونحن نستجير بك ونرجوا رحمتك يا علام الغيوب فاتصل خبره بعلى بن عيسى الوزير فاحضره وأحضر له الفقهاء فسألوه فلم يجدوه يعرف شيأ وأسقط فى كلامه فأمر به فضرب وصلب حيا فى الجانب الشرقى ثم فى الجانب الغربى ليراه الناس ثم حبس فى دار الخلافة مدة ثم أطلق ثم ظهر فى سنة تسع وثلاثين بعد أن دخل الهند وما وراء النهر وبلاد تركستان وخراسان وسجستان وكرمان وفارس وبلاد الجبل والعراق وكان كثير التلون له فى كل بلد

اسم وكنية ولقب يلبس تارة المسوح وتارة الدراعة وتارة الثياب المصبغة وتارة الفوطة والمرقعة وتارة العباءة وأشكل حاله على الناس فقائل ساحر وقائل مشعبذ ومنهم من يثبت له الكرامات وذلك لما يظهر عنه من خوارق العادات فلما ظهر في المرة الثانية اختدع جماعة من اصحاب المقتدر وكان وزيره يومئذ أحمد بن العباس فعرض حاله على الفقهاء فافتى بقتله خمسة وثمانون بفتاوى وافقت رأي المقتدر وممن أفتى بقتله القاضي ابو عمر ومحمد بن يوسف المالكي وأبو العباس أحمد بن شريح الشافعي وأبو بكر بن فورك وداود الظاهري فامر به فضرب مائة سوط وقطعت أطرافه وصلب حيا ثم ضرب عنقه من الغد ولف في ردائه وأحرق بالنفط وذرى رماده في دجلة فلما فعل به ذلك جعل أصحابه يعدون نفوسهم رجوعه بعد أربعين يوما وادعى بعض أصحابه انه لم يقتل ولم يصلب وانما ألقى شبهه حالة القتل والصلب كعيسى عليه الصلاة والسلام * وقد حمل الغزالي اطلاقاته التي تنبو عنها مسامع العقلاء وترفضها مسامع العلماء حملا حسنا وتأولها تأويلا بديعا وقال هذا من فرط المحبة والوجد ذكره في كتابه المسمى مشكاة الانوار والله تعالى عالم الاعلان من أمره والاسرار وكان قتله في يوم السبت (١) لثلاث بقين من ذي القعدة (٢) الحرام سنة تسع وثلثمائة (وظهر) في أيام الراضي بالله علي بن محمد الشلمغاني المعروف بابن أبي القراقر وكان غاليا في التشيع يقول بالتناسخ والحلول وكان ممن وافقه وخلع ربقة الاسلام ابن أبي عوانة الكاتب وابن الفرات وابنه الحسن والحسن بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب فوشى بهم الى الراضي فاحضرهم وكان الحسن بالرقة فسألهم عما رموا به فانكروه فأمر ان يحمل ما في بيت أبي القراقر من الاوراق فوجدوا خط الحسن وابن أبي عوانة يخاطبانه بالالهية فامر الراضي ابن أبي عوانة أن يصفع ابن أبي القراقر فلما نهض لذلك أظهر رعشة في يده ودنا الى رأسه فقبلها وقال استغفرك يا الهي وخالقي ورازقي فقال الراضي لابن أبي القراقر أليس قد أنكرت ما نسب اليك من ادعائك الالهية فقال والله ما أمرته بذلك فأمر الراضي بهما فصلبا حيين أياما ثم قتلا واحرقا وبعث الى الحسن من قتله بالرقة وذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ومنهم من ارتقى بادعائه النبوة مرتقى صعبا فصير جسمه للطير مرعى وللهوام نهبا

أول من ارتكب هذا المحظور وامتطى فيه صهوة الغرور بعد ما نسخ نور صبح الرسالة ظلام ليل الضلالة مسيلمة وهو مسيلمة بن حبيب بن ثمامة بن اثال بن حبيب بن حنيفة بن لجيم وكان صاحب نيرنجيات وهو أول من أدخل البيضة في القارورة * وسجاح وهي سجاح ابنة الحرث من بني يربوع تنبأت وزعمت ان الوحي يأتيها وتابعها كثير من العرب ورؤساء الجزيرة (قال) ابن أبي الزلازل في كتاب أنواع الاسجاع كان من حديث سجاح اليربوعية بنت سويد بن خلف بن أسامة بن العنبر بن يربوع أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه تنبأت سجاح وخرجت من تغلب فتبعها منهم ناس كثير ومن النمر بن قاسط واياد وسارت بهم الى بلاد بني تميم فقالت الامرة منكم والملك ملككم وقد بعثت نبية فقالوا لها مرينا بأمرك فقالت ان رب السحاب والتراب يأمركم ان توجهوا الركاب وتستعدوا للذهاب حتى تغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فسارت بنو حنظلة الى بني ضبة وهم من

(١) في نسخة الثلاثاء (٢) في نسخة الحجة

الرباب وسارت سجاح ومعها بنو تغلب والنمر واياد الى حفير تميم ولما بلغها حديث مسيلمة بن ثمامة قالت لهم عليكم باليمامة زفوا زفيف حمامة فانها دار ثمامة تلقى مسيلمة بن ثمامة فان كان نبيا فني النبي علامة وان كان كذابا فلقومه الندامة فانها عبرة مدامة لا يلحقكم بعدها ملامة فخرجوا معها وتبعها عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس وشيب بن ربعي وغيره من سادات العرب حتى نزلوا بالصمان فلما بلغ مسيلمة مسيرها اليه بمن جاء معها خافها وهابها واهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه فامنته وأذنته في القدوم عليها فجاء اليها وافدا في أربعين من بني حنيفة وكانت راسخة في النصرانية فقال مسيلمة لاصحابه اضربوا القبة وجمروها لعلها تذكر الباه ففعلوا وأرصدوا حول القبة أناسا منهم للحراسة فلما دخلت عليه حدثته وحادثها وقالت ما أوحى اليك قال أوحى الي ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى قالت ثم ماذا قال اوحى الي ان الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن غراميلنا ايلاجا ثم نخرجها اذا نشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا قالت اشهد انك نبي قال هل لك ان أتزوجك فأذل بقومي وقومك العرب قالت نعم فقال

ألا قومي الى النيك * فقد هيي لك المضجع
فان شئت ففي البيت * وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع

قالت به اجمع فهو للشمل أجمع صلى الله عليك قال كذلك أوحى الي فأقامت عنده قليلا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت وجدته على حق فتبعته وتزوجته قالوا فهل اصدقك شيأ قالت لا قالوا ارجعي اليه فقبيح بمثلك ان ينكح بغير صداق فرجعت اليه فلما رآها قال لها مالك قالت اصدقني صداقا قال من مؤذنك قالت شيب بن ربعي الرياحي قال علي به فلما جاءه قال قد وضعت عنكم صلاة الغداة وصلاة العتمة وجعلت ذلك صداقها فنادى في أصحابك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما اتاكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فكان عامة بني تميم لا يصلونهما (وكان مما شرع لهم) من اصاب ولدا من امرأة لا يعود يطؤها الا ان يموت الولد وحرم النساء على من ولد له ولد ذكر (وفيه وفي سجاح) يقول قيس بن عاصم المنقري

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها * وأصبحت انبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك اغرانا
اعني مسيلمة الكذاب لا سقيت * اصداؤه ماء مزن حيثما كانا

ولما تبعته العرب وارتدت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اليمامة فقاتل بني حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والانصار وانهزم مسيلمة ومن بقي معه فادركه وحشي بن حرب فقتله واسلمت سجاح فيما بعد وحسن اسلامها ووحشي هذا هو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم احد ووحشي يومئذ كافر وقال عند قتله لمسيلمة يا معشر العرب ان كنت قتلت بهذه الحربة احب الخلق الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قتلت بها اليوم ابغض الخلق الى رسول الله فهذه بتلك* وكان خروجه لعنه الله آخر سنة عشر من سني الهجرة قبل حجة الوداع وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون أي يجحفون فلما قرئ* كتابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كتاب مسيلمة بخط عمرو بن الجارود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بخط أبي بن كعب ذكر ذلك ابن عبدوس الجهشياري ثم كان من أمره ما ذكرناه آنفا (وممن تنبأ وزعم) ان الوحي يأتيه الاسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب وكان يلقب ذا الخمار بالخاء المعجمة لانه كان يخمر وجهه أبدا وقيل بالحاء المهملة لانه كان له حمار يقول له اسجد فيسجد وابرك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من حجة الوداع توعك فبلغ ذلك العنسي فادعى النبوة وكان يعرف شيأ من الشعبذة والنيرنجيات ويرى منها عجائب فتبعته مذحج وقصد نجران فأخرج منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء وغلب على الطائف الى عدن الى البحرين واستفحل أمره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى من باليمن من المسلمين أن اقتلوا الاسود العنسي اما مصادمة واما غيلة وكان باليمن قوم من الفرس يسمون الابناء اسلموا مع باذام وكان باذام عاملا للفرس على اليمن فلما أسلم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وأقره عليها فلما مات فرق النبي صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من أصحابه وكان الاسود لما قتل شهر بن باذام وملك صنعاء استصفى زوجته فاتفق الابناء معها على قتله غيلة وواعدتهم على ليلة كانت عادته يشرب فيها ودلتهم على مكان ينقبونه يصلون منه اليه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس ضوضاء فقالوا الزوجته ما هذا قالت نزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا مظهرين شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع العمال الى اعمالهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن عمر اتانا الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من اهل بيت مبارك قيل من هو قال فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة العنسي من أولها الى آخرها ثلاثة أشهر *(وممن)* امتطى مطاهد الغرر فرمته الايام من تغيظها بالشرر المختار ابن أبي عبيد الثقفي وكان قد جمع ليطلب ثأر الحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا في ظاهره ثم تنبأ وزعم ان جبريل يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث اخاه مصعبا الى العراق فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين (وتنبأ) ابو الحسين المتنبي في بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب وغيرها فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيد فقاتله واسره وشرد من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد ان يتلف فسئل فيه فاستتابه وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وان

لا يعود الى مثله (وتنبأ) حائك بالكوفة واحل الخمر فقال رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يبرئ الاكمه والابرص فأتى به والى الكوفة فاستتابه فأبى ان يتوب ويرجع فأتته أمه تبكي فقال لها نحى ربط على قلبك كما ربط على قلب أم موسى واتاه ابوه فسأله ان يرجع فقال له تنح يا آزر فأمر الوالي بقتله فقتل وصلب (وظهر) في ايام أبي مسلم بهافريد المجوسي وكان قد غاب عن اهله سبع سنين في الصين فأصاب من طرفها قميصا نحو يه بقبضة الرجل فجاء مختفيا فظهر في ناووس تجاور بلده وادّعى انه كان مرفوعا في السماء وانه نبي فضل به خلق كثير وجاء بسبع صلوات وحرم الميتة وتزويج الأم والاخت وبنات العم وبنات الأخ وهذا مما يخالف دين المجوسية وفرض عليهم السبع في الاموال وحظر ان يتجاوز بالمهر اربعمائة درهم فاجتمع موابذة المجوس الى أبي مسلم وقالوا هذا افسد علينا ديننا ودينكم فانفذ اليه ابو مسلم من أخذه وقتله وصلبه (وادّعى) رجل النبوّة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال يقول الله تعالى انا أعطيناك الكوثر وتلا السورة الى آخرها وقلت انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر فضربت رقبته وصلب فمرّ به خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ان لا تعود

﴿ ومنهم من ادّعى انه الامام المنتظر فصير عبرة لمن امعن في العواقب النظر ﴾

ظهر في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين في قرى البصرة رجل ادّعى انه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن أبي طالب واستعمل الزنج الذين يعملون في السباخ واطمعهم في مواليهم ووعدهم انه يملكهم ما في أيدي مواليهم فاجتمع له خلق كثير وجم غفير وعبر دجلة ونزل قرية تسمى الديناريه وزعم ان سحابة أظلته ونودي منها اقصد البصرة تملكها وانه يطلع على ما في ضمائر اصحابه وما يفعل كل واحد منهم فلما كان يوم عيد الاضحى من هذه السنة صلى بهم وخطب لهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله أنقذهم من ذلك وانه يريد ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وشن بهم الغارات على اطراف بلاد العراق فاجلى اهل الضياع منها واستفحل امره وقصد البصرة فملكها سنة تسع وخمسين وقتل من فيها من الرجال والنساء والصبيان واحرق المسجد الجامع وبنى مدينتين على شاطئ دجلة وحصنهما بالاسوار والخنادق فانبثت اليه العساكر من بغداد برا وبحرا فكانت الحرب بينه وبينهم سجالا الى ان كانت الدائرة عليه في صفر سنة سبعين ومائتين ونسبه الذي ادّعاه لم يكن صحيحا والصحيح ان اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد قيس وكان ظهوره في ايام المهدي وقتله في ايام المعتمد على يد أخيه الموفق (وظهر) في ايام خلافة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة رجل احمر العينين يسمى كرمية فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط فكان يظهر الزهد والتقشف وكثرة الصلاح فاجتمع اليه اهل القرية وعظموه فلما تمكن منهم اعلمهم انه الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سيخرج لكم من اهل بيتي رجل اسمه كاسمي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا فلما اطاعوه اعلمهم ان الصلاة المفروضة عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة فشكوا اليه كثرته وانها تعطلهم عن اشغالهم فسوفهم اياما ثم اتاهم بكتاب يقول الفرج بن عثمان يقول فيه انه المسيح وهو عيسى وهو الكلمة

وهو المهدى وهو محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له على صورة انسان وقال له انك
الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه ان الصلاة
اربع ركعات ركعتان قبل الفجر وركعتان قبل الغروب وان الاذان فى كل صلاة اربع تكبيرات ويتشهد
مرتين ثم يقول اشهد ان آدم رسول الله اشهد ان لوطا رسول الله اشهد ان ابراهيم رسول الله أشهد ان
موسى رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله (ومن شرائعه) ان
الصوم يومان فى السنة يوم المهرجان ويوم النوروز وان النبيذ والخمر غير حرام ولا غسل من جنابة ويؤكل
كل ذى ناب وذى مخلب وان القبلة الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين ويشترك فى المرأة جماعة من
الرجال فأجابه زهاء من عشرة آلاف رجل واتخذ منهم اثنى عشر نقيبا وقال لهم انتم كحوارى عيسى ثم ان
هذا الشقى المذكور اختفى واقام رجلا يعرف بأبى الفوارس واسمه خلف بن عثمان داعيا للمذهب فتعطل
على المعتضد الخراج من سواد الكوفة ونفضوا ايديهم من طاعته وشقوا العصا بمخالفته فارسل اليهم مسكا
غلام احمد بن محمد الطائى فى عشرة آلاف فارس فظفر بهم وقتلهم واخذ ابا الفوارس اسيرا وحمله الى
المعتضد فامر به فقلعت اضراسه وخلعت اعضاؤه ثم قطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه وصلب بالجانب
الشرقى سنة تسع وثمانين ومائتين (وفى شهر ربيع الآخر) من هذه السنة مات المعتضد وله من العمر سبع
واربعون سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة اشهر واياما ثم قام فيهم آخر يسمى على بن عبد الله
فعاث فى بلاد الشأم عيثا ذريعا واخرب مدنا وقرى كثيرة وكان بينه وبين طغج بن حف الاخشيدى
صاحب مصر والشأم حروب كثيرة اجلت عن قتل الاخشيد الفرغانى فخرجت اليه الجيوش من مصر
فحاربوه فقتل فى بعض الحروب على دمشق سنة تسعين ومائتين وكان يسمى صاحب الجمل فقام بعده أخوه
ويسمى أحمد وتلقب بذى الشامة لشامة كانت فى وجهه واقام له داعيين سمى احدهما المدثر وزعم انه
المذكور فى القرآن وسمى الآخر المطوق فاشتدت فى العناد شوكته وسلطت على العباد فتكته وسار الى
دمشق فصولح عليها بمال فرجع عنها فى سنة تسعين وكانت عادته اذا فتح بلدا عنوة قتل من فيها من الرجال
والنساء والولدان والبهائم فضاق المسلمون به ذرعا فاستغاثوا بالمكتفى فجهز لهم جيشا عظيما وقدم عليهم
الحسين بن حمدان والقاسم بن عبيد الله الكاتب وأمر الجيش بالسمع والطاعة له فواقعهم فى شهر المحرم
سنة احدى وتسعين فانهزم واسلم من كان معه فقتلوا وهرب معه المدثر والمطوق والجأتهم الهزيمة
والخوف الى قرية من اعمال الفرات تسمى دالية فأنكرهم اهلها واستفصحوا أحدهم عن امرهم فجمجم فى
كلامه فعوقب حتى أقر فاخذهم متوليها وحملهم الى المكتفى وكان بالرقة فرحل بهم الى بغداد
فدخلها ومن معه من الاسرا فى شهر ربيع الاول وأمر ببناء دكة فى المصلى العتيق ارتفاعها عشرة أذرع
ثم اصعدوا عليها فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم ضربت رقابهم بين يديه ثم أمر بالقرمطى
فضرب مائتى سوط وكويت خواصره ثم قتل وصلب على الجسر الاعظم (ثم ظهر فيهم) رجل يسمى
زكروية بن مهرويه فى سنة ثلاث وتسعين ونعت نفسه بالمهدى فقطع الطريق على الحاج ونهب القوافل
وقتل أهلها وسبي حريمهم فبعث اليه من بغداد جيشا فحاربه بذى قار وهو موضع بين الكوفة

والبصرة فانهزموا واخذ أسيرا جريحا فى شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين فحمل الى بغداد فمات فى الطريق فى شهر ربيع الآخر (ثم) ظهر فيهم رجل يسمى على بن شيب ويعرف بالمبرقع فحورب وانهزم وأخذ أسيرا وأدخل بغداد على جمل وضرب عنقه (ثم ظهر فيهم) أبو سعيد الحسن بن يوسف بن كودركان الجيامى بالبحرين فقتله خادم له صقلبيان فى سنة عشرة وثلثمائة فقام بعده سليمان بن الحسن الجبارى فعاث فى البلاد وأفسد وقصد مكة شرفها الله تعالى فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر فقتل من وجد من الحاج فى المسجد الحرام ورمى بالقتلى فى بئر زمزم وعرى الكعبة وقلع بابها وأخذ الحجر الاسود فبقى الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة الا أشهرا ثم ردوه مكسورا على يد سنان بن الحسن بن سنان فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ونصب فى مكانه يوم النحر من السنة المذكورة وكان محكم الرابقى بذل لهم فيه خمسين ألف دينار فأبوا وكان موت سليمان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة (ثم) لما دخل المعز لدين الله مصر بعد أخذ جوهر مولاه لها وذلك فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة فى أيام المطيع قصد القائم فيهم يومئذ رجل يعرف بابن غزوان فخرج اليه جعفر بن فلاح فالتقاه بالرملة فقاتله وهزم عسكره وقتله فى سنة تسع وستين وثلثمائة (ثم) قام فيهم رجل يسمى حسنا ويعرف بالاعصم فملك الشأم وأخرج منه عمال المعز فانهزموا بين يديه فتبعهم الى مصر وملك الصعيد وأسفل الارض ووصل الى مصر ونزل بعسكره عليها فخرج اليهم القائد جوهر فحاربهم فاقتتلوا اقتتالا شديدا وقتل من العسكر خلق كثير وذلك يوم الجمعة غرة شهر ربيع الاول سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثم انصرفوا وتركوا الحرب يوم السبت ورجعوا يوم الاحد وهم واثقون بالظفر فلما التقى الجمعان اعطى الله النصر لعساكر القائد جوهر وانكشفت القرامطة بالانهزام وساروا الى البحرين على نية العود اليها والى الشأم فوجدوا بنى حمدان قد ملؤا شعابه واوديته ورفعوا به قواعد الدين وألويته ولم يجمع الله للاعصم على شق عصا الاسلام شملا ولم ينهض له بعد فى الاسلام قولا ولا فعلا تفرق أصحابه فى البلاد أيدى سبا واسترجع منه الدهر مانهب وسبى وكانت مدة دولتهم ستا وثمانين سنة وهذا الذى ذكرناه يشترك فى القول به أصحاب الاراء والمقالات الخابطون فى عشواء الجهالات كأصحاب النحل والملل المتمسكين بآرائهم مع مافيها من الفساد والخلل كالمعتزلة والحشوية وغلاة الرافضة وسائر الفرق الاسلامية غير الفرقة الناجية التى هى لعواطف لطائف الله راجية وكل منهم قد أضله الله على علم فنعوذ بالله من الغواية بعد الهداية ومن الحور بعد الكور ومن الانكار بعد الاستبصار انه سميع قريب تواب مجيب

الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من هذا الباب

فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التعالى والتنزل

ومعنى التغفل الغلط فى الوسيلة والطريق الى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورميته فى الوصول الى الغرض غير صحيحة كما قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجه وكثر اليهم احتياجه وتعاورته ألسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك

(وقالوا) التغفل تحريف الشيء عن مواضعه مع تيقن ان ذلك صواب كما ذكر ان أحمد بن أبي خالد عرض القصص يوما على المأمون وهو بين يديه فمر برقعة مكتوب عليها فلان اليزيدي فصحفه وقال الثريدي فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لابي العباس فانه أصبح جائعا فخجل أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع على يائه ثلاث نقط كأثافي القدر فقال المأمون دع عن هذا فان النقط شهود الزور والجوع اضطرك الى ذكر الثريد فلما أتى بالثريد احتشم احمد من أكله فقال له المأمون بحقي عليك الا ما أكلت فترك القصص ومال الى الصحفة وأكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع الى القصص فمر برقعة عليها مكتوب فلان الحمصي فقرأها الخبيصي فضحك المأمون وقال يا غلام جام خبيص فان غداء أبي العباس كان أبتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه الرقعة أحمق من الاول فتح الميم فصارت كأنها ستتان قال دع عنك هذا فلولا حمق هذا وصاحبه مت أنت جوعاً فأتي بجام خبيص فأبى أن يأكل من كثرة الاستحياء فقال له المأمون بحقي عليك الا ما ملت نحوه وأكلت فانحرف اليه وأكل منه ثم غسل يده وانصرف الى القصص واحترز في قراءتها وتثبت في حروفها فما حرف حرفا حتى أتى على آخرها

وقد اخترت من مدام المتغفلين محاسن وراق درر أضمنتها أصداف هذه الاوراق

ذم أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مستمليه وقد أملى عليه شيأ فعجز عن ادراكه فقال والله ما فهم ولو فهم لوهم (وقال الجاحظ) كان كيسان مستملي أبي عبيدة يكتب غير ما يسمع ويستفتي غير ما يكتب ويقرأ غير ما يستفتي أمليت عليه يوماً عجبت لمعشر عدلوا * بمعتمر أبا عمرو

فكتب أبا بشر واستفتى أبا زيد وقرأ أبا حفص (وسأله) أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب ما اسمه فقال هو خداش أو خراش أو رياش أو خماش أو شيء آخر وأظنه قرشيا فقال له أبو عبيدة من أين علمت ان نسبه في قريش قال رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانب (وذكر الجاحظ عنه) أنه شهد على رجل عند بعض الولاة فقال سمعت باذني وأشار الى عينه ورأيت بعيني وأشار الى أذنه انه أمسك بتلابيب هذا الرجل وأشار الى كمه ومازال يضرب خاصرته وأشار الى فكه فضحك الوالي وقال أحسبك قرأت كتاب خلق الانسان على الاصمعي قال نعم مرتين (وذم) بعض البلغاء قدما فقال لا يفهم ولا يفهم وينقض ما يبرم ولا يعلم ولا يتعلم ويستصغر من يتعلم وسأل أبو عون رجلا عن مسئلة فقال على الخبير بها سقطت سألت عنها أبي فقال سألت عنها جدك فقال لا أدري (وقالوا) فلان يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع ويكتب غير ما يحفظ ويقرأ غير ما يكتب (وقالوا) فلان ذو بصيرة عمياء عند تأمل الثواقب وتجربة صماء عند تشابه النوائب * وقال شاعر يهجو رجلا

جهول غاص في لحم وشحم * ولم ينسب الى عقل وفهم
اذا لبس البياض فعدل جص * وان لبس السواد فعدل فحم

(وممن تقاصر فهمه) عن ادراك الصواب النادي فتطاول بذمه لسان الحاضر والبادي أحمد بن الخصيب وزير المنتصر ووزير أيضاً للمستعين عمل أبو العيناء كتابا في ذمه حكي فيه ان جماعة من الفضلاء اجتمعوا

فى مجلس وكل منهم بكره بن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل فتجاذبوا أطراف الملح فى ذمه فقال على بن بسام كان جهله غامرا لعقله وسفهه قاهرا لحلمه وقال لمعرة الرابض لوكان دابة لتقاعس فى عنانه وحرن فى ميدانه وقال آخر كنت اذا وقع لفظه فى سمعى أحسست النقصان فى عقلى وقال بعض كتابه كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بما لا يصيب ولو نطق لنطق بنوك عجيب وقال ابراهيم بن المدبر كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه فقلت له أراك راغبا فى الهليون فقال انه يزيد فى الباه (وسئل) عنه أبو العيناء بعد هذا التصنيف فقال ان دنوت منه غرك وان بعدت عنه ضرك لخيانه لا تدفع ومونه لا يضر (وقال آخر) لو غابت عنه العافية لنسيها (وكان) ابن الخصيب اذا ناظر شعب وحلب وربما فس من ناظره اذا أفحم عن الجواب وخفى عنه الصواب واستولت عليه البلادة وعرى كلامه عن الافادة * وفيه يقول محمد بن الفضل

قل للخليفة يا ابن عم محمد * أشكل وزيرك انه ركال
قد أحجم المتظلمون مخافة * منه وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله * أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه * ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(وحكى عنه) أنه رأى جرادا كثيرا يطير فقال لجلسائه لا تغتموا انى أحسبه كانه ميت وفيه يقول بعض الشعراء يهجوه من أبيات

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فخل عن الكتابة لست منها * ولو لطخت ثوبك بالمداد

(وقد) هجا أبو العيناء أسد بن جوهر ونحا فيه هذا المعنى فقال

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب
جيل من الانعام الا أنهم * من بينها خلقوا بلا أذناب
لا يعرفون اذا الجريدة جردت * ما بين عياب الى عتاب
أو ما ترى أسد بن جوهر قد غدا * متشبها لاجلة الكتاب
لكن يمزق ألف طومار اذا * ما احتيج منه الى جواب كتاب
فاذا أتاه سائل فى حاجة * رد الجواب له بغير جواب
وسمعت من غث الكلام ورثه * وقبيحه باللحن والاعراب
ثكلتك أمك هبك من بقر الفلا * ما كنت تغلط مرة بصواب

(ولآخر يهجو كاتب خراج)

لو قيل كم خمس وخمس لارتأى * يوما وليلته يعد ويحسب

يرمي بمقلته السماء مفكرا * ويظل يرسم في التراب ويكتب
ويقول معضلة عظيم أمرها * ولئن فهمت فان فهمي أعجب
حتى اذا خدرت أنامل كفه * عدّ وكادت عينه تتصوب
أوفى على نشز وقال ألا اسمعوا * قد كدت من طرب أجنّ وأسلب
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان قالهما الخليل وثعلب
فيه خلاف ظاهر ومذاهب * لكن مذهبنا أصح وأصوب
وخواطر الحساب فيها كثرة * وأظن قولي فيهم لا يكذب

﴿وممن كان صوابه﴾ عن غير اعتماد وخطؤه بعد تروّ واجتهاد شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركي وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ولا يفهم وانما علم علامات كان يكتبها في التوقيعات (قال) الحسن بن المخلد كنت يوما عند المستعين ومعنا أوتامش اذ دخل شجاع بن القاسم وسراويله قد خرج من خفه حتى وقع على قدمه وهو يسحبه ويدوسه فقال له المستعين ويحك يا شجاع ما هذه الحالة فقال الساعة يا سيدي داسني كلب فخرقت سراويله وثيابه فضحك المستعين وقال لأوتامش مثل هذا ينبغي أن يستعمل في الكتاب (ومن ظريف ما يخبر عنه) أن أحمد بن عمار عمل شعرا مختلف القوافي ولا معنى له مما يليق بفهمه وعقله متعمدا اذلك ليضحك منه اخوانه ووقف اليه وقال أيها الوزير ليس الشعر صناعتي ولكنك احسنت اليّ والى أهلي بما أوجب عليّ شكرك فعملت أبياتا أمدحك بها فتفضل بسماعها فقال له أغناك شرفك عن التكسب بالشعر وانشاده فقال لابد أن تتفضل وتأذن لي فاذن له فأنشد

شجاع لجاج كاتب لاتب معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبيص مستمر مقوّم * كثير أثير ذو شمال مهذب
بليغ لبيغ كل ما شئت قلته * لديه وان أسكت عن الامر يسكت
فطين لطين أمره لك زاجر * خصيف لصيف كل ذلك يعلم
أديب لبيب فيه فهم وعفة * عليم بشعري حين انشد يشهد
كريم حليم قابض متباسط * اذا جئته يوما الى البذل يسمح

فسر بذلك وشكره على انشاده ووصله بعشرة آلاف درهم وأجرى له ألف درهم في كل شهر * وكان محمود الوراق عنى هذا المذكور بقوله من أبيات

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهدا للامر غير مشاهد

أو أبا تمام بقوله

ولو نشد الخليل له لعفت * بلادته على فطن الخليل

أو قول هذا القائل فيه فلان لا ينتبه ولو أدخل في الكور ونفخ عليه الى أن ينفخ في الصور (وحكى الجاحظ) في كتاب البيان أن المأمون كان يستثقل سهل بن هرون فدخل عليه يوما والناس جلوس وقد أسبلوا براقع الغفلة على وجوه الفطن والفهم عنهم قد رحل والتبلد فيهم قد قطن فلما فرغ المأمون من كلامه اقبل سهل على الناس وقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تفهمون وتشاهدون

ولا تتعجبون والله انه ليقول ويفعل فى اليوم القصير مثل ما يفعله بنو مروان فى الزمن الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم لكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فاستحسن المأمون منه ذلك وأنزله منزلته الاولى * وكلام سهل يحتمل مدح فصاحة المأمون وذم البلادة التى أنزلت جلساء المنزل الدون واثباته فى حقهم بالذم أوجب علينا والزم

﴿ الفصل الثانى من الباب الثامن ﴾

فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر أخبارهم المستظرفة

وواجب أن نبدأ بأخبار من أساء فى التفقد والعيادة ولم يحسن خطابه فى السؤال ولا الاعادة (قال عامر بن شراحيل الشعبى) عيادة النوكى أشد على المريض من مرضه فانهم حمى الروح وطليعة ملك الموت (دخل) حمصى على عروة بن الزبير يعوده لما قطعت رجله لالم أوجب عليه فعل ذلك من أكلة اصابتها فقال أقطعت رجلك قال نعم قال جيد قال أوجعك شديد قال نعم قال جيد ثم قال لا تغتم فانك لو رأيت ثوابها لتمنيت ان الله قد قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك ودق صلبك فكان مصاب عروة بعائده المزيد فى نكده أكثر من مصابه بما قطع من رجله ويده (وأين) هذا الجلف من عيسى بن طلحة بن عبيد الله فانه دخل على عروة هذا يعوده لما قطعت رجله فقال والله ما كنا نعدك للصراع ولا للتسابق ولكن نعدك للخير ونوالك المنساق والحمد لله أعدمنا الله أقلك لقد أبقى لنا أكثرك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال يا عيسى ما عزانى أحد بمثل ما عزيتنى به (ودخل آخر) على مريض يشكو من رأسه فقال لاهله لا ضير اذا أيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه (وعاد آخر مريضا) فقال له ما بك قال وجع الركبة قال ان جريرا ذكر بيتا ذهب عنى صدره وبقى عجزه وهو

وليس لداء الركبتين دواء * فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره (وعاد) آخر مريضا فقال لاهله اجركم الله فقالوا انه لم يمت بعد قال يموت ان شاء الله (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله لا تفعلوا فى هذا كما فعلتم بالآخر مات وما اعلمتمونى به (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله احسن الله عزاكم فقالوا انه لم يمت قال قد عرفت ولكنى شيخ كبير لا استطيع النهوض فى كل وقت واخاف أن يموت فأعجز عن المجئ لاعزيكم به (وعاد رجل الشعبى) فابرم ثم قال له ما تشتهى قال اشتهى ان لا اراك (وعاد آخر مريضا) فقال له ما تشتكى قال وجع الخاصرة قال والله كانت علة ابى فمات منها فعليك بالوصية يا اخى فدعا المريض ولده وقال يا بنى اوصيك بهذا الا تدعه يدخل علىّ بعد هذه (وعاد) آخر مريضا فلما رآه انشد متمثلا بما املى قلبه الغبى على لسانه العيى

تموت الصالحون وانت حى * تخطاك المنايا لا تموت

(وذكر المسعودى) ان عمرو بن العاص لما قدم من مصر على معاوية انشده هذا البيت فاجابه عمرو

اترجوان اموت وانت حى * ولست بميت حتى تموت

(دخل) عبد الله بن ابى عتيق ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر على عائشة رضى الله عنها يعودانها فقال لها كيف حالك يا عمة جعلنى الله فداءك قالت فى الموت قال الآن لا جعلنى الله فداءك فانى كنت اظن ان فى الوقت فسحة

﴿ومن﴾ عرف بالتغافل واشتهر وفاق أهل زمانه ومهر أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري كان رئيساً في المترفهين ورئيساً للمتجلفين وجد الجد فهو ذو جدة ويسار وعدم العقل فسيان اليمين واليسار وكان عند المقتدر من خواص أحبته وممن له الكلمة المطاعة في دولته ثم نقم عليه فصادره فأخذ منه ستة آلاف ألف دينار وغير ذلك من مواش وأثاث وعقار ومن نفائس الاعلاق والذخائر مالا يوجد قليله عند عقلاء الاخاير * ومما يدل على كثرة ماله ان المعتضد لما عقد نكاحه على قطر الندى بنت احمد بن طولون بعث الى ابن الجصاص ليتولى جهازها فلما فرغ منه دخل على ابن طولون ليودعه فلم يذكر له ما صرف وكان مبلغه أربعمائة ألف دينار فسأله ابن طولون عنه فدافعه فأبى ذلك وقال لا بد منه فذكر له فقال له راجع طومارك لعلك نسيت شيئاً فراجعه فاذا فيه تكك قيمتها عشرون ألف دينار لم يدخلها في حسابه فاطلق له الجميع فانظر الى مال ينفق من عرضه اربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار كم يكون اصله * فمن ملح اخباره وملح آثاره ماحكي ان انساناً سئل عن صفته فقال رأيته شيخاً طويلا طويل اللحية خفيف العارضين صغير الرأس تشهد صورته عليه بالنوك (وحكي) عنه انه دخل عليه علي بن الفرات يحدثه وهو غافل عنه ساه تارة ينعس وتارة يبهت فقال له كم ذا السهو والنعاس فقال ياسيدي عندنا في المحلة كلاب لا تدعنا ننام من كثرة صياحها وهراشها فقال له ابن الفرات لم لا تأمر عبيدك تضربها فاني أحسبها جراء فقال لا تقل ذلك أيها الوزير فان كل كلب منها مثلي ومثلك (نوع منها لغيره) تغدى أبو السربال عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد أبيه فقدم امامه جدياً وقال كل من كليته فانها تزيد في الدماغ فقال لو كان كما يقول الامير لكان رأسه مثل رأس البغل (وقال) بعضهم دخلت على ابن الجصاص يوماً والمصحف في حجره وقد بل كاغده بدموعه وأذل نفسه بتضرعه وخشوعه فسألته ما الذي دهاك وأزال بهاك فقال اكلت مع الجواري الخبيص فتعديت امر الله وخالفته وكنت لا اعرف ان الله نهى عنه وحذر منه قلت وما الذي أوصى الله به ونهى عنه وحذر منه قال اكل الخبيص مع الجواري قلت وكيف قال الله في ذلك قال ألم تسمع قوله تعالى يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن وقرأها بالخاء ثم قال يا اخي هل تعرف لي من توبة اغسل بها هذه الحوبة قلت التضرع في الدعاء بالاقالة والابتهال الى الله بصدق المقالة فقام وكشف عن رأسه وحسر عن ذراعيه ورفع يديه وقال اللهم انك تجد من ترحمه سواي ولا اجد من يعذبني سواك فتركته وانصرفت متعجباً من هذه الحال موقناً ان الجد لا يكون بسعي المحتال (وسمع يوماً) يقول في سجوده سجد لك بياضي وسوادي خاضعاً ضارعاً ماصالبظر أمه ومن أنا هل أنا الاعبدك وابن عبدك الزاني ابن الزانية حتى لا يغفر له (ومما يشبه هذا القول لغيره) ماحكي ان شعيباً العلاقي كان لا يصوم ولا يصلي ويقول من أنا حتى اصوم واصلي انما يصلي المتكبرون الذين اريد منهم التواضع ويصوم الشباع حتى يعرفوا قدر مافيه الجياع وكأنه اقتدى في قوله بما حكي ان الرستمي كان عنده قوم من التجار فحضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا معه فقال مالكم ولهذا وما انتم منه الصلاة ركوع وسجود وقيام وقعود وانما فرض الله هذا على المتجبرين والمتكبرين الملوك الاعاجم مثلي ومثل ذي الاوتاد ونمروذ وانوشروان ولستم من هؤلاء فمالكم ولها لكنه المغرور

اقتدى به فى القول دون العمل وحمل اوزار الجهل وبئس والله ما حمل (واهدى) ابن الجصاص الى العباس ابن الحسن الوزير نبقاً وكتب معه

تفيلت بان تبقى ❊ فاهديت لك النبقا

فكتب له الوزير مانفيلت ولكن تبقرت

﴿ ذكر من اخطأ فى سؤال او جواب وظن ان كلامه عين الصواب ﴾

ذكر ان انساناً كان يكثر الجلوس فى حلقة الشافعى وكان ذا رواء وهيبة وكان الشافعى يجله ويكرمه فسأله يوماً اى وقت يحرم على الصائم الاكل فقال الشافعى عند طلوع الفجر قال فان طلع الفجر بعد طلوع الشمس فقال الآن بمد الشافعى رجله ومدها ولم يحتشم منه (وقال الجاحظ) دخل رجل على الشعبى وبين يديه الفقهاء فقال بعد ما اطال جلوسه أيها الشيخ انى أجد فى قفاى حكة أفترى ان احجم فقال الشعبى الحمد لله الذى رفع منزلتنا فحولنا من الفقه الى الحجامة واكثر ما تقع هذه النوادر من القصاص (وسئل بعضهم) عن أربعين ماشية نصفها ضان ونصفها معز كيف تخرج زكاتها فقال يخرج عنها رأس نصفها ضان ونصفها معز (وقيل لبعضهم) ان نصرانيا قال لا اله الا الله لاغير ما يجب له وعليه قال يؤخذ منه نصف الجزية ويؤمر باداء نصف ما على المسلمين من الفرائض والسنن وان مات دفن بين مقابر اليهود والنصارى كما قال الله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فهو من المذبذبين (وأتى) بعض القصاص بنصرانى يريد أن يسلم فقال قم عنى أتريدون أن توقعوا بينى وبين عيسى بن مريم يوم القيامة (وسئل) بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا لوطياً نعوذ بالله من فعله فانكر عليه الناس ولامه بعض أصحابه بعد انصرافهم وأعلمه ان لوطاً نبى مرسل بعث الى قوم كان ذلك القبيح فعلهم وان لوطاً نهاهم عنه فندم على ما قاله فلما كان فى المجلس الآخر سئل عن فرعون فقال دعونا من حديث الانبياء واسألوا الله السلامة قوم لارأيناهم ولا رأونا كيف نتكلم فى اعراضهم (وسئل بعضهم) ما تقول فى خلق القرآن فقال دعونا من القرآن هو مخلوق غير مخلوق (وسئل آخر) وكان ناصبيا عن معاوية فقال معاوية ليس بمخلوق لانه كاتب الوحى والوحى ليس بمخلوق وكاتب الوحى من الوحى (وحكى) سعيد بن خالد اليمانى قال كان عندنا قاض يسمى أبا خالد قال فى دعائه يوما يا ساتر عورة الكبش لما علم من فضله وصلاحه وهاتك عورة التيس لما علم من قذره وفجوره استر علينا وارحمنا واهتك ستر أعدائنا فقيل له وما فضيلة الكبش قال لانه كبش ابراهيم الذى فدى به ابنه ولا يذبح فى العقيقة غيره قيل له فما ذنب التيس قال يشرب بوله وينزو على الشاة التى لم تستحق النزو ويؤذى الناس بنتن ريحه ويعلم الناس الزنا وهو عيب على أصحاب اللحى يقال جاء فلان فى لحية التيس (وقرأ قارئ) فى مجلس سيفوية ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فقال لمن حضره ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم اجعلنا منهم (وقال) الفضل بن اسحق الهاشمى سمعت قاصا وقد قرأ فى مجلسه يتجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه (وكان) سيفوية ممن يتلاوط فبينما هو يقص على الناس اذ أقبل جماعة صبيان حسان كأنهن الياقوت والمرجان فقال يا أصحابنا أقبل العدو ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم ولنا أدبارهم وكبهم على وجوههم وأرنا سوآتهم ومكن رماحنا من ظهورهم انك على كل شئ قدير وسيفوية بضم

النامو فتح الباء هكذا ضبطه الامير ابو نصر ابن ماكولا فى كتاب الاكمال

﴿ وممن تأخرت معرفته من الحكام وتقدم جهله فى القضايا والاحكام ﴾

حكى ان عامل المنصور بن النعمان كتب اليه من البصرة انى اصبت سارقا سرق ثيابا من حرز فما أصنع فيه فكتب منصور اليه اقطع رجله ودعه بكد بيديه على عياله فأجابه العامل ان الناس يذكرون هذا القول الله تعالى فى القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فكتب اليه ان القرآن نزل من السماء ونحن فى الارض والشاهد يرى ما لا يرى الغائب (وتقدم) رجل الى بعض القضاة بخصم فقال ان هذا باعنى ثوبا وجدت فيه عيبا وسألته ان يقيلنى فأبى فالتفت اليه القاضى وقال أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيلوا فان الشياطين لا تقيل (وقيل) لقاضى حمص كيف تحكم على اللوطى قال بنصف حكومة الزانى قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نصف ما يحمل الجمل وهذا حكم مفهوم (وادّعت امرأة) على زوجها مهرا عند بعض القضاة فانكر فأمر القاضى ان يجلدا حدّين قيل له ولم حكمت بهذا قال لانهما زانيا ان لم يكن بينهما مهر قيل فلا يجب على المرأة قال بلى ان النخلة اذا لم يحمل رأسها أحرق أصلها (وتقدم جماعة) الى قراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور صال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو العاقلة ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق ويطلق صاحبه قيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا فى زمن فرعون ما فعل غير هذا فانه القاتل ولا يحل ان أقتل غير القاتل * وهذه الحكاية ذكرها القاضى الاسعد بن مماتى فى كتابه الذى وضعه وسماه الفاشوش فى أحكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيأ كثيرا والعهدة عليه فى ذلك فيما حكى والله أعلم (وكان) نصر بن منيل عاملا للرشيد على الرقة فأتى برجل من الطرقة وجد ينكح شاة فقال أيها الامير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فاطلقه وأمر ان تضرب الشاة الحدّ فان ماتت تصلب قالوا أيها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالى أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما مثل بين يديه قال له ممن أنت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال له كيف بصرك بالحكم قال يا أمير المؤمنين الناس والبهائم عندى فيه سواء ولو وجب الحد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحددتها ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فعزله الرشيد وأمر أن لا يستعان به فى عمل فلم يزل معطلا الى أن مات (وكان) الربيع بن عبد الله العامرى واليا على اليمامة فبلغه ان كلبا قتل كلبا لآخرين فأمر ان يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بأن الله حق لقاؤه * وان الربيع العامرى رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(وكان) أبو الضحاك ميمون قد ولى القضاء ببعض الاهواز فأتى برجل قد سرق فحده ثمانين وأتى برجل قذف فقطع يده فقال فيه محمد بن مساور

قد ذهب العلم وأشياعه * الا أبا الضحاك ميمونا
يقطع كف القاذف المفترى * ويجلد السارق ثمانينا

﴿ومن التغفل الواقع من الشعراء في مدائح السادات والكبراء﴾

قال الخفاجي في كتاب سر الفصاحة ينبغي للشاعر ذي التمييز في فنه والتبريز ان لا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا يعبر في الذم بالالفاظ المستعملة في المدح بل يستعمل في جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بها في موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه ألا ترى ان الانسان اذا مدح ذكر الرأس والهامة والكاهل واذا هجا ذكر الاخادع والقفا والقذال وان كانت معاني الجميع متقاربة فقبيح بالشاعر وغيره أن يقول للملك وحق قذالك مكان وحق رأسك لان الاستعمال مختلف في الالفاظ وان كان في المعنى غير مختلف (فمن السقطات المعدودة في ذلك قول أبي نواس)

جاد بالاموال حتى * حسبوه الناس حمقا

وكقول أبي تمام مازال يهذي بالمكارم دائبا * حتى ظننا انه محموم

وكقوله ياأباجعفر جعلت فداكا * فاق كل الوجوه حسن قفاك

الى غير ذلك من شعر المولدين والمحدثين والعصريين فالحمق ويهذي ومحموم من الالفاظ اللائقة بالهجاء * وقد سقط المتنبي في افتتاحه قصيدة مدح بها كافورا الاخشيدي اذ قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان تكون أمانيا

(قلت) وقد أشبه ما عيب ما حكي ان زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور أنشدها قاصد من الاعراب فقال أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لسائلك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطي الاكف من الرغاب

فوثب اليه خدمها وهموا بضربه فمنعتهم من ذلك وقالت أراد خيرا فأخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك فظن انه اذا قال هكذا كان أبلغ اعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل وعاب الفضل بن يحيى على أبي نواس قوله في قصيدة مدحه بها

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواكم لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل ما زدت على ان جعلتني قوادا فقال انه جمع تفضل لا جمع تواصل * وقد تابعه أبو الطيب المتنبي في قوله من قصيدة يمدح بها سعيد بن كلاب

عل الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي صيرتني في الهوى مثلا

(وعيب) عليه أيضا قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان

ليت أنا اذا ارتحلت لك الخيـ * ـل وانا اذا نزلت الخيام

فانه أنزل نفسه منزلة الآلة وعبر عن همته بالذلة بجعلها مركوبة ولم يكفه ذلك حتى ألبس الممدوح شعاره وأكسبه عاره بجعله دارا كالمارة ومركوبا أخرى واتصف بصفات المدح التي هو بها أحرى فأساء الادب وأخطأ الطريق وعدم الرشد ويمن التوفيق (ودخل بعضهم) على رئيس الرؤساء أبي الغنائم فأنشده قصيدة جاء منها فسبحان الذي اعطاك ملكا * وعلمك الجلوس على السرير

(وتمامه) أتذكر اذ لباسك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له رجل من الجلساء أتقول مثل هذا للرئيس لا أم لك فقال والله ماظننت انى قلت إلا غيرانى مدحت الرئيس بما مدحت به فضحك منه ووصله وهذان البيتان ذكرهما الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين لاعشى همدان وأنشد قبلهما

فلست مسلما مادمت حيا * على زيد بتسليم الامير
أمير يأكل الفالوذ سرا * ويطعم ضيفه خبز الشعير

(وحدث) أحمد بن اسماعيل بن الخصيب قال دخلت على سليمان بن وهب بأبيات أعزيه فيها عن أمه فأخذت فى انشادها فقال أنا أعزك الله فى مصائب قد انثالت على من كل جانب قلت وماهى أطال الله بقاك قال ماتت أمى وغير رسمى ورثى مبتى بمثل هذا الشعر ورمى لى رقعة مكتوب فيها

لام سليمان علينا مصيبة * مجللة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت ياأم سالم * فأضحى سراج البيت بين المقابر

فاشتغلت بالضحك عن البكاء وبالتسلى عن العزاء وكان الشعر لابى أيوب واسمه صالح بن شهريار بن أخت أبى الوزير (ومدح بعضهم اميرا فقال)

انت الامام الاريحى * الواسع بن الواسعة

فقيل له من أين عرفت هذا قال سمعت الناس يثنون عليك بذلك

﴿ ومن شوارد هذا النوع وافراده مايفى بغرض المتأمل ومراده ﴾

ماحكى أن عبدالله بن رواحة رأته امرأته على بطن جارية له فخرجت وأخذت شفرة ثم دخلت عليه تريد قتله فوجدته قد خرج من عندها فقال لها مهيم فقالت أما انى لو وجدتك حيث كنت لوجأت بها بطنك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان يقرأ أحدنا القرآن جنبا قالت اقرأ فأنشد

أتانا رسول الله يتلو كتابه * كما لاح مشهور من الصبح ساطع
اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا ما استقرت بالجنوب المضاجع

فلما سمعت مقاله قالت آمنت بالله وكذبت بصرى فأخبر بذلك عبدالله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه (واسر) عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج فوجد فيهم امرأة فقال وانت ياعدوة الله ممن مرق من الدين وخرج على المسلمين اماسمعت قول الله تعالى

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت حسن معرفتك بكتاب الله دعانا الى الخروج عليك ياعدو الله * وصعد المنبر باصبهان فخطب وقال فى اثناء خطبته وذلك كما قال الله فى كتابه العزيز

ليس شئ على المنون بباق * غير وجه المسبح الخلاق

فقال له رجل ليس هذا قول الله انما هو قول عدى بن زيد قال فنعم والله ماقال عدى (ومثل ذلك) ماحكى أن على بن زياد الايادى قال فى بعض خطبه أقول لكم كما قال العبد الصالح ماأريكم الا ماأرى وماأهديكم

الاسبيل الرشاد فقام اليه انسان وقال ماهذا قول عبد صالح انما هو قول فرعون فقال من قال هذا فقد أحسن (وأم رجل) من الظرفاء بقوم ايام او كانوا من التغفل بمكان فكانوا يطعمونه الخبز والكامخ لا يزيدونه عليهما شيأ فصلى بهم يوما الصبح فقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أئمتكم كامخا بل لحما فان لم تجدوا لحما فشحما فان لم تجدوا شحما فبيضا ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وقرأ في الركعة الثانية فان لم تجدوا بيضا فسمكا واطبخوه سكباجا فان لم تجدوا سمكا فلبنا ولا تمخضوه تمخيضا ومن يفعل ذلك فقد افترى اثما عظيما فلما فرغ من صلاته جاؤه واعتذروا اليه من التقصير في حقه وأنهم لم يكن عندهم علم بان الله أنزل في الوصية بالائمة شيأ وسألوه في أي سورة هذه الآيات فقال لهم في سورة المائدة (وكان) بعض الحمقى يتعشق جارية فهام بها دهرا لا يقدر على الوصول اليها فزارته يوما فنام وتركها فقالت له ويحك ما دعاك الى النوم وقد ظفرت بمن تهواه فقال ياسيدتي أتناوم لعلي أراك أيضا في المنام كما قال الشاعر

واني لاستغشي ومابي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

وكتب آخر الى محبوبته ان رأيت أن تزورينا عصمنا الله واياك فافعلي فكتبت اليه يا أحمق متى عصمنا لا نجتمع أبدا (ووقع) بين سليمان بن مهران الاعمش وبين زوجته وحشة فسأل بعض أصحابه الاصلاح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنك فيه عموشة عينيه ونتن ابطيه وبخر شدقيه وجمود كفيه وحموشة ساقيه وذلك بمرأى من الاعمش ومسمع منه فقال له الاعمش كف لا أم لك فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه (وذكر) أن عبد الله بن فضلويه وكان عامل قزوين أنشد يوما

يوم القيامة يوم لا دواء له * الا الطلاء والا الطيب والطرب

فقال له من حضره أخطأت انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني فاني لا أعرف أيهما (باع) بعض المتجلفين بستانا واشترى بثمنه حمارا فقال له صاحب له بعت ما كان يعلفه السماء فيعوضك الشعير واشتريت ما تعلفه الشعير فيعوضك الماء (ومن هذا الباب) تجلف أبي غبشان وكان سادن الكعبة فانه باع الكعبة بزق خمر حتى ضرب به المثل في التجلف فقيل أخسر صفقة من أبي غبشان وتجلف سلم الخاسر فانه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا فضرب به المثل فقيل أخسر من سلم

﴿الفصل الثالث من الباب الثامن﴾

في أن انواع التغفل والبله مستورعلى الاولياء مسبله

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن (وقال) صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لابره (وقال) عيسى عليه السلام للحواريين كونوا بلها كالحمام حلما كالحيات (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله (قال العلماء) هم البله في طلب الدنيا الا كياس في طلب الآخرة

﴿فمنهم عليان الذي كان قالبه مع الخلق وقلبه مستغرقا في أسرار الحق﴾

يحكي عنه أن رجلا قال له من العاقل وهو يهزأ به فقال من حاسب نفسه وراقب ربه (وقال) حفص بن

عتاب قاضي الكوفة مررت بعليان وهو جالس في السوق فلما رآني قال من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والنار في الآخرة فليتمن ما هذا فيه قال ابن عتاب والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه ان امي لم تلدني أو اني مت قبل ان ألي القضاء (وقال) لابي الوفاء وقد مر به رأيناك أسمنت دابتك واهزلت دينك أما والله ان امامك لعقبة كؤدا لا يجوزها الا المخفون (وعن) ابن أبي فديك قال رأيت عليان وقد دلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب فقلت له ما تصنع ههنا قال أجالس اقواما لا يؤذونني ان حضرت ولا يغتابونني ان غبت فقلت قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف عنا الضر فقال والله لا ابالي ولو حبة بدينار ان الله أخذ علينا العهد ان نعبده كما أمر وان عليه رزقنا كما وعد ثم صفق بيديه وقام قائلا

يا من تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

وتروى هذه الحكاية عن بهلول الآتي ذكره (وقال) الحسن بن سهل بن منصور رأيت الصبيان يرمون عليان بالحجارة فادماه حجر منهم فقال

حسبي الله توكلت عليه * من نواصي الخلق طرا في يديه

ليس للهارب في مهربه * ابدا من راحة الا اليه

رب رام لي باحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدتي فيفرح هؤلاء ويهب بعضا لبعض (ومن شعره)

افلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم أجاعوا البطونا

اقرحوا الاعين القريرة شوقا * فمضى ليلهم وهم ساجدونا

حيرتهم مخافة الله حتى * زعم الناس ان فيهم جنونا

(وممن كانت نفسه عن الشبهات مكفوفة بهلول المعدود من مجانين الكوفة)

قال عبد العزيز المتكلم رأيت بهلولا يوما باكرا فقلت يا بهلول كيف أصبحت قال بخير انتظر لقاء من يوجب الاجر ويحط الوزر ويشد الازر ثم قال لي يا عبد العزيز احسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (ولما) دخل الرشيد الكوفة خرج الناس لينظروا اليه فناداه بهلول يا هرون ثلاثا فقال الرشيد من يجترئ علينا في هذا الموضع فقيل له بهلول فرفع طرف السجف فقال ادن فقال يا امير المؤمنين روينا بالاسناد عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه اليك اليك وتواضعك في شرفك هذا خير من تجبرك وتكبرك قال فبكى الرشيد حتى بدت دموعه على الارض وقال احسنت يا بهلول زدنا يرحمك الله قال وبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل آتاه الله مالا وسلطانا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان الله من الابرار فقال الرشيد احسنت يا بهلول وامر له بجائزة فقال اردده على من اخذتها منه فلا حاجة لي بها قال يا بهلول ان كان عليك دين قضيته عنك قال يا امير المؤمنين ان هؤلاء اهل الرأي

بالكوفة اجمعوا على ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال فهل لك ان اجري عليك رزقا يقوم بك ويكفيك فرفع طرفه الى السماء وقال يا امير المؤمنين انا وانت عيال الله ثم تركه ومضى وهذه الحكاية لذوي العقول كافية وللقلوب من ادواء الذنوب شافية

﴿ ومن مشاهير هذه الطائفة سعدون الطالب للعلا والراغب عن الدون ﴾

روى خالد بن عبد الله الطوسي قال لما حج هرون الرشيد فرش له من جوف العراق الى مكة لبود مرعزية فمشى عليها القضاء نذر وجب عليه فاستند يوما الى ميل من تعب ناله واذا سعدون قد عارضه وهو يقول

هب الدنيا تواتيكا * أليس الموت يأتيكا فما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا كما أضحكك الدهر * كذاك الدهر يبكيكا

فبكى هرون وقال الويل لنا ان لم يعف الله عنا (وقال) عيسى بن علي رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه فقال لي بعض الصبيان انه يزعم انه يرى ربه فقلت له تسمع مقالة الصبيان فقال يا أخي مذ عرفت الله ما فقدته ثم قال

زعم الناس أنني مجنون * كيف أسلو ولي فؤاد مصون

علق القلب بالبكا في الدياجي * وهو بالله مغرم محزون

(وعن) عطاء بن سعيد قال كتب سعدون الى والينا أما بعد يا هذا ان لم تستح من الخلق فاستح من الخالق واحذر سهما من سهامه فان سهامه لا تخطئ ولا يغرنك حلمه عنك فانه ان عاقبك أهلكك وهتكك ثم كتب عنوانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وقال اسماعيل بن عطاء مررت بسعدون فلم أسلم عليه فنظر الي وقال

يا ذا الذي ترك السلام تعمدا * ليس السلام بضائر من سلما

ان السلام تحية مبرورة * ليست تحمل قائلها مغرما

(ورؤي سعدون يكتب بفحم على جدار)

ماحال من سكن الثرى ماحاله * امسى وقد رثت هناك حباله

أمسى ولا روح الحياة تصيبه * ابدا ولا لطف الحبيب يناله

أمسى وقد درست محاسن وجهه * وتفرقت في قبره اوصاله

واستبدلت منه المحاسن غبرة * وتقسمت من بعده أمواله

مازالت الايام تلعب بالفتى * والمال يذهب صفوه وحلاله

(وكان) اذا اشتد به الجوع رمق بطرفه الى السماء وقال

أتتركني وقد آليت حلفا * بانك لا تضيع من خلقتا

وانك ضامن للرزق حتى * تودي ما ضمنت وما قسمتا

فاني واثق بك يا الهي * ولكن القلوب كما علمتا

(ومن) محاسن أخبارهم وأحاسن آثارهم التي هي للقلوب الممحلة ربيع وللصدور الصدئة غيث مريع ما حكي ان سعدون قال لرجل يعظه اجمل قبرك خزانتك واحشها من كل عمل صالح فاذا وردت على ربك سرك

ماترى * ومن كلامه اذا بسط الجليل بساط العفو دخلت ذنوب الاولين والآخرين تحت حواشيه واذا بدت ذرة من عين الجود ألحقت المسيئين بالمحسنين (ومن شعره)

لئن أمسيت فى ثوبى عديم * لقد بليا على حر كريم

فلا يحزنك ان ابصرت حالا * مغيرة عن الحال القديم

(وقيل) لشقران من الحكيم قال الذى لا يتعرض للعذاب الاليم قيل وما العذاب الاليم قال البعد عن الرب الكريم (وقال) بعضهم رأيت فليتاً والصبيان حوله يؤذونه ويرمونه بالحجارة وهو يقول ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور (وقال) أبو همام اسرائيل بن محمد القاضى رأيت سابقاً المعتوه وهو يكتب على حائط بالفحم هذه الابيات

نظرت الى الدنيا بعين مريضة * وفكرة معتوه وتأميل جاهل

فقلت هى الدنيا التى ليس مثلها * ونافست منها فى غرور وباطل

وضيعت أياما طوالا كثيرة * بلذات أيام قصار قلائل

(وقيل) لمجنون فيم يسعى هذا الخلق قال فى طلب مالا يكون من الدنيا قيل فما يطلبون قال الراحة وذلك مالا يجدون

﴿ الباب التاسع فى السخاء وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

(فى ان التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم ألا ان السخاء شجرة فى الجنة أغصانها مدلاة فى الارض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا وان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة رواه أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب باسناد متصل فى كتاب البخلاء له (وقال) صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده اذا عثر ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل (وقال) صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق الى الله انفعهم لعياله (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى باسرى من بنى العنبر فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على رضى الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلاة والسلام نزل على جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم أحب العباد الى الله من حبب اليه المعروف وانما سمي المعروف معروفا لان الكرام عرفته فألفته والسخاء سخا آن سخاء نفس الرجل بما فى يده يصون به عرضه عن ذم اللئام وتركه مافى أيدى الناس يغلق عنه باب الملام وهو ان جمعهما فقد وجب أشرف اخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام (ويقال) فى مدح مثل هذا فلان نزه بماله متبرع وعن مال غيره متورع (ويقال) مراتب العطاء ثلاث سخاء وجود وايثار فالسخاء اعطاء الاقل وامساك الاكثر والجود اعطاء الاكثر وامساك الاقل والايثار اعطاء الكل من غير امساك لشئ وهذه اشرف الرتب وأعلاها واحقها بالمدح

وأولاها فان ايثار المرء غيره على نفسه افضل من ايثار نفسه على غيره وكفى بهذه الخلة شرفاً مدح الله تعالى اهلها فى قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (وقالوا) الجواد من لم يكن جوده لدفع الاعداء وطلب الجزاء كما قال عبد الله بن جعفر امطر معروفك فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا (فما) ورد عن ذوي الافضال فى الحث على العطاء والنوال ما ذكر عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول لبنيه يابني امية ان المؤمن الكريم يتقى عرضه بماله فلا تبخلوا اذا شئتم فان خير المال ما افاد حمداً أو نفى ذماً ولا يقولن احدكم ابداً بمن تعول فانما الناس عيال الله تكفل بارزاقهم فمن وسع وسع عليه ومن ضيق ضيق عليه ثم تلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فيالله العجب ما أشد ما باين قول هذا الخليفة فعله وخالف سخاؤه بخله وكيف قسم خليقته بين الايجاب والسلب وخص لسانه بالمدح وقلبه بالثلب (وقال) زهير بن جذيمة لولده عليكم باصطناع المعروف واكتسابه وتلذذوا بطيب نسيمه ورضائه وارضوا مودات الرجال من أثمانه فرب رجل قد صفر من ماله فعاش هو وعقبه فى الذكر الجميل (وقال) شاعر فى مثل هذا

اذا كنت ذا حظ من المال فاكتسب * به الاجر وارفع ذكر أهل المقابر

(الفقيه منصور يرثى)

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه

أتسأل عمن عاش بعد وفاته * بمعروفه اخوانه وأقاربه

(وقال) أبو نصر الميكالى الجود رأى موفق ومسدد * والبذل فعل مؤيد ومعان

والبر أكرم ما وعته حقيبة * والشكر أفضل ما حوته يدان

واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان

(وقال) بعض الاعراب الدراهم مياسم تسم حمداً وذماً فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له * اخذ شاعر هذا المعنى فقال اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه

الا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(وأوصى) قيس بن معديكرب بنيه فقال يابني عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب ثم أخرجوه فى أجمل مذهب فصلوا به الارحام واصطنعوا به الكرام واجعلوه جنة لاعراضكم ووسيلة تصلون بها الى اغراضكم تحسن فى الناس مقالتكم فان بذله تمام الشرف وثبات المروءة وانه ليسود غير السيد ويقوى غير الابد حتى يكون فى الناس نبيلا وفى القلوب مهيباً جليلا (وقال الجاحظ) ليس شيء ألذ ولا اسر ولا أنعم من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد عقود المنن فى أعناق الرجال لان هذه الامور هى نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس فان احببت ان يزاد فى الاحسان اليك وان يثبت لديك ما أنعم الله به عليك فاقض حاجة من قصدك وابسط له بالبشر وجهك وبالمعروف يدك (وقال) الحجاج فى بعض خطبه لا يملن أحدكم المعروف فان صاحبه يعوض خيراً منه اما شكراً فى الدنيا واما ثواباً فى الآخرة (وكان يقال) المعروف كنز لا تأكله النار وثوب لا يدنسه العار (وقال الاحنف بن قيس) ما ادخر الآباء للابناء ولا ابقت

الاموات للاحياء افضل من المعروف عند ذوى الاحساب والآداب (وكان يقال) انما المالك لك أو الحاجة أو للورثة فلا تكن اعجز الثلاثة (وقال) بشار بن برد من قصيدة مدح بها خالد بن برمك

أخالد ان المال يبقى لاهله * جمالا ولا يبقى الكنوز مع الحمد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العوارى للرد

(المتنبي) وأحسن شئ فى الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * واعظم اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرور محب أو اساءة مجرم

(بعضهم) اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه ان تحتازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

(محمود الوراق) تمتع بمالك قبل الممات * والا فلا مال ان انت متا
شقيت به ثم خلفته * لغيرك سحقا وبعدا ومقتا
يجود عليك بزور البكاء * وجدت له بالذى قد جمعتا
وأوهبته كل ما فى يديك * وخلاك رهنا بما قد كسبتا

﴿ وينتظم فى سلك هذه الابيات مايروى من واعظ الحكايات ﴾

(يحكى) ان هشام بن عبد الملك لما احتضر رأى اهله يبكون عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ياسوء حال هشام ان لم يغفر الله له (بعضهم)

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل * فلخير وقتك ان ترى مسؤلا
واعلم بانك عن قليل صائر * خبرا فكن خبرا يروق جميلا

(الشريف الرضي)

أحق من كانت النعماء سابغة * عليه من أسبغ النعما على الامم
واجدر الناس ان تعنو الرقاب له * من يسترق رقاب الناس بالنعم

﴿ الحض على انتهاز فرصة الامكان فى اسداء المرجو من الاحسان لمن كان ﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه لايدرى متى يغلق عنه (وقال) حكيم الدنيا غرارة ان بقيت لك لم تبق لها (وقال) عبد الله بن شداد لابنه يابنى عليك باصطناع المعروف فان الدهر ذو صروف والايام ذات نوائب تقضى على الشاهد والغائب كم من ذى رغبة صار مرغوبا اليه وكم من طالب صار مطلوبا مالديه (شاعر)

ليس فى كل ساعة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
واغتنمها اذاقدرت عليها * حذرا من تغير الازمان
احزم الناس من اذا احسن الدهر تلقى الاحسان بالاحسان

(ابن النقيب الكناني)

الحمد ابنع ما اجتناه المجتنى * والمجد ارفع ما ابتناه المبتنى
فاذا وليت وكان امرك نافذا * فادخر صنيعا فى الولاية واقتنى
من قبل ان يسعى لها فتفوته * وتقول عند فواته ياليتنى

(ابن هندو) اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فماتدرى السكون متى يكون

(آخر) لاتقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

﴿ومن﴾ أحسن ماقيل من الابيات فى انتهاز الفرصة بالمعروف واغاثة المكروب والملهوف قول سالم الانبارى

تمتع من الدنيا ساعتك التى * ظفرت بها مالم تعقك العوائق
فلا يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

﴿احتجاج المتبجح بالمعروف على السائل المجهول والمعروف﴾

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يحمل تلك فقد عرض تلك النعمة للزوال (وقيل) لعبد الله بن جعفر وكان جوادا اقتصد فى العطاء فان من ذهب ماله ذل فقال ان الله عودنى بالافضال علىّ وعودته بالافضال على عباده فأخاف ان اقطع العادة فيقطع عنى المادة ثم تلا قوله تعالى ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم (وقيل) احسن الناس عيشا من حسن عيش غيره فى عيشه (وقيل) لعبد الله بن طاهر وكان جوادا انفق وامسك بعض الامساك فقال ان سمن الكيس ونيل الذكر لا يجتمعان ابدا * نظمه بعض الشعراء فقال

اراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود اخو فطنة * يمن كثيرا ويعطى قليلا

(آخر) مااجتمع المال وحسن الثناء * مذ كانت الدنيا لانسان
وأى هذين تخيرته * ضنا به فاله عن الثانى

(آخر) صون الفتى عرضه عمايدنسه * وصونه ماحواه ليس يجتمع
المال يتلفه دهرا ويرجعه * اليه والعرض لايمضى فيرتجع

(أبو تمام من أبيات)

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم
ولم أر كالمعروف يرعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم

(وقال) ابن عباس لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه (شاعر)

انى اذا امكنتنى ساعة سمة * زينت بالبذل أوصافى وأحوالى
اما شكور فزين لى اعانته * أو الكفور فعرضى صنت بالمال

(آخر) يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها شكورا وكفور
فني شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما جحد الكفور
(آخر) وافضل ما دخرت على الليالي * صنائع عند مصطنع شكور

(ومن) المفاخر التي لا نزاع فيها ولا خلاف بسط الوجه وبذل القرى للاضياف * أول من شرع سنة قرى الاضياف سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا لم يجد من يأكل معه يخرج الى الطرقات ليأتي بمن يأكل معه ثم تبعته العرب على سنته وأول من وضع الموائد على الطرق سيدنا عبد الله بن عباس وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة دينار (قال شاعر يمدح من هذه صفته)

ابلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

(وفي مثله) يقول الشاعر في خالد بن برمك

تأبى خلائق خالد وفعاله * ان لا يجيب لكل امر غائب
واذا حضرنا الباب عند غدائه * اذن الغداء لنا برغم الحاجب

(وقال بعضهم) ابيت خميص البطن غرثان طاويا * واوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وامنحه فرشي وافترش الثرى * واجعل قرالليل من دونه لبسي
حذار مخازاة الاحاديث في غد * اذا ضمني وحدي الى صدره رمسي
(آخر) اضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والزمان جديب
وما الخصب للاضياف ان تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب
(آخر) اوقدا فان الليل ليل قر * والريح ماسرك ريح صر
عسى يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فانت حر
(آخر) يسترسل الضيف انسا في منازلنا * فليس يعلم خلق اينا الضيف
والسيف ان قسته يوما بناشبها * لم تدر من عزمنا من ذا هو السيف
(آخر) قالت سليمى لحاك الله من رجل * ماتحفظ العهد والميثاق والذمما
وحرمة الضيف ما ان خنت عهدكم * وقد حلفت يمينا برة قسما
لو يعلم الضيف عندي قدر منزله * لتاه حتى يرى لا يرجع الكلما
اقول للاهل والقربى وقد حضروا * قفوا قليلا فان الضيف قد قدما
(آخر) لحا الله من يمسي بطينا وجاره * لفرط الطوى محنى الضلوع خميص
لعمرك ماضيفي عليّ بهين * واني على ماسره لحريص

(ابراهيم بن هرمة)

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار في الظلماء الوية حمرا

(وتبعه ابن المعتز فقال)

وليل يودّ المصطلون بناره * ولو انهم حتى الصباح وقودها
رفعت به ناري لمن يبتغي القرى * على شرف حتى اتاها وفودها

(آخر) ومستنبح بعد الهدوّ برقدة * بشقراء مثل البحر بادو قودها
فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا * بوارد نار منجد من يرومها
فان شئت أو يناك في الحي مكرما * وان شئت بلغناك ارضا تر ومها

(آخر) لا تبعدن قومي وان كانوا خوى * فلنعم مأوى الضيف والجيران
الضيف فيهم لا يحوّل رحله * والجار مضمون من الحدثان

(آخر) الضيف اكرم ما استطعت محله * وتلقه بتودد وتهلل
واعلم بان الضيف يوما مخبر * بمبيت ليلته وان لم يسئل

﴿وصية كريم بالسودد عليم﴾ قال بعض البلغاء سودد بلا جود كملك بلا جنود (وقالوا) جود الرجل يحببه الى أضداده وبخله يبغضه الى أولاده (وما أصدق من قال)

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود القوم من هو مثلهم * بلا منة منه عليهم ولا يد

(وقال) بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومكافأة ومحبة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة (وقال) على بن أبي طالب رضي الله عنه ان للنعمة أجنحة فان أمسكت بالاحسان قرت والا فرت (وقال) محمد بن الحنفية رضي الله عنه ان أفضل المال ما أفاد شكرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا (وقال) المأمون لان أخطئ معطيا أحب الى من ان أصيب مانعا

العرف زينة ذي النهى وذخيرة * يلقى جوائزها بكل مكان
ماضاع معروف أتيت الى امرئ * فغدا وراح يذيعه بلسان

﴿ذكر الاجواد المعروفين ببذل الاموال﴾
﴿والموصوفين باصلاح فساد الاحوال﴾

أسخاهم وأجودهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * في الحديث الصحيح انه ماسئل شيأ قط فقال لا فان يكن عنده أعطى وان لم يكن عنده استدان أعطى عيينة بن حصن مائة من الابل وأعطى الاقرع ابن حابس مثلها وأعطى اعرابيا غنما بين جبلين فانطلق الاعرابي وقال لقومه اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر (وقال) أنس بن ملك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله فوضع في المسجد ثم خرج فصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فما رأى أحدا الا أعطاه منه فجاءه عمه العباس فقال يارسول الله اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع فقال يارسول الله مر من يرفعه عليّ قال لا قال فارفعه أنت قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا تعجبا من حرصه وماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرق المال جميعه

﴿ومن﴾ عمرت الوفود دارجاه ناديه وغمرت بالجود فواضله وأياديه أجواد العرب فى الجاهلية الذين ضرب بهم المثل فى الجود ثلاثة لارابع لهم وهم كعب بن مامة الايادى وهرم بن سنان النمرى وحاتم الطائى وقد جمعهم بعض الشعراء فى بيت واحد فقال مادحا من أبيات

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم * وحاتم جود كفيه لما ذكروا

(ومن اجواد العرب) عمرو بن عبد مناف فانه أول من هشم الثريد وجمع قومه عليه فسمى لذلك هاشما وفيه يقول الشاعر عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

* ويقال فى المثل ما أحد كهاشم وان هشم ولا كحاتم وان حتم (وأجواد العرب فى الاسلام) عبد الله ابن عباس وأخوه عبيد الله * فمن المأثور عن عبد الله أن رجلا أراد مضارته فأتى وجوه قريش وهم جلوس فى فناء الكعبة وقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فأتوا وقت الغداء حتى ملؤا البيت فسألهم عن مجيئهم فاخبروه الخبر فأمر قوما بشراء فاكهة وأمر قوما بالخبز وقوما ان يطبخوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا من أكلها حتى قدمت الموائد فأكلوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لوكيله أيوجد مثل هذا كل يوم اذا أردناه قال نعم قال فليتغدوا عندنا كل يوم (وأما عبيد الله) فانه كان لفرط جوده يسمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق وكانت نفقته فى كل يوم خمسمائة دينار وكان اذا خرج من دوره طعام الى رحابه ومساجده لا يرد اليها منه شئ فان لم يجد من يأكله ترك مكانه فربما أكلته السباع وكان هو والناس فى ماله سواء من سأله أعطاه ومن لم يسأله ابتدأه فلا يرى أنه يفتقر فيقتصر ولا يرى أنه يحتاج فيدخر (وكان يقال) من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس فالجمال للفضل والفقه لعبد الله والسخاء لعبيد الله (ومن الاجواد) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الاعمش كنت عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان اذا أعجبه شئ من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له فى ذلك فقال انى احبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واعتق ألف عبد كان اذا رأى عبدا من عبيده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (ومن الاجواد) الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اعطنى عشرة آلاف درهم فأخذ بيده وانطلق به الى منزله فاعطاه عشرة آلاف درهم وخرج لله من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه أعطى نعلا وأمسك نعلا (ومن أجود الصحابة العشرة رضى الله عنهم) عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن العاص كانوا رضى الله تعالى عنهم اذا رأوا أموالهم كثرت وزادت نقصوها باسلاء البر واسداء المعروف خوفا من أن تحملهم نفوسهم على البطر والطغيان وان تلهيهم بكثرتها عن الاشتغال بعبادة الرحمن (فمن المأثور عن عثمان بن عفان) أنه اشترى بئر رومية باربعين ألف درهم وأوقفها على المسلمين وأنفق فى جيش العسرة عشرة آلاف دينار ذهبا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما أعلنت ولا تبالى ما عمل بعد اليوم * وأصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الامر جاؤا الى أبى بكر وقالوا يا خليفة رسول الله ان السماء لم تمطر والارض لم تنبت وقد

توقع الناس الهلاك فما نصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فانى أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان بن عفان جاءت من الشأم وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فاذا هى ألف بعير موسوقة برا وزيتا وزبيبا فأناخت بباب عثمان فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل اليك فانك تعلم ضرورة الناس اليه قال حبا وكرامة كم تربحونى على شرائى قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال اعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو ما بقى فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذى أعطاك قال ان الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فانى أشهد الله انى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين * ومن المأثور عن الزبير ابن العوام رضى الله عنه أنه كان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج كل يوم فما يدخل بيته منه درهم واحد بل يتصدق بذلك كله (ومن المأثور عن عبد الرحمن بن عوف) انه باع أرضا من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسم ذلك فى بنى زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين وبعث الى عائشة رضى الله عنها من هذا المال بأربعين ألف درهم فقالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة * وحمل مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل مرة أخرى على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله وشاطر الله تعالى ماله ثلاث مرات وأمر أن يتصدق بعد موته بثلث ماله فهو فى فتصدق به بنفسه وجلس ليلة فى بيته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على فقراء المهاجرين والانصار حتى كتب قميصه الذى على بدنه هذا الفلان وهذا الفلان ولم يترك شيأ من ماله الا كتبه فلما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ناوله الجريدة فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد يقول الله لك اقرأ السلام منى على عبد الرحمن ويأمرك ان ترد له جريدته وقل له ان الله قد قبل صدقتك وهو وكيل الله ووكيلك فيها فليصنع فى ماله ما شاء ويتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل ولا حساب عليه * ويروى أنه اعتق ثلاثين ألف عبد * ومن المأثور عن سعيد بن العاص رضى الله عنه أن رجلا سأله فقال لغلامه أعطه خمسمائة فمضى الغلام ثم رجع اليه مستفهما أدينارا او درهما فقال ما كنت أردت الا دراهم أما اذ قد رجعت فصيرها دنانير فجعل الرجل يبكى فقال له ما يبكيك قال أبكى على أن تأكل الارض مثلك * ويروى عنه أنه عزل عن المدينة فانصرف ليلة من المسجد الى منزله وحده فرأى رجلا يتبعه فقال له ألك حاجة قال لا ولكنى رأيتك وحدك فوصلت جناحك فقال وصلك الله يا ابن اخى اطلب لى جلدا وادع لى مولاى فلانا فأتاه به فكتب له بكتاب عشرة آلاف درهم وأشهد عليه مولاه بها وقال اذا جاءت غلتنا دفعنا اليك ذلك فمات سعيد فى تلك السنة فجاء الرجل بالصك الى ولده عمرو فامضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم * ولما احتضر سعيد قال لبنيه لا يفقد أصحابى بعد موتى غير وجهى أجروا عليهم ما كنت اجرى واصنعوا اليهم ما كنت اصنع بهم واكفوهم مؤنة الطلب فان الرجل اذا طلب الحاجة اضطربت اركانه وارتعدت فرائصه مخافة ان يرد عنها والله لرجل بات يتململ على فراشه رآكم موضعا لحاجته اعظم منة عليكم منكم بما تعطونه * ويروى ايضا انه لما احتضر قال لبنيه ايكم يتكفل لى بثلاث فقال ابنه عمرو أنا قال اقض عنى دينى وهو ثمانون ألف دينار

والله ماسـتـدنها الا لكريم سددت خلته او لئيم وقيت عرضى منه قال علىّ دينك يا ابت قال قد بقيت اثنتان قال وما هما قال بناتى لا تزوجهن الا الا كفاء ولو تقلقن من خبز الشعير قال افعل قال و بقيت واحدة وهي اشدهن على قال ما هي قال ان فقد أصحابى وجهى فلا يفقدون معروفى بابى ثلاث ضقت بهن ذرعا رجل اغبر وجهه فى التردد للتسليم علىّ ورجل ضاق فى مجلسى فتزحزح لى ورجل نزل به مهم من الامور فبات متململا على فراشه يتقلب من امره ظهر البطن فلما أصبح رآنى موضعا لحاجته فلما كافئه ولو خرجت من جميع ما املك (ومن الاجواد) طلحة بن عبيد الله التيمى فرق فى يوم واحد مائة الف درهم * وقال قبيصة بن جابر صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت اعطى لجزيل من غير مسئلة منه وهو احد مشاهير الطلحات الذين يضرب بهم المثل فى الجود وكانوا ستة ويسمى هذا طلحة الفياض * وطلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر التيمى ايضا وهو طلحة الجود * وطلحة بن عبد الله بن عوف اخى عبد الرحمن بن عوف الزهرى ويسمى طلحة الندا * وطلحة بن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو طلحة الخير * وطلحة بن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق ويسمى طلحة الدراهم * وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وهو طلحة الطلحات وسمى بذلك لانه كان اجودهم وقيل سمى بذلك لانه وهب فى عام واحد الف جارية فكانت كل جارية منهن اذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها * وعن الحسن قال باع طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ارضا بسبعمائة الف درهم فبات ذلك المال عنده ليلة فبات ارقا مخافة ذلك المال حتى اصبح ففرقه (ومن اجواد الصحابة) معاوية بن ابى سفيان قال عبد الله بن عمر ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية وهو أول من أعطى ألف ألف فى صلة وكان يعطيها للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ولما مات معاوية وولى ابنه يزيد دخل وفد عبد الله بن جعفر على يزيد فقال له يا أمير المؤمنين ان والدك كان يصل رحمى فى كل عام بالف ألف درهم فقال يزيد نعم وكرامة أعطوه ألف ألف وألف ألف والف الف فقال له عبد الله بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين وما قلتها لاحد غيرك قال يزيد لا جرم انى أضعفها لك فلك عليها ألف ألف اخرى فخرج عبد الله باربعة آلاف ألف درهم فقيل ليزيد أتقطع لرجل واحد أربعة آلاف ألف درهم فقال للمنكر ويحك انما أعطيتها لاهل المدينة وما هى فى يده الا عارية ولم تزل عطيات الخلفاء ألوف الالوف وكان آخر من فعلها من الخلفاء المنصور ومن الوزراء الحسن بن سهل (ومن غرر) حكايات معاوية فى العطاء أنه حج فلما انصرف من المدينة قال الحسين بن على لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فقال ان علىّ دينا ولا بد من اتيانه فركب فى أثره حتى لحقه وسلم عليه وأخبره بدينه فبينما هما يتحادثان اذ مر بختى قد أعياه حمله وقوم يسوقونه ليلحقوا به الحمول فقال معاوية ما شأن هذا البعير فذكروا له انه أعياه ما عليه من المال قال وكم عليه قالوا ثمانون ألف دينار فقال اصرفوها لابى محمد (ومن الاجواد) عبد الله بن جعفر الطيار وكان يسمى بحر الجود لجوده ويقال انه لم يكن فى عصره اجود منه (فمن المأثور عنه) انه وقف على بابه يوما وكان أرباب الحاجات ينتظرون خروجه فنهضوا اليه فما طلب أحد حاجة الا قضاها له وكان فيمن حضر نصيب الشاعر فلما نظر الى ما يسمع عنه تقدم اليه وقبل يده وأنشد

ألفت نعم حتى كأنك لم تكن * عرفت من الاشياء شيأ سوى نعم
وعاديت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بلا فى سالف الدهر والامم

فقال له عبد الله ما حاجتك قال هذه رواحل تمير نى عليها قال أنخ أنخ ثم أوسقها له براً وتمراً وأمر له بعشرة آلاف درهم وثياب فلما انصرف نصيب قال قائل لعبد الله يا ابن الطيار أتعطى هذا العطاء كله لمثل هذا العبد الاسود فقال ان كان اسود فان شعره لابيض وان كان عبد فان ثناءه لحر وهل أعطيناه الا رواحل تمضى وطعاما يفنى وثيابا تبلى وكان يعتق فى غرة كل شهر مائة عبد (ومن حكاياته) انه ابتاع حائط نخل من رجل أنصارى بمائة ألف درهم فرأى ابناله يبكى فقال له ما يبكيك قال كنت أطلب أنا وأبى أن نموت قبل خروج هذا الحائط من أيدينا ولقد غرست بعض نخله بيدى فدعا أباه ورد عليه الصك وسوغه المال (ومن الاجواد) عرابة الاوسى يحكى عنه أنه اجتمع جماعة بفناء الكعبة فتذاكروا الاجواد فقال احدهم أجود الناس عبد الله بن جعفر وقال آخر أجود الناس قيس بن سعد بن عبادة وقال آخر أجود الناس عرابة الاوسى فقال رجل من الجماعة ليمض كل واحد منكم لصاحبه يسأله حتى تنظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله فى الركاب يريد سفرا فقال له يا ابن بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به فأقام ثنى رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تخل عن السيف فانه من سيوف على بن أبى طالب قوم علىّ بألف دينار فجاء بالناقة بما عليها من مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها السيف ومضى الآخر الى قيس بن سعد فوجده نائماً فقال له غلامه وهو نائم فما حاجتك قال ابن سبيل ومنقطع به قال حاجتك أيسر من أن أوقظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله ما فى دار قيس اليوم غيرها خذها وامض الى معاطن الابل بعلامة كذا الى من فيها فخذ راحلة وعبداً وامض الى شأنك قيل ان قيسا لما انتبه أعلمه غلامه بما صنع فأعتقه وقال له هلا أيقظتنى فكنت أزيده ومضى صاحب عرابة فلقيه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به فتخلى عن الغلامين وصفق بيديه وقال أواه والله ما تركت الحقوق لعرابة مالا خذ العبدين فقال الرجل ما كنت بالذى أقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت فخذ وان شئت فاعتق ورفع يديه عنهما وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيده فأخذ الرجل الغلامين وجاء بهما الى أصحابه فأجمعوا على أن عرابة أجود الثلاثة لانه جهد من مقل وان الغير أعطى من سعة وفى عرابة يقول الشماخ

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى العلياء منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(ومن الاجواد) عبيد الله بن أبى بكرة واسمه نفيع كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ولافراطه فى الجود كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ان لا توليه عملا فانه أريحى (ومن حكاياته) أنه أوسع له رجل فى مجلس فلما قام قال للرجل الحقنى الى منزلى فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم * وابتنى دارا بالبصرة أنفق عليها عشرة آلاف دينار فدخل عليه فيها بعض أصحابه واستحسنها فقال هى لك بما فيها من الفرش والاثاث والرقيق فقال الرجل يعمرها الله بك ويمتعك بها فقال والله لتقبلنها فقبلها * وولاه

عبد الله بن زياد سجستان وأمره بهدم ما فيها من بيوت الاشراف فهدمها وأخذ ما فيها من الاموال المعدة للنفقة على سدنته فكانت أربعة آلاف درهم فأتى عليه الحول حتى استدان (ومن الاجواد) أسماء بن خارجة مما يحكى عنه انه رجع يوما الى داره فرأى فتى بالباب جالسا فقال ما اجلسك ههنا قال خير قال والله لتخبرني قال جئت سائلا أهل هذه الدار ما آكل فخرج الي منها جارية اختطفت قلبي وسلبت عقلي فأنا جالس لعلها تخرج ثانية فانظر اليها قال أفتعرفها اذا رأيتها قال نعم فدعا بمن في الدار من الجواري وجعل يعرضهن عليه واحدة بعد واحدة حتى مرت الجارية فقال هذه فقال قف مكانك حتى اخرج اليك ثم دخل الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى انما أبطأت عليك لانها لم تكن لي وانما كانت لبعض بناتي ولم أزل بها حتى ابتعتها منها فخذ بيدها فقد وهبتها لك وهذه الالف اصلح بها شأنك (ومن الاجواد) يزيد ابن ابي صفرة وله حكايات شهدت بكرم نجاره ونكب عن الحافة فيها كل كريم فلم يجاره (منها) انه دخل عليه الكوثر بن زفر الكلابي حين ولاه سليمان بن عبد الملك العراق فقال له يعني ابن زفر أنت أكبر قدراً من أن يستعان عليك الا بك ولست تصنع من المعروف شيأ الا وهو أصغر منك وليس العجب منك أن تفعل ولكن العجب منك من أن لا تفعل قال سل حاجتك قال تحملت عشر ديات وقد هاضني ذلك قال قد أمرت لك بها فقال الكوثر أما ما أسألك لوجهي فاقبله منك وأما الذي بدأتني به فلا حاجة لي به قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال رأيت الذي رمته يبذل مسئلتي اياك وبذل وجهي لك أكبر من معروفك عندي فكرهت الفضل لك عليّ فقال يزيد فانا أسألك كما سألتني اسألك بحقك لما اهلتني له من انزال الحاجة بي لا قبلتها ففعل (واول) من عمل البيمارستانات واجرى الصدقات على الزمنى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن عبد الملك * وهو اول من تكبر من الخلفاء وانف ان يدعى باسمه كما كان يدعى من قبله من الخلفاء ويكفيه منقبة بناؤه جامع دمشق الذي هو أحد عجائب مباني الدنيا (ومن الاجواد) معن ابن زائدة الشيباني ويكفيه أن يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج وسنورد شيأ من اخباره في الفصل الثاني من هذا الباب (ومن الاجواد) الذين توارثوا الكرم خلفاً عن سلف بنو برمك وهم ستة خالد وولده يحيي واولاده اربعة وهم الفضل وجعفر وموسى ومحمد (فأما خالد) فلم يزل يرتضع ثدي الخلافة صبياً الى ان بلغ من الكبر عتياً (من جوده) انه لم يكن لاحد من أصحابه ولد الا من جارية قد وهبها له ولا دار الا من دور انفق على بنائها ماله وكان القصاد يسمون قبل ايامه بالسؤال فكره هذه التسمية ورأى انها نقص فيهم وقال ان فيهم من له بيت وشرف وعلم وادب فسماهم بالزوار وكانوا يقصدونه في المواسم للهناء بها فيكتبون اسماءهم وتعرض عليه فيخص كل واحد منهم على حدته ويسأله بما يمت اليه حتى يعطيه بقدر ماتته ومنزلته * وتقدم اليه رجل فقال له بماذا تمت فقال والله ما لي من ماتة ولا حرمة ولا وسيلة ولكن رغبت اليك بحسن الظن فيك والثقة بكرمك وما بلغني من جودك فقال ما ههنا احد اولى منك بالعطية فاجزل صلته * ثم سأل آخر فقال حرمتي بالامير انه جمعني واياه مسجد بجرجان يوم كذا في شهر كذا فصلينا فيه فقال حرمة لا تدفع وامر له بصلة وفيه يقول بشار بن برد لعمرك قد اجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدي

حلبت بشعري راحتيه فدرتا * على كادر السحاب على الرعد
أخالدان الحمد يبقى لاهله * جمالا ولا تبقى الكنوز مع الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العوارى للرد

(ثم) كان ابنه يحيى سالكا فى سننه آخذا فى الجود بفرائضه وسننه وفيه يقول سلم الخاسر

يا ايها الملك الذى * اضحى وهمته المعالى
انت المنوه باسمه * عند الملمات الثقال
نم الذى امواله * عند المحامد خير مال
لله درك من فتى * ما فيك من كرم الخلال
يحيى بن خالد الذى * يعطي الجزيل ولا يبالى
اعطاك قبل سؤاله * وكفاك مكروه السؤال
ملك خلا من ماله * ومن المروأة غير خال
واذا رماك بموعد * كان النوال مع المقال

(وأولاده) سادوا فشادوا ما أسس وجادوا فزادوا المن بما غرس فلهم طارف السخاء وتليده وكهل الثناء ووليده فالفضل فى جوده ونزاهته وجعفر فى بلاغته وفصاحته وموسى فى نجدته وشجاعته ومحمد فى مروأته وبعد همته وفيهم يقول الشاعر

أولاد يحيى أربع * كالاربع الطبائع
فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

لكن الفضل كان لتلقى العفاة أبسطهم وأمضاهم بالصلة عزيمة وأنشطهم وأمدهم بالانعام يدا لا سيما ان ترنم شاعر بمدحه أوشدا وفيه يقول الخياط المدنى

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى * ولم أدران الجود من كفه يعدى
فلا انا مما قد أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعدانى فاتلفت ما عندي

(وفيهم يقول سلم الخاسر)

سأرسل بيتا قد وسمت جبينه * يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والجود فى كل بلدة * أقام بها الفضل بن يحيى بن خالد

(وفيهم يقول مروان بن أبي حفصة وجمعهم على النسق)

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد * وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلا منك فى الناس شائعاً * فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل
وزادك فضلا ان أهلك فى الورى * كرام اذا ازرى بذى الشرف الكهل
ولم يبق فيك الجود للبخل موضعا * فاصبح يستعدى على جودك البخل
اذا كذبت اسماء قوم عليهم * فاسمك صديق له شاهد عدل

(وفيه يقول الحسن بن مطير رحمه الله تعالى)

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة * ففضله والله بالناس اعلم
له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويقطر يوم البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم

ولو أن يوم البؤس خلى شماله * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

﴿ وممن فاه ببديع مدحه اللسان من ذوي الانعام والاحسان ﴾

وصف اعرابي رجلا فقال ذاك رجل اشترى عرضه من الاذى فهو وان اعطى الدنيا باسرها رأى بعد ذلك ان عليه حقوقا منها (ومدح) اعرابي قوما بالجود فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم فالحمد فيهم زائد والجود لهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس اذا طلبت اليهم ويباشرون المكروه باشراق الوجوه اذا بغي عليهم (ومدح) آخر رجلا فقال ما رأيت الرزق أبغض أحدا بغضه (وقالوا) فلان دواء الفقر ان سئل أعطى وان لم يسئل ابتدأ (وقالوا) فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل (ومن كلام الثعالبي) فلان يحيي القلوب بلقائه قبل ان يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلات وجوب الصلاة فلان لو ان البحر مده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه (وقالوا) فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل واذن صماء لا تصغي للعذل (وأما المنظوم في هذا فكثير) فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم اذا نزل الغريب بأرضهم * ردوه رب صواهل وقيان
لا ينكثون الارض عند سؤالهم * لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن الالوان

(آخر) نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان في زمن محل
فما زال بي اكرامهم وافتقادهم * والطافهم حتى حسبتهم أهلي

(آخر) لو قيل للعباس عم محمد * قل لا وأنت مخلد ما قالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى فككت براحتيك عقالها
واذا الكرام تسايروا في بلدة * كانوا كواكبها وأنت هلالها
ما ان أعد من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها أو خالها

(الحطيئة) تزور امرأ يعطي على الحمد ماله * ويعلم ان الشح غير مخلد
كسوب ومتلاف اذا ما لقيته * تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

(أبو العتاهية) وانا اذا ما تركنا السؤال * فلم نبغ نائله يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه أبدا مبتغينا

وقال مسلم بن الوليد مادحا من أبيات

قبل أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق
واذكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
يلقاك منه ثناؤه وعطاؤه * بذكاء رائحة وطيب مذاق
كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها قد شاع في الآفاق

(مروان بن أبي حفصة)

له سحائب جود فى انامله * أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العسر ان أيسرت ثانية * اقصرت عن بعض ما اعطى وما اهب
حتى اذا عدن أيام اليسار له * رأيت أمواله فى الناس تنتهب

وما أحسن قول الكميت بن خالد بن عبد الله القسرى

ما أنت فى الجود ان عدت فضائله * ولا ابن مامة الا البحر والوشل
أنسيتنا فى الندى أمثال أولنا * فانت للجود فيما بعدنا مثل
(آخر) فضح الغمام نواله أو ما ترى * ضحك البروق على الغمام الهاطل

(وقال عامر بن الظرب العدوانى مادحا لقومه)

أولئك قوم شيد الله فخرهم * فما فوقه فخر وان عظم الفخر
اناس اذا ما الدهر اظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم زهر
يصونون احسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
سموا فى المعالى رتبة فوق رتبة * احلتهم حيث النعائم والنسر
اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلو مس الصخر الاصم اكفهم * لفاض ينابيع الندى ذلك الصخر
شكوت لهم آلاءهم وبلاءهم * وما ضاع معروف يكافئه شكر
ولو كان فى الارض البسيطة منهم * لمختبط عاف لما عرف الفقر
(آخر) يبيتون فى المشتا خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا
(آخر) سهل الحجاب اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما اخو الارحام

(وقال محمد بن هانى الاندلسى)

اعطى واكثر واستقل هباته * فاستحييت الانواء وهى هوامل
فاسم الغمام لديه وهو كنهور * آل واسماء البحار جداول
لم تخل أرض من نداه ولا خلا * من شكر ما يولى لسان قائل
(آخر) له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر اندى من البحر
اذا ما اتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذرى المعروف نعمى كانها * مواقع ماء المزن فى البلد القفر
(آخر) أصبح أهل الارض زواره * فماله نهب لزواره
كانما ادر بين الورى * مجارى الارزاق من داره

(بكر بن النطاح)

اقول لمرتاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * واسداه المعروف عند عداته
ولو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته
ولو لم يجز فى العمر قسم لطالب * وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر لربه * وأشركه فى صومه وصلاته

(آخر)
يا أيها الملك الذى لنواله * ظل تغرس دونه الآمال
أنعمت حتى ليس يقصد قاصد * وبذلت حتى قلت السؤال
وجمعت اشتات المكارم والعلا * فاهنأ وأنت الواهب المفضال

(على بن الجهم فى المتوكل)
يسر مرأ امام عدل * تغرق فى بحره البحار
مؤمل يرتجى ويخشى * كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه * مادار بالانجم المدار
لازال فى الملك ذا اغتباط * ماطرد الليل والنهار
يداه بالجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

(المتنبى)
لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر * فى الحمد حاء ولاميم ولادال

(ومما ينبغى ان يكون لاحقا بما ذكرناه ومتمما للغرض الذى اردناه)
(نوعان لهما فى هذا الموضع لمن تأملهما أحسن موقع)
(النوع الاول فى ذم من اتبع الاحسان بالتعديد والامتنان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر (وقالوا) المنة تهدم الصنيعة (ويقال) تعداد المنة من ضعف المنة ومنه قول عمر رضى الله عنه فى ذم منان شوى أخوك حتى اذا نضج رمد (شاعر يذم منانا)

أفسدت بالمن ما أوليت من حسن * ليس الجواد اذا أسدى بمنان
المن يهدم ما شيدت من كرم * هل يرغب الحر فى هدم لبنيان

(وقالوا) لاخير فى المعروف اذا أحصى (وقالوا) مايعد لا يعتد (ويقال) أحسن العطاء موقعا مالم يشب بمن وينشد فى مثله

أحسن من كل حسن * فى كل وقت وزمن
صنيعة مشكورة * خالية من المنن

(وينسب للامام الشافعى رضى الله عنه)
لا تحملن لمن يمن من الانام عليك منه

واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلو * ب أشد من وقع الاسنه

(وقال) بعضهم لاعرابى ان فلانا يزعم أنه كساك فقال ان المعروف اذا منّ به كفر واذا ضاق قلبه اتسع لسانه (وقال) لقمان من عدّد نعمه محق كرمه (وقالوا) اذا طوقت امرأ جوهر احسانك فلا تجعل المنة به حظ لسانك فينحل معقود نظامه ويصير بدره الى السرار بعد تمامه (وقالوا) خير المعروف مالم يتقدمه مطل ولم يتبعه من ولقد أحسن قائل هذين البيتين

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم كي يمولك الشجر
ولا تشبه بمن فالذى نقلوا * من عادة المن يؤذى به الثمر

(ويقال) عليك حق لمن أجريت عليه المعروف أن تستره ولا تظهره وتقدمه ولا تؤخره وتستقله ولا تستكثره ولا تتبعه منا ولا تبطله باذى (وقال) موسى شهوان يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بترك المن

حمزة المبتاع بالمال الثناء * ويرى فى بيعه ان قد غبن
واذا أعطى عطاء مفضلا * ذا اخاء لم يكدره بمن

(وقال) ابراهيم بن العباس الصولى مفتخرا بترك المن

أفرق بين معروفى ومنى * وأجمع بين مالى والحقوق

(وكان يقال) الايادى ثلاثة يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء الابتداء بالمعروف والخضراء المكافأة عليه والسوداء المن به (شاعر)

أراك تؤمل حسن الثناء * ألم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود أخا فطنة * بمن كثيرا ويعطى قليلا

﴿ومن أظرف الحكايات﴾ وألطف الفكاهات مايحكى أن الاشعث بن قيس قال لرجل أسدى اليه معروفا فلم يشكره عليه ماشكرت معروفى عندك فقال الرجل ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر * وليم بعضه على منه بمعروف اسداه فقال اذا كفرت النعمة وجبت المنة * وليم آخر فقال اذا جحد الاحسان وجب الامتنان

﴿ النوع الثانى ﴾

(فى ان من تمام المعروف ترك المطل به واعانة المستجدى على حصول مطلبه)

قال جعفر الصادق نظرت الى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث تعجيله وستره وتصغيره فانك اذا عجلته هنأته واذا سترته تممته واذا اصغرته عظمته مدح بعضهم من هذه خلته فقال

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشكور كثير

(آخر) أمت ذكر معروف تريد حياته * فاحياؤه حقا اماتة ذكره
وصغره يعظم فى النفوس محله * فتصغيره فى الناس تعظيم قدره

(وقال) عمرو بن العاص ما استبطأني صاحب حاجة قط لأني لا أعد شيأ قط حتى أعدله نجازا ولا أمنع شيأ حتى أعدله عذرا (ويقال) اياك والمطل بالمعروف فانه مفسدة للمروأة مهدمة للصنيعة ممحقة للشكر داعية للذم * شاعر

يا صانع المعروف لا تمطلن * يزداد ذو الحاجة في حاجته
فشر معروفك ممطوله * وخيره ما كان في ساعته
لكل خير يرتجى آفة * ومطلك المعروف من آفته

وسأل رجل رجلا فاعتذر اليه وعجل صرفه فقال أصبت في الشكر من حيث أخطأت في الرد لانك صرفتني وفي الزاد بقية وفي النفس رمق وفي الوجه بقية ماء الحياة * شاعر

جود الكرام اذا ما كان عن عدة * وقد تأخر لم يسلم من الكدر
ان السحائب لا تجدي بوارقها * نفعاً اذا هي لم تمطر على الأثر
وماطل الوعد مذموم وان سمحت * يداه من بعد طول المطل بالبدر

(آخر)

كم جزيل من النوال أتاني * بعد مطل وكان غير جزيل
أي فرق بين الكريم اذا استبطأت معروفه وبين البخيل

(آخر)

رأيت المطل ميدانا طويلا * يروض طباعه فيه البخيل
يراود عن جداه نفس سوء * يرى أن الندى حمل ثقيل

(آخر)

تعجيل جود المرء أكرومة * ينشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

(وقالوا) المنع بالعذر الجميل خير من المطل الطويل (وقالوا) المطل مرض المعروف والانجاز برؤه والمنع تلفه (وقالوا) المسؤل حر حتى يعد ومسترق بالوعد حتى ينجز (وقالوا) من مروأة المطلوب اليه أن لا يلجئ الى الالحاح عليه (وقالوا) الاسراع بالرد خير من الابطاء بالوعد (أبو تمام)

وخير عداة المرء مختصراتها * كما أن خير الليالي قصارها
وان الليالي الصالحات كبارها * اذا وقعت تحت المطال صغارها
وما العرف بالتسويف الا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

(آخر)

اذا قلت في شئ نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا واسترح وأرح بها * لكيلا يقول الناس انك كاذب

(وقالوا) لولا أن انجاز الوعد فضيلة معدومة في أكثر الناس لما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه اسمعيل بصدق الوعد (شاعر)

ان الحوائج ربما أودى بها * متطلب يقضي له ممطولها
فاذا قصدت لطالب لك حاجة * فاعلم بأن تمامها تعجيلها

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد

﴿ فيما يجب أن يقدم فيما يعمناه تلطف الراغب لينال ما تمناه ﴾

(يقال) التلطف فى السؤال سبب لتحصيل النوال (وقالت) الحكماء لطف الاستماح سبب النجاح (وقال العتابى) اذا طلبت حاجة الى ذى سلطان فاجمل فى الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان الملحاحة تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ عوضاً مما أخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق الوقاح وحرمان النجاح ولقد أحسن الادب القائل

واذا طلبت الى كريم حاجة * فلقاؤه يكفيك والتسليم
فاذا رآك مسلماً عرف الذى * حملته فكأنه ملزوم

(نقض بعضهم هذا بقوله)

حث الجواد على الندى وتقاضه * بالوعد واحمله على الانجاز
ودع الوثوق بطبعه فلربما * نشط الجواد بشوكة المهماز

(وقال بعضهم مقيما عذر من منع)

واذا طلبت الى كريم حاجة * فأبى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما ضن الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

﴿فمن أحاسن بدائع ما تلطف به من استماح من الكلام الخادع لذوى السماح﴾

ما حكى ان زياد بن أبيه نظر الى أعرابى يأكل على مائدته أكلا ذريعا وهو من أقبح الناس وجهاً فقال يا أعرابى كم عيالك قال سبع بنات انا أجمل منهن وهن آكل منى فضحك زياد وقال لله درك ما ألطف جوابك افرضوا لكل واحدة منهن مائة دينار وعجلوا لهن ذلك وقد روى الاصمعى هذه الحكاية وذكر أنها جرت لسعيد بن الحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو ينشد

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فبادر زيادا أو أخا لزياد
يجبك امرؤ يعطى على الحمد ماله * اذا ضن بالمعروف كل جواد
ومالى لا أثنى عليه وانما * طريفى من معروفه وتلادى

(وحكى) ان نصيبا قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان لى بنات نفضت عليهن من سوادى فضحك منه وأمر له بصلة (وقال) المأمون للعتابى سلنى فقال يداك بالنوال انطق من لسانى بالسؤال (وقصد) بعض الشعراء معن بن زائدة الشيبانى يستجديه فاذن عليه فلم يأذن له الحاجب وكان معن فى بستان له فعمد الشاعر الى قطعة خشب وكتب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك رسول

وأرسلها فى ساقية تصل اليه فلما وصلت اليه وقرأها اذن له ووصله بعشرة آلاف درهم (وأمر) المأمون محمد ابن حازم أن يرتجل بيتين من الشعر فقال

أنت سماء ويدى أرضها * والارض قد تأمل غيث السماء
فازرع يدا عندى محمودة * تحصد بها منى حسن الثناء

فاستحسن ذلك منه واعطاه عشرة آلاف درهم (سأل) اعرابى عبد الملك بن مروان فقال له سل الله تعالى

فقال قد سألته فأحالني عليك فضحك منه واعطاه (وقدم) على مخلد بن يزيد بن المهلب رجل كان قد ازدراه فأجازه فقال ألم تكن قد أتيدا فاجزناك قال بلى قال فاردك قال قول الكميت فيك

سألناه الجزيل فما تلكى * واعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم أحسن ثم عادا
مرارا الاأعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف له ما كان اعطاه وقد نسب ابن عبدوس هذه الابيات لزياد بن عمرو العتكي فى عبد الرحمن بن زياد فى كتاب الوزراء له (ودخل) اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال

أخالد اني لم أزرك لحاجة * سوى انني عاف وانت جواد
اخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له خالد سل حاجتك قال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحططنا منها قال حططتك ألفاً فقال خالد ما أعجب ما سألتك وما حططت فقال لا يعجب الامير سألته على قدره وحططته على قدري فضحك منه وأمر له بما طلب (وسأل رجل) أسد بن عبد الله فقال اني لا أسألك من حاجة ولكني رأيتك تحب من أعطيت فاحببت ان تحبني فاعطاه عشرة آلاف درهم (وقصد) تمام بن حبيب بن أوس الطائي عبد الله بن طاهر بعد موت أبيه أبي تمام فاستنشده فانشده

حياك رب الناس حيا كا * اذ بجمال الوجه روا كا
بغداد من نورك قد أشرقت * وأورق العود بجدوا كا

فأطرق عبد الله ساعة ثم قال

حياك رب الناس حيا كا * ان الذى أملت أخطا كا
أتيت شخصاً قد خلا كيسه * ولو حوى شيأ لأعطا كا

فقال أيها الامير ان بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلا من المال فضحك منه وقال لئن فاتك شعر أبيك فما فاتك ظرفه وأمر له بصلة (ووقف رجل) لعبد الله بن طاهر فى طريقه فناشده أن يقف له حتى ينشده ثلاثة أبيات فوقف وقال له قل فأنشده

اذا قيل أى فتى تعلمون * أهش الى البائس والنائل
واضرب للهام يوم الوغى * واطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقى الى الساحل

فأمر له بخمسين ألف درهم (وكتب) أحمد بن أبي طاهر الى اسمعيل بن بلبل رقعة يذكر فيها اختلال حاله وفى آخر الرقعة

يا سيدا لم يزل * غيثاً لكل مؤمليه
ان كنت أملك درهما * فكفرت بالمنقوش فيه

فبعث اليه بثلاثة آلاف دينار (حكى) ان أعرابياً وفد على معن بن زائدة فلما مثل بين يديه قال ممن الرجل

قال رجل من العرب وهم أصلك وقومك فلا تشغلني بالسؤال عما هم فيه من سوء الحال قال فاحاجتك قال نأى بلدي وكثرة ولدي وضعف جلدي وقلة ذات يدي فاتيتك يامغيث اللهيف وجابر الضعيف آملا لجودك راجيا الزودك قال فهل من قرابة تمت بها أو يد تتوسل بمثلها قالت انت افضل من ان يبتدئ مثلي بدا الى مثلك أو يتوسل اليك بغير فضلك أو تتمحل الحيل عليك بذلك وقد قلت في ذلك شعرا قال هاته فانشد

أياجود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سواك شفيع

قال اذا لا أشفعه فيك فقال الاعرابي ما أنت بالبخيل فأوجه الذم اليك ولا أوليت ما يحسن ثنائي عليك ثم انصرف وهو يقول

بأي الخصلتين عليك أثني * فني عند منصرفي سؤل
أبالحسنى وليس لها ضياء * عليّ فمن يصدق ما أقول
أم الاخرى تكون فتلك عار * على من دأبه الفعل الجميل

فرق له وأجزل صلته (وفد) على أبي دلف قاسم بن عيسى العجلي مستجديا فاقام ببابه مدة لا يصل اليه فكتب في رقعة هذه الابيات

ماذا أقول اذا أتيت معاشرا * صفرا يدي من عند أروع مفضل
ان قلت اعطاني كذبت وان أقل * ضنّ الجواد بماله لم يجمل
ام ما أقول اذا سئلت وقيل لي * ماذا افدت من الامير المجزل
ولانت اعلم بالمكارم والعلا * من أن أقول فعلت مالم تفعل
فاختر لنفسك ما اقول فانني * لابد اعلمهم وان لم اسأل

ودفعها فلما وقف عليها ابو دلف امر له عن كل يوم أقامه الف درهم وكتب خلف الرقعة

اعجلتنا فأتاك عاجل برنا * نزرا ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تسل * ونكون نحن كاننا لم نسأل

(ويحكي) ان ابا دلامة دخل على المنصور فأنشده

باتت تعاتبني من بعد رقدتها * أم الدلامة لما هاجها الجزع
وقالت ابتغ لنا نخلا ومزدرعا * كما الجيران نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسئلة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فأمر أن يقطع ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة فقال أبو دلامة أما العامرة فقد عرفته فما الغامرة قال ما لا يدركه الماء ولا يسقى الا بالكلفة والمؤنة فقال أبو دلامة اشهدك يا أمير المؤمنين ومن حضر أني أقطعت عبد الملك بادية بني أسد فضحك المنصور وقال يا عبد الملك اكتب عامرة فقال أبو دلامة للمنصور ائذن لي في تقبيل يدك فلم يفعل فقال ما منعتني شيأ هو أهون على عيالي من هذا (وكان) المنصور يدخل البصرة في أيام بني أمية متستراً فيجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر الكوفة فرحب به وقرب منزله وقال له ما الذي أقدمك علينا قال جئت طالبا فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له قد قضيت حاجتك فاخذها وانصرف ثم عاد اليه في قابل فلما رآه قال له ما جاء بك قال جئت مسلما فاعطاه

عشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما فأخذها وانصرف ثم رجع اليه بعد عام فقال له ما الذى أقدمك علينا قال عائدا فوصله بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف ثم عاد بعد سنة فلما رآه قال له ما الذى أتى بك قال دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين جئت لأكتبه فضحك المنصور وقال انه غير مستجاب لانى دعوت الله به أن لا يريني وجهك فلم يستجب لى وقد أمر لك بعشرة آلاف درهم وتعال متى أردت فقد أعيتنا فيك الحيلة وكان المنصور مبخلا جدا وسنذكر شيأ من أخباره فى باب البخلاء ان شاء الله تعالى (وقصد) الحكم بن عبدك الشاعر اسماء بن خارجة فانشده

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها

فرأيت أنك رعتني بوليدة * مغناجة حسن لدى قيامها

وببدرة حملت الى وبغلة * شهباء ناجية تصك لجامها

فسألت ربى ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك بردها وسلامها

فقال له أصبت كل شئ رأيته عندنا الا البغلة فانها دهماء فقال أذكرتني ايها الامير فانى ما رأيتها الا دهماء فضحك منه أسماء وأمر له بكل ما سأل (وحكى) ابو الفرج الاصفهانى ان هذه الحكاية جرت لابن عبدك مع بشر بن مروان أخى عبد الملك والله اعلم بالصحيح من ذلك (ودخلت) امرأة من هوازن على عبيد الله ابن أبى بكرة فوقفت بين السماطين وجعلت تلحظه وجهها مرة وتستره أخرى فلما أبصرها علم ان لها حاجة فقال لجلسائه ما عليكم ان تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها فتقدمت وقالت اصلح الله الامير انى اتيتك من ارض شاسعة ترفعنى رافعة وتخفضنى واضعة لملمات قد اكلن لحمى وبرين عظمى وتركتنى اغص بالجريض فضاق بى من البلد العريض وقد جئت بلدا لا اعرف فيها احدا الاقرابة تكنفنى ولا عشيرة تعرفنى بعد ان سألت احياء العرب من المرجو نائله المعطى سائله فأرسلت اليك ودللت عليك وانا اصلحك الله امرأة قد هلك عنها الوالد وذهب عنها الطارف والتالد ومثلك يسد الخلة ويزيح العلة فاما ان تحسن صفدى وتقيم اودى واما ان تردنى الى بلدى فقال بل اجمع لك كل ما ذكرت ثم امر لها بعشرة آلاف درهم وزاد وكسوة وراحلة (اصاب) الناس مجاعة على عهد هشام بن عبد الملك فدخل عليه درواس بن حبيب العجلى مع جماعة من قومه فقال يا امير المؤمنين تتابعت علينا على الناس سنون ثلاثة اما الاولى فأكلت اللحم واما الثانية فاذابت الشحم واما الثالثة فمصت العظم وفى ايديكم فضول اموال فان تكن لله فاعطوها على عباده وان تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم وتنفقونها اسرافا وبدارا والله لا يحب المسرفين وان تكن لكم فتصدقوا بها عليهم ان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين فقال هشام لله ابوك ما تركت لنا واحدة من ثلاث وامر بمائة ألف فقسمت فى الناس وامر لدرواس بمائة ألف درهم فقال يا أمير المومنين لكل واحد من المسلمين مثلها قال لا ولا يقوم بذلك بيت المال قال فلا حاجة لى بما يبعث على ذمك فالزمه بها فلما عاد الى منزله قسم تسعين ألفا فى احياء العرب وحبس عشرة آلاف له ولقومه فبلغ ذلك هشاما فقال لله دره ان الصنيعة عند مثله تبعث على مكارم الاخلاق * ومثلها ما يحكى ان عبد الملك بن مروان حبس عن الناس العطاء فدخل عليه اعرابى فقال يا ابا الوليد بلغنى ان عندك مالا فان كان لله فاقسمه على عباده وان يكن لك

فتفضل به عليهم وان يكن لهم فادفع اليهم اموالهم وان يكن بينك وبينهم فقد اسأت شركتهم ثم ولى فقال عبد الملك اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه فأمر للناس بعطياتهم

﴿ وممن ابرع من القصاد في المدح واجاد فاستحق به الصلة ممن سمح وجاد ﴾

دخل النابغة على النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي فحياه تحية الملوك ثم قال ايفاخرك ذو فائش وانت سائس العرب وغرة الحسب واللات لامسك أيمن من يومه ولعبدك أكرم من قومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أجود من يمينه ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك أبلج من رفده ولخالك أشرف من جده ولنفسك أمنع من جنده وليومك أزهر من دهره ولفترك أبسط من شبره ثم أنشد

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر * فى البأس والجود بين الحلم والخفر

متوج بالمعالى فوق مفرقه * وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر

اذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يجلى زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سروراً ثم أمر أن يحشى فوه دراً ويكسى أثواب الرضا وهى جباب أطواقها الذهب فى قصب الزمرد ثم قال النعمان هكذا فلتمدح الملوك وذو فائش المذكور هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يحصب بن مالك وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله بالنعمان وله فيه مدائح كثيرة مذكورة فى ديوانه وفائش مشتق من المفايشة وهى المفاخرة قاله الاصمعى فى اشتقاقه (ودخل) ابو العتاهية اسمعيل بن قاسم ابن سويد العنبرى العتبى على عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث الذى يقول فيه بشار بن برد من أبيات

اذا أرقتك جسام الامور * فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم

فأنشده أبياتا يقول منها

انى أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الامير حبالا

لو يستطيع الناس من اجلاله * لحذوا له حر الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

فأمر عمرو من حضر مجلسه أن يخلعوا عليه فخلعوا عليه حتى لم يقدر على النهوض لما عليه من الثياب فلما خرج حسده من كان ببابه من الشعراء فبلغ عمراً الخبر فقال علىّ بهم فلما دخلوا عليه ومثلوا بين يديه قال لهم ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ان أحدكم يريد مدحنا فينسب فى قصيدته بخمسين بيتاً فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعره وتعرى تلاوة روائه وأبو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا ثم أرسل الى أبى العتاهية ان أقم حتى أنظر فى أمرك فأقام أياماً فلم ير شيأ وكان عمرو ينتظر مالا يجىء اليه من بعض أعماله فابطأ عليه فكتب اليه أبو العتاهية هذه الابيات

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * انى مدحتك فى صحبى وجلاسى

انى عليك ولى حال تكذبنى * فيما أقول فاستحيى من الناس

حتى اذا قبل ماأعطاك من صفد * طأطأت من سوء حال عندها راسى

فقال عمرو لحاجبه اكففه عنى أياماً ففعل فلما طال على أبى العتاهية الانتظار كتب اليه يستحثه

أصابت علينا جودك العين ياعمرو * فنحن لها نبغي التمائم والنشر

اصابتك عين من سخائك صلبة * ويارب عين صلبة تفلق الحجر

سنرقيك بالاشعار حتى تملها * وان لم تفق منها رقيناك بالسور

فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله كم عندك قال سبعون ألفا قال ادفعها له واعذرنى عنده ولاتدخله علىّ فانى أستحى منه (ولقد) أحسن ابن الرومى فى مدح من رأى انه قصر فى عطائه فاعتذر منه

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى * عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

(وماوقفت) فيما طالعت من كتب الادب على أحسن من قول القائل معتذراً من تقصيره فى معروف أسداه

لو انبسطت فيما تؤمله يدى * لجدت به عفواً ولوانه الدنيا

ولكننى والله والذى * اليه الحجيج يقطعون القلاسيا

طويت همو ماً لو اصيب ببعضها * يد الدهر ما اسطاعت لايسر هاطيا

خذ العفو واعذر صاحباً لو بنفسه * يبر وبالدنيا غلامك لاستحيا

(آخر) خل اذا جئته يوماً لتسأله * أعطاك ماملكت كفاه واعتذرا

يخفى صنائعه والله يظهرها * ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

(وحكى) جحظة البرمكى قال أنشد مقدس الخلوقى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعى فمدحه فلم يثبه وتغافل عنه حتى ركب فى حراقته فعارضه وقال له بحق رأس أمير المؤمنين ألا سمعت منى ثلاثة أبيات فأمر بايقاف الحراقة وقال هات الابيات فأنشده

عجبت لحراقة بن الحسين كيف تسير ولا تغرق

وبحران من فوقها واحد * وآخر من تحتها مطبق

واعجب من ذاك عيدانها * اذا مسها كيف لا تورق

فأمر له عن كل بيت بألف دينار (وكان) طاهر بن الحسين من الاجواد ذكر انه جلس فى مجلسه يوماً فنظر فى قصص ورقاع فوقع عليها بصلات أحصيت فكانت ألف ألف درهم (ركب الرشيد) فى بعض اسفاره ناقة فطلع عليه اعرابى فناشده

أغيناً تحمل الناقة أم تحمل هرونا أم الشمس أم البدر * أم الدنيا أم الدينا

الا كل الذى قلته قد أصبح مأمونا

فأمر له بعشرة آلاف درهم (قام رجل) بين يدى خالد بن عبد الله القسرى فقال اصلح الله الامير قد قلت فيك بيتين ولست انشدهما حتى تعطينى قيمتهما قال وكم قيمتهما قال عشرون ألفا قال انشدهما فأنشد

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك حين تجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الآباء

فأمر له بعشرين ألفا وان يجلد خمسين سوطا وان ينادى عليه هذا جزاء من لا يحسن قيمة الشعر (وقف اعرابى) لمعن بن زائدة فى طريقه فانشده

ياواحد العرب الذى * اضحى وليس له نظير لو كان مثلك فى الورى * ما كان فى الدنيا فقير

فأمر له بألفى درهم (ومن حكاياته) ان رجلا قال له انى جعلت فضلك سببى اليك وكرمك وسيلتى عندك قال سل قال الف درهم قال معن قد أربحتنى أربعة آلاف درهم وانى حدثت نفسى ان اعطيك خمسة آلاف فقال انت اكبر من ان تربح على مؤملك فاعطاه خمسة آلاف درهم (وانشد اعرابى)

كتبت نعم ببابك حين تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب
وقلت الا عليك بباب غيرى * فانك لن ترى ابداً ببابى

فأعطاه ألف دينار (وحدث بعضهم) قال كنا مع يزيد بن مزيد فاذا بصائح فى الليل يا يزيد بن مزيد فقال علىّ بهذا الصائح فلما جىء به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر فتمنيت به فقال له وما قال الشاعر فأنشد

اذا قيل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يايزيد بن مزيد

فلما سمع مقاله هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال أنا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة (قام اعرابى) بين يدى داود بن المهلب وقال انى قد مدحتك فاسمع قال على رسلك ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج ثم قال قل فان أحسنت حكمناك وان أسأت قتلناك فانشد

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشى والبؤس والفقر
وأصبحت لا أخشى بداود كبوة * من الدهر لما ان شددت به أزرى
له حكم داود وصورة يوسف * وملك سليمان وعدل أبى بكر
فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما يفرق السلطان من ليلة القدر

فقال له قد حكمناك فان شئت على قدرنا وان شئت على قدرك قال بل على قدرى فاعطاه خمسين فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامير قال لم يكن فى ماله ما يفى بقدره فقال له داود أنت فى هذا أشعر منك فى شعرك وأمر له بمثل ما أعطاه (وفد رجل) على بعض الامراء فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فقضاها حتى قضى له سبع حاجات فلما خرج من عنده قيل له ما فعل بك قال ما أدرى ثم قال

لكن أخبركم عنه بنادرة * لم يأتها قبله عرب ولا عجم
قرأ عليه كتابا منه كاتبه * الى أخ وجبت منه له نعم
حتى اذا ما مضت لافى رسالته * قال استمع ثم لا يعضى بك الصمم
لا تكتبن بلا فيها الى أحد * شق الكتاب ومر فليكسر القلم

(وفد اعرابى) على مالك بن طوق وكان زرى الحال رث الهيئة فمنع من الدخول اليه فاقام بالرحبة أياما فخرج مالك ذات يوم يريد النزهة حول الرحبة فعارضه الاعرابى فمنعه الشرطة ازدراء به فلم ينثن عنه حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الامير أنا عائذ بك من شرطك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من

حاجة قال نعم اصلح الله الامير قال وماهى قال أن تصغى الىّ بسمعك وتنظر الىّ بطرفك وتقبل علىّ بوجهك قال نعم فانشده

ببابك دون الناس أنزلت حاجتى * وقبلت واسعى نحوه وأطوف
ويمنعنى الحجاب والليل مسبل * وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولى بالقلوس كأنهم * ذئاب جياع بينهن خروف
فاما وقد أبصرت وجهك مقبلا * وأصرف عنه اننى لضعيف
ومالى من الدنيا سواك ومالمن * تركت ورائى مربع ومصيف
وقد عد الجبان قيس وخندف * ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت أعناق الملوك ورحلتى * اليك وقد أخنت على صروف
فجئتك أبغى الخير منك فهزنى * ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة * فقلبى من ضرب العبيد مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله من يعطيه درهما بدرهمين ونوبا بثوبين فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الاعرابى واختلط عقله لكثرة ما أعطى فقال هل بقيت لك حاجة ياأعرابى قال أما إليك فلا قال فالى من قال الى الله أن يبقيك للعرب فانها لاتزال بخير مابقيت لها (وحكى) أبو بكر الماردانى قال كنت أساير الامير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وكان قد خرج الى الصيد بدمشق اذ تلقاه أعرابى فاخذ بعنان فرسه وقال

ان السنان وحد السيف لو نطقا * لاخبراعنك فى الهيجاء بالعجب
أقبلت مالك تعطيه وتنهبه * ياآفة الفضة البيضاء والذهب

فقال ياغلام اعطه مامعك فأعطاه خمسمائة دينار فقال ياأمير المؤمنين زدنى فقال لمن معه من غلمانه اطرحوا له مامعكم من المناطق والسيوف فحصل له منهم ماعجز عن حمله (وقال) علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدر الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم قد طال مقامهم على بابه ولم يؤذن لاحد منهم فبيناهم جلوس اذ خرج يريد الصيد فأقمت حتى رجع من صيده فلما قارب دخول البلد خرجت اليه ووقفت على نشز عال من الارض واومأت اليه برقعة فوقف فأنشدته

نحن التجار وهذه أعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلبه وفتشها بسمعك انما * هى جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * كسد المتاع تعطل الصناع
فأتتك تحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخو نحو بابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فبذلت مالم يعطيه فى دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وطلبت هذا الخلق فى طلب العلى * والناس بعدك كلهم أتباع

فلما فرغت من انشادها سار قليلا ثم وقف فاستعادها مني فلما دخل داره واستقر به الجلوس استدعاني فأعدتها فقال لمن كان عنده من خواصه وغلمانه وأتباعه من احبني فليخلع عليه فخلع علي مائة خلعة ووصلني بعشرة آلاف درهم (وحبس) الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان واقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم فبينما هو قد جباها له ذات يوم اذ دخل عليه الاخطل فأنشده

اباخالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذووا الحاجات اين يزيد
وما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمرين بعدك عود
وما لسرير بعد بعدك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يا غلام اعطه المائة الف درهم فانا نصبر على عذاب الحجاج ولا نخيب الاخطل فبلغت الحجاج فقال لله در يزيد لو كان تاركا للسخاء يوما لتركه اليوم وهو يتوقع الموت (ومن اخبار يزيد) ان الفرزدق دخل عليه وهو محبوس فلما رآه مقيدا قال له

اصبح في قيدك السماحة والـ * ـجود وحمل الديات والحسب
لا بطر ان ترادفت نعم * وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ما أردت بمدحي وانا على هذه الحالة فقال الفرزدق وجدتك رخيصا فأحببت ان اسلفك بضاعتي فرمى اليه بخاتم كان في اصبعه قيمته ألف دينار وقال هو ربحك امسكه الى ان يأتيك رأس المال (ودخل) جعيفران واسمه جعفر بن علي كركري على ابي دلف فأنشده

يا أكرم الامة موجودا * ويا أعز الناس مفقودا
لما سألت الناس عن سيد * اصبح بين الناس محمودا
قالوا جميعا انه قاسم * اشبه آباءه له صيدا
لو عبد الناس سوى ربهم * لكنت في العالم معبودا

فقال له احسنت يا غلام أعطه الف درهم فقال ايها الامير وما اصنع بها مر الغلام يأخذها ويعطني منها كل يوم عشرة دراهم الى ان تنفد فقال ابو دلف اعطوه الالف ومتى جاءكم اعطوه ما سأل فاكب جعيفران على يده يقبلها وقال

يموت هذا الذي اراه * وكل شيء له نفاد
لو ان خلقا له خلود * عمر ذا المفضل الجواد

﴿ المختار من غرر نوعي الكلام في استنجاز ما تأخر من صلات الكرام ﴾

(يحكى) ان الاحنف بن قيس قدم على معاوية فأقام شهرا لا يسأله فيها جاء فقال يا امير المؤمنين انك ترعيني مرعى وبيلا وتوردني ظمأ طويلا فأيأس ورواح ام حبس ونجاح فقضى حاجته (ووقف) اعرابي على رجل يستجديه فقال اني امتطيت اليك الرجا وسرت على الامل ووفدت بالشكر وتوسلت بحسن الظن فحقق الامل واحسن المثوبة واقم الاود وعجل السراح (وقال بعض الشعراء يستنجز)

جعلت فداك قد وجب الزمام * وقد طال التلبث والمقام

وقد ازف الرحيل الى بلادى * فرأيك لاعدمتك والسلام

(المتنبى) لقد نظرتك حتى حان مرتحلى * وذا الوداع فكن اهلا لما شئتا

(وكتب آخر يستجدى) بنا الى معروفك حاجة ولك على صلتنا قوة فانظر فى ذلك بما انت له اهل ونحن له اهل (وطلب العتابى) من صديق له حاجة فقضى له نصفها ومطله بباقيها فكتب اليه

بسطت لسانى ثم امسكت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك مطلق

فان انت لم تنجز عداتى تركتنى * وباقى لسان الشكر باليأس مطلق

(وقال ابو تمام حبيب بن اوس الطائى)

ان ابتدا المعروف مجد باسق * والمجد كل المجد فى استتمامه

هذا الهلال يروق ابصار الورى * حسنا وليس كحسنه لتمامه

(وكتب بعضهم يستنجز) حقيق على من أزهر بقوله ان يثمر بفعل والسلام (وفد) بشار بن برد على يحيى بن خالد فامتدحه فوعده خالد ومطله فتصدى له فى طريقه وهو يريد الجامع وأخذ بعنان بغلته وأنشد

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لنا برق وابطار شاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يهمى فتروى عطاشها

فقال لن تنصرف السحابة حتى تبلك يا أبا معاذ وأمر له بعشرة آلاف درهم (ولبشار أيضاً يستنجز)

هززتك لا انى وجدتك ناسيا * لامرى ولكنى أردت التقاضيا

ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(ولبشار أيضاً) فيك للمجد شيمة قد كفتنى * منك عند اللقاء بالمتقاضى

فاذا المجد كان عونى على المر * ء تقاضيته بترك التقاضى

(المفجع البصرى يستنجز)

ايها السيد عش فى غبطة * ماتغنى طائر الايك الغرد

لى وعد منك لاتذكره * فاقضه أنجز حر ما وعد

انت أحييت بمبذول الندى * سنن الجود وقد كان همد

فاذا صال زمان أوسطا * فعلى مثلك مثلى يعتمد

(أبو الحسن بن أبي البغل)

وعدت فأنجز ولا تبلنى * بكد التقاضى وذل السؤال

وصن وجه حر براه الزمان * بانيابه مثل برى الخلال

فان ضاق مالك عن رفده * فجاهك أوسع من كل مال

(ابن الرومى) يامن تزينت الدنيا بطلعته * وأصبحت منه فى حلى وفى حلل

أوراد بحركم مثلى ومنصرف * فى الواردين بلا عل ولا نهل

وانت تعلم ان الصبر من صبر * فامزجه بالنجح ان النجح من عسل

(قصد) أحمد بن الجليل سليمان بن حبيب بن المهلب مستجديا فأخر عنه مدة فكتب اليه مستنجزا

ورد العفاة المعطشون فأصدروا * ريا وطاب لهم لديك المكرع
وأراك تمطر جانباً عن جانب * وفناء أرضي من سمائك بلقع
ألنقص منزلتي تؤخر حاجتي * أم ليس عندك لي بخير مطمع

(أبو تمام الطائي)

سحاب خطاني جوده وهو صيب * وبحر عداني سيله وهو مفعم
وبدر اضاء الارض شرقا ومغرباً * وموضع رجلي منه اسود مظلم

(آخر) مالي ظمئت وبحر جودك زاخر * سهل مشارعه على الوراد
ما كان أجمل بالتجمل ملبسي * واعف في طلب القناعة زادي
لولا زمان أزمنت حالي له * نوب تراوح تارة وتغادي
وأرى فراخا ضاق بي أوكارها * وكذا البغاث كثيرة الاولاد

(آخر) أمرت بأن أقيم على انتظار * لرأيك انه الرأي الاصيل
وراقبت الرسول وقلت اني * سيأتيني فما جاء الرسول
فليس لغير أمرك لي مقام * ولا عن غير ذاتك لي رحيل
وقد أوقفت عزمي والمطايا * فقل شيأ لافعل ما تقول

(المعري) عليك مؤيد الدين اعتمادي * فلا تحتج الى كذب الاعادي
تمادى المطل والآمال درع * وطول الانتظار من الحداد
وقد أزف الرحيل وأنت كهفي * ومن جدواك راحلتي وزادي
زففت اليك أبكار المعاني * فزف الي أبكار الايادي

(آخر) يا جابر العظم اذا العظم انكسر * وناعش الجد اذا الجد عثر
أنت ربيعي والربيع ينتظر * وخير أنواع الربيع ما بكر

(أبو تمام) علمي بفضلك قاد نحوك حاجتي * فأتت مسيئلتي عقيب ثنائي
فامتن على بنجح ما أملته * ياسيدي ومعولي ورجائي

(آخر) أجرني لاعدمتك من مطالك * ودعني من صدودك واعتلالك
لقد كثرت عداتك ثم طالت * فهل وعد يكون لها فدالك

(ابن الرومي) كم ظهر ميت مقفر جاوزته * فخلت ربعا منك ليس بمقفر
جود كجود السيل الا أن ذا * كدر وان نداك غير مكدر
الفطر والاضحى قد انسلخا ولي * أمل ببابك صائم لم يفطر
عام ولم ينتج نداك وانما * تتوقع الحبلى لتسعة أشهر
حس لي بحر واحدا غرقك في * بحر احبس به بسبعة أبحر

(ومن) أحسن ما استجدى به الاجواد وبلغ به غاية الامل والمراد ما كتب به كلثوم بن عمرو العتابي الى صديق له يستمنحه أما بعد أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استنماما لزهرتها وشفقة على خضرتها وادخاراً لثمرتها حتى أصابتنا سنة كانها من سني يوسف فكذ بتنا غيومها وأخلفتنا بروقها فانتجعتك وأني بانتجاعي اياك شديد الثقة بك عظيم الشفقة عليك مع علمي بانك غاية امل القصاد وأعذب مناهل الوراد وأقول ما قال حماد عجرد

ظل اليسار على العباس ممدود * وحظه أبدا بالسعد معقود
ان الكريم ليخفي عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها اوجه سود
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال فلا تمنعك قلته * فكل ما سد فقراً فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى احدى نعليه ونصف قيمة خاتمه (وكتب آخر) الوعد أيسر مغارم الجود وأخف محمول على عاتق الكرم المرفود والمتقنع به قد أسلف المطل آماله وأوسع لخطو الندى مجاله وارتوى ببارق المزن قبل المطر واكتفى بورق الغصن دون الثمر فأى عذر للسماح اذا خرمه طالبه وحمى عنه جانبه وقد وجد المسلك الى المطلوب سهلا والطالب لما يتعلق به الوعد أهلا شاعر

لا أقتضيك الى السماح لانه * لك عادة لكنما أنا مذكر
وكذا السحاب اذا تمسك بالحيا * رغبوا اليه بالدعاء فيمطر

(أتى) على بن الجهم رجل فسلم عليه وقال له وعدتني وعدا ان رأيت ان تنتجه فافعل فقال ما أذكر هذا الوعد فقال له الرجل صدقت فأنت لا تذكر لان من قصدك مثلى كثير وأنا لا انسى لان من اسأله مثلك قليل فاعجبه كلامه وقضى حاجته فأنشد

فلقد قصدتك راجيا في حاجتي * ما يرتجيه الطالب الملهوف
فسررتني وبررتني بنجاحها * وكذا يكون الجود والمعروف

(آخر)
بدأت بتسهيل وثنيت بالرضا * وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم
وحققت لى ظني وانجزت موعدي * وابعدت لا عني وقربت لى نعم

(آخر)
يا من سهرت الليالى فى الدعاء له * حتى انتهى امره السامى على الامم
انظر اليّ بعين لو نظرت بها * الى الليالى نجت من قبضة الظلم
حتى اقول لصرف الدهر كيف ترى * تقابل السادة الاحرار بالخدم

(آخر)
أن أنت لم تحدث الى يدا * حتى أقوم بشكر ما سلفا
لم أحظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا

وفيما ذكرنا من هذه الملح كفاية اذ المحاسن لا يفضى الباحث عنها الى غاية ولو استقصينا ذكر ما أمطرته

أ كف الاجواد من سحائب الجود لخرجنا بما نحوناه عن الغرض المقصود ﴿ومما﴾ يحسن الحاقه بهذا الفصل اطلاق اللسان بشكر اهل الاحسان والفضل * قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين انه شكر اصطناع المعروف وفي الحديث المشهور والنبأ المأثور من ذكر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره (وقال) عليه الصلاة والسلام من كانت عنده نعمة فليكافئ عليها فان لم يقدر فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة (وقال) لقمان لابنه يابني المعروف غل لا يفكه الا شكر أو مكافأة (وقالوا) المعروف رق والمكافأة عتق وقال الشاعر كلما قلت أعتق الشكر رقى * صيرتني لك المكارم عبدا

فان عمر الزمان حتى أؤدى * شكر احسانك الذى لا يؤدى

(ويقال) الشكر وان قل ثمن كل نوال وان جل (ويقال) الشكر تميمة لتمام النعمة (وقال) أبو بكر الخوارزمي اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر (وقالوا) موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجد لم يرم وان فقد لم يقم (وما أحسن قول من قال) الشكر غرس اذا أودع اذن الكريم أثمر بالزيادة وحفظ العادة والسعيد من اذا أظلته نعمة لم يلته بسكرها عن شكرها (وقالوا) لا بقاء لنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت ابن المعتز شكرك نعمة سالفة يقيض لك نعمة مستأنفة (وقال) أبو بكر الخوارزمي قد أراحني الشيخ ببدره لكن أتعبني بشكره وخفف ظهرى من ثقل المحن لا بل أثقله بأعباء المنن واحياني بتحقيق الرجاء لا بل أماتني بفرط الحياء فأنا له عتيق بل رقيق واسير بل طليق (ومن كلامه) اللهم أرزقني زمانا أوسع من زماني ولسانا أفصح من لساني وبنانا أجرى من بناني حتى أقضي بالشكر حقوق اخواني فلا يذل الا بمجهود ولا جود الا من موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه فكيف يكافئ من قلت بسطته وعجزت قدرته وقطعت عن مسافة همته جدته (ولما) بلغ الصاحب اسماعيل بن عباد موت أبي بكر الخوارزمي قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

والذى أوجب قول الصاحب لهذين البيتين أنه بلغه ان أبا بكر الخوارزمي قال فيه هذين البيتين

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى جاوز الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما كفر بما اسدى اليه الصاحب بن عباد من المعروف ذكر هذين البيتين بعد موته

﴿ ذكر من تبجح بذكر المعروف الذى أسدى اليه ﴾

﴿ وأقر بعجز لسانه عن شكر المنعم والثناء عليه ﴾

(الثعالبي) شكرى لا يقطع في نعمه الظاهرة موقع النقطة من الدائرة لاشكرنك ملء القلب واللسان شكر حسان الى غسان لاشكرنك شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه لاشكرنك شكر الرياض للديم وزهير لهرم (وقال آخر) لو استعرت الدهر لسانا والريح ترجمانا لاشيع احسانه حق الاشاعة لقصرت الاستطاعة (قال) الامير أبو الفتيان محمد بن حيوس وأحسن كل الاحسان

سأشكر مادام اللسان بطيعنى * صنوفاً أتت من جودك المتتابع
توالت على من لايدل بخدمة * عليك ولايدلى اليك بشافع

(وقال) ابراهيم بن المهدى مخاطباً الحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون

رددت مالى ولم تضنن علىّ به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
لئن جحدتك ما أوليت من حسن * انى لفى اللؤم أحظى منك فى الكرم

(آخر) مواهب لو أنى تكلفت نسخها * لافلست فى اقلامها ومدادها

(آخر) ولو ان لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشكر كنت مقصرا

(ابن عمرون) طوقتنى منك الجميل قلائدا * وبررتنى حتى حسبتك والدا
والله لو حل السجود لمنعم * ما كنت الا لكما لك ساجدا

(آخر) لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة * أعلى من الشكر عند الله فى الثمن
اذا منحتكها منى مهذبة * حذوا على حذو ما أوليت من حسن

(آخر) لقد أفرطت فى برى * وقد قصرت فى الشكر
وشكرى عند احسانك * كالقطرة فى البحر

(آخر) اتظنني انسى اياديك التى * اهدت الىّ من الزمان أمانا
لا والذى جعل المحبة محنة * وهو النفوس مذلة وهوانا

(وحبس الرشيد) العتابى على ذنب اقترفه لم يحتمله منه ولا اغضى له عنه فتناساه فى الحبس مدة فشفع فيه خالد بن يزيد بن مزيد فأطلقه فكتب العتابى اليه يشكره

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * قد زال عنى لطيف الفكر من حيلى
فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

(أبو نواس) قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكر به ومعترفا
أنت امرؤ أحللتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
لا تسدين الىّ عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

(آخر) يازينة الناس والدنيا وما جمعت * بالامر والنهى والقرطاس والقلم
بالله اقدم ما ملكت ألسنة * تبث شكرك من فرقى الى قدمى
لما وفيت بما أوليت من منن * ولا نهضت بما أسديت من نعم

الفصل الثالث من الباب التاسع

فى ذم السرف والتبذير اذ فعلهما من سوء التدبير

(قال) الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (وقال) صلى الله عليه وسلم من السرف ان تأكل كل ما شئت (وقال) صلى الله عليه وسلم آفة الجود السرف * والسرف اسم لما جاوز الجود (وقالوا) السرف هو أن يكون الرجل لايبالى فيما يشترى أو يبيع أو يغبن أو يغبن فيبيع

بوكس ويشترى بفضل * وهذا كما قيل الحر يتغابن فى ابتياع الحمد ولا يتغابن فى الشراء والبيع (وقيل) لعبد الله بن جعفر انك تعطى الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا عوملت فقال أجود بمالى وأضن بعقلى (وقالوا) السخاء خلق مستحسن مالم ينته الى سرف وتبذير فانه من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وانما يسمى مبذرا مضيعا (وقال معاوية) ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع (وقالوا) يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا (وقالوا) ما وقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره وأثمره (وقال) معاوية لولده يزيد انك ان أعطيت مالك فى حق الحق يوشك أن يجىء الحق وليس معك ما تعطى فيه * وقالوا تطول ولا تطاول (وقال) أبو بكر رضى الله عنه انى لابغض أهل بيت ينفقون رزق الايام فى اليوم الواحد (وقالوا) السرف فى الانفاق يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش (وقال) عبد الله بن الزبير فى محاورة جرت بينه وبين ابن عباس ان السرف من طينة السخاء ولكنه جاوز الحق وما بعد الحق الا الضلال (وكان) أبو الاسود الدؤلى يقول يابنى اذا بسط الله عليك فابسط واذا أمسك عنك فأمسك ولا تجاوده فانه أكرم منك وأجود * واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو يعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والنحويين والبخلاء والعرج والمفاليج والبخر (وقالوا) التدبير يثمى اليسير والتبذير يدمر الكثير (ولم) هشام بن عبد الملك على الامساك فى العطاء فقال انا لا نعطى تبذيرا ولا نمسك تقتيرا انما نحن خزائن الله فى بلاده وأمناؤه على عباده فاذا شاء أعطينا واذا كره أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا *(وربما)* عوقب المبذر بالافلاس وصير بالفقر مثلة بين الناس (قال الاصمعى) قصد رجل من أهل الشام منزل ابراهيم ابن هرمة فاذا بنت له صغيرة تلعب بالطين فقال لها ما فعل أبوك قالت وفد الى بعض الاجواد فما لنا علم من عهد فقال لها قولى لامك تنحر لنا ناقة فانى وأصحابى أضيافها فقالت والله ما عندنا قال فشاة قالت والله ما نجدها قال فدجاجة قالت والله ما هى لنا فى منزل قال فاعطينا بيضة قالت من أين البيضة اذا لم تكن الدجاجة قال فباطل ما قال أبوك حيث يقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أوجمل
لاأمتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الا قريبة الاجل
لاغنمى فى الحياة مدلها * الى دراك العلا ولا ابلى

قالت فذاك الفعل من أبى أصارنا أن ليس عندنا شىء فتركها ومضى (وكان) عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يعمون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس وضيق اليد الى ان سأله رجل فقال له ان حالى متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان ولكنى أعطيك ما أمكننى فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله وقال اللهم استرنى بالموت فأتى بعد دعوته الأيام حتى مرض ومات رضى الله تعالى عنه (وفد) أبو الشمقمق على محمد بن مروان بنيسابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها صار الى منزله فأخبرانه فى دار الخراج مطالب فقصده ودخل عليه وهو قائم فى الشمس وعلى عنقه صخرة عظيمة فتغير له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتموّلوا

أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

(فقال أبو الشمقمق) الجود فلسهم وغير حالهم * فاليوم ان سئلوا النوال تجملوا

(دخل) مالك بن دينار على أبي عون في الحبس وكان قد ضربه بلال بن أبي بردة بالسياط واذا في الحبس جماعة من عمال السلطان في الحديد فلم يلبث أن حضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون ألوان الاطعمة فقيل له يا أبا يحيى هلم فقال لا أريد ان آكل مثل هذا ولا أن يوضع في رجلي مثل هذا وأشار الى القيد (وكان) للاعمش صديق متصرف في عمل السلطان فبقى عليه مال فحبس فيه فزاره الاعمش متفقدا له فلما دخل عليه رأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتغذى منها فقال والله ما لازمت الوثاق الا باسرافك في الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك * ولهذا الافلاس أكثر الناس كلامهم في التحذير من عواقب التبذير وما أحسن قول الفقيه منصور رحمه الله

ثوب وكسرة وخبز * وبيت كن وأمن ألذ من كل ملك * عقباه ضرب وسجن

(ومما) يعد من الاسراف في البذل اصطناع المعروف الى اللئيم والنذل (قالوا) حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن الحفظ ومن بذل مكان الامساك فهو مبذر ومن امسك مكان البذل فهو بخيل (وقالوا) من الحزم ان تعلم ان مالك لا يسع الناس كلهم فتوخ به أهل الحق عليك وان كرامتك لا تسع الثقلين فاخصص بها أهل الفضل والمروءة ومن تمسه الحاجة اليك والاعطاء بعد المنع أجمل من المنع بعد الانعام (وقال لقمان) المعروف كنز فانظر من تودعه (وقال) عبد الملك بن المقفع ان مالك لا يسع الناس فاخصص به ذوى الكرم من أهلك وخاصتك ودع الاجانب جانبا (وقال) صالح بن عبد القدوس سامحه الله

لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذى الحق بخل

انما الجود أن تجود على من * هو للبذل منك والجود أهل

(آخر) لا تصنع المعروف في ساقط * ذاك صنيع ساقط ضائع

وضعه في حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

(وقالت الحكماء) أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام (وقالوا) الاحسان الى اللئيم اضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بسيط الهواء (وقالوا) زوال الدول باصطناع السفل (وقالوا) كن جوادا في موضع الجود فان أحمد جود الحر الانفاق في وجه البر (وقال بعضهم) لا حسرة أعظم من نعمة اسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة (وقال آخر) لا تصنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة لا يظهر فيها البذر وذلك لا يظهر فيه المعروف والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت معه انما هو مخافة فحشه والاحمق فانه لا يدرى قدر ما أسديت اليه ولا يشكرك عليه (قال الشاعر)

لعمرك ما المعروف في غير اهله * وفي اهله الا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في كفر الايادى وشكرها * الى أهلها الا كبعض المزارع

فمزرعة أجدت فأضعف زرعها * ومزرعة أكدت على كل زارع

(وقالوا) واضع المعروف فى غير اهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ (قال الشاعر)

ومن يصنع المعروف مع غير اهله * يلاقى كما لاقى مجير أم عامر
اعد لها لما استجارت ببيته * احاليب البان اللقاح الدوائر
وامسكها حتى اذا ماتمكنت * فرته بأنياب لها واظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(آخر)
عليك بذى الاقدار فاكسب ثناءهم * فمالك فى غير الاكارم ضائع
ومامال من اعطى الكرام بناقص * ولكنه عند الكرام ودائع

(آخر)
اذا ما بدأت أمرا جاهلا * ببر فقصر عن حمله
ولم تلقه قابلا للجميل * ولا عرف العز من ذله
فسمه الهوان فان الهوان * دواء لذى الجهل من جهله

(وقالوا) العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر ماز كا من الارض لبذره (وقالوا) رأس الرزائل اصطناع الارازل وقال الشاعر

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزيت ولم تظفر بحمد ولا أجر

﴿ ما احتج به سراة الاشراف * فى تحسين التبذير والاسراف ﴾

قد كنا قدمنا فى أول فصل من هذا الباب جملة مما ورد عن الكرماء فى الحض على انتهاز الفرصة بالانفاق ثقة بالخلف من الكريم الرزاق ما فيه كفاية فلم يمنعنا ذلك فذكرنا فى هذا الموضع ما استدركناه ليتم لنا الغرض المقصود فيما نحوناه من كل مستحسن بديع لسر البراعة بلسان البراعة بذيع (من ذلك) قول الله تعالى وهو أصدق القائلين وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين * وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينادى مناد كل ليلة اللهم اجعل لكل منفق خلفا ولكل ممسك تلفا * وقوله صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا ولقد أجاد على بن ذكوان فى قوله

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * بين العباد مع الآجال ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وحكى) ان على بن موسى الرضا رضى الله عنه وعن آبائه الكرام فرق فى يوم عرفة وكان بخراسان ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما * وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد (وقال) بعض الحكماء أنفق فى الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك فان اغتممت على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك فانه من لم يعمل فى ماله وهو موجود عمل فى ماله وهو مفقود (وقال بزرجمهر) اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى (طاهر بن الحسين ناظما لهذا المعنى)

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فان تولت فاحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(ويقال) انفق وأسرف فان الشرف فى السرف (وقيل) للحسن بن سهل وكان معطاء لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير وهذا من بديع الكلام وذلك انه عكس على المنكر كلامه فكان جوابا له ورداً عليه من غير أن يزيد فيه ولا ينقص منه (وقال) الراضى بالله يخاطب لائماً لامه على السرف

لا تكثرن عذلى على الاسراف * ربح المحامد متجر الاشراف

اجرى كآبائى الخلائف سابقا * واشيد ما قد اسست أسلافى

انى من القوم الذين أكفهم * معتادة الاتلاف والاخلاف

(آخر) قامت تلوم على بذل النوال ولى * به ولوع فقلت اللوم فى الباقى

لا تجزعى ان ترى بى فاقة أبدا * فمن خزائن رب العرش انفاقى

(آخر) الا لا تلمني على بذل مالى * فصوني العرضي بمالى جمالى

وصونى لمالى بعرضي فساد * لعرضي ودينى وجاهي ومالى

(الصولى) لا تلومن فهمك أن أترى وهمى مكارم الاخلاق

ليس يستطيع حفظ ماملكت كفاه من ذاق لذة الانفاق

(وقال المأمون) لمحمد بن عباد بلغنى ان فيك سرفا فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء الظن بالمعبود فقال المأمون لا يحسن السرف الا بأهل الشرف

(وقال البحتري يمدح معطاء أسبل الكرم عليه غطاءه)

كرم دعتك به القبائل مسرفا * ما مسرف فى المكرمات بمسرف

(وقال آخر يحض على الاسراف فى الصنائع)

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

﴿الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة فصول﴾

الفصل الاول من هذا الباب

فى ذم الامساك والشح ومافيهما من الشين والقبح

فرقوا بين الشح والبخل (فقالوا) الشح ان تكون النفس كزة حريصة على المنع كما قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وهو اللؤم وأما البخل فهو المنع نفسه (فما جاء فى البخل) قول الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال بعض أهل المعانى انما خص هذه الاعضاء دون غيرها بالذكر لان السائل اذا سأل البخيل زوى عنه وجهه فان ألح عليه ازور عنه بشق جنبه الذى يليه فان ألحف ولاه ظهره (وروى الخطيب) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت باسناده

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها أظهري حورك وحليك وحللك وسررك وحجالك ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل أورده في كتاب البخلاء له (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من الانصار من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام وأي داء أدوأ من البخل (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم (وعنه) عليه الصلاة والسلام قال اقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل (وقال) علي بن ابي طالب البخيل يتعجل الفقر لنفسه يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء (وقال حكيم) لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاسوء الظن بربهم في الخلف لكان عظيما فان الله تعالى يقول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه * وكفى بالبخيل معرة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره اليها ويحرمها مباح الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوي وان أجحفت به العلة وأهمل دفع المكاره عن نفسه وقد نيطت به المذلة لكثرة الاشفاق على الانفاق فهو لا يلقى في الدنيا شكورا ولا يلقى في الآخرة أجرا مدخورا (وقالوا) البخل من سوء الظن وخمول الهمة وضعف الروية وسوء الاختيار والزهد في الخيرات (وقال) الحسن بن علي رضي الله عنهما البخل جامع المساوي والعيوب وقاطع المودات من القلوب (وقال) سقراط الاغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير (وحده) قالوا هو منع المسترفد مع القدرة على رفده (وكان) أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخيل ويقول بخله يحمله على ان يأخذ فوق حقه مخافة ان يغبن فمن هذه حاله لا يكون مأمونا (وقال) بشر بن الحرث الحافي لا غيبة لبخيل ولشرطي سخي أحب الي من عابد بخيل (وقالوا) صديق البخيل من اطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه (وقيل) النظر الي البخيل يقسي القلب (وقالوا) البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس الى التلف (وقالوا) اتق الشح فانه ادنس شعار وأوحش دثار (وقالوا) البخيل يملأ بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع (شاعر)

ومن الجهالة بالمكارم ان ترى * جار الجوع وجاره شبعان

(ويقال) من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم (وقال الراجز)

من يجمع المال فلم يجد به * ويجمع المال لعام جدبه * يهن على الناس هوان كلبه

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليـــــل

واني رأيت البخل يزري بأهله * فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

(وقالوا) البخيل لا يستحق اسم الحرية فانه يملكه ماله (وقالوا أيضا) البخيل لا مال له انما هو لماله (وقال) قيس بن معديكرب لبنيه يابني اياكم والبخل فانه من اكتسب مالا فلم يصن به عرضا بحث الناس عن أصله فان كان مدخولا

هرتوموان لم يكن مدخولا ألزموه ذنبا رموه به ومقتوه وأكسبوه عرقا هجيناحتى يهجوه والبخل داء وتمم الدواء السخاء (وقال) الحسن البصري لم أر أشقى بماله من البخيل لانه في الدنيا مهتم بجمعه وفي الآخرة محاسب على منعه غير آمن في الدنيا من همه ولا ناج في الآخرة من اثمه عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الاغنياء أخذه من كلام أمير المؤمنين علي رضى الله عنه (ودخل) رضى الله عنه على عبد الله بن الاهتم يعوده في مرضه فرآه يصمد بصره ويصوبه الى صندوق في زواية من بيته ثم التفت اليه وقال يا أباسعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا الى هذا أتاه شيطانه تخوفه روعة زمانه وجفوة سلطانه بما استودعه الله اياه انظروا اليه كيف خرج منها مذموما مدحورا ثم التفت الى وارثه وقال أيها الوارث لاتخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك وبالا أتاك عفوا صفوا ممن كان جموعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح لك فيه يمين ولم يعرق لك فيه جبين ان يوم القيامة ذو حسرات وان من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها حسرة لاتقال وتوبة لاتنال

﴿ ما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتأنقهم في ذم اللئام الاشحاء ﴾

كتب بعض الادباء الى صديق له يستشيره في قصد بعض الرؤساء تأميلا لنائله وكان معروفا بالبخل (فاجابه) كتبت الي تسألني عن فلان وذكرت انك هممت بزيارته وحدثتك نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فان حسن الظن به لايقع الابخذلان من الله وان الطمع فيما عنده لايخطر على القلب الامن سوء التوكل على الله والرجاء لما في يديه لاينبغي الا بعد اليأس من روح الله لانه رجل يرى التقتير الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يعاقب عليه وان الاقتصاد الذي أمر الله به هو الاسراف وان بني اسرائيل لم يستبدلوا المن بالعدس والسلوى بالبصل الا لفضل حلومهم وقديم علم توارثوه عن آبائهم وان الضيافة مرفوضية والهبة مكروهة والصدقة منسوخة وان التوسع ضلالة * والجود فسق وجهالة والسخاء من همزات الشياطين كانه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى التي نسخ الله جميل أخبارها ونهى عن اتباع آثارها وكان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء نسب اليهم ولا أهلكت الريح العقيم عادا الا لافضال كان فيهم وهل يخشى العقاب الا على الانفاق ويرجو العفو لا بالامساك ويعد نفسه بالفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن ينزل به قوارع الظالمين أو يصيبه ما أصاب الاولين فأقم رحمك الله بمكانك واصبر على خطب زمانك وامض على عسرتك فعسى أن يبدلك الله خيرا منه زكاة وأقرب رحما (وكان) محمد بن يحيى بن خالد مبخلا بالنسبة لابيه وأخويه جعفر والفضل فسئل الجماز عن مائدته فقال فتر في فتر وصحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة وبين اللون واللون فترة نبي قيل فمن يحضره قال خير خلق الله وشرهم قيل من هم قال الملائكة والذباب قيل له أنت به خاص وثوبك مخرق فقال والله لو ملك بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يسألونه اعارة

ابرة يخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر مافعل أخذه الشاعر و نظمه فى قوله

لو أن قصرك يا ابن أغلب ممتلى * ابرا يضيق بها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قدقميصه لم تفعل

(آخر يهجو بخيلا)

لو أن دارك أمطرت عرصاتها * ابرا يضيق لها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يوم قد قميصه * يرجو نوالك في ابره لم تفعل

(وقيل) لابى القاسم خمبن تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قيل له وقد عرفت ذلك قال رأيت غلمانه بأيديهم قسى البندق يرمون بها الطير فى الهواء (وذم أعرابى قوما) فقال لهم بيوت تدخلها حبوا الى غير نمارق ولا وسائد فصح الالسن برد لسائل جعد الاكف عن النائل (وذم اعرابى قوما) فقال ما كانت النعمة فيهم الا طيفا فلما انتبهوا لها ذهبت عنهم فقال شاعر وكأنه ألم بهذا المعنى فى قوله

خنازير ناموا عن المكرمات * فأيقظهم قدر لم ينم
فياقبحهم فى الذى خولوا * ويا حسنهم فى زوال النعم

(نزل) اعرابى برجل فقال له بعض قومه لقد نزلت بواد غير ممطور ورجل بقدومك غير مسرور فأقم بندم أو ارحل بعدم (وقال) المتوكل لابى العيناء من أبخل من رأيت قال موسى بن عبد الملك بن صالح قال وما رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة (وقال بشار) من استضاف فلانا استغنى عن الكنيف وأمن من التخمة (وذم آخر بخيلا) فقال ضن بفلسه وجاد بنفسه (وذم أعرابى بخيلا) فقال جعد البنان شحيح الكف مقفل اليد لا يسقط من كفه الخردل وان استولى على أصابعه الجندل قال الشاعر

تحلى باسماء الشهور فكفه * جمادى وما ضمت عليه المحرم

(وقالوا) فلان ماهو رطب فيعتصر ولا يابس فيكسر مانع للموجود سيء الظن بالمعبود فلان منعوت على الجمع والمنع لا يعد العيش الا ماجمعه والحزم الا ما منعه فلان ابن لبون لا در فيحلب ولا ظهر فيركب (وذم) اعرابى رجلا بالبخل فقال لقد صغر فلانا فى عيني كبر الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل اذ رآه ملك الموت اذا أتاه (بشار بن برد)

اذا سلم المسكين طار فؤاده * مخافة سؤل واعتراه جنون

(ومن منظوم نفسات الصدور المحنقة) فى ذم من سلبه السخاء رونقه قول بن منصور بن ربيعة يهجو بخلاء

قوم غدوا والطعام عندهم * وزن اللجين ووزن ياقوت
ان كان قوتى البهم وبهم * برئت منهم ومنك يا قوتى

(الاخطل) مازال فينا رباط الخيل معلمة * وفى كليب رباط الخزى والعار
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

(ولقد أحسن أبو الشمقمق فى قوله)

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الروس فى أعفاج بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

(آخر) عد الارغفة تنف وقرط * وا كليلان من خرز ودر
اذا كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر
وجاء بكل نائحة عليه * كما بكت الرباب لفقد عمرو
ودون رغيفه دق الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر

(وقال أبو نواس يهجو سعيد بن سلم بن قتيبة)

رغيف سعيد عنده عدل نفسه يقلبه طورا وطورا يداعبه
ويأخذه فى حضنه ويشمه * ويلثمه حينا وحينا يلاعبه
وان قام مسكين على باب داره * اذا ثكلته أمه وأقاربه
يصب عليه البول من كل جانب * ويخضب ساقاه وينتف شاربه

(ابن طباطبا) أجاع بطني حتى * شممت ريح المنيه
وجاءنى برغيف * قد أدرك الجاهلية فقمت بالفأس حتى * أدق منه شظيه
تثلم الفأس وانصا * ع مثل سهم الرمية فشج رأسى ثلاثا * ودق منى الثنيه

(آخر) ربى وربك بعد الجوع أشبعنى * ورزق ربك آت غير مدفوع
ولو عليك اتكالى فى الطعام اذا * لكنت أول مدفون من الجوع

(آخر) وقائلة ما دهى ناظريك * فقلت لأمر به قد منيت
أكلت دجاجة بعض الملوك * فمازلت اصفع حتى عميت

(آخر) نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
ترى الاصلاح صومك للاجر * وكسرك للرغيف من الفساد
ولو أبصرت ضيفا فى المنام * لحرمت المنام الى التناد
ولم أهجوك أنك كفؤ شعر * ولكنى هجوتك للكساد

(آخر) ودعوتنى فأكلت عندك قرصة * وشربت شرب من استتم خروفا
وسألتنى فى أثر ذلك حاجة * أودت بمالى تالدا وطريفا
فجعلت أفكر فيك باقي ليلتى * ما كنت تسأل لو أكلت رغيفا

(آخر) أتيت ابن يحيي وهو يأكل فانثنى * الىّ قطوبا اذ رآنى وهمهما
وقال لما ذا جئت قلت مسلما * فقال لقد سلمت فارجع مثل ما

(وقال ابن الخياط الصقلى)

لاتكونن مبرما وعسوفا * سله دمه وخل عنك الرغيفا
أكرم الخبز بالصيانة حتى * جعل الكعك للبنات شنوفا

(آخر يخاطب بخيلا)

لك نفس اذا أضر بها الجو ع تلافيتها بشم الرغيف
من يكن عيشه كعيشك هذا * فلتكن داره بغير كنيف

(آخر)
رأيتك عند حضور الخوان * قليل النشاط كثير الصياح
تلاحظ عيناك كف الآكيل * وترمقه من جميع النواحي
فعال امرئ بخلت نفسه * بشئ يؤول الى المستراح

(آخر) يهجو بخيلا

أصبح لا يعرف الجميل ولا * يفرق بين القبيح والحسن
ان الذي يرتجي نداه كمن * يحلب تيسا من عزة اللبن

(آخر)
يزداد شحا وبخلا كلما كثرت * أمواله ثم لا ترجى مواهبه
كالبحر كل مياه الارض قاطبة * تأوى اليه وظمآ فيه راكبه

﴿ ومما يكون منهما لما ذكرناه خلف الشحيح لسائله بما مناه ﴾

قالوا اخلف الوعد من خلق الوغد (والمثل المضروب) قولهم أخلف من عرقوب وأخلف من شرب الكمون فان الكمون يمنى بالسقى ولا يسقى (قال الشاعر)

سقيتموني كؤوس المطل مترعة * حتى ثملت والسكران عربيد
لا تتركوني ككمون بمزرعة * ان خانه الغيث أحيته المواعيد

(وقال) بعض كرماء الاعراب لان أموت عطشا أحب الى من أن أخلف موعدا (وقال) بعض البلغاء يذم بخيلا فلان ملأ سمعي روحا وكفي ريحا (وقال آخر) فلان يفتح مواعيده بالاطماع ويختمها بالخيبة والامتناع (وقال آخر) فلان سخي قولا وبخيل فعلا وسريع وعدا وبطيء رفدا (وقال آخر) فلان أول وعده طمع وآخره يأس وما هو الا كالسراب يغر من رآه ويخلف من رجاه وقال الشاعر

لسانك أحلى من جنى النخل موعدا * وكفك بالمعروف أضيق من قفل

(آخر) لسانك معسول وقلبك علقم * ودون الثريا من صديقك مالكا

(دعبل) ياجواد اللسان من غير فعل * ليت فى راحتيك جود اللسان

(وقالوا) من وعد وأخلف لزمته ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب وقال الشاعر

ألا انما الانسان غمد لقلبه * ولا خير فى غمد اذا لم يكن نصل
ولا خير فى وعد اذا كان كاذبا * ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل
فان تجمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

(وقال الثعالبي) أول من أخلف المواعيد وكذبها ولم يف بشئ منها اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد وما كانت الرؤساء قبل ذلك يعرفون المواعيد الكاذبة (وما أحلى) قول بعض الشعراء يخاطب من أخلف عدة وعده اياها من أبيات

ووعدتني عدة ظننتك صادقا * فجعلت من طمعي أروح وأذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

(وقال) بعض البلغاء يذم مخلف وعده فلان وعده في الخلاف كشجر الخلاف يريك نضارة المنظر ثم لايجنيك شيأ من الثمر نظمه ابن الرومي فقال

ليس من حل بالمحل الذي أنـ * ـت به من سماحة ووفاء
بذل الوعد للاخلاء طوعا * وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يحسن للعيـ * ـين ويأبى الاثمار كل الاباء

(آخر)

على الدنيا وما فيها السلام * اذا ملكت خزائنها اللئام
رضيت من الامور بكل شيء * قضاه الله وانقطع الكلام

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

﴿ في ذكر نوادر المبخلين من الاراذل والمبجلين ﴾

يجب علينا أن نذكر أولا ما صدر عن الامجاد العقلاء في التحذير من سؤال الاجواد والبخلاء ثقة بما ضمنه الله من رزقه الدار على سائر خلقه (قالوا) مكتوب في التوراة ابن آدم لاتسأل الناس فان كنت فاعلا فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطا محمودا (وفي كتاب كليلة ودمنه) ينبغي للعاقل أن يرى ان ادخال يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من سؤال الناس (وقال) ابراهيم بن حفصة لابنه يابني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك اليه واستر ماء وجهك بقناع قناعتك وتسل عن الدنيا بتجافيها عن الكرام وأنشده

هي القناعة فالزمها تكن ملكا * لو لم يكن لك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(وقال) لقمان لابنه يابني لاتخلق وجهك بطلب الحوائج الي من هو دونك فانه ان ردك ساق اليك محنة وان قضى حاجتك اتخذها عليك منة واسأل الله فان الله يحب من يسأله ويبغض من لا يسأله (الشاعر)

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقد) روي عن سفيان الثوري دعاء ككلام لقمان كان يدعو به اذا احتاج يقول اللهم يامن يحب أن يسئل ويغضب على من لا يسأل وأحب عباده اليه من سأله فاكثر سؤاله وليس أحد كذلك غيرك يا كريم اعطني كذا ويسأل حاجته (وقال) محمد بن الحنفية رضي الله عنه ما كرمت على عبد نفسه الا هانت عليه الدنيا

(شاعر) الحر حر عزيز النفس حيث نوى * كالشمس في أي برج ذات أنوار

(آخر)

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولونال الغني بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(آخر)

لاأستعين باخواني على الزمن * ولاأرى حسنا ماليس بالحسن
اني كليل اذا استعطفت ذائقة * بماحوت كفه قد كان أغفلني

ذل السؤال وذل الشكر ما اجتمعا * الا اضرا بماء الوجه والبدن
لا ابتدى بسؤال لي اخا أبدا * لو شاء قبل سؤالي منه أكرمني
له الثراء ولي عرض أوفره * عنه ويقنعني قوت يبلغني

(محمد ابن حازم)

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في الياس
فالرزق عن قدر يجري الى أجل * في كف لا غافل عني ولا ناسي
فكيف ابتاع فقرا حاضرا بغنى * وكيف أطلب حاجاتي من الناس

(ولقد) أحسن ابن شهيد كل الاحسان في قوله يصف من صان وجهه عن السؤال بقناع قناعته وكف وصبر على مضض الاحتياج بقدر استطاعته فعف

ان الكريم اذا نالته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يطوى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه طلق بماء البشر ريان

(آخر) وكم قد رأينا من فتى متجمل * يروح ويغدو ليس يملك درهما
يبيت يراعي النجم من سوء حاله * ويصبح يلقى ضاحكا متبسما

(ذكر من كان يدين بالبخل من الملوك واتصف بما لا يحسن بالفقير الصعلوك) عبد الله بن الزبير ويكنى أبا حبيب وانما لم يعد من البخلاء لجلالة رتبته واصالة أبوته فيما يحكى عنه انه نظر الى رجل من جنده قد دق في صدور أصحاب الحجاج في قتاله على مكة ثلاثة أرماح فقال له ياهذا اعتزل عن نصرتنا فان بيت المال لا يقوم بهذا (وفي هذه الحرب) يقول معاتبا جنده أكلتم تمري وعصيتم أمري سلاحكم رث وكلامكم غث عيال في الجدب أعداء في الخصب (وقال) لرجل كان يتعاطى التجارة ماصناعتك قال أتجر في الرقيق فقال ما أشد اقدامك على الغربة واضاعة المال قال بماذا قال ببضاعتك الملعونة التي هي ضمان نفس ومؤنة ضرس (وأتاه) عبد الله بن فضالة مستجديا فأخذ يشكو اليه شدة فاقته وجفا ناقته ووعورة طريقه وبعد مسافته فقال له اخصفها بهلب وارقعها بسبت وانجد هابرد خفها فقال ابن فضالة انما جئتك مستجديا لا مستوصفا فلا بقيت ناقة حملتني اليك قال ان وصاحبها قوله ان بمعنى نعم (قال) أبو عبيدة معمر بن المثنى لو تكلف الحرث ابن كلدة طبيب العرب من وصف علاج ناقة هذا ما تكلفه هذا الخليفة لعسر عليه (ويقال) انه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة واحدة ويقول انما بطني شبر في شبر وما عسى يكفيني (ومن بخلاء الخلفاء) عبد الملك بن مروان وكان يسمى رشح الحجر ولبن الطير أيضا لبخله وهشام ولده كان ينظر في القليل من المال ويمنع السائل وان ألحف في السؤال ويبيع ما يهدى اليه ويجعل السب صلة من يقرظه ويثني عليه (ومن حكاياته) انه وفد عليه محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له مالك عندي شيء ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لك لم يعرفك أمير المؤمنين أنت فلان بن فلان فلا تقيمن فتنفق مامعك فليس لك عندي صلة فبادر والحق باهلك (وكان) معاوية يبخل في طعامه مع كثرة جوده بالمال قال لرجل وأكله ارفق بيدك فقال له الرجل وانت فاغضض من طرفك (وبلغه) ان الناس يبخلونه فقام على

المنبر وقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم فلاى شيء تلام نحن
فقام اليه الاحنف بن قيس وقال نحن مانلومك على مافى خزائن الله ولكن نلومك على مافى خزائنك
اذا اغتلقت بابك دونه (والمنصور) وكان يلقب ابا الدوانيق ولقب بذلك لانه لما بنى بغداد كان ينظر
فى العمارة بنفسه فيحاسب الصناع والاجراء فيقول لهذا أنت نمت القائلة ولهذا أنت لم تبكر الى عملك ولهذا
أنت انصرفت لم تكمل اليوم فيعطى كل واحد منهم بحسب ماعمل فى يومه فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل
(ويحكى عنه) انه قال لطباخيه لكم ثلاث وعليكم اثنان لكم الرؤس والاكارع والجلود وعليكم الحطب
والتوابل (ومن حكاياته) الدالة على شدة بخله أن الربيع بن يونس حاجبه قال له يوما ياأمير المؤمنين ان
الشعراء ببابك وهم كثيرون وقد طالت أيام اقامتهم ونفدت نفقاتهم فقال اخرج اليهم واقرأ عليهم السلام
وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصفنا بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هى دويبة ميتة تأكل
التراب ولا بالجبل فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانه ذو غطامط فمن ليس فى شعره شيء من هذا فليدخل
ومن كان فى شعره شيء من هذا فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة فانه قال أدخلنى فادخله
فلما مثل بين يديه قال ياربيع قد علمت انه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابراهيم فانشده القصيدة التى أولها

سرى نومه عن الصبا المتحامل * واذن بالبين الحبيب المزايل

حتى انتهى الى قوله

له لحظات فى حفافى سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل
فام الذى آمنت آمنة الردى * وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فرفع له الستر وأقبل عليه مصغيا اليه حتى فرغ من انشاده ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له ياابراهيم
لا تتلفها طمعا فى نيل مثلها فما فى كل وقت تصل الينا وتنال مثلها منا فقال ابراهيم ألقاك بها ياأمير المؤمنين
يوم العرض وعليها خاتم الجهبذ (ودخل) المؤمل بن أميل على المهدى بالرى وهو اذذاك ولى عهد أبيه
المنصور فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهدى الا أن فيه * تشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما اذاما * أنارا يشكلان على البصير
فهذا فى الضياء سراج عدل * وهذا فى الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالمنابر والسرير
ونقص الشهر يخمد ذا وهذا * منير عند نقصان الشهور

(ومنها)

فان سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام بغداد فكتب
اليه المهدي يلومه على هذا العطاء ويقول له انما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر اذا أقام ببابك سنة أربعة
آلاف درهم وأمر كاتبه أن يوجه اليه بالشاعر فطلب فلم يوجد وذكر أنه توجه الى بغداد فكتب الكاتب

الى المنصور بذلك فأمر بعض القواد بارصاد المؤمل على باب بغداد فجعل القائد يتصفح وجوه الناس القادمين عليها ويسألهم عن أسمائهم وأسماء آبائهم حتى وقع المؤمل فسأل عن اسمه فأخبره فقال أنت بغية أمير المؤمنين وطلبته قال المؤمل فكاد والله قلبي ينصدع خوفا وفزعا ثم أخذ بيدي فسار بي الى الربيع فادخلني على المنصور فقال يا أمير المؤمنين هذا المؤمل بن أميل قد ظفرت به فسلمت فرد السلام فسكن جأشي وزال استيحاشي عند ذلك واطمأن قلبي وزال روعي ثم قال لي اتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ملكا جوادا كريما فمدحته فحمله كرم أعراقه ومكارم شيمه على صلتي وبرى فاعجبه كلامي ثم قال أنشدني ماقلت فيه فأنشدته القصيدة فقال والله لقد أحسنت ولكنها لاتساوى عشرين ألفا يا ربيع خذ منه المال واعطه منه أربعة آلاف درهم ففعل فلما ولى المهدى الخلافة قدم عليه المؤمل فأخبره بما دار بينه وبين المنصور فضحك وأمر له برد ما أخذ منه فرد عليه (وأشرف) يوما على الصياد فرأى صائدا اصطاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه اخرج الى المتسبب فمره أن يوكل بالصياد من يدور معه من حيث لا يشعر فاذا باع السمكة قبض على مشتريها وصار به الينا ففعل المتسبب ما أمر به فلقى الصياد رجلا نصرانيا فابتاع منه السمكة بثاني درهم فلما صارت السمكة في يد النصراني وذهب بها قبض عليه الاعوان وأتى به المتسبب وأدخله على المنصور فقال له من أنت قال رجل نصراني قال بكم ابتعت هذه السمكة قال بثاني درهم قال وكم عيالك قال ليس لي عيال قال وأنت يمكنك أن تشترى مثل هذه السمكة بمثل هذا الثمن كم عندك من المال قال ماعندي شيء فقال للمتسبب خذه اليك فان أقر بجميع ماعنده والا فاقتل به فأقر بعشرة آلاف درهم قال كلا انها أكثر فأقر بثلاثين ألف درهم وأحل دمه ان وقف له على أكثر منها قال له من أين جمعتها قال وأنا آمن يا أمير المؤمنين قال له وأنت آمن على نفسك ان صدقت قال كنت جارا لابي أيوب فولاني جهبذة بعض نواحي الاهواز فأصبت هذا المال فقال المنصور الله أكبر هذا مالنا اختنته وأمر المتسبب بحمل المال واطلاق الرجل (وقد حكى) ابن حمدون في تذكرته ان المنصور حج في بعض السنين فحدا به سالم الحادى في طريقه بوما يقول الشاعر

ابلج بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره * ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ثم قال ياربيع أعطه عشرة دراهم وفي رواية نصف درهم فقال سالم الاغير يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام بن عبد الملك فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال المنصور ما كان له ان يعطيك من بيت مال المسلمين ماذكرت ياربيع وكل به من يستخرج منه هذا المال قال الربيع فمازلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه وقفوله بغير مؤنة وكان سالم هذا المذكور تورد له الابل بعد ان تظمأ السبعة أيام والثمان والتسع والعشر فيحدو لها فيلهيها بحدوه عن ورود الماء (ومن ظريف مايحكى) عنه ان عبد الله بن زياد بن الحرث كتب اليه رقعة بليغة يستمنحه فيها فكتب عليها ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا في بلد ابطراه وأمير المؤمنين مشفق عليك فاكتف بالبلاغة (وكان) لسوار القاضي بالبصرة من قبل المنصور كاتبان رزق احدهما عشرون درهما ورزق الآخر

اربعون درهما فكتب اليه سوار التسوية بينهما فنقص صاحب الاربعين عشرة وزادها صاحب العشرين وانما أراد سوار ان يلحق صاحب العشرين بصاحب الاربعين

من صان درهمه ولم يسمح به للعطاء فكشف عنه اللوم ما أسبله الكرم من الغطاء

مروان بن أبي حفصة وذلك انه خرج يريد المهدي فقالت امرأة من أهله ما لي عليك اذا رجعت بالجائزة قال ان أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما فأعطي ستين ألفا فاعطاها أربعة دوانيق (وسأل رجل) خالد بن صفوان فقال هب لي دينيرا فقال خالد لقد صغرت عظيما صغرك الله الدينار عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف ديتك (وكان) بعض البخلاء اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بابي أنت وأمي كم من أرض قطعت وكيس خرقت وكم من خامل رفعت وسرى وضعت ان لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في الكيس ويقول اسكن على بركة الله في مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه (وكان) مروان بن أبي حفصة اذا جاءته جائزة يقول للدراهم كم خامل رفعت وكم سرى وضعت طالما تغربت في البلاد وأتعبت في طلب تحصيلك العباد فوالله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك ثم يضعها في الصندوق ويختم عليها (وكان) أبو التميس اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه وقال مخاطبا له كم من يد وقعت فيها ومن بلد جلت في نواحيها بأبي أنت وأمي اسكن وقر عينا فقد قربك القرار واستقر بك الدار واطمأن بك المنزل ثم يضعه في كيس ويختم عليه فيكون آخر العهد به (وكان) بعض البخلاء اذا وقع الدرهم في كفه قال مخاطبا له أنت عقلي وديني وصلاتي وصيامي وجامع شملي وقرة عيني وقوتي وعمادي وعدتي ثم يقول يا حبيب قلبي وثمرة فؤادي قد صرت الى من يصونك ويعرف حقك ويعظم قدرك ويشفق عليك وكيف لا يكون كذلك وبك تجلب المسار وتدفع المضار وتعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض الابكار ترفع الذكر وتعلي القدر ثم يطرحه في الكيس وينشد

بنفسي محجوب عن العين شخصه * وليس بخال من لساني ولا قلبي
ومن ذكره حظي من الناس كلهم * وأول حظي منه في البعد والقرب

وممن صان درهمه ولم يسمح به فكان ذلك سبب الذمه ونلبه

ما يحكى أن اعرابيا شرب عند بخيل غبوقا فلما سكر البخيل وانتشى خلع على الاعرابي قميصا فلما صحا انتزعه منه ثم شرب معه صبوحا فلما سكر وانتشى خلع عليه قميصا فلما صحا انتزعه منه فقال

كساني قميصا مرتين اذا انتشى * وينزعه مني اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه * وفي الصحو ترحات تشيب النواصيا

(وأتى) بعض البخلاء بغلام ليشتريه فسيم فيه بأربعين دينارا فأعطى فيه عشرين فقال له انه فراس ونداف فقال لو فرش السماء وندف الغيم بقوس قزح ما اشتريته بأربعين (وساوم أشعب) بقوس بندق فقال صاحبه بدينارين فقال والله لو رميت به طائرا فوقع مشويا بين رغيفين ما اشتريته بهذا الثمن * وكان أشعب بخيلا وله حكايات تذكر فيما بعد ان شاء الله (وقال الاصمعي) قالت امرأة لزوجها اشتر لنا رطبا فقال لها وكيف يباع قالت كيلجة بدرهم فقال والله لو خرج الدجال وعاث في الارض وأنت تمخضين بعيسى والناس

ينتظرون الفرج على يديه فى قتال الدجال ثم لم تلد به حتى تأكل الرطب ما اشتريته لك كيلجة بدرهم (مدح شاعر) محمد بن عبدوس فقال له اما ان اعطيك شيأ من مالى فلا ولكن اذهب فاجن جناية حتى لا آخذك بها (وقال) مروان بن أبى حفصة ما فرحت بشئ فرحي بمائة ألف درهم وهبها الى أمير المؤمنين المهدى فزادت درهما فاشتريت به لحما (ودخل) أبو صاعد على الغنوى فانشده

رأيت فى النوم أني مالك فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير

فقال قوم لهم علم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تفسير

اقصص منامك فى بيت الامير تجد * تحقيق ذاك وللفأل التباشير

فلما سمع الامير انشاده قال اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

﴿من كان بخله على الفقراء بطعامه معربا عن لؤمه وموجبا للملامه﴾

(الحطيئة) يحكى عنه ان بعض الاعراب مر به وهو يرعى غنما له وفى كفه عصا فناداه الاعرابى ياراعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال انها عجراء من سلم قال الاعرابى انى ضيف فقال وللضيفان أعددتها (ومر اعرابى) بأبى الاسود الدؤلى وهو واقف على باب داره فسلم فقال له ابو الاسود كلمة مقولة قال أتأذن لى فى دخول منزلك قال وراءك أوسع لك قال هل عندك شئ يؤكل قال نعم قال فأطعمنى قال عيالى أحق به منك قال ما رأيت ألأم منك قال لست ترى نفسك قال الشاعر

اياك ترغب فى كلامه * وارفع يمينك من طعامه

فالموت أهون عنده * من مضغ ضيف والتقامه

سيان كسر رغيفه * او كسر عظم من عظامه

واذا مررت ببابه * فاحفظ رغيفك من غلامه

(وقال رجل) لبعض البخلاء لم لاتدعونى الى طعامك قال لانك جيد المضغ سريع البلع اذا أكلت لقمة هيأت أخرى فقال ياأخي أتريد أنى اذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين (وقال آخر لبخيل) لم لاتدعونى قال لانك تعلق وتشدق وتحدق أى يحمل واحدة فى يده وأخرى فى شدقه وينظر الى أخرى بعينه (وعزم) بعض اخوان أشعب عليه ليأكل عنده فقال انى أخاف من ثقيل يأكل معنا فقال ليس معنا ثالث فمضى معه فبينما هما يأكلان اذا الباب يطرق فقال أشعب ما أرانا الا صرنا الى ما نكره قال انه صديق وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له فقال أشعب هات أولها فقال انه لايأكل ولا يشرب قال التسع لك ودعه يدخل فقد أمنا ما كنا نخافه (وكان) مروان بن أبى حفصة لايأكل الا الرؤس فقيل له فى ذلك قال لان الغلام لايقدر أن يخوننى فيه ان أخذ أذنا أو أخذ عينا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا آكل عينه لونا ودماغه لونا وأذنيه لونا وأكفى مؤنة طبخه فى البيت فقد اجتمع لى فيه مرافق شتى (وحكى) دعبل الخزاعى قال أتيت سهل بن هرون فى حاجة فأطلت الجلوس عنده فأخر غداءه لقيامى فجلست على عمد حتى كضه الجوع فقال ياغلام غدنا فجاء بمائدة وعليها قصعة فيها مرق وديك ليس قبلها ولا بعدها غيرها فاطلع فى القصعة ففقد رأس الديك فقال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم رميت به قال ظننتك

لا نأكله قال فهلا ظننت ان العيال يأكلونه ثم التفت الىّ وقال لولم أكره مما سنع الا الطيرة لـكان حسبي فانهم يقولون الرأس رئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح الديك وفيه عرفه الذى يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء ودماغه موصوف لوجع الكليتين ولم أر عظما قط أهش تحت ضرس من دماغ ديك ويلك انظر أين رميته قال لا أدرى قال لكني أنا أدرى أين رميته رميته في بطنك الله حسيبك * وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أعيدت عليه بالغداة قال من هذا الذى تعاطى فهتر فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاءه أكبرهم وقال يا أبانا أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم اليهم (وقال) بعض الاكياس دعاني كوفي الى منزله فقدم لي دجاجة فأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت لصلابته وبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطرح عليه سكرا فعاد زيرباجا فقدمه وأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت لشدته فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال لغلامه اطرح عن اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الىّ فأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فلم أقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة القبلة وقمت لاصلى اليها فقال ما هذا الذى تصنع قلت أشهد انه لحم ولىّ من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث دفعات فلم تفعل فيه شيئاً فلما أردت الانصراف اذا ببعض جيرانه يدق الباب فقال له أعرني ذلك اللحم لضيف وافاني من الغد لاطبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناوله اياه (وسأل فقير) من دار بخيل شيأ فأعطى لقمة صغيرة فقال يا أهل هذا المنزل كيف أشرب هذا الدواء (ووقف سائل) على باب دار فيها يحيي بن زياد وحماد بن عجرد وبشار مجتمعين على طعام فقال يا اخوتي المسلمين فقال يحيي فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فقال ارحموني فقال حماد نحن الى رحمتك أحوج منك الى رحمتنا فقال واسمعوا كلامي فقال بشار * لقد أسمعت لوناديت حيا * فقال السائل أما القول فما أوسع به شقاشق أفواهكم وأما الفعل فما أخيبه قرن الله بالخيبة آمالكم (وقال العتبي) كان الاصمعي يجعل الخبز الحار أدما للخبز البارد ولو بذلت له الجنة بدرهم لاستنقص منه شيأ (وقال جحظة) دخلت على هرون بن الخال وكان بخيلا بطعامه وكنت اذ ذاك ناقها من علة وقد نصبت مائدة بين يديه فدعاني اليها وقدمت الىّ صحفة فيها مضيرة معقودة بمصبان كأنها قضبان فضة فانهمكت في الاكل فنظر الىّ شزرا ثم قال يا جحظة هذه والله معدن ألم المفاصل والفالج واللقوة والقولنج وانت عليل وبدنك نحيل واللبن يستحيل فقلت والله العظيم الجليل لآتين منها على الكثير والقليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم أقبلت على الاكل منها حتى اكتفيت فلما انصرفت عملت فيه

ولي صاحب لاقدس الله روحه * بعيد عن الخيرات غير قريب
أكلت عصيبا عنده في مضيرة * فيالك من يوم عليه عصيب

(وله وأبدع)

لاتعذلوني ان هجرت طعامه * خوفا على نفسي من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

(وحضر أعرابي) مائدة هشام بن عبد الملك فرفع الاعرابي لقمة فقال له هشام شعرة في لقمتك يا اعرابي فقال الاعرابي فانك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة والله لا أكلت عندك أبدا (وقال) بعض البخلاء اني لا آكل الا نصف الليل قيل له ولم قال يبرد الماء ويذهب الذباب وآمن فجأة الداخل وصرخة السائل (وطبخ) رجل قدرا وجلس مع زوجته يأكلان فقال ما أطيب هذا الطعام لولا الزحام قالت أي زحام ههنا انما هو أنا وأنت قال كنت أحب أن أكون أنا والقدر (وقال) بعض البخلاء لغلامه هات الطعام واغلق الباب قال يا مولاي ليس هذا حزما بل أغلق الباب أولا وأقدم الطعام ثانيا فقال له اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى لعلمك باسباب الحزم (وأين هذا) مما يحكى أن عدي بن حاتم الطائي عمل مأدبة فقال لولده وكان صغيرا أقم على الباب وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف فقال والله لا يكن أول شيء وليته من امر الدنيا منع احد عن طعام فقال عدي والله يا ولدي انت اكرم مني وافطن افتحوا الباب فمن شاء فليدخل وبهاتين الحكايتين علم مصداق من اطلع الله شمس الحكمة من مشرق فيه بقوله العبد من طينة مولاه والولد سر أبيه

(شاعر يذم بخلاء وتروى للاخطل)

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

(آخر)

تراهم خشية الاضياف يوما * يقيمون الصلاة بلا اذان

(ابن هلال العسكري يذم بخيلا)

تنانيركم للنمل فيها مدارج * وفي قدركم للعنكبوت مناسج
وعندكم للضيف حين ينوبكم * سؤالات سوء للقرى وسفائج
وأنتم على ما تزعمون أكارم * فايري في است الاكارم والج

(وقال) صعصعة بن صوحان كانت عند معاوية لقمة فقام بها خطيبا قيل وكيف ذاك قال كنت آكل معه فهيأ لقمة ليأكلها فأغفلها فأخذتها وكانها فسمعته بعد ذلك يقول ايها الناس اجملوا في الطلب فرب رافع لقمة الى فيه سبقه اليها غيرها

﴿ ومما يليق بهذا الفصل من التذييل ذكر من عرف بالطمع والتطفيل ﴾

قالوا الطمع يدنس الثياب ويغير الاذهان (وقالوا) مصارع الالباب تحت ظلال الطمع (وقالوا) الحر عبد ما طمع والعبد حر ان قنع (وقالوا) اخرج الطمع من فيك تحل القيد من رجليك (وصف) بعضهم طامعا فقال لو رأى شيأ في جحر افعى لجاء اليه يسعى وادخل يده فيه ليأخذه ويحويه (وقالوا) لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان ولله در من قال

وما قطع الاعناق حتى ابانها * وقررها الا سيوف المطامع

(شاعر يذم الطمع)

وذي طمع يغدو بقية عمره * ويمسي ولم تجمع يداه له وفرا

يبيت سميرا للمنى مثريا بها * ويضحى سليبا من مواهبها صفرا
وأكثر ما تلقى الاماني كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

﴿فمن﴾ اشتهر بالطمع وجمع فيه بين الطبع والطمع أشعب وبه يضرب المثل قيل له ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا تزف الا ظننت انها الي ولا رأيت جنازة الا حسبت ان صاحبها أوصى لي بشيء ولا رأيت اثنين يتناجيان الا خيل لي انهما يأمران لي بمعروف ولقد طاف الصبيان حولي يوما يتولعون بي فقلت لهم لا بعدهم عني ان في دار فلان لوزينجا يفرق فذهبوا يتعادون فلما ذهبوا عني ظننت اني صادق فتبعتهم (وقيل) له هل رأيت اطمع منك قال نعم نزلت بطريق الشام مع رفيق لي تحت صومعة راهب فتنازعنا في شيء فقلت ايرالراهب في أست الكاذب واذا بالراهب قد نزل وايره في يده وقد انعظ وهو يقول فديتكما من الكاذب فيكما (وكان) يقول ما احسست بجار لي يطبخ قدرا الا غسلت الغضارة ووضعت المائدة وانتظرته يحمل الي قدره (جلس) عبد الله بن أبي عتيق مع زوجته فتمنى ان يهدى له ملوخ فيتخذ منه لون كذا ولون كذا فسمعته جارة له فظنت انه أمر بعمل ما سمعت فانتظرته الى الليل ثم جاءت وطرقت الباب وقالت شممت رائحة قدركم فجئت لتطعموني منها فقال ابن ابي عتيق لامرأته أنت طالق ان أقمنا في دار يتشمم أهلها ريح الاماني ورحل عنها (بعض المتمنين)

خلوت بنفسي فمنيتها * أماني خابت ولم تصدق
فهذا اقتلاه وهذا اضربا * وهذا احملاه على الابلق

(التطفيل) من أمثالهم قولهم اطفل من ذباب والزم من قراد وانم من ليل على نهار (ومن أدب الراجز)

أوغل في التطفيل من ذباب * على طعام وعلى شراب
لو ابصر الرغفان في السحاب * لطار في الجو مع القعاب

(وقالوا) من جاء الى طعام لم يدع اليه استحق الطرد ولا يلام عليه (ليم) بعض المتطفلين على التطفيل فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا قدمت الاطعمة الا لتؤكل واني لاجمع في التطفيل خلالا ادخل مجالسا واقعد مستأنسا وانبسط وان كان رب المجلس عابسا ولا اتكلف مغرما ولا انفق درهما (وقال بنان) وهو كبيرهم التمكن على المائدة خير من أربعة ألوان زائدة * ومن دعائه اللهم ارزقني صحة الجسم وكثرة الاكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة (ودخل) بعض الطفيليين على قوم فقالوا من أنت قال أنا الذي لا أحوجكم الى رسول ولبعضهم في المعنى

نحن قوم ان جفانا * س وصلنا من جفانا
لا نبالي صاحب الدا * ر نسينا أم دعانا

(قصد) جماعة من الطفيليين باب بعض الكبراء وقت غدائه فمنعهم بوابه فكتب اليه بعضهم

قد أتيناك زائرين خفافا * وعلمنا بأن عندك فضلة
ولدينا من الحديث هناة * معجبات نعدّ هنالك جملة
ان تجدنا كما تريد والا * فاحتملنا فاننا هي أكلة

فأذن لهم فدخلوا (البديع الهمداني على لسان طفيلي)

نحن قوم نحب هدى رسول الله هدنا وللصواب أصبنا
فادعنا كلما نشطت فانا * لو دعينا الي كراع أجبنا

(آخر)
ولما ان كتبت ولم تجبني * ولم تنظر الي بعين أنس
رأيت الحزم ان انضى ركابي * اليك وان أكون رسول نفسى

(ولم أسمع باظرف من قول القائل)
ونديم رقيق حاشية الحيـ * ـلة صافى زجاجة الآداب
شغلتـه الرقاع منـه اليـه * داعيا نفسه الى الاصحاب

(آخر يصف طفيليا)
لو طبخت قدر بمطمورة * بالشأم أو أقصى جميع الثغور
وأنت بالصـين لوافيتها * يا عالم الغيب بما فى القدور

﴿الفصل الثالث من الباب العاشر﴾

في مدح القصد في الانفاق خوف التعبير بالاملاق

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ناصحا بالاشفاق وآمر آله بالقصد فى الانفاق مثبتا لكماله قواما مشكورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير (وقال تعالى) مثنيا على المقتصدين بحسن تقديرهم اكراما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعال من اقتصد أى ما افتقر (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير (وقال) معاوية رضى الله عنه حسن التقدير نصف الكسب وهو قوام المعيشة *وقال لولده كن مقدرا ولا تكن مقترا (وأوصى) حكيم ولده فقال يابنى عليك بالتقدير بين الطرفين لا منع ولا اسراف ولا بخل ولا اتلاف لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر (وقالوا) حسن التقدير رأس التدبير (وقال ذو النون) حسن التقدير مع الكفاف اكفى من الكثير مع الاسراف (ويقال) لا تسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لغلامك وخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك (ومن هذا وهو لائق بالملوك) ماحكى ان ابرويز قال لابنه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء *وفى وصيته لولده أى بنى قول لا تدفع البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان اذا سمع الغناء شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتل ثم يموت من غم ذلك والدرهم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان اطلقته طار وكذب من قال اليمين تذر الديار بلاقع وانما الاسراف يفعل ذلك والاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم سبوك واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج يحفظ مامعه ويحتال فى أخذ مامع غيره (وسأل رجل) زياد بن سمية فأعطاه درهما فقال صاحب العراقين أسأله فيعطيني درهما فقال من بيده خزائن السموات والارض ربما رزق أخص عباده عنده وأكرمهم

لديه التمرة واللقمة وما يكبر عندي ان أصل رجلا بمائة ألف درهم ولا يصغر عندي ان أعطي سائلا رغيفا اذا كان رب العالمين يفعل ذلك (وقيل) ينبغي للعاقل أن يكسب ببعض ماله المحمدة ويصون ببعضه وجهه عن المسئلة (وقال الاصمعي) سمعت بعض الاعراب يقول من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر * ويقال اقتصد في انفاق الدراهم فانها لجراح الفاقة مراهم (وقالوا) اسقاط الفضول في النفقة ربح بضاعة لا تمل فان الاسراف ربما كان سببا في التقتير (وقال الثعالبي) من كثرت في دعوته نفقته أسلم ماله ونقصت مروأته (وقال افلاطون) رأس العقل الاقتصاد في الانفاق من غير بخل (ومن الكلام البديع) للبديع الهمداني قوله مثل الاحسان في الانسان مثل الثمار في الاشجار فحقه اذا أتى بالحسنة أن يرفه الى سنة وما أحسن ما قيل في المعنى

أنفق بمقدار ما استفدت ولا * تسرف وعش فيه عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا * لم يفتقر بعده الى احد

(آخر)

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عيش القنوع المكتفي
ان في نيل المنى وشك الردى * واجتناب القصد عين السرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفي

﴿ ماقيل ان في صلاح الاموال صلاح ما فسد من الاحوال ﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقل مع الاصلاح شئ كما لا يكثر مع الافساد شئ (ويقال) من الفساد اضاعة الزاد (المتلمس)

لحفظ المال خير من فناه * وسير في البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فان اقلالا في رفق خير من اكثار في خرق (وقالوا) ان في صلاح الاموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض (وقالوا) أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوة السلطان ونبوة الاخوان ودفع الاحزان (وكتب) عتبة بن أبي سفيان الى وكيله بماهده صغير مالي يكبر ولا يخف كبيره فيصغر فانه ليس يشغلني كثير مالي عن اصلاح قليله ولا يمتعني قليله عن كثير ما ينوبني (وقال) أحيحة بن الجلاج أصلحوا أموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروآت ما استغنيتم عن عشيرتكم (وقال) شبيب بن شيبة لبنيه ان كنتم تحبون المروءة والفتوة فأصلحوا أموالكم (وقال) معاوية اصلاحك ما في يدك اسلم من طلبك ما في ايدي الناس (وقال) عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في ايديكم فان الفقر مجمع العيوب وقال البستي

اشفق على الفضة والعين * تسلم من القلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

﴿ احتجاج من خدت يده عن النوال خوف التعيير بالفقر وذل السؤال ﴾

قال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغني به عن لئام الناس (وقال الاصمعي) لامت اعرابية أباها على اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال يمنع العيال من بذل الوجه للسؤال

أسرفت في النوال وكثرة النحال أمسك فقد أتلفت الطارف والتلاد وبقيت ترقب ما في أيدي العباد يا أبت من لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع بالفقر فيما يضره (وقال) عبد الله بن المعتز

أعاذل ليس البخل مني سجية * ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل

(وقال) سفيان الثوري لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب الي من أن احتاج الى الناس (وكان) داود بن علي يقول لأن يترك الرجل ماله بعده لأعدائه خير من الحاجة في حياته لأوليائه (وقال) يعقوب الكندي من جاد بماله فقد جاد بنفسه لأنه جاد بما لا قوام لها الا به وقال الشاعر

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالموت خير من سؤال البخيل

(آخر)

الموت خير للفتى * من أن يعيش بغير مال
والموت خير للكريم * من التضرع والسؤال

(وقال) الاسود الدؤلي لو لم تبخل على السؤال بما بأيدينا لكنا أسوأ حالا منهم (وقالوا) ختم المال حتم (ولم) مروان بن أبي حفصة على الامساك (فأنشد)

بقيم الرجال الموسرون بأرضهم * وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة * ولكن حذارا من شمات الاعاديا

﴿ومن قولهم في أن الفقر والاقلال مقرونان بالدحر والاذلال﴾

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن أذاعه فضحه (وقال أيضا) رضي الله عنه مارست كل شئ فغلبته ومارسني الفقر فغلبني ان سترته أهلكني وان أذعته فضحني (وقال) لولده محمد بن الحنفية يا بني اني أخاف الفقر فانه منقصة للدين مذهبة للعقل داعية للمقت (وقالوا) الفاقة هي الموت الاصغر لا بل هي الموت الاكبر (وذكر) ان السفاح لما ضرب أعناق بني أمية قام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فقال مه لا أم لك ما هذا وشرطة حجام الا سواء ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع (وقال ابن دأب) لقيت رجلا كنت أعرفه حسن الحال ومن أصحاب الاموال في حالة ردية كأنما أصابته رزية فسلم علي فقلت له ما الذي غير حالك وأذهب مالك فقال تنقل الزمان وكر الحدثان فآثرت الضرب في البلدان والبعد عن الاوطان ومفارقة المعارف والاخوان وعملت بقول الشاعر

سأعمل نص العيس حتى يكفني * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى بها * على الحر ذي الاقلال وسم هوان
متى يتكلم يلغ حكم كلامه * وان لم يقل قالوا عديم بيان

وقوله هذا ينظر الى قولهم فيما ضربوه من الامثال مناقب الموسر مثالب المعسر وذلك أنه اذا كان جوادا قالوا مبذر وان كان لسنا قالوا مهذار وان كان ذكيا قالوا بليد وان كان شجاعا قالوا أهوج وان كان صموتا قالوا عيي وان كان وقورا قالوا متكبر ومن نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهبت

مروأته ومن ذهبت مروأته مقت ومن مقت أوذى ومن أوذى حزن ومن حزن ذهب عقله ومن أصيب بهذا كله كان كلامه كلا عليه لا له شاعر

لما رأيت أخلائى وخالصتى * الكل منقبض عنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(آخر)
يغطى عيوب المرء كثرة ماله * يصدق فيما قال وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله * يحمقه الاقوام وهو لبيب

(آخر)
أنطقتك الثياب لا الآداب * وطوتنى عن الكلام الثياب
والصواب الذى أقول خطاه * والخطأ الذى تقول الصواب

(وقالوا) من حسن حاله استحسن قاله (وقالوا) الفقر يخرس الفطن عن حجته ويجعله غريبا فى بلدته (وقالوا) اذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه وأساء به الظن من كان يحسنه فاذا أذنب غيره نسب اليه ومن كان له صار عليه (وقال) ابراهيم بن محمد بن المدبر جهدت جهدى أن أنظر الى الفقير بالعين التى أنظر بها الغنى فلم يتهيأ لى ذلك وقال الشاعر

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا بزة * أصغت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقالوا) ما أطيب الافاقة من سم الفاقة (وقال) عبد الملك بن صالح الفقر جند الله الاكبر يذل به من طغى وتجبر (ويقال) رب حسب دفنه الفقر (شاعر)

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال بعضهم) الفقير كميت فى بيت لا يملك غير الجلدة بردة ولا يلتقى الحياة الا برعدة (شاعر)

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح القل والافلاس بالرجل

(آخر)
لبست صروف الدهر كهلا وناشيا * وجربت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

(آخر)
رزقت لبا ولم أرزق مروأته * وما المروأة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقيدنى * عما نبوه باسمى رقة الحال

(آخر)
كفى حزنا أن الغنى متعذر * على وأنى بالمكارم مغرم
وما قصرت بى فى المطالب همة * ولكننى أسعى اليها فأحرم

(آخر)
كفى حزنا أنى أروح واغتدى * ومالى من مال أصون به عرضى
وأكثر ما ألقى صديقى بمرحبا * وذلك لا يكفى الصديق ولا يرضى

(آخر)
أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى

فنفسى لاتطاوعنى لبخل * ولامالى يبلغنى فعالى

(آخر) اذاقل مال المرء قل صديقه * ولم يحل فى عين الصديق لقاؤه
وأصبح لايدرى وان كان حازما * أقدامه خير له أم وراؤه
فان مات لم يفقد ولم يحز نواله * وان عاش لم يفرح به أولياؤه

(قيس بن عاصم) يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ليث فيصبح ثعلبا
وأول مايجفو الفقير لفقره * بنوه ولم يرضوه فى فقره أبا
كان فقير القوم فى الناس مذنب * وان لم يكن من قبل ذلك أذنبا

(آخر) لعمرك ان الغنى يجعل الفتى * سريا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(آخر) ألم تر أن المرء يزداد عزة * على أهله ان يعلموا انه مثرى
وينحط منه القدر ان كان معدما * واصبح لايرجى لنفع ولاضر

(آخر) أرى ذا الغنى فى الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذا غنى * وان مال عنه المال يوما تفرقوا

ومن المنظوم فى سلك الرشاقة ماقيل فى التشكى من ضرر الاقلال والفاقة *

(مجد العرب العامرى)

هجرت للعدم كل خل * وصرت للانقباض خدنا فلا أهنى ولا أعزى * ولا اعزى ولا أهنا

(ابن الخياط الدمشقى)

لم يبق عندى مايباع بحبة * وكفاك شاهد منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنتها * عن أن تباع وأين اين المشترى

(آخر) قعدت عن الاخوان من غير ماقلى * وكان سوا ابا ما أتيت على عمد
وجهد الفتى ان يستر البيت حاله * اذا لم يجد حرا يعين على الجهد

(آخر) الحمد لله ليس لى نشب * قد خف ظهرى وقل زوارى
من نظرت عينه الىّ فقد * أحاط علما بما قد حوت دارى

(آخر) انا فى حال تعالى الله ما اعظم حالى ليس لى شئ اذا قيل لمن ذا قلت ذا لى
ولقد افلست حتى * حلا اكلى لعيالى من راى شيأ محالا * فأنا عين المحال
فبلاد الله ارضى * والسموات ظلالى لو يكن فى الناس حر * لم اكن فى مثل حالى

(آخر) جاء الشتاء وليس عندى درهم * وبدون ذلك قد يصاب المسلم
وتقطع الناس الجباب وغيرها * وكأننى باذاء مكة محرم

(آخر) طشتى الارض ومنديلى الهوا * وعلى الخبز من الجوع احتلامى
هل سمعتم اورأيتم احدا * اكل الخبز سواى فى المنام

(آخر) خلق المال واليسار لقوم * واراني خصصت بالاملاق
انا فيما ارى بقية قوم * خلقوا بعد قسمة الارزاق

(آخر) اذا جزت يوما بالسويق بمنى * لقلة نقدى ذلة وخضوع
فلا قائل للمشترى كيف تشترى * ولا سائل البياع كيف تبيع

(آخر) الحمد لله ليس لى فرس * ولا على باب منزلى حرس
ولا غلام اذا هتفت به * بادر نحوى كانه قبس
ابنى غلامى وزوجتى امتى * ملكتها بالملاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به * عن كل فرد بوجهه عبس
فما يرانى ببابه ابدا * لطلق المحيا سمح ولا شرس

(وما احسن قول ابى العير الهاشمى)

(ولقد ابان عن شرف وعلو همة فسار بما قال فى الناس امة)

قنعت نفسى بما رزقت * وتمطت فى العلا هممى
ولبست الصبر سابغة * هى من قرنى الى قدمى
فاذا ما الدهر عاتبنى * لم يجدنى كافر النعم
لا اقول الله يظلمنى * كيف اشكو غير متهم

﴿وواجب اتباع هذا الفصل بمدح المال اذ به يدرك ما تسع من الآمال﴾

قالوا اليسار علاء والاقتار بلاء (وقالوا) الغنى سنى كبير والفقير دنى حقير وبقال قيمة كل امرئ ما معه
(شاعر) ولا يساوى درهما واحدا * من لم يكن فى كفه درهم
(وقالوا) المرء بدرهميه لا بأصغريه نظمه بعض الشعراء

قد قال قوم بغير علم * ما المرء الا بأصغريه
وقلت قول امرئ عليم * ما المرء الا بدرهميه

(وقال بعضهم) لولده ليكن معك من العين ما تقر به العين (وقالوا) المال معشوق الورى فمن عدمه نبذ بالعراء منقصم العرى (وقيل للحسن) ما بال الناس يكرمون صاحب المال قال لان عنده معشوقهم قالبه القلوب تمال (وقالوا) المال يستعبد الاحرار ويذل الاشرار (وقال آخر) بقدر ما تعطى من المال تعطى من الاجلال (سمع) قيس بن عبادة يقول فى دعائه اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال اللهم انه لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه اشار فى هذا الى قول الشاعر

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

(عوتب) ابن أبى ليلى فى تعظيم موسر فقال ان تعظيم ذوى المال سر جعله الله فى القلوب لا يستطاع رده
(شاعر) يعير الغنى ثوب المكارم للفتى * وان كان من ثوب المكارم عاريا
(ومر) موسر بالشعبى فتزحزح له فقيل له فى ذلك فقال رأيت ذا المال مهيبا (شاعر)

اني وجدت الغنى زينا لصاحبه * في اهله وفقير القوم محقور
ان المقلين لاتنسى ذنوبهم * وذنب ذي المال عند الناس مغفور

(وقال معاوية) ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل (شاعر)

الناس ما استغنيت كنت صديقهم * واذا افتقرت اليهم فهم العدى
ذو المال عندهم يسود بماله * ويزول سودده اذا فقد الغنى

(آخر)
كم من لئيم الجدود سوده الـ * ـمال أبوه وأمه الورق
وكم كريم الجدود ليس له * عيب سوى ان ثوبه خلق

(آخر)
اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وقال) عبد الرحمن بن عوف حبذا المال أصون به عرضي وأصل به رحمي وأتقرب به الى ربي وابر به صديق وأكمد به عدوي وأفضل به على عشيرتي (وقال الثعالبي) من كان كيسه صفرا من البيض والصفر فليبشر بجفاء الدهر وانقطاع الظهر (وكان) محمد بن الجهم يقول من وهب ماله في عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من ارثه فهو جاهل ومن وهبه من ملكه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده من كده بحيلة فهو المطبوع على قلبه المأخوذ بسمعه وبصره (وقال) من عهده بالافلاس تقادم محل المال من المنزل محل الشمس في العالم (وقال) بعض عقلاء الفرس من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه فاذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق (وقال) عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد حبك للمال فقال كيف لا أحبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به مروءتك ودينك (وقال) الحسن بن المنذر وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع بشيء منه قيل له فما ترجو بذلك قال أريده لكثرة من يخدمني عليه ويجلني لاجله (وقالوا) المال يجمع الشمل ويستر الاهل ويزيد في العقل (وقالوا) من استغنى عن الناس عظموه ووقروه ومن احتاج اليهم ازدروه واحتقروه (وقيل) لبعض الحكماء أيما أفضل الادب أو المال قال الادب قيل له فما بال الادباء يأتون أبواب الاغنياء ولا تأتي الاغنياء أبواب الادباء قال ذلك لعلم الادباء بمقدار فضل المال وجهل الاغنياء بمقدار فضل الادب (شاعر)

أصون دراهمي وأذب عنها * لعمري انها ادرعي وترسي
وأخبؤها الى أعدى الاعادي * من الوراث حتى ابناء جنسي
ولا سؤلي الى رجل لئيم * ليقرض درهما نقدا بخمس
فيعرض وجهه ويصد عني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فياذل الرجال بغير مال * ولو جاؤا بنسبة آل عبس

(ابن الرومي)
لاتلم المرء على بخله * ولمه ان زاد على بذله
حق على كل امرئ حازم * يحفظ ما يكرم من أجله

(ولقد أحسن القائل وأجاد)

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له * ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه * لرأيته أسوأ البرية حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطقت محالا
واذا الفقير أصاب قالوا كلهم * أخطأت ياهذا وقلت ضلالا
ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السنان لمن اراد قتالا

﴿ والمعين على طلب البغية من المال طلب المعيشة في الايام والليال ﴾

(قال بعضهم) لا أرهبن الهول خوف منية * واقذف بنفسك في طلاب الدرهم
ودع المخاوف والمتالف انها * نفس موقتة ورزق يقسم

(آخر) تجب عرض البلاد فلست تدري * غناك بأي آفاق البلاد
ولا تقعد على ظما وفقر * فذو الاقتار ممنوع الرقاد

(آخر) سأضرب في الآفاق التمس الغنى * وأرمي بنفسي في بحور المطالب
فان اعط مسرورا فذاك وان أخب * فعلمي بأني لست أول خائب

(آخر) اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولام الصديق فأكثرا
وصار على الاهلين كلا وأوشكت * صلات ذوي القربى بأن تتنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

(آخر) لا يمنعنك نفيس العيش تطلبه * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد اذ حللت بها * أهلا بأهل واخوانا باخوان

(آخر) وما طلب المعيشة بالتمني * ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها يوما ويوما * تجيء بحمأة وقليل ماء

(آخر) ومن كان مثلي ذا عيال مقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة * ومبلغ نفس قصدها مثل منجح

(آخر) العز تحت ظلال السيف معدنه * فاطلب بسيفك عزا آخر الابد
لا ترض بالدون من دنيا بليت بها * قد ذل من كان محتاجا الى أحد

(آخر) خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه مجلة ومهابة * والفقر فيه مذلة وفضوح

(آخر) أشد من فاقة الزمان * مقام حر على هوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
وان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

(وقال فتى من قيس لغلام له)

اقذف السرج على المهـــر وقرطه اللجاما * ثم صب الدرع فى رأ سى وناولنى الحساما

فتى أطلب ان لم أطلب الرزق غلاما * سأجوب الارض أبغيـــه حلالاً أو حراما

فلعل الظعن ينفى الـــفقر أو يدنى الحماما

(آخر) ألا خلنى أمضى لشأنى ولا أكن * على الاهل كلا ان ذاك شديد

أرى السير فى البلدان يغنى معاشرا * ولم أر من يجدى عليه قعود

(آخر) وقبيح مقام ذى الهمة الحـــر بارض مرعاه فيها جديب

لا عدوا أنكى ولا النفس أغنى * وهو راض بها أ كول شروب

وتراه يجوب فى طلب الما * ل سهوبا وخلفهن شهوب

خلبا قلبا اذا مل أرضا * جدّ منها الى سواها ركوب

ليس فى فوت ما يحاوله الطا * لب من رزقه عليه عيوب

انما العيب ان يرى ساقط الهمـة والرزق طالب مطلوب

﴿ الباب الحادى عشر ﴾

فى الشجاعة وفيه ثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

فى مدح الشجاعة والبسالة وما فيهما من الرفعة والجلالة

الشجاعة غريزة فى الانسان يمنحها واهب الاحسان (كما ورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية (وحدّها) قالوا هى سعة الصدر والاقدام على الامور المتلفة (وقالوا) الشجاع من تكون شجاعته عند الفرار وفقد الانصار (وسئل) بعضهم عن الشجاعة فقال جبلة نفس أبية قيل له فما النجدة قال ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حتى يحمد فعلها عند الخوف (وقال) بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذى يشد اذا شدوا والشجاع الداعى الى البراز والمجيب داعيه والبطل المحامى لظهور القوم اذا ولوا (وقال) يعقوب بن السكيت فى ألفاظه العرب تجعل الشجاعة أربع طبقات تقول رجل شجاع فاذا كان فوق ذلك قالوا بطل فاذا كان فوق ذلك بهمة فاذا كان فوق ذلك قالوا أليس ﴿ومن﴾ عرف من الا كابر فى قومه بالبأس والنجدة وكان لهم عند الهياج معقلا وشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أنس بن مالك رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجها وأجود الناس كفا وأشجع الناس قلبا لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس نحو الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا (وقال) عمران بن الحصين مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة قط الا كان أول من يضرب (ومن ذلك) ثباته يوم حنين فى مركزه لا يتخلخل ولا يتزلزل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابن عمه أبو

سفيان بن الحرث وكان المسلمون يومئذ اثنى عشر ألفاً فاعجبتهم كثرتهم حتى قال قائلهم لن نغلب اليوم من قلة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود ولا العساكر فانهزموا حتى بلغ أولهم مكة ثم تدارك الله الملة الاسلامية بنصره فانزل ملائكة على خيول بلق وتراجع المسلمون فقاتلوا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة قتالهم قال هذا حين حمى الوطيس وهو أول من قال هذه الكلمة ثم أخذ كفا من تراب فرمى به المشركين وقال شاهت الوجوه فانهزموا قال ابن عباس فلكأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم فناهيك بهذا الثبات شهادة صدق على تناهى شجاعته وبسالته ورباط جاشه وما هو الا من آيات النبوة وعلامات الرسالة (ومما عرف) فيه لابى بكر الصديق رضى الله عنه بقوة الجاش وثبات القلب وشجاعة النفس والصبر فى المواطن الكريهة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عمر رضى الله عنه كذب بموته وقال ما مات وانما واعده ربه كما واعد موسى وليرجعنه الله فليقطعن أيدى قوم وأرجلهم يسومون النبي الموت من قال ان محمدا مات علوته بسيفى هذا واعتراه ذهول حتى صار لا يدرى أين يذهب (وأما) عثمان رضى الله عنه فدهش فجعل لا يكلم أحدا فيؤخذ بيده فينقاد (وأما) على رضى الله عنه فقعد فى البيت لم يبرح منه (وكان) أبو بكر رضى الله عنه حينئذ غائبا فى ناحية من نواحى المدينة على ميل منها تسمى السنح فلما بلغه الخبر جاء حتى دخل عليه وهو مسجى فكشف عن وجهه الكريم وأكب عليه وقبل بين عينيه وقال طبت حيا وميتا وأعول بالبكاء ثم خرج وهو رابط الجاش ثابت القلب مصيب فى القول والناس على خلاف ذلك من الذهول واختلاط العقل وهم فى أمر مريج قد ضلت أفئدتهم فى تيه الحزن وزلت أقدام صبرهم فى مزالق الشجن فصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه فى كلام طويل من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فثاب الى عمر عقله وقال والله لكأنى لم أسمع بها قط فى كتاب الله قبل ما نزل بنا وقالت عائشة رضى الله عنها فى خطبتها التى افتخرت فيها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع نجم النفاق وارتدت العرب وصار المسلمون كالغنم السارحة فى الليلة الماطرة فحمل أبى من الامر الفخم ما لو حملته الجبال لهاضها وما يدرى أيما اربط جأشا واثبت قلبا فى هذا الامر الشديد والمصاب العتيد اهو رضي الله تعالى عنه ام ابنتاه عائشة واسماء رضى الله عنهما (فأما) عائشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بين سحرها ونحرها وشاهدت ذلك الهول ثم احتملته فالقته على فراشه وسجته ببردته ولم تدع أحدا من نسائه واهله يعينها عليه وعمرها اذذاك ثمانى عشرة سنة ثم بكت بادية بصوت لا يكاد يعدى صاحبه فلما سمع الناس بكاءها وشجنها تحققوا موته ولم تظهر رزية ولا عويلا ولم تشق جيبا ولم تخمش وجها ولم تدع ويلا وانما اعلم الناس موته بكاؤها (واما) اسماء فان ولدها عبد الله بن الزبير لما رأى الغلبة دخل عليها وشكا اليها ما آل اليه أمره فقالت اياك ان تذكل أو تذل ومت كريما احتسبك عند الله فقال لها ما أخاف الموت وانما اخاف ان يمثل بى فقالت ان الشاة اذا ذبحت لا تبالى بسلخها (وكان) عمر رضى الله عنه من الاشداء من الاقوياء موصوفا بالشدة موصوما بالحدة والشجاعة والنجدة كان يضع يده اليمنى على اذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب على

فرسه فكأنما خلق على متنه (وكان) على رضى الله عنه شجاعا بطلا ذكر عنه انه قتل فى ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثا وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يثنى وقيل له انك مطلوب فلو اتخذت طرفا سابقا فقال انى لا أفر على من كر ولا أكر على من فر فالبغلة تكفينى * وقيل له فى حرب صفين أتقاتل اهل الشام بالغداة وتظهر لهم بالعشى بازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله لا ابالى اسقطت على الموت أو سقط على (ومن الشجعان) الزبير بن العوام قالوا لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فارس اشجع من الزبير ولا راجل اشجع من على (وفى الزبير) تقول زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوى تخاطب عمرو بن جرموز لما قتله غدرا بوادى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

(ومن الشجعان) بنو قيلة وهم الانصار قال ابن عباس ما سلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا اقيمت الصفوف حتى اسلم ابناء قيلة يعنى الاوس والخزرج وهم الانصار وصفهم مادح فقال كانوا يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا * وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد انهم يريدون بقتالهم وجه الله والدار الآخرة فلا تميل نفوسهم الى ما يقسم من الفىء والغنيمة رغبة فيما هم بصدده من اعلاء كلمة الاسلام واخفاء ما ظهر من شرك عبدة الاصنام فهم يكثرون اذا دعوا للقتال ويقلون عند قسم الانفال * قال كعب بن زهير يمدحهم

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى عصبة من صالح الانصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم * يوم الهياج وصفوة الجبار

يتطهرون كأنه نسك لهم * بدماء من علقوا من الكفار

(ومن الشجعان) معاذ بن عفراء قطع كفه يوم بدر فبقى معلقا بجلدة بطنه فلم يزل يقاتل يومه أجمع وهو معلق حتى وجد ألمه فوضع رجله على يده وتمطى حتى قطع الجلدة * وحمل رجل على حكيم بن جبلة فى يوم من أيام حرة وقد قطع ساقه فأخذها فى يده وضرب بها من قطعها فصرعه ثم أتاه وأتكأ عليه فقتله وقال مرتجزا

يا ساق لن تراعى * ان معى ذراعى * أحمى به كراعى

* وحكى عنه أنه قيل له من قطع ساقك قال وسادتى (ولم يكن) فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع من خالد ابن الوليد رضى الله عنه ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله وذلك أنه لم يهزم فى جاهلية ولا اسلام ومات على فراشه ويقال انه قال عند موته ما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم وها أنا اموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (ومن شجعان الصحابة) البراء بن مالك قيل عنه انه قتل مائة مبارز سوى من شورك فى قتله وكتب عمر بن الخطاب الى عماله أن لا يولوه جيشا للمسلمين فانه يهلكهم (ومن شجعان الصحابة) طلحة بن عبيد الله وحارثة بن حذيفة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود ويروى ان عمرو بن العاص بعث الى عمر بن الخطاب وهو يحاصر مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس فبعث اليه حارثة والزبير والمقداد لا غير أقام كل واحد منهم مقام الف

فارس رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وكان) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شجاعا ذكر عنه انه كان يثب ثلاث وثبات كل وثبة ثنتا عشرة ذراعا حتى يصل الى قرنه فيقتله (ومن الفرسان) مالك بن الحويرث المعروف بالاشتر النخعى من أصحاب على رضى الله عنه قال أبو بكر بن أبى شيبة أعطت عائشة للذى بشرها بحياة عبد الله ابن الزبير بن العوام اذ التقى بالاشتر يوم الجمل أربعة آلاف درهم ذكر ان رجلا سب الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هدمت أهل الشام وموته هدم أهل العراق (ومن الشجعان) مصعب ابن الزبير سأل عبد الملك يوما جلساءه من أشجع الناس فعدوا جماعة فقال أشجع الناس من العرب من ولى العراق فأصاب الف الف والف الف وعدها مرارا وجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن وام كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهند بنت زبان سيد كلب فخذله اهل العراق فاعطيناه الامان على ماشاء فقال ان مثلى لا ينصرف الا غالبا أو مقتولا وقاتل حتى قتل والله لا ولدت النساء مثله وقال اخوه عبد الله لما بلغه قتله ان يقتل فقد قتل اخوه وأبوه وعمه وانا لا نموت حتفا ولكن نموت بين أطراف الرماح وتحت ظلال الصفاح (وقال) الزبير بن بكار آل الزبير أعرق الناس فى القتل ولا يعرف فى العرب ولا فى العجم ستة مقتولون فى نسق الا من آل الزبير وهم عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد قتل عمارة وحمزة معا فى حرب الاباضية وقتل مصعب بدير الجاثليق وقتل محمد أخوه فى حرب الجمل وقتل عبد الله بمكة فى حرب الحجاج ولما قتل عبد الله أمر الحجاج بشق صدره فاذا فؤاده مثل فؤاد الجمل فكان اذا ضرب به الارض ينزو كما تنزو المثانة المقطوعة وقتل الزبير بوادى السباع فى حرب الجمل وقتل العوام فى الفجار قتله بشر بن عبد الله بن دهمان الثقفى وقتل خويلد فى حرب خزاعة (وقيل) لعبد الملك من اشجع الناس فقال العباس بن مرداس الذى يقول فيه الشاعر

أشد على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

(وقيس بن الحطيم حيث يقول)

وانى فى حرب العوان موكل * باقدام نفس لا أريد بقاءها

(ومن فرسان الخوارج) قطرى بن الفجاءة ويكنى أبا نعامة وخرج زمن مصعب بن الزبير لما كان مصعب واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير سنة ست وثلاثين وفى هذه السنة بويع عبد الله أخوه وعبد الملك بن مروان بالشام فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة * ذكر عنه أنه مر فى بعض حروبه على فرس أعجف وبيده عمود خشب فدعا الى البراز فبرز له رجل فحسر له عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه فقال له قطرى الى أين قال لا نستحى أن نفر عنك * وكذلك كان عبد الله بن حازم وشبيب الحرورى يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد وفيه يقول بعض شعراء الخوارج فى الجاهلية ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والبحر يلتطم

(ومن شجعان العرب وفرسانهم) الفند الزمانى كان يقاس بالف * ذكر أنه حمل على فارس مردوف بآخر فطعنهما فانتظمهما فى رمحه (وقال شاعر يمدح شجعان العرب)

فواحدهم كالالف بأسا ونجدة * والفهم للعرب والعجم قاهر

* وليس نظم القند فارسين فى طعنة بكبير فقد فعل مثل هذه الفعلة أبو دلف فى بعض حروبه * وفيه يقول بكر بن النطاح يذكر طعنته من أبيات

واذا بدالك قاسم يوم الوغى * يختال خلت امامه قنديلا
واذا تلوذ بالعمود ولونه * خلت العمود بكفه منديلا
واذا تناول صخرة ليرضها * عادت كثيبا فى يديه مهيلا
قالوا اينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا تراه كليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

(ومما) يعد من شدة الشجعان الابطال رفض التوانى بالمناجزة ودفع المطال * قالوا العزم التأهب قبل الامر والحزم المضى فيه * وقالوا الحزم انتهاز الفرصة عند تمكن القدرة وترك التوانى فيما يخاف فيه الفوت (وقال) عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ما العزيمة فى الامر قال اصداره اذا ورد بالحزم (شاعر)

ليست تكون عزيمة ما لم يكن * معها من الحزم المشيد رافع

(وقالوا) من لم يقدمه عزمه اخره عجزه (وقالوا) الحازم من اشتدت شكيمته وقعدت عزيمته (وقالوا) الحرب كالنار اذا تداركت أولها خمد ضرامها وان استحكم أمرها صعب مرامها (ويقال) قبل الاقدام تراش السهام (والعجز) عجزان عجز التقصير وقد أمكن والجد فى طلبه وقد فات * تمثل المنصور عند قتله لابى مسلم الخراسانى

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدره * وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

(ولآخر)

ما العز أن تشتهى شيأ وتتركه * حقيقة العزم منك الجد والطلب
كم سوف خدع الآمال ذا أرب * حتى انقضى قبل أن ينقضى له الارب

(وقالوا) من تفكر فى العواقب لم يشجع فى النوائب (وجد) على سيف مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر فى العواقب تندم (شاعر)

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزة * حتى تباشرها منه بتغرير
لن يبلغ المرء بالاحجام همته

(الرياشى)

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

(ويقال) مفتاح الدعة مفتاح البؤس (أبو دلف العجلى)

ليس المروأة ان تبيت منعما * وتظل معتكفا على الاقداح
ما للرجال وللتنعم انما * خلقوا ليوم كريهة وكفاح

(وقالوا) زوج العجز التوانى فأنتج بينهما الحرمان (قال المعافى فى مثل ذلك)

ان التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيأ ثم قال له اتكى * رويدكما لا شك أن تلدا فقرا

(وقالت الحكماء) الحزم طبع الحياة والعجز طبع الموت والنفس لاتحب ان تموت فكذلك تحب ان تحيا وأخذ الشيء بالحزم لا بالعجز (المتنبي)

ولوان الحياة تبقى لحى * لوددنا ضلالنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز ان تكون جبانا

(وقالوا) أشعر قلبك الجراءة فانها سبب الظفر واحرص على الموت توهب لك الحياة (وقال) أكثم بن صيفي من التواني والعجز انتجت الهلكة (وقالوا) التفكر في عواقب الحرب من امارات العجز والتهور فيه من علامات الجزع

(ابو عبادة مادحا) صارم الحزم ماضي العزم ساري الـ ـفكر ثبت الجنان صلب العود
(آخر مادحا) ويلحظ بالأمر الصواب كأنما * يلاحظه من كل أمر عواقبه

(وقال حكيم) تجرع من عدوك الغصة الى ان تجد الفرصة فاذا وجدتها فانتهزها قبل ان يفوتك الدرك أو بعينه الفلك فانما الدنيا دول تقلبها الاقدار ويهدمها الليل والنهار (ولما) أحيط بمروان بن محمد الجعدي قال والهفاه على دولة مانصرت وكف ماظفرت ونعمة ماشكرت فقال له بعض كتابه وكان من أشراف الروم فوقع عليه سبي من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر اصابه هذا

﴿ومن الابيات في انتهاز الفرصة وتفريج الغصة قول بعضهم﴾

يا ابنة القوم ما تريدين مني * صارمي منطقي ووجهي مجني
مايزور الكرى جفوني الا * جسوة الطائر الذى لا يثني
فعلوى اذا استقل بعزم * لم يعرج بليتني ولو اني

(آخر) حلفت لان ألقى الشدائد كلها * ومالى بان ألقى الهوان يدان
تذكرت أني هالك وابن هالك * فهانت على الارض والثقلان
فدع كل شيء خالف العزم انه * سيكفيكه جدان معتلجان
ومايدرك الحاجات مثل مثابر * ولا عاق عنها النجح مثل توان

(ابو نصر بن احمد الميكالي)

قالوا تمهل في الذى ترتجي * بلوغه من نافع الامر
قلت التأني مظفر بالمني * لكنه يجحف بالعمر

(آخر) على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت امرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر
اذاهم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

(آخر) اذا فرصة امكنت في العدى * فلا تبد فعلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا * اتاك عدوك من بابها

﴿ ومن ﴾ ممادح من عرف فى قومه بالشجاعة ومدالى قطف الرؤس سيفه وباعه (قالوا) فلان أبلغ صولة من أسد العرين وأشد منعة من الحصن الحصين (وصف) أعرابى رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرضع بدرها وربى فى حجرها (وسئل أعرابى عن قومه فقال) كانوا والله اذا اصطفوا تحت القتام صغرت بينهم السهام بشؤبوب الحمام واذا تصافحوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس أضحكتها أسنتهم (ومدح) اعرابى قومه فقال قومى والله ليوث حرب وغيوث جدب ليس لاسيافهم اغماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام (وقالوا) فلان يبادر المهل مبادرة الاجل الامل اطراف الاسل احلى عنده من لعق العسل (ابن شرف القيروانى) فلان قلبه يخرجه عن القلب وصرمته تقتاده الى مكان الطعن والضرب رماحه نجوم ظلام القتام وسهامه رجوم شياطين الانام لاترد حاجته مواضيه ولا تمطله المغافر المنية عند تقاضيه (شاعر مادحا)

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقيم مهجته مقام المغفر
مالن يريد اذا الرماح شجرنه * درعا سوى سربال طيب العنصر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر

(أبو الفرج)
يسعى الى الموت والقنا قصد * وخيله بالرؤس تنتعل
كأنه واثق بأن له * عمراً مقيما وماله اجل

(آخر)
كان سيوفه صيغت عقودا * تجول على الترائب والنحور
وسمر رماحه جعلت هموما * فما يخطرن الا فى ضمير

(البحترى مادحا)
يلقى السيوف بوجه منه ليس لها * ظهر وهادى جواد ماله كفل
يسمى به البرق الا أنه فرس * فى صورة الموت الا انه رجل

(مسلم بن الوليد)
لو ان قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم اذا حمى الوطيس لديهم * جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا

(ولآخر)
وحامى بلاد الله من كل مارق * له الطير ضيف والوحوش وفود
مليك له زهر النجوم اسنة * اذا أم افقا والسحاب بنود

(آخر)
عقبان روع والسروج وكورها * وليوث حرب والقنا آجام
وبدور تم والترائك فى الوغى * هالاتها والسائرون غمام
جادوا بممنوح التلاد وجودوا * ضربا يحديه الطلى والهام
وتجاوبت اسيافهم وجيادهم * فالارض تمطر والسماء تغام

(البحترى)
معشرا امسكت حلومهم الار * ض وكادت لولاهم ان تميدا
فاذا الجدب جاء جادوا غيوثا * واذا النقع ثار ثاروا أسودا
وكان الاله قال لهم فى الـ * ـحرب كونوا حجارة أو حديدا

(آخر)
ان تردخبر حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

(آخر)

قوم شراب سيوفهم ورماحهم * فى كل معترك دم الاشراف
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر * كل لكل جسيم أمر كاف
يحنون الى لقاء عدوهم * كتحنن الالاف للالاف
ويباشرون ظبا السيوف بأنفسهم * امضى واقطع من مضى الاسياف
جبلت على سفك الدماء نفوسهم * واكفهم جبلت على الاتلاف
فاذاهم صدموا العدو بصارم * خضبوا الاسنة من دم الاطراف
فنفوسهم تفنى نفوس عداتهم * وعطاؤهم يغني سؤال العافى

﴿ الفصل الثانى من الباب الحادى عشر ﴾

فى ذكر ما وقع فى الحروب من شدائد الازمات والكروب

(قال) بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحاها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر (وقال) عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب رضى الله عنهما صف لنا الحرب فقال مرة المذاق صعبة لا تطاق اذا شمرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف ثم أنشد

الحرب أول ماتكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جدت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقيل لبعضهم) صف لنا الحرب فقال اولها شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى * تذاكروا الحروب عند معاوية فقال بدر لعلىّ وأحد لطلحة والخندق للزبير وحنين العباس بن مرداس * وأنا اذاكر من الحروب الواقعة فى صدر الاسلام بعد موت النبى عليه الصلاة والسلام أربعة وهى الجمل وصفين ويوم الحرة ويوم كربلاء اذ هذه الحروب أشد الوقائع خطبا واوضرابا وأعظمها فى الدين فجيعة ومصابا لما قتل فيهما من كبار آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته وعظماء أهل بيته وقرابته ﴿ الجمل ﴾ مبتدؤها أن طلحة والزبير خرجا مغاضبين لعلى رضى الله عنه بعد أن بايعاه لما هجس فى نفوسهما من أن عليا رضى الله عنه هو الذى ألب على قتل عثمان رضى الله عنه حتى قتل وان قتله كان عن رضا منه فقدما مكة على عائشة رضى الله عنها وكانت قد خرجت من المدينة قبل قتل عثمان فاجتمعا بوما عند عائشة رضى الله عنها فى رجال من بنى أمية فتذاكروا قتل عثمان ورغبوا عائشة فى طلب الثار فاعتذرت اليهم بقلة ذات يدها فقال يعلى بن منية ومنية اسم أمه وكان عاملا لعثمان على اليمن عندى أربعمائة ألف درهم مساعدة لكم وخمسمائة فارس أجهزها وقال عبد الله بن عامر بن كريز وكان عاملا لعثمان على البصرة عندى ألف ألف درهم ومائة من الابل وأشار عليهم بالبصرة ثم نادى مناديا بالتحريض على طلب دم عثمان فاجتمع لهم ألف منهم ستمائة على النوق وسواهم على الخيل والبغال ووهب يعلى بن منية الجمل وكان يدعى عسكرا وعمل عليه هودجا من حديد ثم انهم دخلوا طالبين البصرة وكان على رضى الله عنه قد بلغه خبرهم وهو فى المدينة فخرج منها فى تسعمائة فيهم سبعون

بدريا ووصلت عائشة البصرة بمن معها وكانوا زهاء ثلاثة آلاف فمنعهم عثمان بن حنيف عامل علىّ من دخولها فأخذوها منه بعد حرب وقعت بينهم قتل فيها كل من خرج بطلب قتل عثمان أو أعان عليه الا رجل واحد يسمى حرقوص بن وهب فان بنى سعد منعته وأخذوا عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه فجاء عليا رضى الله عنه وقال يا امير المؤمنين بعثتنى بلحية وجئتك أمردا وكان عثمان بن حنيف من كبار الصحابة وبايع أهل البصرة طلحة والزبير ووصل علىّ الى الكوفة فاستنجدهم فانجدوه باثنى عشر الف رجل وسار حتى وصل الى جانب البصرة فنزل وأقام تلك الليلة ثم ناشدهم الله فى الدماء فأبوا الا القتال فخرج علىّ رضى الله عنه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى الجمعان فكان أول من قتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه ثلاثة نفر منهم عمرو بن جرموز السعدى بوادى السباع عدوا فقتله وهو ساجد وقيل نائم غيلة ووادى السباع برقة واسط بين البصرة والكوفة وفيه يقول جرير بن عطية بن الخطفى عائبا على بنى مجاشع قتل الزبير

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قين مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفتى الندى وفتى النزال غدرتم * وفتى الرماح اذا تهب بليلا
لو كنت حين غدرت بين بيوتنا * لسمعت من صوت الرماح صليلا
وحماك كل معاود يوم الوغى * ولكان شلو عدوك المأكولا

وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعا وثلاثين جراحة وأطاف بنو ضبة والازد بالجمل وأقبلوا يرتجزون

نحن بنى ضبة اصحاب الجمل * ننزل بالموت اذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل * نبغى ابن عفان باطراف الاسل

فقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة فلما التحمت الحرب واستعرت نارها نادى علىّ رضى الله عنه اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فعقره عمرو بن دلجة وأخذته السيوف من كل جانب حتى وقع وقتل حوله خلق كثير ومال الهودج وسمع صارخ يقول راقبوا الله فى حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علىّ لابنه الحسن هلكت قال قد نهيتك عن مسيرك قال لم أكن أرى ان الامر يصير الى هذا وجاء أعين بن ضبيعة حتى أطلع فى الهودج فقال ما أرى الا خيرا قالت هتك الله سترك وأبدى عورتك فقتل بعد ذلك بالبصرة وصلب وقطعت يداه ورجلاه ورمى به عريانا فى خربة من خراب الازد (وقيل) ان عليا لما وقف عليها ضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء أرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا حلائلهم وأبرزوك فيقال انها قالت له قد ملكت فأسجح ثم أمرها بالمسير وأذن لاصحابها أن يسافر معها من أراد السفر فسافر بعض وبقى بعض (وقال البلاذرى) فى تاريخه ان عليا رضى الله عنه أعطاها حين اشخصها الى مكة عشرة آلاف درهم

ورجعت الى مكة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على أميالا وقدمت مكة فأقامت بها الى الحج ثم خرجت الى المدينة * وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة لعشر خلون من جمادى الآخرة وقيل في يوم الجمعة النصف من جمادى الاولى * وعدة من قتل يوم الجمل ثمانية آلاف رجل من أصحاب عائشة وألف من أصحاب على رضى الله عنهم أجمعين وفى وقعة الجمل يقول عثمان بن حنيف

شهدت الحروب فشيبننى * ولم أر يوما كيوم الجمل
اشد على مؤمن فتنة * واقتل منه لحر بطل
فليت الظعينة فى بيتها * ولبتك عسكر لم ترتحل

يعني الجمل الذى كانت عليه عائشة وحكى أبو طالب المكي فى القوت ان عليا رضى الله عنه قال لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه امامه يوم الجمل اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه فانثنى الرمح فالتفت اليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه على رضى الله عنه بالرمح وقال له تقدم لا أم لك اتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها ﴿صفين﴾ ولما فرغ على رضى الله عنه من حرب الجمل وانصرف الى الكوفة بعث جرير ابن عبد الله البجلي الى معاوية يخيره بين حرب معضلة أو سلم مجزية فان اختار الحرب فانبذ اليه على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته وارجع فلما بلغ جرير الرسالة الى معاوية أرسل الى عمرو بن العاص فلما حضره اعلمه بما أتى فيه جرير فقال له اما على فوالله لا تسوى العرب بينك وبينه فى شئ وان له فى الحرب لحظا ماهو لاحد فى قريش قال صدقت ولكننا نقاتله على ما بأيدينا ونلزمه قتل عثمان ثم قال له مد يدك وبايعنى فقال والله لا أعطيك شيأ من دينى حتى آخذ من دنياك ويقال بل انشده

معاوى لا أعطيك دينى ولم انل * لديك بدنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصرا فأربح بصفقة * اخذت بها شيخا يضر وينفع

فاعطاه مصر طعمة وكتب له بذلك شروطا وأشهد عليه شهودا فبايعه عمرو بن العاص وتعاهدا على الوفاء وكتب معاوية الى على بأن لا طاعة له عليه فلما ورد جرير على على بما كتب اليه معاوية أمر الناس بالخروج الى صفين لقتال معاوية فاجتمع له من الخيل تسعون ألفا فيهم سبعون بدريا وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة ومن المهاجرين والانصار أربعمائة وذلك لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين وبلغ معاوية خروج على فجمع من الجنود خمسة وثمانين ألفا وقيل مائة وعشرين ألفا وسبق عليا الى صفين فنزل على موضع سهل أفيح مشعب قريب من الفرات ونزل على على مواضع بعيدة من الماء والعشب فبات وجيشه عطاش قد حيل بينهم وبين الماء فأشار عمرو على معاوية أن يمكن عليا من ورود الماء فقال لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان فاشتكى أصحاب على العطش فأمرهم بالسير وقدم عليهم الاشتر والاشعث بن قيس فساروا وعلى من وراء الجيش حتى هجموا على عسكر معاوية فأزالوهم عن الشريعة وغرق منهم خلق كثير وارتحل معاوية الى ناحية من البر بعيدة من الماء وأرسل الى على يستأذنه فى استقاء الماء من طريقه فأذن له وأجابه الى ذلك ثم بعث على الى معاوية يدعوه الى اجتماع الكلمة وحقن الدماء وطالت المراسلة بينهما فاتفقا على الموادعة الى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين فلما كان آخر المحرم كتب على الى أهل الشام

يحذرهم الوقوع في الهلكة فأبوا الا الحرب والقتال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة فعبى
علىّ جيشه يوم الاربعاء مستهل صفر وقدم عليهم الاشتر وتصاف أهل الشام والعراق ووقع القتال بينهم
فكان هذا دأبهم في كل يوم الى السابع من صفر وفيه قتل عمار بن ياسر من أصحاب علىّ قتله أبو العادية
العاملي وله من العمر ثلاث وتسعون سنة (وكان) في حرب صفين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع علىّ كافا
سلاحه فلما قتل عمار خرج يطلب المبارزة وهو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار
يا عمار تقتلك الفئة الباغية ثم كانت بينهم حرب أخرى قتل فيها ذو الكلاع وعبيد الله بن عمار ثم كانت
بعد ذلك ليلة الهرير قتل فيها خلق كثير وكانت ليلة جمعة فلما رأى معاوية ان قد فشا القتل في أصحابه
قال لعمرو بن العاص هلم مخبآتك فقد هلكنا وذكره ولاية مصر فأمر أن ترفع المصاحف وان يقال ما فيها
حكم بيننا وبينكم يا أهل العراق فرفعوها وكانت زهاء خمسمائة مصحف ونادوا من لثغور الشام بعد أهل
الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق من الجهاد الروم والترك فعند ذلك اختلف أصحاب علىّ فمنهم من
أراد القتال ومنهم من أراد الكف فقال علىّ رضي الله عنه بالامس كنت أميراً وأصبحت اليوم مأموراً ثم
ارسل الاشعث بن قيس الى معاوية يسأله لاي شئ رفعت المصاحف قال لرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به
في كتابه تبعثون رجلا منكم ترضونه ونبعث رجلا منا نرضاه ليعملا فينا بكتاب الله ونتبع ما اتفقا عليه فقال
الاشعث هذا هو الحق وانصرف الى علىّ وأخبره بما قال معاوية فقال الناس رضينا فاختار اهل الشام عمرو
ابن العاص واختار أهل العراق أبا موسى الاشعري واسمه عبد الله بن قيس واختار علي عبد الله بن عباس
فقالوا والله لا نريد الا رجلا هو من معاوية ومنك على السواء قال فاصنعوا ما أردتم فجمعوا ابين عمرو بن
العاص وأبي موسى وأخذوا عليهما العهد والميثاق أن لا يخونا وأخذ الحكمان من علي ومعاوية والجندين
المواثيق انهما آمنان على انفسهما وان يكون منهم المبايعة على ما يرضيانه ثم خرجا واجتمعا في دومة الجندل
في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين فقال عمرو لابي موسى ان هذه الفتنة لا تزال قائمة مادام واحد من هذين
الاثنين متوليا أمرة المسلمين فقال أبو موسى فما ترى قال أرى أن يصعد كل واحد منا المنبر ويخلع صاحبه
وندعها شورى بين المسلمين يولون أمرهم من أرادوا فأجابه الى ذلك وتقدم أبو موسى وصعد المنبر وقال
أيها الناس انا نظرنا في أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم لشعثها من أمر اجتمع رأيي ورأى عمرو
عليه وهو ان يخلع كل واحد منا صاحبه ويجعل أمر المسلمين اليهم يولون عليهم من أحبوا واني خلعت عليا
فاستقبلوا أمركم وولوا من شئتم ونزل ثم صعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قال أبو موسى ما سمعتم من
خلع صاحبه واني خلعته كما خلعه وأثبت معاوية كما اثبت حمية سيفي هذا في عنقي فانه ولي عثمان والطالب بدمه
وأحق والله بمقامه ثم نزل فاختلف عند ذلك كلمة الجيشين فلما رأى علىّ الاختلاف فيهما رحل قاصدا الكوفة
ولحق معاوية بدمشق وانصرف عمرو وأهل الشام بعد ذلك الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه فكان
علىّ رضى الله عنه بالعراق ومعاوية بالشام الى سنة أربعين * وفي هذه السنة قتل علي رضى الله عنه في رمضان
وهو ابن اثنتين وستين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين الا اشهرا واحدا ومدة ولاية معاوية أربعين سنة
منها أميرا على الشام لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عشرون سنة وخليفة عشرون سنة وتوفي سنة ستين

(ولما) انفصل أهل الشأم وأهل العراق من هذه الحروب رجع ابن عباس وشريح بن هانئ الى علىّ رضى الله عنه * وكان علىّ رضى الله عنه اذا صلى الغداة لعن معاوية وعمرا وأصحابه فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت لعن عليا وابن عباس وحسنا وحسينا والاشتر ولم يزل الامر على ذلك برهة من ملك بنى أمية الى ان ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل مكان اللعن فى الخطبة ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقتل) بصفين من أهل العراق والشأم فى مدة مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف وقيل سبعون ألفا من أهل الشأم خمسة وأربعون ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا والله أعلم (وكانت) الوقائع تسعين وقعة وعدة من حضر فى صفين من أهل الشأم مائة وعشرون ألفا ومن أهل العراق مائة ألف وعشرة آلاف فيكون جملة الفريقين مائتى ألف وثلاثين ألفا

﴿يوم كربلاء﴾

لما بويع يزيد بالخلافة وذلك فى رجب سنة ستين خرج الحسين كارها لبيعة من المدينة الى مكة فبلغ أهل الكوفة امتناعه فكتبوا اليه يحرضونه على المسير اليهم ويعرفونه بانهم شيعته وشيعة أهل بيته وانهم يقاتلون عدوه حتى يقتلوا أنفسهم دونه فقدم الكتاب على الحسين لعشر خلون من رمضان سنة ستين فبعث اليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب للمبايعة له فبايعوه فكتب بذلك عامل الكوفة من قبل يزيد وهو عبد الله بن مسلم الى يزيد يعلمه بذلك فلما بلغ يزيد ذلك عقد لعبيد الله بن زياد بولاية الكوفة وأمره بقتل مسلم بن عقيل فسار حتى دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وهو ملثم يظنونه الحسين فجعل لا يمر على ملأ من الناس الا قالوا مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت خير مقدم فلما سمع مقالتهم حسر لهم عن وجهه فلما رأوه داخلهم كآبة وحزن وخاف مسلم على نفسه فاستجار بهانئ ابن عروة فارسل اليه عبيد الله يطلبه منه فقال لا أسلم اليك من استجار بى ظنا منه أن قومه سيمنعونه منه فتوعده وتهدده فقال والله لو كان تحت قدمى هاتين ما رفعتهما عنه فاصنع ما بدا لك فضرب به على وجهه فأدماه وهشم أنفه وأمر به فحبس فلما بلغ مسلم بن عقيل ذلك أمر أن ينادى فى اصحابه وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا فاجتمع حول داره منهم أربعة آلاف فجاء الصارخ بذلك الى عبيد الله فخرج من المسجد الى القصر مسرعا وأغلق أبوابه وأحاط مسلم بن عقيل به فيمن معه من كل ناحية ولم يكن مع عبيد الله فى القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون من أشراف الناس فبينما هم كذلك اذ أقبل كثير بن شهاب فيمن أطاعه من مذحج فنادى أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فان هذه جيوش أمير المؤمنين يزيد مقبلة وقد أقسم الامير عبيد الله لئن لم ترجعوا عن حربه ليأخذن البرىء بالسقيم والغائب بالحاضر حتى لا يبقى منكم باقية فتفرق الناس وجعل الرجل يخوف أخاه بجند الشام والمرأة تخوف ولدها فامسى مسلم بن عقيل ومعه ثلاثون ألفا فخرج متوجها نحو أبواب كندة فما بلغ الابواب ومعه عشرة ثم خرج من الابواب وما معه انسان فمضى على وجهه لا يدرى أين يذهب فالتجأ الى دار امرأة تسمى طوعة فمنعته الجلوس على بابها ولم تكن تعرفه فقال لها افعلى معى معروفا لعلى أكافئك عليه بعد قالت

وماذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني فرقت له وحنت عليه وأخذت بيده وأدخلته
دارها وكانت للاشعث بن قيس فلما كان الغد صعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله على انتصاره ثم قال برئت
الذمة ممن وجدنا مسلم بن عقيل فى داره ومن جاء به فله ديته فقام محمد بن الاشعث وقال ان بلال بن أسيد
أخبرنى ان عقيل بن مسلم عند أمه فقال قم وأتنى به فقام ابن الاشعث فى ستة عشر رجلا حتى أتوا الدار فلما
سمع مسلم وقع حوافر الخيل نهض اليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فضربهم حتى أخرجهم وخرج
خلفهم مصلتا سيفه ومانعا عن نفسه فقال له ابن الاشعث يافتى لا تقتل نفسك ولك الامان وهو يدافع عن
نفسه وهو يقول أقسم لا أقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
كل امرئ يوما ملاق شرا * أخاف ان أكذب أو أغرا

فقال ابن الاشعث لا تكذب ولا تغر أنا زعيمك بالوفاء والذمام فلما ألقى سلاحه تواثبوا عليه وأخذوه
وحمل الى عبيد الله فقال له يافاسق أن نفسك منتك ماحيل بينك وبينه فتلنى الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها
أحد قبلك فى الاسلام ثم أمر كثير بن حمران الاحمرى ان يصعد به الى سطح القصر وأن يرمى به ففعل
فلما فعل به كذلك لم يمت فأمر بضرب عنقه فضربت ثم ضرب رقبة هانئ بعده وصلبت جثة مسلم وحمل
رأسه الى دمشق (وكان) قتل مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة سنة ستين وفى ذلك
اليوم خرج الحسين من مكة قاصدا نحو الكوفة بعد ما وصله كتاب مسلم يخبره فيه ان أهل الكوفة
معك فأقبل حين تقرأ كتابى فانى قد بايعتهم لك فبينما هو سائر بأصحابه نحو الكوفة اذ مر
برجل من أهلها فسئل عما وراءه فذكر انه لم يخرج منها حتى قتل مسلم وهانئ ورآهما
يجران بأرجلهما فى السوق فهم بالرجوع فقال له بعض اصحابه والله ما انت كمسلم ولو قدمت
الكوفة لكان الناس أسرع اليك من السيل فى المكان المنحدر فسار واذا طلائع خيل قد اقبلت نحوه
فنزل الحسين وأمر بالاخبية فضربت وجاء القوم وهم الف فارس مع الحر بن يزيد اليربوعى وكان نازلا
على القادسية ينتظر قدوم الحسين فلما اجتمعا قال له الحر ما الذى اقدمك العراق قال له والله ما خرجت
حتى أتتنى كتبكم مع رسلكم فقال له الحر والله ما ندرى ما هذه الكتب وقد امرنا انا اذا لقيناك لا نفارقك
حتى تقدمك الكوفة فقال ثكلتك امك الموت دون ما قلت فقال الحر لو غيرك قالها من العرب ما تركت
ذكر امه واذ قد ابيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة فأبى وسار والحر بن يزيد
معه حتى أتوا على قرية فسأل الحسين عنها فقالوا العقر فقال نعوذ بالله منه اى من العقر وهى كربلاء فنزل
فيها وذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة احدى وستين فلما كان من الغد قدم عليهم عمرو بن سعد بن
ابى وقاص من الكوفة فى اربعة آلاف فارس فلما اجتمعوا كتب عمرو الى عبيد الله يسعى فى صلاح
الحال معه وعوده انا قد اجتمعنا بالحسين فى كربلاء ونحن ننتظر امرك فيه فكتب اليه حل بين الحسين
وبين الماء كما فعل بالزكى النقى عثمان بن عفان فمنعوه واصحابه الماء ثم أنفذ اليه الشمر بن ذى الجوشن وامره ان
يسمع لعمرو بن سعد ان هو قاتل وان ابى فتقدم انت على العسكر فاقبل شمر على عمرو بن سعد وبلغه
ما قال عبيد الله فامتعض لذلك وقال لا ولا كرامة ولكن انا أتولى ذلك ثم نادى ياخيل الله اركبى وذلك

عشية الخميس لتسع خلون من المحرم ثم تقدموا نحو الحسين فأرسل اليهم اخاه العباس يسألهم التأخير لصبيحة غد فأجابوه الى ذلك فلما صلى الغداة يوم الجمعة وقيل يوم السبت وهو يوم عاشوراء خرج عمرو فيمن معه من الناس وخرج الحسين واصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارساواربعين راجلا ثم وقف فيهم على راحلته ونادى ايها الناس أجمعوا امركم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فسمعه نساؤه فبكين ثم قال انسبوني وانظروا من انا على وجه الارض ابن بنت نبي غيري فسمعته اخته فاطمة فقالت اليوم ماتت فاطمة امي وعلي ابي والحسن اخي ياخليفة الماضي وثمال اليتامى فقال بجيبها ولو ترك القطا ليلا لناما فجاءه الحر بن يزيد اليربوعي فقال له ماجاء بك قال جئتك تائبا مما كان مني مواسيا لك بنفسي افترى ذلك لي توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم اقبل الحر بوجهه على اصحاب بن زياد وقال لهم اتقوا الله في ابن بنت رسول الله نبيكم حلتم بينه وبين الماء الذي يلغ فيه الكلب ويرده الكافر وها اصحابه قد صرعهم العطش فبئسما خلفتم محمدا في اهل بيته فحمل عليه رجال منهم ونشب الحرب بينهم فجعل الحر ينشد يحمل على القوم ويقول

والله لا اقتل حتى اقتلا * ولن اصيب اليوم الا مقتلا
اضربهم بالسيف ضربا فيصلا * لا ناكلا عنهم ولا مهللا

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم حمل اصحاب عمرو بن سعد على اصحاب الحسين حملة رجل واحد فقتلوهم كلهم وكان اول من قتل من آل بني طالب عليّ بن الحسين الاكبر وبقي الحسين وحده وكان الناس قد توقوا قتله فكان بعضهم يحيل على بعض، صاح شمر لعنه الله بأصحابه ان اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحمل عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك بالسيف فقطع يساره وطعنه سنان بن انس النخعي بالرمح فصرعه ونزل اليه فاحتز راسه من قفاه واخذها ووجد فيه رضي الله تعالى عنه ثلاث وثلاثون جرحا وثلاثون طعنة والكل فيما اقبل من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة مابين طعنة برمح ورشقة بسهم ورمية بحجر وضربة بسيف وكانت عليه جبة خز دكناء فصارت كانها جلد قنفذ من السهام ثم سلبه اسحق ابن جنوة قميصه فبرص وسلبه يحيي بن كعب سراويله فعمي ونادى عمرو بن سعد من ينتدب للحسين فيطؤه بفرسه فانتدب له اسحق بن جنوة وتسعة من اصحابه فوطؤا ظهره وصدره حتى رضوه رحمة الله تعالى عليه ولعن قاتله والمعين له واتى سنان بن انس براس الحسين الى عبيد الله بن زياد فلما دخل عليه قال

اوقر ركابي فضة وذهبا * انا قتلت السيد المحجبا
اكرم خلق الله اما وابا * وخيرهم اذ ينسبون النسبا

فظفر به المختار بن ابي عبيد فقتله واحرقه ثم بعث بالراس مع محفيد بن ثعلبة العائذي الى يزيد بن معاوية فلما دخل عليه قال له جئتك براس الأم الناس ماولدت مخدرة الام واوضع ثم جعل يضرب ثناياه بقضيب خيزران كان في يده وينشد

ابى قومنا ان ينصفونا فأنصفت * قواضب في ايماننا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال اعزة * علينا وهم كانوا اعق واظلما

أما والله لوددت أنى أتيت بك مسلما ولو لبثك ما قتلتك ثم قدم اليه على بن الحسين والحسن بن الحسن فقال لعلى أنت أبوك قطع رحمى ونازعنى سلطانى فجزاه الله جزاء القطيعة للرحم فقال على ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وروى انه لما قتل الحسين رضى الله عنه قدم على يزيد (١) المذحجى فقال له ما وراءك قال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان يستسلموا وينزلوا على حكم الامير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذتهم السيوف مأخذها من هؤلاء القوم وجعلوا يلجؤن الى غير وزر ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذ الحمام من العقر فوالله يا أمير المؤمنين ما كان الا قدر جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مزملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح وفوقهم العقبان والرخم بقفر سبسب لا مكفنين ولا موسدين فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى منكم ومن طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين فلم يصله بشئ (ويقال) انه لما حمل رأس الحسين الى يزيد بن معاوية ووضع بين يديه خرجت كف يد من الحائط فكتبت فى جبهته

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل رضى الله عنه وله من العمر خمس وقيل ست وقيل سبع وخمسون سنة وقتل معه ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستون رجلا من شيعته (ولما) وصل خبر مقتله الى المدينة وكان واليا عليها يومئذ عمرو بن سعيد ابن العاص المعروف بالاشدق قام مناديا فنادى بقتله فصاح نساء بنى هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبى طالب حاسرة وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنتم خيرة الامم

بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى * منهم أسارى ومنهم مضرج بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم * أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وفى يوم قتله من العام القابل قتل عبيد الله بن أبى زياد قتله المختار بن أبى عبيدة وقتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعبا عبد الملك بن مروان فيالله العجب كيف وانى يهدر دماء بنى البتول وسيف النصر على الباغى بيد الزمان مسلول

﴿ يوم الحرة ﴾

وسببه أن جماعة من أشراف المدينة منهم عبد الله بن حنظلة وبنوه ثمانية والمنذر بن الزبير قدموا من عند يزيد بن معاوية وكان قد أكرمهم وحباهم وكساهم فاظهروا شتمه وأكثروا سبه وعيبه للناس وقالوا قدمنا من عند رجل شريب فسيق يلعب بالكلاب ويسامر القرود والقيان وانا نشهدكم أن قد خلعناه وتبرأنا منه فكتب عثمان بن حيان والى المدينة من قبل يزيد اليه يعلمه بما أجمعوا عليه فكتب يزيد الى اهل المدينة أما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وانى والله لقد لبستكم فأبليتكم ورقعتكم حتى خرقتكم وانى وضعتكم على رأسى ثم على

---

(١) بياض بالاصل

صدري ثم على بطني وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأقل بها عددكم
وأتركم أحاديث تنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود فان شئتم فلا أفلح من ندم وكتب فى آخر الكتاب
متمثلا بقول الشاعر لقد بدلوا الحلم الذى من سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان
فلما وصل اليهم الكتاب وقرئ عليهم أبوا الا خلعه وازدادوا عليه تغيظا وفيه كراهة ثم بايعوا عبد الله بن
حنظلة ووثبوا على عثمان بن حيان وأخرجوه من المدينة وأخرجوا من كان فيها من بني أمية ومواليهم وكانوا
نحوا من ألف فنزلوا دار مروان بن الحكم فخرجوا اليهم وحصروهم فيها فكتب مروان الى يزيد يعلمه
بما جرى فوصل اليه الكتاب ليلا وعنده الضحاك بن قيس فقرأه عليه ثم قال له ما الرأى قل يا أمير المؤمنين
قومك وعشيرتك وبلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه وأرى ان تعفو عنهم وتتغمد ذنوبهم فقال
اخرج عنى ثم دعا مسلم بن عقبة المرى قال فالبث ان دخل رجل أعور ثائر الرأس كأنما يقلع رجله من وحل
اذا مشى فرمى اليه بالكتاب فلما قرأه احمر وجهه وازبد شدقه فقال له يزيد ما الرأى قال أرى أن تبعث
اليهم جيشا رجاله غلاظ الأكتاف طويلة رماحهم فيطؤنهم حتى يكونوا نكالا لمن خلفهم فقال له يزيد
كنت لها لولا أنك ضعيف فقال يا أمير المؤمنين ان كنت تريدني لمصارعتهم فانى ضعيف وان كنت تريدني
للرأى فانى قوى فأمره يزيد بالتجهز فما أصبح الا وعلى باب يزيد عشرون ألفا وفيهم مسلم بن عقبة
فاستدعاه يزيد وقال له سر فان حدث بك أمر فاستخلف الحصين بن نمير وادع أهل المدينة ثلاثا فان
أجابوك والا قاتلهم فان اطاعوا أمرنا فانصرف عنهم الى ابن الزبير فان قاتلتهم وظفرت بهم فأبحها ثلاثا
واستوص بعلي بن الحسين خيرا ثم ودعه وانصرف بمن معه من الجيش فلما سمع اهل المدينة بقدوم
الجيش غوروا المياه التى بينهم وبين اهل الشأم فأرسل الله السماء فلم يستق اصحاب مسلم بدلو حتى قدموا
المدينة وكان اهل المدينة قد اطلقوا بنى أمية فخرجوا قاصدين الشأم فلقوا مسلما بالجيش فرحب بهم
وسألهم عن اهل المدينة فأخبروه بحالهم وشاورهم أين يكون نزوله من نواحى المدينة فأشار عليه عبد الملك
ابن مروان ان ينزل بالجيش من قبل الحرة فانها مشرفة على المدينة وان أهلها ينظرون من تألق بيضكم
وأسنة رماحكم وسيوفكم ما لا يراه أصحابك منهم فنزلها فلما رآهم اهل المدينة خرجوا فى جموع كثيرة
وهيئة لم ير مثلها فلما رآهم اهل الشأم أكبروهم وكرهوا قتالهم فكتب مسلم اليهم يحذرهم سطواته
وينذرهم فتكاته فأبوا قبول ما دعاهم اليه من الانقياد لطاعته فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة لثلاث
بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وستين نادى مناديه يا أهل المدينة قد مضى الاجل فما تصنعون أتسالمون أم
تحاربون فقالوا بل نحارب ثم خرجوا وطلبوا البراز فأمر مسلم أن يعبى الجيش وضرب لهم فسطاطا ووقع
القتال وجعل مسلم يعد قومه ويمنيهم وعبد الله بن حنظلة الغسيل يحرض قومه ويقدم أولاده واحدا بعد
واحد حتى قتلوا ثم حمل عليه فقتل وقتل يومئذ ثمانية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اهل
الشأم لبنى أمية ألهؤلاء جئتم بنا حتى نقتلهم ثم اشتد القتال وكثر القتال حتى انهزم اهل المدينة فدخلوها
وتحصنوا بها فيئس منهم مسلم فدله رجل من بنى حارثة على طريق سالكة الى المدينة فسلكه بمن معه
حتى دخلها فلما رأى أهلها الجيش قد صار معهم تفرقوا فقتلوا فى كل جهة وذلك لثلاث من ذى الحجة سنة

ثلاث وستين ثم انتهبوها ثلاثا وأقاموا بها حتى رأوا هلال المحرم ثم أخذ مسلم البيعة على أهل المدينة أنهم عبيد قبان ليزيد بن معاوية ان شاء اعتق وان شاء قتل ثم ركب مسلم الفاسق لعنه الله وخرج الى الحرة يطوف في القتلى ومعه مروان بن الحكم فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد اصبعه نحو السماء فقال والله لئن نصبتها ميتاً لطالما نصبتها حياً داعياً الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم فوجد فرجه مستورا بيده فقال والله لئن حفظته عند الوفاة لقد ما حفظته في حال الحياة ومر على محمد بن عمر بن حزم وهو واضع جبهته على الارض فقال أما والله لئن كنت على جبهتك بعد الموت لطالما فرشتها لله ساجدا في طول الحياة فقال والله ماهؤلاء الا من اهل الجنة ثم ان مسلما حز رؤس القوم وأرسلها الى يزيد فيقال انه أنشد لما ألقيت بين يديه بيت ابن الزبعرى ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

(قال الواقدي) قتل يوم الحرة سبعمائة من حملة القرآن وقيل قتل سبعمائة من قريش والانصار وقتل ممن لا يعرف عشرة آلاف ثم سار مسلم لعنه الله يريد مكة لقتال عبد الله بن الزبير فلما كان بقديد مات فدفن بالمشلل وقيل بثنية هرشى * وكان موته لسبع بقين من المحرم سنة أربع وستين وفي هذه السنة مات يزيد في الرابع عشر من ربيع الاول وله من العمر ثمان وثلاثون سنة * وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر * ولما مات مسلم جاءت أم ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فنبشته واحرقته وقيل بل اخرجته وصلبته وفيما ذكرنا من هذه الحروب اقناع يعز به الخبر اذا سئم من المطاولة المستخبر

﴿ وأحسن ما الحق بهذا الفصل وتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه ﴾

ابلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريث من أبيات

بجيش لهام يشغل الطير جمعه * عن الارض حتى ما يجدن منازلا

والجو ستر بالنسور مطير * والارض فرش بالخيول مخيل (السلامى)

يهفو العقاب على العقاب فيلتقي * بين الفوارس أجدل ومجدل

ولا مزيد في الحسن على ماقاله أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أبيات يمدح بها المعتصم (١) جاء منها قوله

لما رأيت الدين يخفق قلبه * والكفر فيه تغطرس وعرام (٢)

اوريت زند عزائم تحت الدجى * اسرجن فكرك والبلاد ظلام

فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه * حسن اليقين وقاده الاقدام

ملأ الملا عصبا فكاد بأن يرى * لا خلف فيه ولا له قدام

بسواهم لحق الا باطل شزب * تعليقها الاسراج والالجام

ومقابلين اذا انتموا لم يخزهم * في نصرك الاخوال والاعمام

---

(١) في الديوان المأمون اهـ

(٢) قوله تغطرس في الديوان تغطرف ومعناهما الكبر واسقط بعد قوله فنهضت الخ (متعجرفا زج يري سلافه) (ولهم بمنخرق الفضاء زحام)

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا * سكانها الارواح والاجسام(١)
مسترسلين الى الحتوف كانما * بين الحتوف وبينهم ارحام
آسادموت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام
حتى نقضت الروم عنك بوقعة * شنعاء ليس لنقضها ابرام
في معرك اما الحمام فمفطر * فى هبوتيه والكماة صيام
والضرب يقعد قرن كل كتيبة * شرس الضريبة والحتوف قيام
ففصمت عروة جمعهم فيه وقد * جعلت تفصم عن عراها الهام
(ابن عبد ربه صاحب العقد)
وجيش كظهر اليم ينفحه الصبا * يعب عبابا من قنا وقنابل
فينزل أولاه وليس بنازل * ويرحل اخراه وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كمائه * كؤس دماء من كلى ومفاصل
يديروا ابهارا حامن الروح بينهم * ببيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل
(أبو الفرج البيغاء)
فاذا الجياد الى الجياد عوابساً * شعثا ولولا بأسه لم تنفد
فى جحفل كالسيل أو كالليل أو * كالقطر طافح قطر بحر مزبد
متوقد الجنبات تعتنق القنا * فيه اعتناق تواصل وتودد
متعجر بضيا الصوارم مبرق * تحت العجاج وبالصواهل مرعد
رد الظلام على الضحى واسترجع الا صباح من ليل الغبار الازبد
وكأنما نقشت حوافر خيله * للناظرين أهلة فى الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار لها مكان الاثمد
(وله) فى خميس كأنما السمر والابـ * ـطال فيه غيله تحته أسود
سلب الشمس ضوأها بشموس * طالعات افلاكهن جديد
عارض كلما تجلت بروق الـ * ـبيض حنت على الصهيل رعود
(وله) جيش يفوت الطرف حتى لا يرى * ما غاب من أطرافه محدودا
ويجيش حتى لا يظن عديده * أحد لكثرة جمعه معدودا
فكأنما جعل الاله روابى الأعلام اعلاما له وبنودا
يقضى على الاعداء خيفة بأسه * قبل اللقاء تهددا ووعيدا
وترى وتسمع لمعه وخفوقه * فتخال فيه بوارقا ورعودا

---

(١) اسقط بعد قوله ومقابلين الخ (سفع الدؤب وجوههم فكأنهم * وأبوهم سام أبوهم حام اه

(آخر) خميس اذا أخفى سنا الشمس نطقه * أضاء وأبداه الحديد المسرد
تواجهه هوج الرياح فينثني * وتحمله الارض الوقور فيرعد

(أبو الطيب المتنبي)

خميس بشرق الارض والغرب زحفه * وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فما يفهم الحداث لا التراجم

(وله) وذو لجب لا ذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم
(١) تمر عليه الريح وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه * من اللمع فى هاماته والجماجم

(ابن المعتز) وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

﴿ابن الساعاتى﴾ والنقع ليل والاسنة أنجم * والسمر غاب والكماة أسود

﴿ وصف النزال والقتلى ﴾

وصف اعرابى وقعة فقال اصطفوا كجناح الطائر وشدوا شدة الاسد الخادر فأثنوا أعنتهم ولاصرفوا أسنتهم حتى انصرف أعداؤهم (أبو نصر الميكالى) دارت رحى الحرب بين اعمار تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسفى بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح فى الاكباد والغة (بعض البلغاء) طلبنا فلانا فى الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منمق محبر وبالرماح معجم ومحرر

(ابن عبد ربه من أبيات)

فكم على النهر أوصال مفرقة * تقسمها المنايا فهى أشطار
قد فلقت بصفيح الهند هامتهم * فهن بين حوامى الخيل أعشار
وكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الارض اجار
كأنما رأسه أفلاق حنظلة * وساعداه على الزندين جمار

﴿ أبو بكر الخوارزمى ﴾

كتبنا فى وجوههم سطورا * غرائب حبرهن دم همول
فترجمها الاعادى للاعادى * ويقرؤها على الحى القتيل
فمالك غير جمجمة كتاب * ومالك غير صاحبها رسول

﴿ابن الرومى﴾ كتبت لنا أيدى النزال صحائفا * عجما من الاعراب والافصاح
أطراسها جثث الكماة وحبرها * مما أسلناه دم الارواح
فالشكل فوق سطورها بصوارم * والنقط تحت حروفها برماح

﴿ابن نباتة﴾ خلقنا باطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

---

(١) قوله الريح فى الديوان الشمس واسقط بعده
اذا ضوؤها لاقى الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

(قطع الرؤس أحسن ما نظم فيها قول الشريف البياضى من أبيات)

خطبنا بالقنا مهج الاعادى * فزفت والرؤس لها نثار

﴿ وقول جرير وان كان قبله ﴾

كان رؤس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

﴿ وقول الآخر ﴾

وكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

﴿ الفصل الثالث من الباب الحادى عشر ﴾

﴿ فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يستطيع بها ملكة ﴾

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال تعالى خذوا حذركم (وقد روى) أن عمر رضى الله عنه حين كرهوا عبن الشأم أراد الرجوع الى المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله قال نعم الى قدر الله فقال له أيمنع الحذر القدر قال لست مما هناك فى شئ ان الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر فانه يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم (وقالوا) الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة (وقال) يزيد بن المهلب الاقدام على الهلكة تغرير والاحجام عن الفرصة جبن وأنشدت لطاهر بن الحسين

ركوبك الامر مالم تبد فرصته * جهل ورأيك فى الاقحام تغرير

فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة * فلن يذم لاهل الحزم تدبير

(ويقال) أهوت الى يزيد المهلب حية فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة (الشريف الرضى)

العزم فى غير وقت العزم معجزة * والازدياد بغير العقل نقصان

(ويقال) من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر * وقال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه فى نحس ومن غده فى لبس (وفى كتاب الهند) الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر مواثبته ان قرب وغارته ان بعد وكمينه ان تبع ومكره ان انفرد واستطراده اذا ولى (وقال أبو بكر الصديق) يحذر خالد بن الوليد رضى الله عنهما اذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالادلال ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان فى القرب غمرة واقلل الكلام فان مالك الا ما وعى عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله فى سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه وقال الشاعر

ومن يأمن الاعداء لابد أنه * سيلقى بهم فى موقف الموت مصرعا

(وقالوا) الاقدام على الهلكة تضييع كما أن الاحجام عن الفرصة عجز (وقيل) لعنترة العبسى أأنت أشجع العرب وأشدها قال لا قيل فبم شاع هذا فى الناس قال كنت أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم

اذا كان الاحجام حزما ولا أدخل موضعا لا أرى لي فيه مخرجا (وسئل) بعض الشجعان هل شيء أضر من التوانى قال الاجتهاد فى غير وقته * وقال جعفر بن ميسرة من مكن أسباب الهلكة من نفسه طائعا لم يكد يتخلص منها وان كان جاهدا (وقال) بعض الحكماء لصديق له اعلم ان الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر فبات مبانة الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف ولا تظهر له المخافة فيرى ان قد حذرت فيهون عليه ما يسهو له منك (ويقال) اذا أخذ المرء بالحذر والاحتراس فى موضع الشدة وعمل على الجراءة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد أخذ بالحزم فى شدته وعمل بالحزم عند فرصته (وقال) بعض الفلاسفة كن حذرا كأنك غر فطنا كأنك غافل وذاكرا كأنك ناس * وقال بعضهم

من أخذ الحذر من المحذور * قل تجنيه على الدهور
فليحزم الحازم فى الامور * فان كبا فالعذر للمعذور

(آخر)
على كل حال فاجعل الحزم عدة * تقدمها عند النوائب فى الدهر
فان نلت حظا نلته بعزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

﴿ومما يكون عمدة عند لقاء الابطال التفكر فى اعمال الاحتيال وان طال﴾

قالت الحكماء الحازم يحتال للامر الذى يخافه لعله أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط فى الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته الا على مقاتله * وأنشد لتأبط شرا

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا * به الامر الا وهو للقصد مبصر

(ويقال) اذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج * وقال الشاعر

واذا هممت بورود أمر فالتمس * من قبل مورده طريق المخرج

(آخر)
اياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

(ويقال) تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل ان تهجم فانه من لم ينظر فى العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب * ووجد على حجر بعدن أبين مكتوب أيها المحارب احذر تغنم وتفكر فى العواقب تسلم (ويقال) الناس حازمان وعاجز فاحزم الحازمين من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من اذا نزل الامر تلقاه بالرأى والحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد بين وبين لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا حتى تفوته النجاة (ويقال) ترك التقدم احسن من التندم * وأوصى عبد الملك بن صالح أميرا قدمه على سرية أرسلها الى قتال عدو له فقال كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر والا حفظ رأس ماله ولا تطلب الغنيمة حتى تحمد السلامة وكن فى احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك (وقالوا) ما تنفق فيه الاموال والحيل خير مما تنفق فيه الارواح والنفوس * وأوصت أم الدبال العبسية ولدها الفتاك وكان من أشد العرب فقالت يا بنى لا تنشب فى حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب فان النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل النجاة مدبرة لها واختلس فى محاربة خلسة الذئب وطر منه طيران

الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة (وقال) أبو السرايا وكان أحد الفتاك يابني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب ورطة المتهور وغنيمة المتفكر (وقال) لا تصلح الحزامة الا لمن كان له سبع خصال من طبائع البهائم قلب الاسد وغارة الذئب وصبر النسر وحذر الغراب وحراسة الكركي وهداية الحمام وحماية الزنبور

﴿ومما يجب مع التفكر على المحارب مشاورة النصحاء من أولي التجارب﴾

قد كنا قدمنا في صدر الكتاب ما يجب على العاقل من مشورة نصحائه في سائر انحائه وأنا اذاكر في هذا الباب ما يجب على الحازم من مشورة أودائه في كيفية لقاء أعدائه فانهم قالوا ينبغي لكل ذي لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضي عزما الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح (وقالوا) الحازم اذا اشتبهت عليه مصادر الامور رجع من أهل التجارب وجوه الرأي حتى يخلص له منها الصواب كالعاقل اذا ضلت له لؤلؤة فانه اذا جمع ما حول مسقطها والتمسها يوشك أن يجدها (وقالوا) من حق العاقل أن يضيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء (وقال) بشار بن برد المشاور بين احدى الحسنيين اما صواب فيفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه (وقالوا) الرأي السديد خير من الاسد الشديد * وكان يقال المشورة سلم النجاح وطليعة الفلاح (وقالوا) الرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب * وقال بعض الاعراب ما عثرت قط حتى عثر قومي قيل له وكيف قال لا أفعل شيأ حتى أشاورهم (وقالوا) حقيق أن يوكل الى نفسه من أعجب برأيه (ولقد) أحسن أبو الطيب احمد بن الحسين المتنبي في التحريض على مشاورة الاخوان عند مباراة الاقران بقوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
فلربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران

(ولبعضهم) الرأي كالسيف ينبو ان ضربت به * في غمده واذا جردته قطعا

(آخر) أشاور اهل الرأي فيما ينوبني * وان كان لي رأي أحد صليب
ولا ادّعي بالغيب علما لسائل * ولا احد المسؤل حين يجيب

(آخر) اذا بدا لك وجه الرأي فارم به * نحو احترام تحاماه المقادير
ولا تقل غررا اخشى عواقبه * يوما فكل نجاة القوم تقرير

(وذكر الحصري) في كتابه زهر الآداب وثمر الالباب ان قوما من العرب أتوا اشياخا لهم قد أربى على الثمانين واهدف التسعين فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار وتنفي به العار فقال ان ضعف قوتي فسخ همتي ونقض ابرام عزيمتي ولكن شاوروا الشجعان من ذوي العزم والجبناء من اولي الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما وقى مهجكم والشجاع لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلصوا من الرأيين نتيجة تبعد عنكم معرة الجبان وتهور الشجعان فاذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب فلله هذه الكلمات لو يجدها الجبان جنة لوقته او هاديا لارته مواطن

العواقب ورفقته

﴿وملاك التحيل فى بلوغ الامانى * رفض العجلة واستعمال التوانى﴾

قال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق اعطى حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الازانه ولا يفارق شيأ الاشانه (وقال) عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ الاما كان من عمل الآخرة (وقال الشاعر) الرفق يمن والاناة سعادة * ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

آخر وفى الاناة اذا ماجد صاحبها * حزم ويعقبها التفريط والخرق

(وفى التورية) الرفق رأس الحكمة (وقالوا) فعل اللبيب ثمرته السلامة (وجد) على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة الى ادراك الامل (وقال) بعض الحكماء تأن تحزم واذا استوضحت فاعزم (وقالوا) يد الرفق تجنى ثمر السلامة ويد العجلة تغرس شجر الندامة

(أبو الفتح البستى)

تأن فى الشئ اذا رمته * لتعرف الرشد من الغى
لا تتبعن كل دخان ترى * فالنار قد توقد للكى
وقس على الشئ باشكاله * يدلك الشئ على الشئ

(وقال) بشر بن مروان لاهله اذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود وأشكل عليك المصدر فيه فالاناة الاناة ولكن أمرك حزما واذا استبان لك فعزما (وقال محمد بن هانئ الاندلسى)

وكل أناة فى المواطن سودد * ولا كاناة من قدير محكم
وما الرأى الابعد طول تثبت * ولا الحزم الابعد طول تلوم

(القطامى) قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

آخر وربما فات قوما جل أمرهم * من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(وقالوا) الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة (وقالوا) اذا لم يدرك الظفر بالاناة فبماذا يدرك (وقال) المهلب بن أبى صفرة لولده أبى صفرة ظالم بن سراق أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت (ومن أمثالهم) اتئد تصب أو تكد * وقولهم من تأنى أدرك ماتمنى * وقولهم الرفق مفتاح النجاح (وقال) بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

﴿وهذه نبذة يسيرة فى الصبر﴾

فمما ينسب لعلى رضى الله عنه

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

آخر ما أحسن الصبر فى مواطنه * والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه * عواقب الصبر مالها ثمن

آخر الصبر مفتاح مايرجى * وكل صعب به يكون
فاصبر وان طالت الليالى * فربما أمكن الحزون
وربما نيل باصطبار * ماقيل هيهات لايكون

(ويقال) الصبر مفتاح النصر (ويقال) النصر فى مطاوى الصبر (ويقال) من تصبر تبصر (وقال الصابى) حظ الطالبين من الدرك بحسب مااستصحبوه من الصبر (وأنشدت لبعض الشعراء)

اذا كنت فى أمر ولم ترحيلة * فصبرك ان النجح يدرك بالصبر
كذاك عيون الماء تكدر مرة * وتصفو مرارا هكذا عادة الدهر

(ابن منقذ) لاتستكن للهم وائن حمامه * بعزيمة فى الخطب لاتتضعضع
فاذا أتى ماليس يدفع فالقه * بالصبر فهو دواء مالايدفع

(ومن أحسن ماقيل فيه)

أما والذى لاخلد الا لوجهه * ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

(آخر) اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها * فالنجح يتلف بين الصبر والضجر

﴿ الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾
﴿ فى أن خلق الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار ﴾

الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه (قال المتنبى)

يرى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وحده بعض المتكلمين فى حدود الاشياء فقال هو الضن بالحياة والحرص على النجاة * وقالت الحكماء فى الفراسة من كانت قزعته فى رأسه فذاك الذى يفر من أبويه (وقالوا) الجبان يعين على نفسه يفر من أمه وأبيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه (وقال الشاعر)

يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لايناسبه

﴿ فما اخترت من كلام ذوى الاقدام فيما عيب به الفرار والاحجام ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها ان الله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء (وقال) خالد بن الوليد عند موته لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنا ذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء (شاعر)

ان موت الفراش عار وذل * وهو تحت السيوف فضل شريف

(السموأل) وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباء نفوسنا * وليست على غير الظباء تسيل

(آخر يفتخر) محرمة اكفال خيلي على القنا * ومكلومة أعناقها ونحورها

حرام على ارماحنا طعن مدبر * وتندق منا في الصدور صدورها

(ويقال) أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار (وقال) دارا بن دارا يحرض جيشه على القتال قتيل صابر خير من ناج فار يا بني الاحرار صرتم الى الذل والصغار ما هذا الجبن والفرار فلا صبر ولا اعتذار تطردكم الاشرار كطرد الليل النهار اثبتوا فان الاجل بمقدار (وقال) هانيء الشيباني لقومه يوم ذي قار يا بني بكر هالك مغدور خير من ناج فرور المنية ولا الدنية يا بني بكر استقبال الموت خير من استدباره الطعن في ثغور النحور اكرم منه في الاعجاز والظهور يا بني بكر قاتلوا فالنامن المنايا بد الجبان مبغض حتى لامه والشجاع محبب حتى لعدوه (ويقال) الجبن خير أخلاق النساء وشر أخلاق الرجال (وقال) يعلى بن منية لقومه حين فروا من علي يوم صفين الى ابن قالوا قد ذهب الناس فقال أف لكم فرار واعتذار (ولما) قوتل أبو الطيب المتنبي ورأى الغلبة عليه فر فقال له غلامه أترضى أن يحدث بهذا الفرار عنك وأنت القائل والخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا فقاتل حتى قتل واستقبح ان يعير بالفرار وذلك في شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلثمائة وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة (وقال المنصور) لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به وأحضر اليه أسيراً أخبرني عن أصحابي أيهم كان أشد اقداما في مبارزتك فقال لا أعرف وجوههم مقبلين وانما أعرف أقفيتهم مدبرين فقل لهم يدبرون لاعرفك أيهم كان أشد فرارا انظم هذا القول علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي في قوله يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر وقد هزم

قرن سليمان قد اضربه * شوق الى وجهه سيتلفه

أعرض عن قرنه وصدفا * أصبح شيء عليه يعطفه

كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه

لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

وله من أبيات كان بغداد لدن أبصرت * طلعته نائحة تلتدم

مستقبل منه ومستدبر * وجه بخيل وقفا مهزم

(وقال) عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم يعرض به متى فقئت عينك قال يوم طعنت في استك وأنت مول يعني يوم الجمل وقيل بل قال له يوم قتل أبوك وهربت خالتك يعني عائشة وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل

﴿ وقال شاعر يذكر فارا ﴾

شرده الخوف فازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد

منخرق الخفين يشكو الوحى * تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حتماً فى رقاب العباد

﴿نتف من احتجاج الفرسان عند ملاقات الاقران﴾

﴿فى ان دروع الحذر تخرقها سهام القدر﴾

قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم (وقال) علىّ رضى الله عنه اذا حلت المقادير حلت التفادير (وقال) هانئ بن مسعود الشيبانى ان الحذر لا ينجى من القدر وان الصبر من أسباب الظفر * والمثل المضروب ان الجبان حتفه من فوقه (وقالوا) السلامة فى الاقدام والحمام فى الاحجام وأنشد فى الحماسة لقطرى بن الفجاءة

لا تركنن أبدا الى الاحجام * يوم الوغى متخوفاً لحمام
فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى
حتى خضبت بما تحدر من دمى * أكناف سرجى أو عنان لجامى
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

(وقال) أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد رضى الله عنهما حين اخرجه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وقالوا) اذا انقضت المدة لم تنفع العدة (وقال) على رضى الله عنه ان الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب ان لم تقتلوا تموتوا الا وان أشرف الموت القتل (وقال) عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يا نفس ان لم تقتلى تموتى * ان تسلمى اليوم فلن تفوتى * أو تبتلى فطالما عوفيتِ (وقيل لبعضهم) لو احترست فقال كفى بالاجل حارسا (وقالوا) الشجاع موقى والجبان ملقى وذلك ان المقتول مدبراً أكثر من المقتول مقبلا (وأنشد لبعض الشجعان)

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن اتقدما

(آخر)

أقول لها وقد ذهبت شعاعا * لدى الابطال انك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم * على الاجل الذى لك لن تطاعى
فصبراً فى مجال الحرب صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع

(وهرب رجل) من الطاعون الى النجف وكان بالكوفة فكتب اليه شريح القاضى اما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل رزقا وانك والمكان الذى أنت فيه لبعين من لا يعجزه هرب ولا يفوته طلب وان المكان الذى خلفته لا يعجل أحدا الى حمامه ولا يظلمه شيأ من أيامه وان النجف من ذى قدرة لقريب * وهذا الطاعون هو الجارف وكان فى شوال سنة تسع وستين هلك فيه فى مدة ثلاثة أيام مائتا ألف وعشرة آلاف * ومات فيه لانس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ولعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أربعون ولدا * وأنشد بعض الشعراء يذكر فارا أصيب

أبعدت فى يومك الفرار فما * جاوزت حتى انتهى بك القدر
لو كان ينجى من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر

(آخر)

فاذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(ولما) وقع الطاعون بالكوفة فر عبد الرحمن بن أبي ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا يقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
أو يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله امام السارى

فكر راجعاً الى الكوفة (ومن) كلام الحكماء اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمأنينة الى الدنيا حمق (وكان) معاوية بن أبي سفيان كثيرا ما ينشد فى حروبه

كان الجبان يرى انه * يدافع عنه الفرار الاجل
فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

(ويقال) من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأى

(وأنشدت لابى على بن رشيق القيروانى)

الاسر خير من الفرار * والقتل خير من الاسار
وشر ما خفته حياة * أدت الى ذلة وعار

(ذم من لزمه الضعف والجزع واستولى عليه الخوف والفزع)

قيل لبشار بن برد فلان يزعم انه لا يبالى ألقى واحداً أو ألفا قال صدق لانه يفر من الواحد كما يفر من الالف (وقالوا) فلان اذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب واذا ذكرت الرماح جس صدره هل نقب كأنه سلم كتاب الجبن صبيا ولقن كتاب القتل أعجمياً (وقالوا) فلان تقلصت من الفزع شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (وقالوا) فلان اذا نظرت اليه شزراً أغمى عليه شهرا (ومن أمثالهم) أجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه فى الشجر خشية أن ينام فيسقط وقيل غير ذلك وأشرد من ظليم وهو ذكر النعام * وينشد لعبد القيس بن خفاف يهجو جبانا

وهم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقراً واشرد من ظليم

(ومما) هو كناية عن الجبن قولهم فلان مشفق على الحياة راغب فى طولها (وذم بعضهم جبانا) فقال لو سميت له الحرب لعاف لفظها قبل معناها واسمها قبل مسماها (وذم آخر جبانا فقال)

اذا صوتت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

(وذم آخر جبانا) فقال فلان يزحف يوم الزحف الى خلف ويروعه الواحد وهو فى ألف (وذم آخر جبانا) فقال

لو كنت فى ألف ألف كلهم بطل * مثل المخنف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجرى حيث تأمرها * وفى يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار الى عدن * اذا تجرد سيف فى خراسان

(ذكر من لاقى فى الحروب الحرب فطوى بساط الارض مجداً فى الهرب)

(أبو الطيب المتنبى يذكر مهزومين)

وضاقت الارض حتى ان هاربهم * اذا رأى غير شىء ظنه رجلا

(وقالوا) فلان يفر من صرير باب وطنين ذباب فلان ولى منهزما قد سد الله فى وجهه كل طريق فكأنما

خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (وقال) الحجاج يصف هزيمة كالابل الشوارد الى أوطانها النوازع الى أعطانها لايلوى الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه (وقالوا) فلان ازهد فى الحرب من بنى العنبر وأدهش من مستطعم الماء على المنبر فامابنو العنبر فهم الذين يقول قائلهم من أبيات الحماسة

لكن قومي وان كانوا ذوى عدد * ليس من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
وكان ربك لم يخلق بخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

وأمامستطعم الماء فهو عبدالله بن خالد القسرى وسنذكر أمره فى الفصل الآتى ان شاء الله * وأظرف شئ هجى به جبان قول الطرماح بن بكر فى بنى تميم من أبيات

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم حرب لولت
ولو جمعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

ولآخر يهجو قوما جبناء

أسود اذا ما كان يوم وليمة * ولكنهم عند اللقاء ثعالب

﴿والمليح﴾ المتناهى فى الملاحة والابداع والاخذ بمجامع القلوب من غير دفاع ولا نزاع قول جرير فى بنى حنيفة

أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها
قطع الثمار وسقى النخل عادتهم * قدما وماجاوزت هذى مساعيها
لو قيل أين هوادى القوم ماعلموا * قالوا لاعجازها هذى هواديها
أو قيل ان حمام الموت آخذكم * أو تلجموا افرسا قامت بواكيها

(أبو تمام)

ولما رأى توفيل راياتك التى * اذا ما استقامت لايقاومها القلب
تولى ولم يأل القنا فى اتباعه * كأن الردى فى قصده هائم صب
غدا خائفا يستنجد الكتب مذعنا * عليك فلا رسل ثنتك ولا كتب
وما الاسد الضرغام يوما بتارك * فريسته ان أن أو بصبص الكلب
فرونار الكرب تلفح قلبه * وما الروع الا أن يخامره الكرب
مضى مدبرا شطر الدبور ونفسه * على نفسه من سوء ظن بها ألب
جفا الشرق حتى ظن من كان جاهلا * بدين النصارى ان قبلته الغرب

﴿الفصل الثانى من الباب الثانى عشر﴾

فى ذكر من جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء

قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم هذه الآية نزلت فيمن فر من المسلمين يوم أحد قال ابن اسحق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه ألف فانخذل منهم عبدالله بن أبى بن سلول وكان رأس المنافقين ومعه ثلث الناس ورجع

الى المدينة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة رجل وخرجت قريش في ثلاثة آلاف ومعهم مائة فارس فلما التقى الجمعان وتراءى الفريقان وحميت الحرب واشتبه الطعن بالضرب أبلى المسلمون فى الكافرين بلاءعظيما ونودي يومئذ لاسيف الاذو الفقار ولافتى الاعلى وقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشى غلام جبير بن مطعم وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل مصعب بن عمير وكان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قبلة بن قمئة فرجع وهو ينادى قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قتل والصارخ هو ابليس لعنه الله أزب العقبة فانجفل المسلمون وكثر الفشل فيهم وتفرق جمعهم عند الارجاف بقتل من كان يجمعهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب العدو منهم نكاية حتى خاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذفه المشركون بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج جبينه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح بفيه فسقطت ثناياه فسال الدم على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده وقال كيف يفلح قوم خضبوا بالدم وجه نبيهم وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص وانهزم المسلمون حتى انتهوا الى المنقى دون الاعوض وهم ظانون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فمر كعب بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه وعيناه تزهران من تحت المغفر فعرفه فرفع عقيرته يقول أيها الناس أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما عرفوه تداعوا اليه وجعل بعضهم يبشر بعضا ثم نهض المسلمون وقد انشعب صدعهم ونعت بالسلامة بعد الكسر جمعهم ونهض معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب فأدركهم أبي بن خلف فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة وطعنه بها في عنقه فرجع الى قومه وهو يقول قتلنى محمد فمات بسرف وهم قافلون به الى مكة وذب عن النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله ووقاه بيده فشلت اصبعه وجرح أربعا وعشرين جراحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب الحق طلحة * وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وفيها ولد الحسين بن علي * واستشهد فيه من المسلمين خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين ومابقى فن الانصار وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا * وذو الفقار كان لسليمان بن داود عليهما السلام أهدته له بلقيس مع ستة أسياف ثم كان لمنبة بن الحجاج فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم بدر (وفر) كسرى من ملاقاة بهرام جور فاتبعه الجيش وكان قد أعد معه فصوصا من زجاج مختلفة الالوان والاصباغ ودنانير من صفر مغشاة بالذهب فلما خاف أن يدركه نثر تلك الدنانير والفصوص على الارض فاشتغل الناس بجمعها فنجا بنفسه (ومن الجبناء حسان بن ثابت الانصارى) ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط قالت صفية بنت المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معنا حسان في حصن فارع يوم الخندق مع النساء والصبيان فمر بنافى الحصن رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن فقلت ياحسان أنا والله لا آمن أن يدل علينا هذا اليهودى أصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شغل عنا فانزل اليه واقتله قال يغفر الله لك ما أنا بصاحب شجاعة قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم

رجعت الى الحصن وقالت يا حسان انزل اليه واسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وكان حسان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله

بانت تشجعني هند وما علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الابصار رؤيته * ما يشتهي الموت عندي من له ارب
للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا ابغي فعالهم * لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

* وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام * ولاحمد بن ابي فنن في هذا المعنى مما نحاه من الاستطراد بالممدوح

مالي ومالك قد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتني رجلا * امسي واصبح مشتاقا الى التلف
اري المنايا على غيري فأفرقها * فكيف امشي اليها بارز الكتف
اخلت ان سواد الليل غيرني * وان قلبي في جنبي ابي دلف

اخذ قوله فكيف امشي اليها بارز الكتف من قول بعض الاعراب وقد قيل له اخرج الى الغزو فقال والله اني لاكره الموت على فراشي فكيف امشي اليه ركضا (ولما) دخل هذا الشاعر على المعتز قال له انت الشاعر الآدم فقال يا امير المؤمنين لا يضره سواده مع بيض اياديكم عنده (والفرار السلمي) واسمه حنان بن الحكم بن مالك فر من بني عوف فعرف في الجاهلية بالفرار وهو القائل في فراره

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذ لبست نفضت لها يدي
فتركتهم نقض الرماح ظهورهم * من بين منعفر وآخر مسندي
ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعد

(وفر) عامر بن الطفيل يوم الرقم وهو يوم كان لبني ذبيان واحلافهم على بني عامر (وفر) عامر بن زرارة ابن عدي الدارمي يوم اليسار وكان على بني تميم (وفر) عمرو بن معديكرب بن عباس بن مرداس واسرت اخته ريحانة (وفر) عتبة بن ابي سفيان (وفر) عمرو بن العاص من علي يوم صفين فاتبعه علي فلما خاف عمرو ان يدركه كشف عن سوأته فرجع عنه (وفر) عبد الله بن مطيع بن الاسود يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة المري العامري وهو القائل في قتاله لاهل الشام مع عبد الله بن الزبير

انا الذي فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره
فاليوم اجزي فرة بكره * لا بأس بالكرة بعد الفره

(وفر) اسلم بن زرعة يوم الاهواز من ابي بلال مرداس بن اديه الخارجي وكان اسلم في الفي رجل وكان ابو بلال في اربعين فكان اول امير انهزم في الاسلام وكان اذا ركب بالبصرة صاح به الصبيان في الطريق ابو بلال خلفك (وفر) عبد الله بن عمير الليثي من قتال النجدية في البحرين وكان وجهه حمزة بن عبد الله بن الزبير فكان عمير راس المحتسبة في الفتنة وفيه يقول الفرزدق

تمنيت عبدالله اصحاب نجدة * فلما لقيت القوم وليت سابقا
تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم * تركت لهم قبل الضراب السرادقا
فأعطيت مانعطى الحليلة بعلها * وكنت حباري اذ تلاقى البواشقا

فلم يزل مستحيا من الركوب حتى فر أمية بن عبد الله بن أسد بن خالد بن أسيد من الخوارج يوم مرد أجبر فوجد به اسوة وظهر (وفر) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد من الازارقة وكان معه امرأتان له احداهما غريبة من بني ليث بن كنانة والاخرى أم حفص بنت المنذر ابن الجارود فجملت الكنانية تنادي ابن فرسان الطعائن فطعنها رجل من الخوارج فقتلها وسبيت أم حفص وأقيمت جارية فيمن يزيد فبلغت مائة ألف درهم فوثب عمرو بن حديد بن عبد القيس فقتلها أنفة لها وذلك أنها كانت من أجمل النساء فأتى بها قطري فقال له ماحملك على مافعلت قال رأيت كافرة خفت على المسلمين فتنتها فخلى سبيله ثم ان قاتلها بعد ذلك أتى أخاها الحكم فقال له جزاك الله خيرا ماغسل عنا العار غيرك وأمر له بعشرة آلاف درهم

(وفي عبد العزيز يقول كعب الاشقري)

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين منجدل بجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منهزما بأصيل
سائل بعرسك هل تقادسية * تشكو اليك بعبرة وعويل

(وفر) أخوه خالد بن عبد الله يوم الجفر بالبصرة وذلك ان المروانيين اغتنموا أغفلة مصعب بن الزبير عنهم بالكوفة وكانوا بالبصرة فثار بهم خالد يدعو الى عبد الملك بن مروان فلما بلغ مصعبا الخبر أقبل من الكوفة الى البصرة ففر خالد منه الى الشام

(وفيه وفي اخوته يقول الفرزدق)

وكل بني السوداء قد فرفرة * فلم يبق الافرة في است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تمدون سودا ناغلاظ السواعد

(ومن الجبناء الحجاج بن يوسف الثقفي) دخل شبيب بن زيد الخارجي الكوفة سحرا ومعه غزالة زوجته وستون فارسا والحجاج بها في قصره مختفيا منه فحلفت غزالة على شبيب ليدخلن المسجد الجامع وليصلين في مقام الحجاج ففعل ثم خرج منها وفي ذلك يقول عمران بن حطان الخارجي (يخاطب الحجاج)

أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس * تركت مناظره كأمس الدابر

(وممن) كان يحضر الحروب ولا يقاتل الحجاج وأبو مسلم * ذكر الجاحظ عمن حدثه أن الحجاج كان اذا التقى الجمعان ذهب عنه التدبير فلا يدري ما يأتي وما يذر وكان أبو كعب مولاه هو الذي يدبر الجيش حتى تضع الحرب أوزارها * وأما أبو مسلم فكان ينصب له عند ملاقاته لعدوه عرش فيجلس عليه ويسدد

من آرائه سهاما أهدافها الصدور والظهور ويجرد من أوامره أسيافا أغمادها الجفون والنحور وزياد وابنه عبدالله وأحمد بن طولون (ومن أظرف مايحكى) أن البحترى شرب مع أبى هفان عند بعض الرؤساء فلما خرج اركب البحترى بغلته وأردف أباهفان خلفه فلما كان ببعض الطريق قال ابو هفان أباعبادة من الذى يقول يالبس للحـــرب أثوابها * وقال أنا الشاعر البحترى

فلما رأى الخيل قد أقبلت * اذاهو فى سرجه قد خرى

فدفعه البحترى من خلفه وقال ياماص بظر أمه تتنادر وأنت فهد والشعر لابى هفان ارتجالا قاله على سبيل المداعبة ومن هنا اخذ المتنبى قوله

واذا ماخلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا

﴿ ومن نوادر اخبار الجبناء فى مواطن الحروب والبلاء ﴾

(حكي) ان عمرو بن معديكرب مر بحى من احياء العرب واذاهو بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبها فى وهدة من الارض يقضى حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فانى قاتلك لامحالة فالتفت اليه وقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معديكرب قال انا أبو الحرث ولكن ما انصفتني انت على ظهر فرسك وأنا فى وهدة فأعطنى عهدك أن لا تقتلنى حتى أركب فرسى وآخذ حذرى فأعطاه عهدا على ذلك فخرج من الوهدة التى كان فيها وجلس محتبيا بحمائل سيفه فقال له عمرو ماهذا الجلوس قال ماأنا براكب فرسى ولامقاتلك فان كنت نكثت العهد فأنت اعلم ماياتى الناكث فتركه ومضى وقال هذا أجبن من رأيت

(وقال) روح بن حاتم لابى دلامة اخرج معى فقاتل وهذه عشرة آلاف درهم فقال

انى أعوذ بروح ان يقربنى * الى الحمام فيشقى بنو أسد

ان البراز الى الاقران نعرفه * ممايفرق بين الروح والجسد

قد خالفتك المنايا اذ صمدت لها * واصبحت لجميع الناس بالرصد

ان المهلب حب الموت اورثكم * وماورثت لحب الموت عن احد

لو أن لى مهجة اخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

(وخرج) مروان بن محمد لمحاربة الضحاك الحرورى فلما التقى الجمعان خرج من اصحاب الضحاك فارس فدعا الى البراز فقال مروان من يخرج اليه وله عشرة آلاف درهم فقال ابو دلامة أنا وخرج طمعا فى الجائزة فرأى رجلا عظيم الهامة وعليه فرو قد اصابته السماء فابتل ولحقته الشمس فيبس حتى صار كالقد لايعمل فيه السيف فلما رآه الفارس جرى اليه وهو يرتجز

وخارج اخرجه حب الطمع * فرمن الموت وفى الموت وقع * من كان يهوى اهله فلا رجع

فخافه ابو دلامة فلوى جواده هاربا واتخذ من خوفه فى الارض نفقا كما اتخذ الحوت لنجاته فى البحر سربا فقال مروان من هذا الفاضح لا انجاه الله فقال ابو دلامة فر ولا انجاه الله خير من قتل ورحمه الله واسم ابى دلامة زند بالنون وقيل زيد بالباء الموحدة واسم امه الجون (وقال) عمرو بن هبيرة لاعرابى جزع من الحرب قاتل وخذ الرزق قال قدم لى رزقى قال حتى تقاتل قال الاعرابى أرى منيتي معجلة ومنيتى مؤجلة

(وقيل لمدنى) ألا تغزو الاعداء قال أنا لا أعرفهم وهم لا يعرفونى فكيف صرنا أعداء (وقيل) وقع فى بعض العسكر هيج فوثب خراسانى الى فرسه ليلجمها ويفر عليها فصير اللجام فى الذنب وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت ناصيتك كيف طالت (وفر) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد من أبى فديك فسار من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام فذكر عنده فى بعض الايام الخيل فقال سرت من المهرجان الى البصرة فى ثلاثة ايام فقال له ماجن من جلسائه ولو ركبت النيروز سرت اليها فى يوم واحد (واجتاز) كسرى فى بعض حروبه بشيخ وقد عرى فرسه ونزع سلاحه وهو مستظل بشجرة فقال يامقتولا بيدى انافى كرب الحرب وأنت على هذه الحالة فقال الشيخ ايد الله الملك انما بلغت هذا السن باستعمال هذا التوقى (وقال المهلب) لحبيب بن عوف وكان من جنده فى قتال الخوارج كر على القوم وخذ مائتين صحاحا فأومأ الى رأسه وقال اخاف ان يذهب رأس المال وأنشد

يقول لى الامير بغير نصح * تقدم حين جد بنا المراس
فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غير هذا الرأس راس

(ولبعض الشعراء)

ولو أن لى رأسين أدخر واحدا * وألقى الاعادى بعد ذاك بواحد
لاقدمت فى الهيجاء اقدام باسل * ولم أك هيابا لدفع الشدائد
ولكن لى رأسا اذا ما فقدته * وفارقنى يوما فليس بعائد

(ومما ينسب لابى دلامة)

ألا لا تلمنى ان فررت واننى * أخاف على فخارتى أن تحطما
وأيتم أولادا وأرمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما
ولو كان لى نفسان مقاتلا * باحداهما حتى تموت فأسلما

(وحكى) ابن حبيب فى كتابه المحبر أن حبيبا دخل على المهلب بن أبى صفرة فأنشده

فقدتك يا مهلب من أمير * أما تندى يمينك للفقير

فقال المهلب هو جنتى فوالله انى لابذل لكم مالى وأقيكم الحروب بنفسى فقال حبيب انا نكره احجامك بنا المنايا فقال المهلب أوليس قد قال الاول

اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال المنايا بالفتى أن تقطعا

فقال حبيب خفض العيش والدعة والاعتياض عن الضيق بالسعة ثم أنشده ما قاله حين فر من أبى فديك يوم مرداهجر

بذلت لكم ياقوم حولى وقوتى * ونصحى وما حازت نداى من التبر
فلما تناهى الامر بى وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهري
وطرت ولم أحفل ملامة عاجز * يقيم لاطراف الردينية السمر
ولو كان لى رأسان أهملت واحدا * لكل رديني وأبيض ذى أثر

فضحك منه ثم التفت الى من حضر مجلسه وقال بمثل هذا فليقاتل الاعداء (وقيل لانسان) اذا رأيت سودا

بالليل فاقدم ولا تفرق منه فانه يخافك كما تخافه قال أخاف أن يكون ذلك الـ وادسمع هذه المقالة قبلى (وقيل) لمطرف بن عبد الله لم لا تخرج تقاتل مع على رضى الله عنه قال لو كان لى نفسان قدمت احـدهما فان أصابت الحق أتبعتها الاخرى ولـكنها واحدة (ودخل) حميد بن الارقط على الحجاج فأنشده قصيدة شاعر مختارة فى صفة الحروب فقال الحجاج أراك تحسن صفة الحرب أقاتلت الابطال وقابلت الاقبال قال لا ايها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهت وانا منهزم فضحك منه ووصله

﴿ صفات من بذل ثباته بالاحجام وقيد بالفرق قدمه عند الاقدام ﴾

قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهر (وقالوا) فلان من خوفه يحسب كل صيحة عليه وكل بد تشير بالاخذ اليه شاعر

ما زلت احسب كل خيل بعدها * خيلا تكر عليهم ورجالا

(آخر) كان بـلاد الله وهى عريضـة * على الخائف المطلوب كفة حابل

﴿المتنبى﴾ وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(آخر) كان بـلاد الله فى ضيق خاتم * عليهم فلا تزداد طولا ولا عرضا

(وقالوا) فلان تقلصت من الخوف شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (ومن امثالهم) أجبن من المنزوف ضرطا وذلك أن رجلا كان يتعشق نساء وكان يدعى عندهن الشجاعة فنام عندهن يوما فأردن امتحانه فصحن به جاءتك الخيل فانتبه مذعورا وما زال يضرط حتى مات (قال ابو عبيدة) كان خالد بن عبد الله القسرى من اجبن الناس واخوفهم فخرج عليه المغيرة بن سعيد فأخبر بذلك وهو على المنبر بالكوفة فدهش من شدة الخوف واصطكت اسنانه وجفت لهاته فقال اطعمونى ماء وادركونى فقد هلكت عطشا ونزل عن المنبر هاربا (وفيه يقول يحيى بن نوفل)

بل السراويـل من خوف ومن وهـل * واستطعم الماء لما جد فى الهرب

(ودخل) الحجاف بن حكيم على عبد الملك مروان والاخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال يعرض به

ألا ابلغ الحجاف هل هو نائر * بقتلى اصيبت من سليم وعامر

(فقال الحجاف) بل سـوف نبكيهم بكل مهند * ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ علىّ بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فخم الاخطل خوفا منه وجزعا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى اليقظة فمن يجيرنى منه فى النوم أخذ هذا المعنى أشجع السلمى فقال من قصيدة يمدح بها الرشيد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبـه رعتـه واذا غفا * سلت عليـه سيوفك الاحـلام

(وقالوا) فلان تخوفه أضغاث أحلام فكيف مسموع كلام فلان يرى صوت الرياح قعقعة الرماح فلان اذا خاف طار من خوفه كل مطار وفر فرار الليل من وضح النهار

﴿ الفصل الثالث من الباب الثانى عشر ﴾

﴿ فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما ينفي عنه الملام ﴾

سمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نريد (وقال) الوليد بن عقبة لعثمان بن عفان يقول لك عبد الرحمن بن عوف لم جفوتني ولم أفر يوم احد ولم اتخلف يوم بدر يعرض به فقال أما فراري يوم أحد فلا تعيرني به فان الله قد عفا عني فيمن عفا عنه وأما تخلفي يوم بدر فاني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت فأخبره عني بذلك (ونظرت) امرأة حماس بن قيس البكري المعروف بالهارب له وقد رأته يشحذ حربته يوم فتح مكة وهو يقول

ان تقبلوا اليوم فمالي علة * هذا السلاح كامل واله * وذو غرارين سريع السلة

فقالت ما تصنع بهذه الحربة فقال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت اني أرى أنه لا يقوم لك بها شيء قال والله اني أرجو أن أخدمك بعضهم ثم خرج فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وانهزم المشركون يوم الخندمة وفر حماس حتى دخل بيته فقال لامرأته اغلقي الباب فقالت له وأين ما كنت تقول فقال

لو انك شهدت يوم الخندمة * اذ فر صفوان وفر عكرمة

اذ قد لحقنا بالسيوف المسلمة * لهم نشيش حولنا وهمهمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة * ضربا فلا تسمع الا غمغمة * لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

(وذكر) ان كسرى ابرويز لما انهزم من بهرام جور واستجار بملك الروم فعنفه على هربه وأمده بستين ألفا منهم شجاع يعد بألف فسار بهم الى بهرام فخرج بهرام لمحاربته فلما تلاقى الجيشان برز الشجاع لبهرام فضربه بالسيف ضربة قده بها نصفين فلقه كسرى وأنفذه الى ملك الروم وقال انما فزعت اليك من رجل يضرب بمثل هذه الضربة (وذكر) الطرطوشي في كتابه سراج الملوك أن هذه الضربة لم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام وان هذه الرأس كانت معلقة في كنيسة من كنائس الروم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم من تلك الوقعة يقولون لقينا رجالا هذا ضربهم (وحكي) ان أبا زبيد الطائي واسمه حرملة بن المنذر دخل على عثمان بن عفان فلامه على فراره من الاسد لما عرف من شجاعته فقال يا أمير المؤمنين لا تلمني لقد رأيت منه منظرا وشهدت مخبرا لا يزال ذكره يتجدد في قلبي وشخصه يتمثل في عيني خرجنا نريد الحرث بن شمر الغساني ملك الشأم فأصابنا قيظ ذبلت منه الشفاه وعصبت الافواه فانحزنا الى واد أشجاره مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا ثم أخذنا نصف حربومنا ونذكر مطاولته ومماطلته فبينما نحن كذلك اذ صوت اقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم ما لبث ان جال محمحما وبال مهمهما فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فحدقنا أبصارنا واذا سبع قد أقبل يتطاول في مشيته كأنه مجنوب وينظر بعينين كأنهما جمر مشبوب له خطيط ولصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنه يخبط هشيما ويطأ صريما ذو هامة كالمجن وخد كالمسن وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن ومخالب كالمحاجن فضرب بذنبه الارض فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة في فم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فأشرع بيديه وحفز وركيه برجليه فصار

ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر وزأر فجرجر ثم لحظ فروى السماء عرشه تخلت البرق بتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدى واصطكت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحت العيون وانحزت المتون ولحقت الظهور بالبطون وساءت الظنون ثم أنشد

عبوس شموس مصلخد خنابس * جرى على الارواح للقرن قاهر
منيع ويحمى كل واد برومه * شديد أصول الماضغين مكابر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضا فى وجهه الشرطائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق منها خناجر

فقال له عثمان اكفف لا أم لك لقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد مواثبتى وكان أبو زبيد هذا نصرانيا ومات ولم يسلم وقد ذكر علماء الرواة لاخبار العرب وأشعارها هذه الحكاية بأطول مما أثبتناه لكنا استغنينا باليسير منها عن الكثير لدلالته على الغرض المقصود فى ذكره للاسد بالوصف الشنيع والمرأى الفظيع ليبلغ فى الاعتذار عن مربه مقتضى أربه فلما لم يكن بنا لذكرها على التمام حاجة اقتصرنا على الخلاصة منها الا الحاجة

﴿من﴾ أحسن من الجبناء فى اعتذار ملاقرع على انهزامه وفراره الحرث بن هشام وكان قد شهد بدرا مشركا فانهزم فصنع حسان قصيدة استطرد به فيها يقول منها

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة ان تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فاجابه الحرث

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان اقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهد
وشممت ريح الموت من تلقائهم * فى زماق والخيل لم تتبدد
فصدفت عنهم والاحبة دونهم * طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وأنشد هذا الاعتذار لبعض ملوك العجم فقال يامعشر العرب لقد بلغتم بلطافة ألسنتكم وحسن احتجاجكم وجميل أوصافكم مبلغا لم يبلغه أحد غيركم حتى اعتذر ثم عن الفرار بعذر يسع بعدكم الاعتذار به لكل منهزم وتوفى الحرث هذا سنة ثمان عشرة بالطاعون وهو طاعون عمواس قرية بالشام وفيها توفى أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهم (ويقال) ان عبد الله بن عنقاء الجهمى لقيه بنو عبس بسوق بامرأته أم الحصين ففر عنهم فعيرته امرأته فقال

أجاعلة أم الحصين خزاية * على فرارى أن لقيت بنى عبس
لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاشت من لقائهم نفسى
جذيمة دعواهم وعود بن غالب * أولئك جاشت من لقائهم نفسى
كأن جلود النمر صبت عليهم * اذا جمعوا بين الاباحة والحبس
أتونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن فعل النار بالحطب اليبس

نحوت سليمى لم تمزق عمائمى * ولكنهم بالطعن قد مزقوا رمسى
وليس الفرار اليوم عارا على الفتى * اذا عرفت منه الشجاعة بالامس

(وقيل لبعضهم) لم انهزمت فقال انما لى نفس واحدة وانا حقيق بالنظر اليها لئلا يذهب رأس المال (وليم) آخر على فراره فقال الحرب سجال وعثراتها لا تقال (وانهزم بعضهم) فأخذ أميره يوبخه ويعنفه على فراره وقال أعطبت بيدك ولا طعنت ولا ضربت فقال لان يشتمنى الامير أصلحه الله وأنا حى خير من أن يترحم على وأنا ميت (وقيل لآخر) ولى فى حرب ويلك لا تهرب يغضب الامير عليك فقال غضب الامير على وأنا حى أحب الى من رضاه عنى وأنا ميت ﴿ ومن ﴾ أغاليط أعاذيرهم المسكتة وأكاذيب أساطيرهم المبكتة ماذكره صاحب كليلة ودمنة من ان الحازم يكره القتال ما وجد بدلا منه لان النفقة فيه من النفوس والنفقة فى غيره من المال (التقى) عسكر دبيس بن صدقة وعسكر الراشد فولى دبيس منهزما فعبر الفرات يريد النجاة فقصد بعض أحياء العرب فقالت له عجوز من عجائزهم دبير اجئت فقال دبير من لم يجئ (وقالوا) من جبن سلم ومن تهور ندم (وقال) عبد الله بن المقفع الشجاعة متلفة وذلك ان المقتول مقبلا أكثر من المقتول مدبرا فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة (وقيل لجبان) لم لا تقاتل فقال عند النطاح يغلب الكبش الاجم (وقالوا) الحياة أفضل من الموت اذا كانت النجاة الى حياة صالحة على ان موتا فى عز خير من حياة فى ذل (وقالوا) الفرار فى وقته ظفر (وقالوا) الشجاع ملقى والجبان موقى (وقالوا) السلم أزكى للمال وأبقى لانفس الرجال (وقال) شاعرهم وهو البديع الهمدانى

ماذاق هما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتوانى

(وقالوا) الهرب فى وقته خير من الجلد والثبات فى غير وقته (وقال) المتوكل لابى العيناء انى لافرق من لسانك فقال يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق واحجام واللئيم ذو وقاحة واقدام

﴿الباب الثالث عشر فى العفو وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

﴿فى مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو﴾

قال الله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم وقال تعالى فمن عفى وأصلح فأجره على الله وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة (وقال) عليه الصلاة والسلام ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ما من امام عفا بعد قدرة الا قيل له يوم القيامة ادخل الجنة بغير حساب (وقال) معاذ بن جبل لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما زال جبريل يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت انه يوصينى بترك الحدود (وقيل) لابى الدرداء من أعز الناس قال الذى يعفو اذا قدر وينصر اذا استنصر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عفا عمن ظلمه صغيرة أو كبيرة فأجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقربين يوم القيامة (وحده) على ماقاله بعض العلماء وقد سئل عنه هو ترك المكافأة عند القدرة قولا وفعلا (وقال آخر)

هو السكون عند الاحوال المحركة للانتقام وهو يجمع أشرف الخلال وأكرم الخصال وأفضل شمائل الجلال وأعلى مراتب الكمال وركن متين وحصن حصين من استند اليه واعتمد عليه استنارت له الظلم وأمن من عثرات القدم وعصم من مواقع الندم * ويكفى فى شرفه ان الانسان لا يسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محتسبا صبورا وحتى يجمع عظم القدر الى سعة الصدر (وقالوا) الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة وهو غريزة فى الانسان يمنحها واهب الاحسان تصدر عن صدر سالم من الغوائل والادواء صاف من شوائب الكدر والاقذاء لا تستطاع بتعلم وتفكر ولا تدرك بتفقه وتبصر كما قال أبو الطيب المتنبي

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد

فقد يكون طبيعة ويكون مكتسبا مستفادا تمرن النفس اليه وتنقاد حبا فى المحمدة اليه * ويعضد هذا ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس يا أبا المنذر ان فيك خصلتين يرضاهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أشئ جبلنى الله عليه أو شئ اخترعته من قبل نفسى قال بل شئ جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلق يرضاه الله ورسوله وقال المخالفون لهذا المذهب الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم واستدلوا لهذا القول بما يروى أن جعفر بن محمد الصادق كان اذا أذنب له عبد اعتقه فقيل له فى ذلك فقال انى أريد بفعلى هذا تعلم الحلم * وقيل كان له عبد سيئ الخلق فقيل له ما بقاء مثل هذا عندك وأنت قادر على أن تستبدل به غيره قال لا تعلم به الحلم ومن ذلك قول الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وأنشد

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لا يتم الحلم للمرء موسرا * اذا هو عند العسر لم يتحشم

(ومن) أحاسن الكلام الصادر عن الحكماء فى شرف الحلم ومن تخلق به من الحلماء (قالوا) الحلم والاناة توأمان نتيجتهما علو الهمة * وهذا كما ورد عن على رضى الله عنه انه سأل رجلا من أهل فارس عمن كان أحمد ملوكهم سيرة قال أنوشروان فقال على أى أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على هما توأمان نتيجتهما علو الهمة * والاناة ترك العجلة بالانتقام عند القدرة قال ابراهيم بن العباس الصولى

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال) قابوس بن وشمكير العفو عن الذنب من واجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم * ومن كلام النبوة كاد الحليم أن يكون نبيا (ورأى) حكيم نزقة من ملك فقال أيها الملك ليس التاج الذى يفتخر به عظماء الملوك فضة ولا ذهبا ولكنه الوقار المكلل بجواهر الحلم وأحق الملوك بالبسطة من حلم عند ظهور السقطة (وقال) معاوية لابنه يزيد عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فاذا أمكنتك فعليك بالصفح فانه يدفع عنك معضلات الامور ويوقيك مصارع المحذور وقال الشاعر

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الامنع

ان جرعوك الغيظ فاجرعه لهم * تؤجر وتحمد غب ماينجرع

(آخر) ان التحلم ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة أفضل من الكرم

(وقال معاوية) أفضل ما أعطى الرجل الحلم فانه اذا ذكر ذكر واذا قدر غفر واذا أساء استغفر (وقالوا) العفو يزين حالات من قدر كما يزين الحلى قبيحات الصور (وقالوا) الحلم مطية وطية تبلغ راكبها قصبة المجد وتملكه ناصية الجد (وقال) بعض البلغاء من غرس الحلم شجرا وسقاه الاناة دررا جنى العز منه ثمرا وأنبت المكارم أثرا شاعر

اذا شئت يوما ان تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

فللحلم خير فاعلمن مظنة * من الجهل الا أن تشينه بالظلم

(آخر) اخفض جناحك للقرابة والقهم * بتودد واغضض لهم ان أذنبوا

وصل الكرام فان ظفرت بزلة * فالصفح عنهم والتجاوز أقرب

(آخر) ألا ان حلم المرء أكرم نسبة * تسامى بها عند الفخار كريم

فيارب هب لى منك حلما فانني * أرى الحلم لم يندم عليه حليم

(وقالوا) الحلم حجاب الآفات (وقالوا) من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم (وقال) عمر بن عبد العزيز ماقرن الله شيأ الى شئ أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة (وقال حكيم) خير الامور بغية العفو وخير العفو ما كان عن قدرة وقال الشاعر

العفو يعقب راحة ومحبة * والصفح عن ذنب المسيء جميل

(وقال) عمر أيضا استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس والرحمة بهم والشفقة عليهم (وقالوا) اعف عمن لم يسلك من سخطك طريقا حتى يأخذ من رجائك طريقا (ويروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من أحسن اليك انما تلك مكافأة وانما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك (وقال) سعيد بن العاص ماشاتمت أحدا مذ صرت رجلا لانى ماشاتم الا أحد رجلين اما كريما فانا أحق أن احتمله أو لئيما فانا أولى من رفع نفسه عنه (وقال) عمر بن الخطاب ادرؤا الحدود بالشبهات ولان يخطئ الامام فى العفو أحب الى من أن يخطئ فى العقوبة فاذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا الحدود (شاعر)

ومابال من أسعى لاجبر عظمه * سفاها وينوى من سفاهته كسرى

أظن خطوب الدهر بينى وبينهم * ستحملهم منى على مركب وعر

أعوذ على ذى الجهل والحلم منهم * بحلمى ولو عاقبت غرقهم بحرى

اناة وحلما وانتظارا بهم غدا * وما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

ألم تعلموا أنى تخاف عزيمتى * وان قناتى لاتلين على الكسر

﴿ من عرف بالعفو عند خطأ الجانى وصار بالاناة عليه كالاب الحانى ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حليما رحيما رؤفا عطوفا يهب ويسمح ويعفو ويصفح (وكان) كسرى يقول عفوى عمن أساء الى بعد قدرتى عليه أسر لى مما ملكت (وكان) معاوية يقول ماوجدت لذة ألذ

عندى من غيظ أتجرعه ومن سفه بالحلم أقمعه * وكان يقول انى لاكره ان يكون فى الارض جهل لا يشمله حلمى وذنب لا يسعه عفوى (وكان) المأمون ممن أوتى الحلم طبعا لا تطبعا ومنح العفو خلقا لا تخلقا فكان يقول انى لاستحلى العفو حتى أخاف انى لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتى فى العفو لتقربوا الىّ بالذنوب فكأنه القائل بلسان كرمه وافضاله لا بلسان نطقه ومقاله

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

(عامر العدوانى)

انى غفرت لظالمى ظلمى * وتركت ذاك له على علمى
فرأيته اسدى الىّ يدا * لما ابان بجهله حلمى

(وكان) يقول ليس فى الحلم مؤنة ووددت ان أهل الجرائم عرفوا رأيى فى الحلم حتى يذهب عنهم الخوف فتصفو الىّ قلوبهم (وكان) يقول المذنبون ثلاثة فمنهم من ذنبه مقرون بعذره قد اماطه عنه واخرجه سليما منه ومنهم من ذنبه فاضح وعذره غير واضح وهو فرد لا اخ له وفذ لا توأم معه فالاولى به ان يقال اذا اعترف بالحوبة واخلص لى التوبة ومنهم المتردد فى هفواته والمتكرر فى عثراته الجارية عادته ان يكثر التوبة اذا تاب ويفسخ عقد الانابة متى اناب فذاك الذى يعاقب بالاطراح ولا يطمع فى شخصه بالفلاح (وكان) اسماء ابن خارجة يقول ما اتانى احد بما أكره الا اخذت عليه بثلاث خصال فان كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاتبعته وان كان دونى صنت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه

(نظم محمود الوراق هذه الكلمات فى هذه الثلاثة الابيات فقال)

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه علىّ الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذى دونى فان قال منكرا * صفحت له عنه وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل أو هفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

(الناشى فى مثل هذا)

اذا كان دونى من بليت بجهله * أبيت لنفسى ان اقابل بالجهل
فان كنت أدنى منه فى العلم والحجى * عرفت له حق التقدم بالفضل
وان كان مثلى فى محل من النهى * اردت لنفسى ان اجل عن المثل

(وقال المأمون) وجدت المسىء الىّ عبد الله ولو اساء الىّ عبد لاخ لصفحت عنه اكراما له فكيف لا أصفح عن عبد مسىء هو عبد الله تعالى

(ولابى فراس الحمدانى)

ما كنت مذ كنت الا طوع خلانى * ليست مؤاخذة الاخوان من شانى

يجنى الخليل فاستجلى جنايته * حتى ادل على عفوى واحسانى
يجني علىّ واحنو دائما ابدا * لاشئ احسن من حان على جان

(وقال رجل) للاحنف فى مشاجرة وقعت بينهما ان قلت كلمة لتسمعن عشر كلمات فقال الاحنف لو قلت عشر الم تسمع واحدة

﴿ ومن ﴾ حكاياته الدالة على كرم نجره القاضية له بتضعيف أجره أن رجلا جعل له ألف درهم على أن يغضبه فوقف الرجل وبالغ فى سبه والاحنف يعرض عنه غير مكترث به فلما رآه لا ينظر اليه ولا يرد عليه أقبل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه ولهذا قيل الحليم من صم عن سماع الخنى وأغضت عيناه على مضض القذى

(ما اخترناه وانتقيناه من غرر المادح المقولة فيمن أغضى عن المسىء القادح)

(مدح) اعرابى رجلا بالحلم فقال ان أذنبت اليه استغفر فكانه المذنب وان أحسن اليك اعتذر فكانه المسىء (الحسن بن رجاء) فى المأمون

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما

(وقال آخر) يعفو عن الذنب العظيم وليس يعجزه انتصاره
صفحا على الباغى عليه وقد أحاط به اعتذاره

(وقال أبو الحسن مهيار بن مردويه الديلمى من أبيات)

واذا اباه المرء قال لك انتقم * قالت خلائقك الكرام بل احلم
شرع من المجد انفردت بدينه * وفضيلة لسواك لم تتقدم
حتى لقد ود البرىء لو أنه * أدلى اليك بفضل جاه المجرم

(ولغيره من أبيات)

فدهره يصفح عن قدرة * ويغفر الذنب على علمه
كأنه يأنف من أن يرى * ذنب امرئ أعظم من حلمه

﴿ الفصل الثانى من الباب الثالث عشر ﴾

فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسىء الاعتذار

ولنبدأ الآن بما يجب على الاحرار من الصفح المتبجج بالاقتدار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقبل عذرا من معتذر صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض (وقالوا) الكريم أوسع ما يكون مغفرة اذا ضاقت بالمسىء المعذرة (شاعر)

اذا اعتذر المسىء اليك يوما * من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

(ويقال) توبة المذنب اقراره وشفيع المجرم اعتذاره (وقال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

(وقالوا) لا يظهر الحلم الا مع الانتصار ولا يبين العفو الا عند الاقتدار (شاعر)

ان للاعتذار حظا من العفو * ويراه المقر بالانصاف
ولعمرى لقد أجلك من قد * جاء مقرا بذلة الاقتراف

(آخر) اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

(وقالوا) ما أذنب من اعتذر ولا أساء من استغفر (وقال) محمد بن بشير ذا الاصاغر يهفون والا كابر يعفون (كتب بعضهم) الى رئيس يعتذر اليه من ذنب اقترفه

اغتفر زلتى لتحرز فضلى * واعف عنى ولا يفوتك اجرى
لا تكلنى الى التوسل بالعذر * لعلى أن لا أقوم بعذرى

(ومن وصاياهم) اياك وتكرير العذر فانه تذكير بالذنب (وقال الشاعر)

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(ومن وصاياهم) اياك وما يعتذر منه * وقولهم اياك وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره

فما كل من أسمعته نكرا يطيق أن توسعه منك عذرا

﴿ ذكر من قدر من الصدور فعفا وأثلج الصدور بالمنة وشفى ﴾

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك أن اهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بالقول فقالوا كذاب وساحر ومجنون وغير ذلك من السب والشتم وبعدها بالفعل فكانوا يقصدون نكايته فى نفسه وأهله ولكثرة ايذائهم له قال ما أوذى أحد مثل ما أوذيت رموه بالحجارة فشجوا جبينه وكسروا رباعيته ووضعوا الشوك فى طريقه وشقوا الكرش على رأسه وحاربوه وقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وألبوا عليه وأخرجوه من أحب البقاع اليه وقتلوا عمه حمزة وبقروا بطنه ومثلوا به حتى اذا فتح الله مكة على يديه ودخلها بغير حمدهم وظهرت بها كلمته على رغمهم أخذ بعضادتى باب الكعبة وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال ما تقولون وما تظنون انى فاعل بكم فقال سهيل ابن عمرو نقول خير ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء (ولما) ظفر انوشروان ببزرجمهر وكان قد ترك دين المجوس قال الحمد لله الذى أظفرنى بك قال كافئ من أعطاك ما تحب بما يحب فعفا عنه (وحكى) عن سلم ابن نوفل وكان سيد قومه أن رجلا ضرب ولده فشجه فأتى به اليه فقال له ما حملك على ما فعلت وما الذى أمنك من انتقامى منك فقال الرجل انما سودناك لانك تحلم وتكظم الغيظ وتحتمل جهل الجاهل فقال له انى آثرت حلمى وكظمت غيظى واحتملت جهلك خلوا عنه فولى الرجل وهو يقول

تسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

(وحكى) أن عبد الملك بن مروان نقم على رجل ذنبا فهرب منه فلما ظفر به هم بقتله فقال له الرجل ان الله قد فعل ما أحببت من الظفر فافعل ما يحبه من العفو فان الانتقام عدل والتجاوز فضل والله يحب المحسنين فعفا عنه * واساء بعض جلسائه عليه الادب فاطرحه وجفاه ثم دعاه بعد ايام لامر عن له فرآه شاحب اللون نحيلا فقال له متى اعتللت فقال مامسني سقم ولكنني جفوت نفسي مذ جفاني الامير فاستحسن ذلك منه وعفا عنه (وقال الاصمعى) اتى المنصور برجل ليعاقبه على شئ بلغه عنه قال له أتحصيه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين دون ان يبلغ ارفع الدرجتين فعفا عنه (وقال المنصور) لجان عجز عن الاعتذار ماهذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة تلقى بالاستكانة والخشوع والذلة والخضوع فرق له وعفا عنه (وسعى) الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر عنه الميل الى بني على بن ابى طالب والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك اوسع من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فانت له أهل

فعفا عنه (وأتى) المنصور برجل أذنب فقال يا أمير المؤمنين ان الله أمر بالعدل والاحسان فان أخذت فى غيرى بالعدل فخذ فى بالاحسان فعفا عنه (وأتى) الهادى برجل فعل ما أنكره عليه فجعل يقرعه ويوبخه ويهدده ويتوعده فقال يا أمير المؤمنين اعتذارى عما تقرعني عليه ردّ عليك وامساكى عن الاعتذار يوجب ذنبا لم أجنه ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى القيامة رحمة * فلا تزهدون فى العفو عنى وفى الاجر

(ولما) خرج ابراهيم بن المهدى على عبد الله المأمون عندما عقد لعلىّ بن موسى الرضا بولاية العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضرة كره أهل بغداد ذلك وبايعوا ابراهيم ولقبوه بالمبارك وذلك فى سنة اثنتين ومائتين فأقام سنة واحد عشر شهرا وأياما يخطب له ثم دخل المأمون بغداد فى صفر سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات فيها الشافعى وعليه الخضرة فاختفى ابراهيم ولم يظهر الى سنة عشر فلما ظفر به المأمون أوقفه بين يديه وقد اجتمع فى مجلسه وجوه دولته ووزراؤها وقضاتها وكتابها وأمراؤها وقوادها فاستشار من حضر فى أمره فكل أشار بقتله وكان فيمن حضر أحمد بن أبى خالد ساكتا لايتكلم ولا يفيض معهم فى شئ من ذلك فقال له المأمون مالك لاتنطق فقال يا أمير المؤمنين كم قتل مثلك مثله ولم يعف مثلك عن مثله ولان تكون أوحد فى العفو أحب الىّ من أن تكون شريكا فى العقوبة فأعجب المأمون كلامه وعفا عنه * ويروى أنه لما مثل بين يديه قال له ما حملك على اجترام ما أداك الى حتفك قال القدرة تذهب الحفيظة وولى الثار مخير فى القصاص والعفو والعفو منك أقرب وقد جعلك الله فوق كل ذى حلم كما جعلني فوق كل ذى ذنب فان تعف فبفضلك وان تعاقب فبعدلك وانه وان كان ذنبي أعظم من أن يحيط به عذر فعفو أمير المؤمنين أعظم من أن يتعاظمه ذنب فقال المأمون قد رأيت وما توفيقي الا بالله تحقيق ظنك فى العفو عن خطيئتك

والصفح عن جليل جرمك واقالتك العثرة وامانك على نفسك وأنشد

لما رأيت الذنوب جلت * عن المجازاة فى العقاب
جعلت عنها العقاب عفواً * أمضى من الضرب للرقاب

(كان) أبو نواس قد غلب على قلبه حب الامين والتهالك فيه والغرام حتى قال فيه

عذب قلبي ولا أقول بمن * خافه لا أخاف من أحد
اذا تفكرت فى هواى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى

فاتصلت هذه الابيات بالمأمون فقال من يقال فيه هذا يصلح ان يكون خليفة للمسلمين فبلغ ذلك الامين فأمر بقتل أبى نواس حيث وجد فشفع فيه فأمر بحبسه ولا يمكن من ورقة ولا دواة فحلق رأس عبد له وكتب فيها بالفحم

بك أستجير من الردي * متعوذاً من سطو باسك
وحياة رأسك لا أعو * د لمثلها حياة راسك
من ذا يكون أبا نوا * سك ان قتلت ابا نواسك

وكتب تحت الابيات اذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يخرقها ثم قال للغلام سر الى دار الخلافة فاذا جئتها فناد نصيحة لامير المؤمنين فاذا دخلت على الخليفة اكشف رأسك ليرى ما فيها مكتوبا ففعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الامين الابيات ضحك وقال ما ألطفه وأظرفه وأمر باطلاقه (وحكى) عبد الرحمن اليزيدى قال حضرت مجلس المأمون وهو على شراب فدعانى وأكرهنى حتى شربت فكلمنى بكلمة فى حال السكر فاجبته عنها جوابا قبيحاً وأنا لا أعلم لما آخذ الشراب منى وغلبة السكر علىّ فاعلمت بذلك بعد انصراف المجلس فكتبت اليه

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولولم يكن ذنب لما عرف العفو
ثملت فابدى مني الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوى السكر والصحو
تنصلت من ذنبي تنصل ضارع * الى من اليه يحسن العفو والسهو
فان تعف عني الف خطوى واسعا * وان تكن الاخرى فقد قصر الخطو

فلما قرأ المأمون رقعته قال قد صفحنا عنك فان مجلس الشراب يطوى بما فيه ويقال بل وقع على الرقعة

انما مجلس الندامى بساط * للمودّات بينهم وضعوه
فاذا ما انتهى الى ما أرادوا * من حديث ولذة رفعوه

حكاه المرزبانى فى كتاب طبقات الشعراء وعرف باليزيدى لانه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى (وقال) الحسن بن سهل للمأمون فى رجل مسيء هبه لى فقال وكيف أهبه لمن ليس به قدرة عليه وعناء عنه (وأحضر) اليه رجل أذنب فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه (وقال الصولى) ما كان فى الخلفاء أحلم من الواثق ولا أصبر منه على أذى وكان يتشبه بالمأمون (فمما) ذكر عنه أنه كان يعجبه غناء أبى حشيشة الطنبورى فوجد المسدود المغنى من ذلك حسداً فكتب فى رقعة بيتين يهجو بهما الواثق وكانت الرقعة معه لا تبرح

واتفق ان كتب رقعة يسأل فيها حاجة من الواثق فغلط واعطاه الرقعة التى فيها البيتان ففتحها فاذا فيها

من المسدود فى الانف * الى المسدود فى العين
انا طبل له شق * فياطبل بشقين

وكان على احدى عيني الواثق بياض والى ذلك نحا المسدود فلما قرأهما علم انهما فيه فقال له قد غلطت فى ورقة الحاجة فاحترس من مثلها وردها اليه وقضى حاجته ولم يتغير لها عما كان عليه (ولما) ظفر المتوكل بمحمد بن المغيث الربعي وكان قد خرج عليه فى سنة أربع وثلاثين ومائتين فلما وقف بين يديه وهو مكبل قال له ما حملك على ان خرجت على وأنت لاذو مال ولا ذو مدد من رجال فقال الشقوة والجبن يا أمير المؤمنين وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه وانى بين ظنين أسبقهما الى قلبي أولى بك من الآخر ثم أنشد

أبى القوم الا انك اليوم قاتلى * امام الهدى والعفو في الله أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور الخلافة يجبل
تضاءل ذنبي عند عفوك قلة * فمن بعفو منك والعفو أفضل
وانك خير السابقين الى التقى * ولا شك أن خير الفعالين تفعل

وأمر بفك قيده وغله وخلع عليه وامر له بصلة (وهجا) الحيص بيص الشاعر المسترشد فاباح دمه فهرب الى دبيس بن صدقة ثم عاد الى بغداد مستخفيا وكتب الى المسترشد يستعطفه لولا جرائم العبيد لم يظهر حلم الموالى وقد أتيتك مستجيرا بعفوك من سطوتك وبحلمك من نقمتك فوقع على رقعته ليوغر بمسارعة العفو مع عظيم الجرم احتقارا بالمعفو عنه

﴿مكرمة لا نظير لها ولم يكتب المؤرخون مثلها﴾

حكوا عن محمد بن حميد الطوسى انه كان يوما على غدائه واذا بضجة عظيمة على الباب فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ماهذه الضجة من كان عند الباب فليدخل فخرج الغلام وعاد وقال يامولاى ان فلانا أخذ وجيء به موثوقا بالحديد والغلمان والشرط ينتظرون أمرك فيه فرفع يده من الطعام سرورا بأخذه فقال رجل ممن كان حاضرا عنده الحمد لله الذى أمكنك من عدوك فسبيلك ان تسقى الارض من دمه وقال آخر بل يصلب حيا ويعذب حتى يموت وتكلم كل أحد بما وفق له وهو ساكت مطرق ثم رفع رأسه وقال ياغلام فك عنه وثاقه وأدخله الينا مكرما فلم يكن بأسرع مما امتثل أمره وأدخل اليه رجل لا دم فيه فلما رآه هش له ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام وجعل يبسطه ويلقمه حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة جميلة وأمر برده الى أهله مكرما ولم يعاتبه بحرف واحد على جنايته ثم التفت الى جلسائه وقال لهم ان أفضل الاصحاب من حض الصاحب على المكارم ونهاه عن ارتكاب المآثم وحسن له ان يجازى الاحسان بضعفه والاساءة عمن أساء اليه بصفحه انا اذا جازينا من أساء الينا بمثل ما أساء فاين موضع الشكر عما اتيح من الظفر أنه ينبغى لمن يحضر مجالس الملوك ان يمسك الاعن قول سديد وأمر رشيد فان ذلك أدوم للنعمة وأجمع للالفة ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم (وأحسن منها) ما كتب به المعتصم الى عبد الله بن طاهر عافانا الله واياك

قد كانت عليك هناة غفرتها لك لاقتداري عليك وقد بقيت في قلبي عليك حزازات أخاف عليك منها عند نظري اليك فان أتاك مني ألف كتاب استقدمك فيها فلا تقدم وحسبك معرفة ما أنا عليه لك اطلاعي اياك على ما في ضميري والسلام

﴿وممن﴾ أحسن من الاماثل الى من أساء اليه وأسبل عند القدرة ستر المنّ عليه يزيد بن المهلب وذلك انه بلغه ان حمزة بن بيض الشاعر هجاه فأحضره وأمر بتجريده وضربه وكان عليه حلة ديباج كان المهلب وهبها له فعسر نزعها فأمر بتخريقها فلما عزم على ذلك رأى يزيد يهمهم بشفتيه فقال له ويحك ما الذي تقول قال قلت لعمرك ما الديباج خرقت وحده * ولكنما خرقت جلد المهلب

فأطلقه واعتذر اليه ووصله (ولما) ظفر الحجاج بمحمد بن عبد الرحمن بن الاشعث وكان قد خرج عليه وخلع عبد الملك بن مروان فأمر بضرب أعناق الجند الذين ظفر بهم حتى أتى على رجل من بني تميم فقال والله أيها الامير لئن أسأنا في الادب لما أحسنت في العقوبة فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن بمثل هذا وأمر باطلاق من بقي وعفا عنهم ﴿ومن اخبار الحجاج في العفو﴾ عن عدوه بعد الظفر به ما حكي انه لما ظفر بعامر بن حطاب مع جماعة من الخوارج الصفرية وكان حنقا عليه لبسالته وشجاعته ونكايته في أصحابه فقال يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عامر يا حجاج بئس ما ادبك أهلك أبعد الموت غاية أستعتك بها ما يؤمنك لو رددت عليك أضعاف ما قلت فاستحيا الحجاج منه وقال له أفيك موضع للصنيعة قال أجل فأمر له بفرس وسرج وسيف وخلى سبيله (ويقال) انه لما سار الى أصحابه قالوا له عد الى قتال الفاسق فالله أطلقك فقال هيهات غل يدا مطلقها وارتهن رقبة معتقها (وقال)

أأقاتل الحجاج عن ملكوته * بيد تقر بانها مولاته
اني اذا لاخو الدناءة والذي * عفت على عرفانه جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * في الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جرت على اني عندذا * لاحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كدت الامير بآلة * وجوارحي وسلاحها آلاته
أأكيده وعليّ سخطة خالقي * وعليه رحمة مالكي وصلاته
لانه من كفر الكفور وجحده * نار تسوء لفحها حالاته
وتحدث الاكفاء أن صنائعا * غرست له فتحنظلت نخلاته
أبت الحزامة ان أبيت مصعرا * خدي وخيل الحق منتعلاته
فاليكم عني فاني مغلت * هيهاته لايجرني افلاته

(نقم) طلحة بن جعفر المتوكل المنعوت بالموفق على هرون بن عبد الملك فوقف بين يديه وأنشد

يابني هاشم بن عبد مناف * لكم حادث العلا والقديم
ليس عندي وان تغيرت الا * طاعة محضة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عزو عتبهم تقويم

فعفا عنه ووصله (وكان) المهلب بن شاهين الشاعر عاملا بنهر فروة ونهر رجا للعزيز الدين فظهرت عليه خيانة فاشخصه وتوعده فلما مثل بين يديه قال

قل للعزيز أدام ربي عزه * وأناله من خيره مكنونه
اني جنيت ولم تزل نبل الورى * يهبون للخدام ما يجنونه
ولقد جمعت من الجنون فنونه * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن جرم الذي هو دونه

فعفا عنه وأعاده الى عمله (وقال أبو الفتح) محمد بن اردشير كنت بالسيرجان مع الوزير أبي غالب الحسن ابن منصور الملقب بذي السعادتين فاتفق أن شربت عنده يوما فسكرت سكرا اسقط معه سفتجتي من كمي وفيها رقاع قد اعطانيها أربابها لاتنجز لهم بوقيعاته عليها ومن جملتها رقعتان بخطي قد كتبت في احداها

يا قليل الخير موفور الصلف * والذي في البغي قد حاز الشرف
كن لئيما وتواضع نحتمل * وكريما يحتمل منك الصلف

(وفي الاخرى)

يا طارق الباب على عبد الصمد * لا تطرق الباب فما ثم أحد

فأخذ السفتجة وفتحها فوقع على الرقاع بجميع ما فيها ووقع على الرقعة التي فيها البيتان بطلاق له ألفا درهم وعلى الاخرى التي فيها البيت الواحد بوجب له في كل شهر ألف درهم من اتصال الشهر الذي نحن فيه ورد الجميع الى السفتجة وجعلها في كمي واصبحت من الغداة ولا علم عندي بما جرى فاستدعاني الى الطعام وقت الظهر فلم ير عندي اثر الفعلة التي فعلها اذ أنا من الحالين ولا سمع مني شكرا على صنيعة فقال لي وقفت على الرقاع قلت لا أيها الوزير ثم ذكرت ما كان في الاوراق فتصببت عرقا واشتغل قلبي لما وجد فيها بخطي فنهضت الرقاع فتأملتها وعدت اليه فشكرته واعتذرت مما وجد فقال لا تعتذر فانا نستحقه اذا لم نقض واجبا ولم نراع صاحبا (وحدث) محمد بن هلال بن المحسن الصابي في كتاب الهفوات عن الفرج الرماني الكاتب قال قدم علينا أبو القاسم المعمر بن الحسين المدلجي مع الوزير أبي القاسم العلاء ابن الحسين الاهوازي وكنت اذ ذاك كاتب الانشاء وخليفة العلاء فبعث الي المعمر يطلب مني بغلة مسرجة ولم تكن منزلته عندي منزلة من أراعيه فرددت الرقعة مع رسوله ولم أجبه عنها ثم انه بعث الي الرقعة وعلى ظهرها مكتوب

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا ان يكون له غد
فانك لا تدري اذا جاء سائل * أأنت بما تعطيه أو هو أسعد

فأعدت اليه الرقعة من غير جواب كما فعلت اولا وضرب الدهر ضرباته فصرف العلاء ووزر المدلجي وكنت اذ ذاك متوليا اعمالا كثيرة فانفذ الي من اشخصني الى شيراز ووردت عليه وانا لا أشك في قتلي أو القبض علي لما تقدم من سوء فعلي معه فقربني واكرمني واقمت مترددا اليه اياما وهو يزيد في بري واكرامي وانا من فعله متعجب وله مستظرف فلما كان بعد ايام قمت من مجلسه منصرفا فاتبعني الحاجب

وقال الوزير يريد ان يخلو بك فلم يداخلني ريب فى القبض على فاقمت خائفا اترقب ما يأمر به فى فلما خلا مجلسه استدعانى وأسر الى بعض خدمه شيأ فمضى وعاد معه الرقعة بعينها فسلمها الى فلما رأيتها وددت ان الارض ساخت بى وقرأت بحيث يسمع ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لى لا ترع اوقفتك على سوء فعلك حتى لا تستصغر بعدها احدا وتطرح مراعاة العواقب ولكن هذا الفعل لاخلاقك مهذبا ثم خلع على ووصلني وردني الى عملى (والى هذا) اشار بعض البلغاء الحكماء فى التحريض على اصطناع الكرام الخافضة من اقدارهم الايام فى قوله احسن الى كل من له سابقة فى الادب وسابقة فى الفضل ولا يزهدنك فيه سوء الحاجة منه وادبار الدولة عنه فانك لا تخلو فى اصطناعك له واحسانك اليه من نفس حرة تملك رقها او مكرمة حسنة توفى حقها فان الدهر يجبر كما يكسر والدولة تقبل ثم تدبر ومن زرع خيرا حصد اجرا ومن اصطنع حرا استفاد شكرا وانشد

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدرى متى انت راغب

(والجيد فى هذا المعنى قول من قال)

لا تحقرن امرأ قد كان ذا ضعة * فكم وضيع من الاقوام قد رأسا
فرب قوم جفوناهم فلم نرهم * اهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

(عدنا والعود احمد) دخل ابو الصقر اسمعيل بن بلبل قبل وزارته للمعتمد على صاعد بن مخلد فى وزارته وفى المجلس ابو العباس بن ثوابة فسأل صاعد عن رجل فقال ابو الصقر انى بريد نى فقال بن ثوابة فى الخرء فتضاحك الناس وخجل ابو الصقر فلما ولى ابو الصقر الوزارة دخل عليه ابن ثوابة وقال تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال ابو الصقر لا تثريب عليك اليوم يا ابا العباس يغفر الله لك وهو ارحم الراحمين (وحدث) ابو هريرة الشاعر المصرى قال خرجت يوما الى بركة الحبش بمصر متنزها فى ايام الربيع حين اخذت الارض زخرفها وازينت ومعى آنية شراب وكتاب وكانت تلك عادتى فى كل سنة فجعلت اشرب وانادم كتابي طول يومى فلما كادت الشمس ان تغرب وتلمع فى اجنحة الطير اخذت فى الانصراف الى منزلى وانا ثمل فبينما انا امشى واذا بفارس خرج من مصر ملثما لا يبين من وجهه غير عينيه فسلم وقال من أين أقبل الشيوخ فقلت فى نفسى اجن الرجل ومن برى معى فالتفت فاذا خلفى ذو دتيوس وراع يسوقه فقلت حضر ناملاك الوالدة اصلحك الله فضحك وانصرف ولما كان بعد ايام دخلت الى الامير تكين فى حاجة فقضاها لى واسرنى بألف درهم وقال هذه حق حضورك ذاك الملاك فعلمت انه الذى لقينى فأخذتها وانصرفت

﴿ملح مكارم يغتبط بها القلب والسمع لدلالتها على كرم الجار والطبع﴾

(قتل) للاحنف بن قيس ولد وكان قاتله اخو الاحنف فأتى به مكتوفا ليأخذه به فلما رآه بكى وانشد

اقول للنفس تأبينا وتسلية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذا ولدى

﴿ولآخر فى معناه وقد قتل قومه اخاه ولم يقصد احد بشكاية ولا تو خاه﴾

قومي هم قتلوا أميم اخي * فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمي

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقرى بيناهو ذات يوم جالس فى داره اذاتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها على ولد له صغير فمات فدهشت الجارية واختلط عقلها فلما رأى ذلك منها قال لاروع عليك أذهبي فانت حرة لله تعالى (خير منها أو مثلها) ماحكي ان بعض ملوك الفرس وكان عظيم المملكة سني الملكة شريف الهمة شديد النقمة قرب اليه صاحب مطبخه طعاما فوقعت نقطة من الطعام على المائدة فزوى لها الملك وجهه وأعرض عنه اعراضا تحقق به الطباخ قتله فعمد الى الصحفة فكفأها على المائدة فقال له الملك ماحملك على مافعلت وقد علمت ان سقوط النقطة أخطأت بها يدك ولم يجرها تعمدك فما عندك فى الثانية قال استحيت ان يسمع عن الملك انه استوجب قتلي واستباح دمي مع قديم خدمتي ولزوم حرمتي فى نقطة واحدة اخطأت بها يدى ولم يجرها تعمدى فاردت ان يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي ويعذر فى قتل من فعل مثل فعلي فقال الملك ان كان حسن صنيعك ينجيك من القتل والتعذيب فليس من منجيك من التأديب اجلدوه مائة واخلعوا عليه خلع الرضا وسوغوه انعاما يؤذن بالعفو عما مضى

﴿ولنعقب هذا الفصل من لطيف الاعتذار ماتستعطف به القلوب بعد النفار﴾

جرى بين الحسين بن على وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام وافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين بعد البسملة من محمد بن على الى أخيه الحسين ابن على أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فان أمي امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمى ماوفين بأمك فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الى لترضيني واياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى انت أولى به منى والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه (وكان) فى قلب الامين من اسحق الموصلى شئ فأهدى له جارية فردها فكتب اليه اسحق

هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت أمرك لى فانكشف
فان كنت تحقد شيأ مضى * فهب للخلافة ماقد سلف
وجدلى بالعفو عن زلتى * فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فلم يفعل فكتب اليه

أتيت ذنبا عظيما * وأنت أعظم منه * فخذ بحقك أولا * فامنن بصفحك عنه

فعاد الى الجميل (وقال) أبو بكر الصولى أحسن رقعة كتبت فى الاعتذار رقعة كتب بها الراضى الى أخيه المتقى وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب وكان المتقى قد اعتدى على الراضى أنا معترف لك بالعبودية فرضا وأنت معترف لى بالاخوة فضلا والعبد يذنب والمولى يعفو ويغفر وقد قال الشاعر

ياذا الذى يغضب فى غير شئ * أعتب فعتباك حبيب الى
أنت على أنك لى ظالم * أعز خلق الله طرا على

فلما وقف المتقي على الرقعة هبت عليه منها رياح الاريحية فعطفت منه عواطف النفس الابية ومضى اليه راضيا وأكب عليه باكيا وانحسمت بينهما مواد الهجر بقبول صادق العذر وأزيل مصون الحقد وانتظم بانتظام الشمل انتظام العقد (وقع) ذو الرياستين الفضل بن سهل الى طاهر بن الحسين والله يانصف انسان لئن أمرت لا تنفذ ولئن أنفذت لا يرمن ولئن أبرمت لا تلفن فاجابه طاهر انما أنا أعزك الله كالامة السوداء ان حمل عليها مدمت وان رفه عنها أمسكت وان عوقبت فيما وجب عليها وان عفي عنها فبالاحسان اليها فعفا عنه (وما لطف) ما كتب به بعض الفضلاء الى أخيه يستعطفه أنت سليل نبوة وشقيق اخوة اصلهما من سوحة وفرعهما من دوحة فنحن لذة أوان ونشوان زمان ورضيعا لبان وركيضا أمومة وغصنا جرثومة درجا من وكر ومهدا في حجر فكيف توقظ عين الدهر وتبسط يد الهجر وتنبه غافي الرقاد والحسود لنا بمرصاد (وكتب آخر) الى صديق يستعطفه أصفيت لك ودي وأكديت لك عقدي ومنحتك اخائي ولم امزق لك صفائي فقرب الاخاء بالود انقع للغلة وانفع للعلة واسكن للروعة واشفى للوعة واطفأ للحرقة وآنس للفرقة (وقال) اعرابي لامير نقم عليه هذا مقام من لا يتكل على المعذرة بل يعتمد منك على المغفرة (وقال آخر) لان يحسن في العفو وقد اسأنا في الذنب أولى من أن يسيء بالعقوبة وقد احسنا في الاعتذار (واعتذر آخر) فقال لذت بعفوك واستجرت بصفحك فاذقني حلاوة الرضا واجرني من مرارة السخط فيما مضى (وكتب آخر) لكل ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة وسيآتهم مغفورة وذنب مثلي من العامة لا يغفر وكسره لا يجبر وان كان ولا بد من العقوبة فعاقبني باعراض لا يؤدي الى ابعاد ولا يفضي في الصفح الى ميعاد ولان تحسنوا وقد اسأنا خير من ان تسيؤا وقد أحسنا فان كان الاحسان منا فما أحقكم بمكافأته وان كان منكم فما احقكم باستتمامه ابيات في المعنى

اقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

(آخر)
أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا * وابن لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه * فما احد منه على الارض أخيب

(آخر)
ان كان ذنبي قد أحاط بزلتي * فأحط بذنبي عفوك المأمولا
فلقد رجوتك في الذي لا يرتجى * في مثله احد فنلت السولا
وضللت عنك فلم يكن لي مذهب * فوجدت حلمك لي عليك دليلا

(آخر)
يامن اسأت وبالاحسان قابلني * وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يامولاي معتذرا * وانت للعفو مرجو ومأمول

(آخر)
ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا * والحر يعفي ويهفو وهو معترف
والعفو بعد اقتدار فعله كرم * والهجر بعد اعتداء فعله شرف
عاقب بما شئت غير الهجر أرض به * فالهجر فيه لاحزان الفتى تلف

(آخر)
هبني أسأت فأين الفضل والكرم * اذ قادني نحوك الاذعان والندم

ياخير من مدت الايدى اليه اما * ترثى لشيخ نعاه عندك الهرم
بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

(الخبزرانى) نحن قوم نرى فراقك عيبا * ونرى القرب منك حتما وفرضا
انت ان كنت قد غضبت جعلنا * لك حر الوجوه ارضا لترضى

(آخر) ليالي صدودك ليست تفى * وعمر تجنبك ما ينقضى
وما يألف القلب ياسيدى * سوى ما تحب وما ترتضى

(آخر) ما أحسن العفو من القادر * لا سيما من قادر قاهر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غيرك من غافر
بحرمة الودّ الذى بيننا * لا تفسد الاول بالآخر

(آخر) أسأت اليك ثم أسأت عودا * فاين عوائد الصفح الجميل
واين العفو من مولي عزيز * يجود به على عبد ذليل

(آخر) ان كنت عبدا مذنباً * فاعطف علىّ بحسن رأيك
أو كنت لست بمذنب * فدع التمادى فى جفائك

(بعض العرب) فهلا ابيت اللعن لا تخزبننا * بذنب امرىء امسى من العلم معدما
فما العبد بالعبد الذى ليس مذنبا * وما الرب بالرب الذي ليس منعما

(آخر) وما قابلت سخطك باعتذار * ولكنى أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتراف * ويحكم بيننا الخلق الجميل

(آخر) هبنى كما زعم الواشون لا رحموا * انى اسأت وزلت منى القدم
وهبك جار على ذا العهد فى جرم * لم اجنه منك العفو والكرم
ما انصفتنى فى حكم الهوى اذن * تصغى للومى وعن عذرى بها صمم

(آخر) اخلاقك الغر السجايا مالها * حملت ردي العنف وهى سلاف
والبشر فى مرآت وجهك ماله * يخفى وأنت الجوهر الشفاف

(آخر) ليت شعرى وقد تمادى بك الهجـر أمنك الجفاء أم كان منى
فلئن جئته فمنك عفا الله وان كنت جئته فاعف عنى

وكل الناس عيال على النابغة الذبيانى فى قوله للنعمان بن المنذر من أبيات جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار اجرب
فلست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

(أبو نواس يستعطف الامين وكتب بها اليه من الحبس)

تذكر أمين الله والعهد يذكر * مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يادر هاشم * فمن ذا رأى دار على الدر ينثر
مضت لى شهور مذ حبست ثلاثة * كأنى قد أذنبت ماليس يغفر
فان كنت لم أذنب ففيم حبستنى * وان كنت ذا ذنب فعفوك أكبر

﴿ اسحق الموصلى ﴾

لاشئ أعظم من ذنبي سوى أملى * لعفوك اليوم عن ذنبي وعن زللى
فان يكن ذا وذا عندى قد اجتمعا * لأنت أعظم من ذنبي ومن أملى

﴿ الفصل الثالث من الباب الثالث عشر ﴾

في ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وقال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (وقد ثبت) ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أبي عزة الشاعر لما كان يعرض به من اذى النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفى فعله لنا اسوة قال ابن اسحق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله تصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك قال نعم على أن لا تعين علىّ بقول ولا فعل فعاهده على ذلك وخلى سبيله ثم انه خرج مع أبي سفيان يحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدنى على ان لا تعين علىّ بقول ولا فعل فقال غلبت فتصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام ان العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله فقتل

﴿ فما للحكماء من تحريض الحر على مقابلة المسىء بالنكال المر ﴾

قالوا تواضع للمحسن اليك وان كان عبداً حبشياً وانتصف ممن أساء اليك وان كان حراً قرشياً (وقال) علىّ رضى الله عنه وكرم وجهه الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم (وقال الشعبي) يعجبنى الرجل اذا سيم هوناً عته الانفة الى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله دره أى رجل بين جنبيه وتمثل

ولا خير في عرض امرئ لا يصونه * ولا خير فى حلم امرئ ذل جانبه

(وقالوا) من ترك العقوبة اغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف (وقالوا) من مال معك الى الحيف فلا تبخلن عليه بالسيف (وقالوا) السفيه يخالف ولا يؤالف ويمارى ولا يدارى * وقال أوس بن حسان

اذا المرء أولاك الهوان فأوله * هواناً وان كانت قريباً أواخره
فان أنت لم تقدر على ان تهينه * فدعه الى اليوم الذى أنت قادره
وقارب اذا لم تكن لك حيلة * وصمم اذا أيقنت انك عاقره

(وقيل لاعرابى) ايسرك ان تدخل الجنة ولا تسىء الى من أساء اليك قال لا بل يسرنى ان أدرك الثار

وادخل مع فرعون النار * أبو عبادة البحترى

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها * اذا بات دون النار وهو ضجيعها

(ويقال) انما هو مالك وسيفك فازرع مالك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك وقال الشاعر

قط العدى قط البراعة وانتهز * بظبا السيوف سوائم الاضغان

ان البيادق ان توسع خطها * أخذت اليك مآخذ الفرزان

(وقال المأمون) الحلم يحسن بالملوك الا فى ثلاثة أشياء قادح فى ملك ومتعرض بحرم ومذيع لسر (وقال أعرابى) لابن عباس اتخاف على جناحا ان ظلمنى رجل فظلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال الشاعر

اذا كان حلم المرء عون عدوّه * عليه فان الجهل أعفى وأروح

وفى الحلم ضعف والعقوبة هيبة * اذا كنت تخشى أيد من عنه تصفح

(آخر) أرى اللين ضعفا والتشجع هيبة * ومن لايهب يحمل على مركب وعر

وما كل حين ينفع الحلم أهله * ولا كل حين ينفع الجهل بالصبر

(وقال الجاحظ) من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله فى تدبيره وظن أن رحمة الله دون رحمته فانه تعالى يقول من يعمل سوأ يجز به وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فجازى على الخير بالثواب والشر بالعقاب (وقال) أكثم بن صيفى من تعمد الذنب فلا ترحمه دون العقوبة فان الادب رفق والرفق يمن * وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى

من الحلم ان يستعمل من الجهل دونه * اذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم

(آخر) من أكرم الناس أكرموه * ووقروه ويجلوه

ومن يهنهم يهن عليهم * فى حر أميه يدخلوه

(وقال الشافعى) من استغضب فلم يغضب فهو حمار كما أن من استرضى فلم يرض فانما هو جبار (وقال رجل) لابن سيرين انى وقعت فيك فاجعلنى فى حل قال ما أحب ان أحل لك ماحرم الله عليك (وقال) على كرم الله وجهه ردا الحجر من حيث جاء فان الشر لايدفع الا بالشر وقال الشاعر

ألا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

﴿احتجاج من جازى السيئة بمثلها ممن ملك عقد الامور وحلها﴾

لما ولى طاهر بن عبد الله بن الحسين خراسان بعد موت أبيه استؤمر فى رجلين أحدهما ضعيف والآخر عليل فوقع فى أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ فان يكونا ممن لايؤمن شرهما فدعهما مكانهما فان من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما فى أعمالهما (واعتذر) بعض بنى أمية الى السفاح فهم بالصفح عنهم فقال أبو مسلم ان الصفح مقرب الى الله تعالى مبعد من النار اذا قصد طريقه وأصيب به أهله واما هؤلاء الذين تضمنت قلوبهم غدرا وأورى زندهم شرا فلم تنفد ضغائنهم ولافنيت بوائقهم فالقتل لهم اشفى والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا (ودخل) اسمعيل الملقب بسديف على السفاح وعنده

سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدى السفاح وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويحرضه على قتل من ظفر به من بنى أمية جاء منها

يا ابن عم النبى أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليا
ياوصى الشهيد أكرمك الله * فقد كنت للشهيد وصيا
لا يغرنك ماترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض فى القديم فأضحى * ثابتا فى قلوبهم مطويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل واذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فذبح (ومن الاغراء وان لم يعتمد) لما أساءت البرامكة على الرشيد وأراد الايقاع بهم جعل يتردد في أعمال الحيلة عليهم فتكلم الرشيد يوما فى مجلسه كلمة نزع القوم بها فكل يحكى فى نوعها حكاية أو ينشد شعرا فى معناها وكان فى المجلس ابن عزيز فأنشد أبياتا فى غير المعنى الذى كانوا بصدده كانت سببا لامضاء عزيمته على قتل البرامكة يقول فيها

ليت هندا أنجزتنا ماتعد * وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعادمنه الرشيد البيتين مرارا ثم اوقع الرشيد بالبرامكة بعد ذلك بثلاثة أيام وسنذكر فى الفصل الاوسط من الباب الآتى من ايقاعه بهم مافيه للمتأمل مقنع وللمستخبر مستمتع ان شاء الله تعالى * ولم أر فى التحريض أبلغ من قول القائل فى قصيدة طويلة ذات معان جمة وفوائد جليلة

ما كل يوم ينال المرء ماطلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا
وأعجب الناس من ان نال فرصته * لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من * سقى الاعادى بالكاس الذى شربا
فالعفو الاعلى الاعداء مكرمة * من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد * رأيت رأيا يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها * ان كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم به جزرا * هم أوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
واذكر عنجاهم مثوى أبى كرب * فيهم وحبس عدى عندهم حقبا
وسيف جدك لما ان اضربهم * جاؤا به لك فى أسلابهم سلبا
لا عفو عن مثلهم فى مثل ماطلبوا * وان يكن ذاك كان الملك والعطبا
فنهم أهل غسان ومجدهم * عال وان حاولوا ملكا فلا عجبا
ان تعف عنهم يقول الناس كلهم * لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا
وان أحسن من ذا العفو لو هزموا * لكن هم اتبوا من سيفك الهربا
علام تقبل منهم فدية وهم * لا فضة قبلوا منه ولا ذهبا

أسقى الكلاب غدا من فتية دمها * عند البرية تستشفي به الكلبا
لولم يسر جاز ان تعفو محاجزة * والليث لا يحسن النقبا اذا وثبا
(آخر) يفيض الى الشر حتى اذا أتى * لينزل رحلي قلت للشر مرحبا
واركب ظهر الشر حتى أذله * اذا لم أجد الا على الشر مركبا
وأكوى بلا نار اناسا بظلمهم * واصفح احيانا وان كنت مغضبا
(ولله در من قال)
اذا آمن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غنم من الغنم
وان انت باريت السفيه اذا انتمى * فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
فلا تعترض عرض السفيه وداره * بحلم فان اعيا عليك فبالصرم
وغم عليه الجهل والحلم والتقى * بمنزلة بين العداوة والحلم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة * وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن * عليه بجهال فذاك من العزم
ودع عنك في كل الامور عتابه * فانك ان عاتبته كان كالخصم
ومن عاتب الجهال لم يشف نفسه * ولكنه يزداد سقما على سقم
(آخر) حبست لكم نفسي على الحلم والرضا * فيأمن ذو خوف ويدرك طالب
اذا انت لم تصلح لسيفك ما جنى * سفيهك صارت في الصدور معاتب
(المتنبي) لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

﴿ نبذة من أدنى النقض والابرام في ذم مكافأة اللئيم بالاكرام ﴾

(قالوا) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) معاوية بن يزيد بن معاوية لابيه هل ذممت عاقبة حلم قط قال ما حلمت عن لئيم وان كان وليا الا اعقبني ندما على ما فعلت وقال الشاعر

متى تضع الكرامة في لئيم * فانك قد اسأت الى الكرامه
وقد ذهبت صنيعته ضياعا * وكان جزاء فاعلها الندامه

(وقالوا) جنب كرامتك اللئام فانك ان احسنت اليهم لم يشكروا وان اساؤا لم يستغفروا (شاعر)

ان ذا اللؤم اذا اكرمته * حسب الاكرام حقا لزمك
فأهنه انه من لؤمه * ان تمسه بهوان يكرمك
(ولآخر) ان اللئيم اذا رأى * لينا تزيد في حرانه
لا تخدعن فصلاح من * جهل الكرامة في هوانه

(ويقال) اللئام الى رهبوت احوج منهم الى رحموت (المتنبي)

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

(وقالوا) الكريم يصلح بالاحسان والكرامة واللئيم بالهوان والملامة (المتنبي)

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

(ابراهيم بن المهدى)

اذا كنت بين الحلم والجهل باقلا * وخيرت انى شئت فالحلم افضل
ولكن اذا انصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل انبل
اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا * فانى سأعطيه الذى جاء يسأل
ولم اعطه اياه الا لانه * وان كان مكروها من الذل اجمل
وفى الخير ابطاء فان جاء عاجلا * كما تشتهيه النفس فالشر اعجل

(وينسب لعلى رضى الله عنه)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين احوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن شاء تعويجى فانى معوّج
وما كنت ارض الجهل جدّا ولا ابا * ولكننى ارضى به حين احرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة * لقد صدقوا والذل بالحر اسمج

(ابو نواس)

فى الناس ان جربته * من لا يعزك او تذله
فاترك مداراة اللئيم فان فيها العجز كله

﴿ الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

فى التشفى والانتقام ممن أحضر قسرا فى المقام

قال الله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل هم يقتلون وفى هذا دليل على أن الانتقام قبيح فعله على الكرام فانهم قالوا الكريم اذا قدر غفر واذا عثر بمساءة ستر واللئيم اذا ظفر عقر واذا أمن غدر

(ولنقدم كلاما شافيا فى ذم الغضب اذ هو الزمام القائد للعطب)

جاء فى تفسير قول الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون أن الطائف من الشيطان هو الغضب (ويروى) ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله قل لى قولا ينفعنى الله به واقلل لعلى أعرفه قال لا تغضب فاعاد عليه المسألة قال لا تغضب فاعاد عليه المسئلة قال لا تغضب (وقال) يحيى بن زكريا لعيسى عليهما السلام أخبرنى بما يقربنى من رضا ربى ويبعدنى من سخطه قال لا تغضب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشديد فيكم قالوا الذى لا يصرعه الرجال قال لا ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (وذكر) أن جعفر بن محمد الصادق دخل على المهدى وقد امتلأ غضبا على انسان فقال يا أمير المؤمنين انك لا تغضب الا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه (وقد) قال بعض الحكماء اياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضبان غضب الله عز وجل عليه (ويقال) ان فى التوراة يا ابن آدم لا تغضب فاغضب عليك يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن

أحمق (وقالوا) اياك وغرة الغضب فانها تفضى بك الى ذلة الاعتذار (وقالوا) الغضب على من لا تملك لؤم وعلى من تملك شؤم (وقال) بعض الاعراب الغضب عدو العقل فانه يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستولى عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو الاحتمال الى القبيح وهو الغضب ومن عصى الحق غمره الباطل (وقال ابن المعتز) الغضب يصدىء القلب حتى لا يرى صاحبه شيأ حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه (ويقال) ماترك شيأ من الاحوال الذميمة ولا تأخر عن سبب من الاسباب الاثيمة من أنفذ غضبه وأساء فى الانتقام أدبه واستطاب فعله واستعذبه (وقالوا) ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام (وقالوا) ثلاثة يعدّون فى المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران (وقال) عمر بن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان من اذا غضب لم يخرجه غضبه الى الباطل واذا رضى لم يخرجه رضاه عن الحق واذا قام جدال لا يأخذ ماليس له * واذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة ايام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فان وجب عليه العقوبة عاقبه والا أطلقه

﴿ ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال الكرام الاماجد فى ذم التشفى من العدوّ والمعاند ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم لله بها (وقالوا) أقبح المكافأة المكافأة بالاساءة (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة (وقالوا) الاقتدار يمنع الحر من الانتصار (وقال) على رضى الله عنه أنا الى العفو والرحمة أقرب منى الى العقوبة والنقمة (وقال) جعفر الصادق لان أندم على العفو عشرين مرة أحب الىّ من أن أندم على العقوبة مرة واحدة * وحكى أن رجلا من قريش كان يطلب رجلا يدخل فى الجاهلية فلما ظفر به قال لولا أن القدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك وتركه * ولهذا يقال كل عزيز دخل تحت القدرة واتضح بالتنصل عذره فهو ذليل حقه على من قدر بالقدرة جليل أن يتعمد اساءته بالاحسان اليك ويفك اساره بالامتنان عليه وينزله من اكرامه منزلة المطيع من خدامه ويعفيه من عتبه وملامه كما أعفاه من سخطه وانتقامه (وقيل) أقبح افعال ذوى التمكن والاقتدار عقوبة من التجأ الى الاعتذار * شاعر

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

(وقال المنصور) فى كلام لولده المهدى لذة العفو أطيب من لذة التشفى وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم * ويحكى عن عنان بن خريم أنه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال أحدهم يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه ومن أشفى غيظه وأخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن فى العالمين ذكره وانك ان انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت على أن اقالتك عثار عباد الله موجبة لاقالته عثرتك وعفوك عنهم موصل بعفوه عنك فقبل قوله وعفا عنهم * وقال الشاعر

لذة العفو ان نظرت بعين الـ * ـعدل اشفى من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والمجـ * ـد وهذه تجىء بالآثام

(والعرب تقول) لا سودد مع الانتقام * وقالوا سرعة العقوبة من لؤم الظفر (وقيل) ليس من الكرم

عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة * واسر على رجلا من أصحاب عائشة رضى الله عنها يوم وقعة الجمل فقيل له ويلك وأنت ممن ألب علينا فقام الاشتر فقال دعني أضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال الرجل يا أمير المؤمنين لان تلقى الله وقد عفوت عني خير لك من أن تلقاه وقد شفيت غيظك وانتصرت لنفسك فقال اذهب حيث شئت * وأنشد المأمون

يخشى عدوى من بعيد سطوتى * فاذا قدرت على العدو عفوت

(وقال بعض الحكماء) التزين بالعفو خير من التقبح بالانتقام * وقال على رضى الله عنه ليس شئ بخير من الخير الا ثوابه وكل شئ في الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ في الآخرة عيانه أعظم من سماعه (ويقال) التشفي طرف من العجز ومن رضى به لا يكون بينه وبين الظالم الاستر رقيق وحجاب ضعيف ولان يثنى عليك بسعة الصدر خير من أن تذم بضيقه (وقال ابن المعتز) مبالغة المقتدر في العقوبة تقربه من غضب الله وتبعده من انتساب الكرم اليه (وقال) كفى بالظفر شفيعا للمذنب الى القادر (وقال بعض الحكماء) لا يحملنك الحنق على اقتراف اثم يشفى غيظك ويسقم دينك (ويقال) لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقال (وقالوا) عقوبة المقتدر تبدأ به تقبح صورته وتثلم حسبه وتعجل ندمه * شاعر

اذا أنت لم تصبر على الحقد لم تفز * بمجد ولم تسعد بتقريظ مادح

(آخر) رأيت انتقام المرء يزرى بعقله * وان لم يقع الا بأهل الجرائم

(وقال) الفضيل بن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه بوائقه (وقالت) أذم مسرفا في الانتقام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه عن المعترف بذنبه يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما ان ضحكت في وجهه عبس وان تخاضعت له شمس لا يرقب في المسئ الا ولا ذمة ولو شفع فيه والاأمة * ومن رسالة للبديع الهمداني يصف ملكا عظيم الشان يحسبه المتأمل انسانا وهو شيطان وفلان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه واذا تغير لم يشرب صفوه واذا سخط لم ينتظر غيره ليس بين رضاه والسخط عرجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من سخطه مجاز كما ليس بين الموت والحياة معه حجاز يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهي أرجاف ثم لا يشفيه العقوبة وهي حجاف حتى انه يرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط أحدهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح أحدهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فرحه بين القد والقطع وحده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب الا ضرب الرقاب ولا من التأديب غير اراقة الدماء ولا يهتدى الا الى ازالة النعماء ولا يحلم عن الهفوة كوزن الهبوة ولا يغضى عن السقطة بجرم النقطة ثم ان النقم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه فلا يلقاه الولى الا يغمه ولا العدو الا يذمه فالارواح بين حبسه واطلاقه كما ان الاجسام بين حله ووثاقه

﴿ومما ينتظم في سلك هذا المقول مدح التراحم الراضى به أرباب العقول﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في الارض يرحمكم من في

السماء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا ينزع الله الرحمة الا من قلب شقي * وقالوا من كرم أصله لان قلبه * وقيل من أمارات الكريم الرحمة ومن أمارات اللئيم القسوة (وقالوا) من شكر الظفر الصفح عن الذنوب والستر للعيوب (وفي الحديث) ان الله رحيم يحب من عباده الرحماء * وقال الاقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقبل الحسن ان لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (وقال) مالك بن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة * وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس اذا لقي الناس وأرحم الناس اذا استحكم الباس ويقال أرق الناس قلوبا أقلهم ذنوبا (وقال) عمر بن عبد العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم * وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي * شاعر

ابغ للناس من الخيـــر كما تبغي لنفسك
وارحم الناس جميعا * انهم أبناء جنسك

﴿ الفصل الثاني من الباب الرابع عشر ﴾

في ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب

لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة بن أبي معيط أمر بصلبه الى شجرة فقال يا رسول الله أنا من بين قريش قال نعم قال فمن للصبية قال النار فصلب رواه أبو داود في مراسيله وغيره وقيل انه أول مصلوب صلب في الاسلام (وكان) النضر بن الحرث بن كلدة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم بدر أخذ أسيرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله علي رضي الله عنه صبرا وذكر ان أخته قيلة بنت الحرث تعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته فوقف ثم أنشدته

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها الركائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت لمانحها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت من ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هناك تمـــزق
قسرا يقاد الى ابيه متعبا * رسف المقيد وهو عال موثق
أمحمد ولأنت نجل كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته * بأعز ما يغلو به من ينفق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة * وأحقهم ان كان عتقا يعتق

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رق لها وقال لو كنت سمعت شعرها من قبل ما قتلته (ولما) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة فأما النفر فعكرمة بن أبي جهل وهبار ابن الاسود وعبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة والحويرث بن نقيد وهلال بن عبد الله بن خطل فأما

عكرمة فانه هرب ثم أسلم وهرب هبار بن الاسود ثم أسلم بعد ذلك وكذلك عبد الله بن أبي سرح وأما مقيس ابن صبابة فقتله غيلة وأما الحويرث فهرب فلقيه علي بن أبي طالب فقتله وأما هلال بن عبد الله بن خطل فقتله عمار بن ياسر بين الركن والمقام * وأما النساء فهند بنت عتبة وسارية مولاة عمرو بن هشام وقينتا هلال بن عبد الله بن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما هند فأسلمت وأما سارية فقتلها علي رضي الله عنه وأما قينتا هلال فقتل فقتلت احداهما وأسلمت الاخرى (وقدم) اناس من عرينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا وكانوا في الصفة فقطنوا المدينة فسقمت أجسادهم فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تخرجون مع راعينا في ابله فتشربون من ألبانها وأبوالها قالوا بلى فخرجوا فشربوا الالبان والابوال فصحوا فلما صحوا قتلوا الراعي وارتدوا عن الاسلام واستاقوا الابل فجاء الصريخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فلما ترحل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا (وكان) عمرو بن هند من أشد ملوك العرب بأسا وأسوأهم قدرة وأعظمهم جراءة يذكر عنه أنه لما قتلت بنو تميم أخاه سعدا غضب وآلى على نفسه انه متى ظفر بهم قتل رجالهم وسبى حريمهم فلما ظفر بهم أحمى لهم الصفا ومشى عليه من رجالهم من بلغ أجله فأتى بشاب ليمشي عليه كما فعل أصحابه وأقبلت أمه معه فلما رأت الصفا وشدة وهجه قطعت نديها ورمت بهما على الصفا وقالت يا بني ق بثديي قدمك وأقلل بوطئهما ألمك ثم أنشدت

أبني لو قبل الفداء لجدت بالـ * كبد التي أضحت عليك تقطع
ياليت حر النار باشر مهجتي * أو ليت خدي فوق خدك يلذع

فرق لها عمرو وأمر باطلاق ولدها واطلاق من بقي من قومها (وروى) ابن الكلبي عن أبيه قال أول من خرج من الحرم بعض اياد وتغلب وانتشروا في أرض نجد فبعث اليهم الملك زيد بن برعش فغزاهم فأبلى فيهم وأسر وسبي فلما قدم على الملك عرض الاسرى على السيف فقرب شابا من اياد ليقتل فأقبلت أمه وهي تقول

يا أيها الملك المغيث القاهر * الحلم يلزم حين يعفو القادر
هذا عبيدك مسلم بجريرة * بادي الضراعة أو منيق عاثر
ان تسط تسط محكما أو تعفون * فالذنب يغفره المليك الغافر
لاذوا بعفوك من عقابك بعدما * جردت لهم منظومة وخناجر
فاصرف الى الابقاء عزمك فيهم * طولا فليس لهم مجير ناصر

فرق لها الملك وقال لها لك ما لأنه خمارك منهم فأقبلت تخط خمارها شققا وتصل بعضها ببعض حتى ضم طرفاه مائة رجل أو أكثر فاستضحك الملك وأمر باطلاقهم وقتل الباقين ﴿ومن﴾ الحقد المستبشع والتشفي المستشنع ما ذكره ابن حمدون في تذكرته عن عبد الله بن الزبير حين ظفر بأخيه عمرو وكان يشايع بني أمية وهدم دور قوم بالمدينة في هواهم فلما ولي أخوه عبد الله الخلافة أخذه وأقامه للناس ليقتصوا منه فبالغ كل ذي حقد عليه في الاقتصاص وكان عبد الله لا يسأل أحدا ادعى عليه شيأ بينة ولا

حجة وكان أرباب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه والقيح ينضح من ظهره على الارض والحائط فلما لم يبق أحد من ذوى الحقوق أمر ان يرسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتنقب لحمه وهو معقول لا يستطيع حركة حتى مات فدخل الموكل به على عبد الله وفى يده عس لبن يريد أن يسخر به وهو يبكى قال له أمات قال نعم قال أبعده ثم تناول العس فشرب ما فيه وقال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه فى مقابر المشركين فدفن بها (وكان الحجاج) شديد الوطأة على الجناة ذكر أهل التاريخ أنه لما مات أحصى من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه وسراياه فوجد وامائة ألف وعشرين ألفا ومات فى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ست آلاف مخدرات وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس يحصبونهم اذا استظلوا من وهج الشمس وزمهرير البرد ولما أخرجوا بعد موته كان فيهم اعرابى فقيل له كم كان لك فى السجن قال اثنتا عشرة سنة قيل له فاذنبك قال بلت فى ربض واسط ولما أطلق جعل يعدو وهو يقول

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لانخاف عقابا

(وذكر) اهل التاريخ أيضا انه ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال ماهذا قالوا أهل السجن يشكون ماهم فيه فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة * وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لى فان عبادك يظنون أن لا تفعل * وكانت مدة امرته على الناس عشرين سنة وفى الشهر الذى مات فيه ولد أبو جعفر المنصور وولى الخلافة فى ذى الحجة أيضا سنة ست وثلاثين ومائة ومات فى الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الاسبعة أيام (ولما) التقى مصعب بن الزبير بالمختار بن أبي عبيد الثقفى هزمه وأسر من عسكره ستة آلاف وثمانمائة رجل فقتلهم صبرا بين يديه فى يوم واحد وهو ينظر اليهم وكانوا ألفا وثمانمائة من أشراف العرب وخمسة آلاف من الموالى (وكان) أبو مسلم الخراسانى ممن حذا فى الفعل حذو النعل بالنعل أحصى من قتل فكان ستمائة الف نفس وقد ذكرنا قتله فيما سبق من الكتاب * وفيه يقول أبو جعفر حين قتل وقد وضعت رأسه بين يديه

زعمت ان الدين لا يقتضى * دونك فاستوف ابا مجرم

فاشرب بكأس كنت تسقى بها * أمرّ فى الحلق من العلقم

ولما أسرف فى القتل وجد رقعة على المنبر فقرأها فاذا فيها أقتل ماعسى أن تقتل فلست تقدر أن تقتل قاتلك فكف (وبابك الحرمي) قتل فى حروبه التى كانت بينه وبين الامويين مائتى الف الف وخمسمائة ألف وخمسا وخمسين الفا وكان ظهوره سنة احدى ومائتين فى خلافة المأمون واستمرت فتنته الى ايام المعتصم فأرسل اليه العساكر فكانت الحرب بينه وبينهم دولا الى ان كانت الدائرة عليه فهزم عسكره واسر وفتحت مدينته التى بناها ودخلها المسلمون واستباحوها فى ايام المعتصم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وفيها فتحت عمورية واحضر بين يدى المعتصم فأمر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت لطخ بدمه وجهه حتى لا يرى فى وجهه أثر الجزع ثم أمر به فضربت رقبته وصلب وفى قتله يقول ابو عبادة البحترى من ابيات

لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا * للظن فى اخفا ولا ابداء
اخليت منه البيد وهى قراره * ونصبته علما بسامراء
فتراه مطردا على اعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها * فى أخريات الجذع كالحرباء

(وكان) بشر بن مروان شديدا على الجناة وكان اذا ظفر بجان أقامه على كرسى وسمر كفيه فى الحائط ونزع الكرسى من تحت رجليه فلا يزال يضطرب حتى يموت (وقال الشعبى) مارأيت فى العمال مثل عبدالله التيمى كان لايعاقب الا فى دين الله وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا أتى برجل نقب فى قوم جعل منقبته فى صدره حتى تخرج من صدره واذا أتى برجل شهر سلاحا قطع يده فربما اقام أربعين لا يؤتى اليه بجان خوفا من سطواته (ودخل) شبل بن عبدالله على عبدالله بن على بن عبدالله بن عباس السفاح بعدما ولى الخلافة ووليها وهو ابن اربع وعشرين سنة فى ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده ٩٠ رجلا من بنى أمية وهم جلوس معه على المائدة فقام مولى لبنى العباس فانشده

أصبح الملك ثابتا فى اساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وباس
يا كريم المطهرين من الرجس * ويارأس كل طود وراس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى
أقصهم ايها الخليفة واقطع * عنك بالسيف شأفة الارجاس
ولقد غاظنى وغاظ سوايا * قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها * الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسى

وهما حمزة بن عبدالمطلب وابراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس المنعوت بالامام فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع انينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت أكلة قط هى اهنأ ولا امرأ ولا أطيب فى نفسى من هذه ثم اخرج عمه عبدالصمد ابن على فى طلب بنى امية فى اقطار الارض ان وجد حيا قتله وان وجد مقبورا نبشه واحرق من فيه حتى أتى دمشق فدخلها وقتل فى جامعها يوم جمعة فى شهر رمضان خمسين الفا من بنى امية ومواليهم كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة اخرج هشاما من قبره فضرب مائة سوط وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقيل انه ضرب ابى ستين سوطا ظلما * وذكر الدوحى فى كتابه بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء سبب ذلك ان هشاما اتهمه بقتل سليط المنتسب الى ابيه عبدالله ففعل به ذلك (وقد) رأينا صوابا ان نذكر مقتل زيد المشار اليه فى الابيات المتقدم ذكرها فالشىء بالشىء يذكر

وان كان غير داخل فيما ترجمنا عليه فى هذا الفصل وكان ظهوره فى سنة ثنتين وعشرين ومائة بالكوفة وارسل هشام الى محاربته يوسف بن عمرو الثقفى فلما اقامت الحرب بينهم على ساقها انهزم اصحاب زيد وبقى جماعة يسيرة فقاتل اشد قتال وهو يقول

وذل الحياة وذل الممات * وكلا اراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم فى جبهته فات مقتولا منه فدفنه اصحابه ثم دل يوسف على قبره فاخرجه وقطع رأسه وارسله الى دمشق فعلق وصلب جثته عارية فتدلت سرته حتى سترت سوأته وذلك فى السنة التى ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأمر بها فأحرقت * وفيه يقول حكيم ابن عباش الكلبى يخاطب آل بنى طالب من ابيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم ار مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علىّ واطيب

ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة فى ربيع الاول وله من العمر ست وخمسون سنة وكان مدة خلافته تسع عشرة سنة واشهرا واياما * والقتيل بجانب المهراس هو حمزة بن عبد المطلب وانما نسب قتله لبنى امية لان ابا سفيان قاد الجيوش يوم احد لقتال المسلمين والمهراس ماء باحد قال المبرد وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم عطش فى يوم احد فجاءه على رضى الله عنه فى درقته بماء فعافه وغسل به الدم عن وجهه (ولما) زالت دولة بنى امية كان آخرهم مروان بن الحكم المكنى بالحمار وهرب فتبعه صالح بن على الى بلاد مصر فقتله بقرية من قراها تسمى بوصير * ويحكى انه لما قتل قدم رأسه بين يدى صالح فقتب فه فسقط لسانه فأخذه هر فقال صالح والله لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان فى فم هر لكفانا معتبرا ثم ادخل عليه ابنتان لمروان فقالت كبراهما السلام عليك يا أمير المؤمنين قال لست بأمير المؤمنين فقالت السلام عليك ايها الامير فقال وعليك السلام فقالت لقد وسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم احد انكم بدأتم بلعن علىّ بن ابى طالب على منابركم فاستوجبتم اللعنة من الله وقتلتم الحسين ابن علىّ وسرتم برأسه فى الآفاق وقتلتم زيد بن علىّ ونبشتموه وأحرقتموه بالنار وصلبتم يحيى بن زيد وامرتم من بال على وجهه وقتلتم ابراهيم بن محمد الامام وهو اسير فى ايديكم ظلما وعدوانا فقالت ايها الامير فليسعنا عفوكم قال اما هذا فنعم ثم امر فرد عليها ما ذكرت انه اخذ لها وخلى سبيلها * وانشد المهدى قول بشار بن برد فيه لما انفق الاموال التى جمعها المنصور فى اللذات والشرب والغناء

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فخرج المهدى الى البصرة ومار بدغيره فلما صار بالبطائح من همذان مر بدار كان بشار على سطحها قائما فلما أحس بمرور المهدى عليه خاف أن يعرفه فاندفع بشار يؤذن فقال المهدى من هذا الذى يؤذن فى غير الوقت فقالوا بشار فقال على به فلما مثل بين يديه قال له يا زنديق هذا من بذائك تؤذن فى غير الوقت ثكلتك أمك

فلو سكت لسانك ماعرف مكانك ثم أمر بضربه بالسياط فضرب حتى مات فصلبه (وقال) ابن عبدوس فى كتابه الذى صنفه فى اخبار الوزراء فى سبب قتله انه هجا يعقوب بن داود وزير المهدى فصنع يعقوب على لسانه هجاء للمهدى ودخل عليه فقال ياأمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد قد هجاك قال وماقال قال يعفينى أمير المؤمنين من انشاد ذلك فلم يزل به حتى أنشده

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدف وبالصولجان
أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

فقال له وجه من يحمله فخاف يعقوب من أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من ألقاه فى البطائح وقيل بل دس عليه من قتله فى طريقه وقيل انما قتل على الالحاد وكان يرى رأى الثنوية وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة * وفى المحرم سنة تسع ومائتين مات المهدى وله من العمر اثنان وأربعون سنة وخمسة عشر يوما * وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واحدا

﴿ وممن شفى غيظه من العدو المخالف ولم يغض له عن ذنبه السالف ﴾

الحجاج كان أيوب بن القرية قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندى كاتباله لما خلع ربقة الطاعة وادعى الخلافة فحاربه الحجاج دفعات فكانت الدائرة عليه وأخذ أيوب مع من كان معه فلما قدم على الحجاج أسيرا قال له ماأعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كأنهن ركب صفوف دنيا وأخرى ومعروف فقال له الحجاج بئس مامننت به نفسك يا ابن القرية أتراني ممن يخدع بكلامك والله لانت أقرب الى الآخرة منك الى موضع نعلى هذه قال أقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه لابد للجواد من كبوة وللحليم من هفوة فقال له أنت الى السطوة أقرب منك الى العفو عن الهفوة ألست القائل وانت تحرض حزب الشيطان وعدو الرحمن تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ثم امر بضرب عنقه فضربت وذلك فى سنة أربع وثمانين (ولما) انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لحق سعيد بن جبير بمكة وكان قد خرج معه فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فبعث به الى الحجاج فلما دخل سعيد على الحجاج قال له سعيد قال نعم قال ألم اقدم العراق واتهمت ان قام الموالى فلما بلغنى فقهك وحالك جعلتك امام قومك ووجدت عطاءك أربعين دينارا فبلغت بك سبعين دينارا قال بلى قال وسهلت اذنك قال بلى واستقصيت أبابردة من أبى موسى وهو فقيه ابن فقيه فجعلتك وزيره وكاتبه وأمرته أن لايقطع أمرا دونك قال بلى قال وأوفدت وفدا الى أمير المؤمنين فجعلتك مثلهم ولا يوفد مثلك فاستعفيتنى فأعفيتك وذلك كله بغير غضب من الحجاج ثم قال فما أخرجك على قال كانت لابن الاشعث فى عنقى بيعة فاستوى جالسا وقال ياعدو الله فبيعة أمير المؤمنين كانت فى عنقك قبل بيعة عبد الرحمن ياحرسى اضرب عنقه فلما ضربت عنقه التبس على الحجاج عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا أنه يطلب القيود التى على سعيد فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وقد أورد القصاص هذه الحكاية على غير هذا النمط والصحيح هو هذا والله أعلم (ايقاع الرشيد بالبرامكة) لما ولى الرشيد الخلافة قال ليحيى بن خالد ياأبت قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى اليك فاحكم بمارى واستعمل من رأيت وافرض لمن رأيت واقطع من رأيت فانى غير ناظر معك فى شىء ثم ولى فى سنة ست

وسبعين ومائة جعفر بن يحيي المغرب كله من الانبار الى أقصى بلاد افريقية ولى الفضل المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك وكان يحيي يميل الى الفضل والرشيد يميل الى جعفر فكان يقول ليحيي أنت للفضل وأنا لجعفر وكان الرشيد يسمى جعفرا باخيه ويدخله معه فى ثوبه (ولما) وقع من جعفر الذنب لم يحتمله الرشيد ولا قدر على الاغضاء عنه وجعل يتردد فى اعمال الحيلة على البرامكة ولا يري منهم ذنبا ظاهرا بينا يقتلهم به حتى لا يتوجه عليه لوم من الناس فى قتلهم لما كان بينه وبينهم من اتحاد الود فتكلم الرشيد يوما بكلمة نزع فيها جلساؤه كل منزع منهم من يحكي فى نوعها حكاية ومنهم من ينشد شعرا فأنشد بعضهم أبياتا فى غير المعنى الذى هم بصدده فكان سببا لامضاء عزمه فى الايقاع بهم يقول فيها

ليت هندا أنجزتنا ماتعد * وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاد الرشيد الابيات مرات فكان ذلك محرضا له على الايقاع بهم * وكان عند ما تغير عليهم صرف الفضل عما كان بيده من ولاية الشرق أولا فأولا من سنة ثمانين الى سنة ثلاث وثمانين ولم يزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية الى أن ركب فى يوم الجمعة مستهل صفر سنة تسع وثمانين الى الصيد وجعفر معه يسايره خاليا به وانصرف متمسيا الى القصر الذى كان ينزله بالانبار فلما وصل اليه ضمه واعتنقه وقال لولا انى أريد الجلوس الليلة مع النساء لما فارقتك وصار جعفر الى منزله وواصله الرشيد بالالطاف الى وجه السحر فبعث اليه مسرورا الخادم ومعه سالم وابن عصمة فهجموا عليه وأخذه مسرور وضرب عنقه ولقى الرشيد برأسه فانفذ الرشيد جثته الى بغداد وقطعت نصفين وصلبا على الجسرين (ولما) انصرف الرشيد من الرقة سنة تسع وثمانين الى بغداد مر بالجسر فرأى جثة جعفر فقال لئن مضى أثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك ثم أمر بها فاحرقت (ولما) قتل الرشيد جعفرا رحل الى الرقة وحمل معه يحيي وولده الفضل فحبسهما فيها بعد أن ضرب الفضل مائتى سوط ولم يجد ليحيي الاخمسة آلاف دينار وللفضل الاربعين ألف درهم ولم يجد لجعفر ولا لاخيه موسى شيأ ووجد لمحمد بن يحيي سبعمائة ألف درهم (ويقال) انه وجد لجعفر فى قصره سركة فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار مكتوب على أحد جانبي الدينار

وأصفر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجهه جعفرا

وعلى الوجه الآخر

يزيد على مائة واحدا * اذا ناله معسر تيسرا

(ولما) أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيي أباه والفضل أخاه كتب يحيي اليه من السجن من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله رفيقه ورفضه صديقه فحل فى الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين كبر سنى وضعف قوتى وارحم شيبتى وهب لى رضاك بعفو ذنب ان كان فان من مثلى الزلل ومن مثلك الاقالة وليس اعتذارا بل اقرارا حتى ترضى عنى فان رضيت رجوت ان يظهر لك من عذرى وبراءة ساحتى ما لا يتعاظمك ما مننت به على من رأفتك ورحمتك زاد الله فى عمرك وجعل يومى قبل يومك (فرد عليه الرشيد من كتاب) ان أمير المؤمنين لم يأت على ولدك اللعين ومن رأيه ترك الباقين ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاء نفسك انما أخرك وأيامهم

لتعالج البؤس بعد النعيم ثم تصير الى العذاب الاليم فابشر أيها المخادع الزنديق والمخالف الفسيق بما أعد لك أمير المؤمنين من تبديد شملك وخمول ذكرك واطفاء أمرك فتوقعه صباحا ومساء (ووقع الرشيد عليه) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم تناساه هو وابنه الفضل في سجن الرقة حتى ماتا فيه فمات يحيي في المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وعمره أربع وسبعون سنة ومات الفضل في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال امرى قريب من أمره وكذا كان فانه توفي بعده بخمسة أشهر في المحرم سنة ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة * وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وأياما فانه ولي سنة سبعين ومائة * وكان الفضل ترب الرشيد ورضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد (وذكر) ان الرشيد أقام يتردد في قتل جعفر سنين لا تطاوعه نفسه في قتله قال حسين الخادم أشهد بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا باستار الكعبة قائلا في مناجاته اللهم اني استخيرك في قتل جعفر ابن يحيي (ورثاهم) بعد موتهم من عامة الشعراء وغيرهم جم غفير وقد اخترنا أبياتا من أحاسن قصائدهم أردنا أن نبين فيها محاسن مقاصدهم (فمن ذلك) أبيات لاشجع الاسلمي

ولى عن الدنيا بنو برمك * ولو تولى الخلق مازادا
كانما أيامهم كلها * كانت لاهل الارض أعيادا

(آخر) كان أيامهم من حسن بهجتها * مواسم الحج والاعياد والجمع

(آخر) يابني برمك واهالكم * ولأيامكم المنتقلة
كانت الدنيا عروسا بكم * فهي اليوم ثكول أرملة

﴿ وفيهم يقول الصيف بن ابراهيم من أبيات ﴾

هوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى * وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف الساري وجوه المسالك

﴿ وللرقاشي ﴾

ألآن استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أرحت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولم تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي * وقل للرزايا كل يوم تجددي

(ويقال) ان الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان وذكر بعض المؤرخين أنه وجد على باب علي بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم من كتبهما ولا من قائلهما

ان المساكين بنو برمك * صبت عليهم نوب الدهر
ان لنا في أمرهم عبرة * فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبته قريبا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج في المحرم سنة تسع وثمانين

ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة (وكانت) مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما (ولله) در أبي كلثوم بن عمرو العتابي حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة صحبة السلطان وان ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد
أسرك اني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيي بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصني * معصمها بالمرهفات البوارد
ذريني تجيئني ميتتة مطمئنة * ولم تغ أهوال بتلك الموارد
فان كريمات المعالي مشوبة * بمستودعات من بطون الاساود
وان الذي يرقى من المجد والعلا * ملقي بأنواع الاذى والمكايد

(ولله) در المأمون اذ قال وكأنه يعتذر عن ايقاع أبيه بالبرامكة وان لم ينصه لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون ان ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحماتهم وكفاتهم وذلك انهم يرون ظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصيحتهم ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول في ذلك ما أوقع به الا رغبة في ماله أو رغبة فيما لا يجود النفوس به أو الحسد أو الملالة وشهوة الاستبدال ولا والله ما هو هذا وانما هي لجنايات في صلب الملك أو في تعرض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة ويحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب فلا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد مع علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة (ومن التشفي الشنيع) ما حكى ان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كان يطعن على عبد الله بن المقفع أشياء كثيرة منها انه كان يهزأ به ويسأله عن الشيء بعد الشيء تعنتا فاذا أجابه قال له أخطأت ويضحك منه فلما كثر ذلك عليه غضب وافترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نفذتهم الى رجال أهل الشام فحقدها عليه فآلى على نفسه ان أمكنه الله منه ليقتلنه شر قتلة فاتفق ان عيسى بن علي أمر ابن المقفع ان ينطلق الى سفيان وكان اذ ذاك على شرطة بغداد برسالة كان المنصور أمره بها فقال له اني لا آمن سفيان فقال له انطلق اليه ولا تخف فانه لم يكن ليعرض ذلك وهو يعلم مكانك مني فلم يجد ابن المقفع بدا من امتثال أمر عيسى فذهب حتى أتى باب سفيان فاستأذن فأذن له وكان في مجلسه العام فعدل به الى مقصورة ثم قام سفيان من مجلسه الى المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له وقعت والله فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمي مغتلمة كما قلت ان لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد قبلك وأمر بتنور فسجر ثم أمر به فقطع عضوا عضوا ويلقى في التنور وهو ينظر حتى لم يبق منه عضو متصل بعضو ثم قال يا ابن الزنديقة لاحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق بعد ذلك (وكان) رافع بن الليث خلع هرون الرشيد ولبس البياض وتغلب على بلاد ما وراء النهر وذلك في سنة تسعين ومائة وكان علي بن عيسى اذ ذاك على خراسان فحاربه فلم يقدر عليه فخرج الرشيد اليه من بغداد سنة ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض واشتد به المرض فلما كان يوم موته أخذ المرآة بيده فنظر فيها وجهه

فرأى عليه غبرة الموت فقال انا لله وانا اليه راجعون فبينما هو فى تلك الحالة اذ دخل عليه أخو رافع بن الليث أسيرا فلما مثل بين يديه قال انى لارجو اذ لم تفتنى أن لا يفوتنى أخوك والله لو لم يبق من عمرى الا أن أحرك شفتى بقتلك لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب وقال له لا تشحذ مديتك وفصله عضوا عضوا وعجل لئلا يحضرنى أجلى وعضو من اعضائه فى جسده ففصله ثم جعله اشلاء ثم قال له اعدد ما فصلت منه فاذا هو أربعة عشر عضوا فرفع يديه وقال اللهم كما مكنتنى منه فكني من اخيه ثم مات من ساعته (وكتب رجل) كان فى حبس المأمون اليه لما طال حبسه أغفلت يا امير المؤمنين أمرى وتناسيت ذكرى ولم تتأمل حجتى وعذرى وقد مل من صبرى الصبر ومسنى من حبسك الضر فاجابه المأمون ركوبك مطية الجهل صيرك اهلا للقتل وبغيك علىّ وعلى نفسك نقلك عن سعة الدنيا الى قبر من قبور الاحيا ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك على قدر صبرك على كثير جناياتك فان حصل فى نفسك كف عن معصيتى وعزم على طاعتى وندم على مخالفتى فلن تعدم مع ذلك جميلا من نيتى (ولما) ظفر أبو جعفر المنصور بعبد الله بن حسن قيده وحبسه فى داره فلما اراد المنصور خروجه الى الجيش جلست ابنة لعبد الله تسمى فاطمة على طريقه فلما بصرت به انشدت

ارحم كبيرا سنه متهدما * فى السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار بنى يزيد انهم * قتموا لفقدك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا * ما جدنا من جدكم ببعيد

فلما سمع المنصور ابياتها قال ادركتنيه ثم امر به فحدر فى المطبق فكان آخر العهد به * ويزيد المذكور فى شعر فاطمة هو اخو عبد الله بن حسن وأخذ عبد الله لاجل ولديه محمد وابراهيم وكانا قد خرجا على المنصور وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث المنصور اليهما عيسى بن موسى فقتل محمد بالمدينة وكان قتل ابراهيم ومحمد بين البصرة والكوفة فى رمضان سنة خمس واربعين ومائة * وقال ابو بكر الخطيب مات عبد الله بحبس الكوفة يوم الاضحى سنة خمس واربعين ومائة وهو ابن ست واربعين سنة * وكان المنصور قل ما يظفر باحد الا قتله سواء كان مستوجبا للقتل أو غير مستوجب وهذا كان فى اول خلافته فقال له عبد الصمد بن على قد ضخمت فى القتل والعقوبة حتى كأن لم يسمع بالعفو فقال ان بنى أمية لم تبل رممهم وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم ونحن قوم رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد الهيبة فى صدورهم الا باطراح العفو عنهم واستعمال العقوبة فيهم (ومن عجائب الظفر) ما حكاه الصولى أن المتوكل قال ركبت الى دار الواثق أزوره فى مرضه فى اليوم الذى مات فيه ولم أدر بذلك فدخلت الدار وجلست فى الدهليز ليؤذن لى فسمعت بكاء نادبة بناحية تشعر بموته فتجسست واذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران فى فقال محمد نلقيه فى التنور وقال ايتاخ بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه اثر القتل فبينما هما كذلك اذ جاء احمد بن أبى داود وكان القاضى يومئذ فمنعه الخدام الدخول فدافعهم حتى دخل فجعل يحدثهما بما لا أعقله لما داخلنى من الخوف واشغال القلب باعمال الحيلة فى الهرب والخلاص مما ائتمرا به فى فبينما أنا كذلك اذ خرج الغلمان يتعادون الىّ ويقولون انهض يا مولانا فاشككت أنى ادخل وابايع ولد الواثق وينفذ فى ما

قرر فدخلت فلقيني ابن ابي دواد فقبل يدي وامسكها الى ان صار بي الى السرير وقال اصعد الى المكان الذي اهلك الله له فلما صعدت وجلست سلم علي بالخلافة وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسلما علي أيضا ثم استدعوا القواد فسلموا علي ثم الناس على طبقاتهم فلما انقضت المبايعة بقيت متعجبا مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وايتاخ فسألت عن الحال وكيف جرت فقيل لي بدا محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ في تقرير ما سمعته اذ دخل عليهما ابن أبي دواد فسلم عليهما وعزاهما وقال أنا رسول المسلمين اليكما وهم يقرؤن السلام عليكما ويقولون لكما قد بلغنا وفاة امامنا وعند الله نحتسبه وأنتما المنظور اليكما في هذا الامر فمن اخترتما لامامتنا فقالا ابنه محمد فقال بخ بخ ابن امير المؤمنين الا أنه صغير لا يصلح للامامة فمن غيره فقالا فلان وفلان وعدا جماعة الى ان قالا وجعفر بن المعتصم فقال رضي المسلمون اصفقا على يدي فصفقا ثم ارسل الى أمير المؤمنين فكان ما رأى قال المتوكل فبقي ما قاله ايتاخ وابن الزيات في نفسي فقتلتهما بما احتز ماعليه من قتلي فقتلت ابن الزيات في التنور وايتاخا بالماء البارد * وكان ابن الزيات قد اتخذ التنور لابن أسباط المصري وهو صورة خابية مدورة وجعل لباطن جوانبه مسامير أطرافها الى داخل فاذا وقف فيه الواقف لا يستطيع الحركة الى جهة اخرى من جهاته الا ضربته المسامير فلا يزال قائما فيه حتى يموت فلما ألقي فيه ابن الزيات مر به عبادة المخنث فقال يا ابن الزيات اردت تخبز في التنور خبزت فيه قال المسعودي اقام ابن الزيات في التنور اربعين يوما الى ان مات وكانت مدة وزارته للمتوكل أربعين يوما (وذكر) أن الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما قبض عليه هرب الى البصرة فقيل له لم هربت قال خفت أن يقال لي ثاني اثنين اذ هما في التنور (قتل ابن الزيات في الرابع من صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وكان قد وزر لثلاث خلفاء المعتصم والواثق والمتوكل ولما قبض عليه قال يا نفس ألم يكفك التجارة واليسار والرغد من العيش حتى طلبت الوزارة وتعرضت للسباع في غيلها فذوقي الآن ما جنيت على نفسك * ومات الواثق بسر من رأى سنة اثنين وثمانين ومائتين وله من العمر ستة وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر واياما (أتي الاسكندر) بسارق فأمر بصلبه فقال ايها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره قال وتصلب أيضا وانت كاره

﴿ من راقب في العقوبة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالاعمال والقصاص ﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعض المفسرين هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم (كتب) عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم ان لك عند الله مالرعيتك عندك (وقال بعض الحكماء) اذكر عند القدرة قدرة الله عليك وعند الظلم عدل الله فيك (وفي المثل) كما تدين تدان (وقالوا) لا يندمل من المظلوم جراحه حتى ينكسر من الظالم جناحه (وقال أعرابي) لمن جار عليه لئن هملجت الى الباطل انك لعطوف عن الحق (وقال) عبيدة بن ابي لبابة من طلب عزا بباطل وجور اورثه الله ذلا بانصاف وعدل (وقال الشاعر)

لا تعالج ذا الذنب بالانتقام * واحترس من تباعة الآثام

فكرام الانام سيماهم العفـ * ـو قديما عن الذنوب العظام

(أتى) سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية يجب عليه فيها التعزير لا غير فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الاذان وما يوم الاذان قال اليوم الذى قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان وأمر باطلاقه (أتى) الرشيد ببعض من خرج عليه فلما مثل بين يديه قال ما تريد ان أصنع بك قال الذى تريد أن يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه أذل منى بين يديك فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين تفنى مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمثل هذا الباغى وتطلقه بكلمة واحدة ألا تأمن أن تتسلط عليك الاشرار بالاحسان اليهم فأمر برده فلما مثل بين يديه علم أنه قد اغرى به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم فى فلو اطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر باطلاقه (آخذ) الحجاج محمد بن الحنفية بعدما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اذا اجتمع الناس عليه كنت كاحدهم قال والله لاقتلنك قال لعلك لا تدرى قال مالي لا ادرى قال محمد حدثنى أبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله فى كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يقضى فى كل لحظة ثلثمائة وستين قضية فلعله ان يكفيك فى قضية من قضاياه فانتفض الحجاج وقال لقد لحظك الله فاذهب حيث شئت وخلى سبيله وكتب الحجاج بهذا الكلام الى عبد الملك بن مروان ووافق ذلك كتاب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده ويهدده فكتب اليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم اليه ما انت بابى عذرة هذا الكلام ماهذا الا كلام من أهل بيت نبوة (وقال رجل) لامير غضب عليه أسألك بالذى أنت بين يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم وهو على عقابك اقدر منك على عقابى الا نظرت فى امرى نظر من يرى برءى أحب اليه من سقمى وعدله فى أولى به من ظلمى فعفا عنه وأطلقه (ولما) هجم ابن حمران على مصر فى أيام المستنصر بالله واحرق دار الزيت وتخطف عسكره اجتمع الناس الى ابي الفضل الجوهرى الواعظ فشكوا حالهم اليه فكتب الى المستنصر ان كنت خالقا فارحم خلقك وان كنت مخلوقا فخف خالقك والسلام فرفع ذلك عنهم (غضب) محمد بن سليمان على رجل فأمر بطرحه فى القصر فقال له رجل اتق الله فى فقال خلوا سبيله فانى كرهت ان اكون كالذى اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم (قدم) الى احمد بن نصير مجوسى جنى جناية فأمر بضربه فقال ايها الامير اضرب بقدر ما تقوى عليه يريد بذلك القصاص فى الآخرة فتركه وترك العمل (وأخذ) مصعب رجلا من اصحاب المختار بن أبى عبيدة فأمر بضرب عنقه فقال ايها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذى يستضاء به وأتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلنى قال اطلقوه فقال ايها الامير اجعل ما وهبت من حياتى فى خفض عيش قال اعطوه مائة درهم فقال ايها الامير اشهد ان لابن قيس الرقيات منها خمسين الفا قال ولم قال لقوله فيك

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت كلا ولا كبرياء

يتقى الله فى الامور وقد افلح * من كان همه الاتقاء

فتبسم مصعب وقال ان فيك لموضعا للصنيعة وأمر بملازمة جنابه فلم يزل معه حتى قتل فى جمادى الاولى

سنة اثنتين وتسعين وقتل أخوه عبد الله فى جمادى الاولى وكانت مدة خلافته تسع سنين واثنين وعشرين يوما ومات امه أسماء بعده بخمسة ايام لم تشب ولم يقع لها سن ولها من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبد الله وانما عرف أبوه قيس الرقيات لانه تشبب فى شعره بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية وقيل اجتمع فى جداته ثلاث رقيات وعلى القول الاول يقال الرقيات بالضم على الصفة وقيس بالتنوين وعلى الثانى يقال قيس الرقيات بالكسر على الجدات وأما الرقيات اللاتى شبب بهن فنهن رقية بنت عبد الله بن جعفر وفيها يقول زودتنا رقية الاحزانا * يوم جازت حمولها سكرانا

ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول

أمست رقية دونها العمر * فالرقة السوداء فالبشر

ورقية بنت الجسن وهى ابنة عم رقية بنت عبد الواحد وفيها يقول

اتكنى عن رقية أم تبوح * ومن تبع الهوى حينا فضوح

﴿ الفصل الثالث من الباب الرابع عشر ﴾

فى أن الانتقام بحدود الله خير فعلات من حكمه الله وولاه

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * وروى أبو داود فى مراسيله التى أخرجها فى سننه عن مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود فى السفر والحضر على البعيد والقريب ولا تبالوا فى الله لومة لائم (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام فى الارض خير لاهلها من مطر أربعين صباحا (وقال) الحسن البصرى رحمه الله تعالى ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش وأنزل القصاص حياة لعباده فاقتصوا وحدوا ولا تخافوا فى الله لومة لائم ولا يحل لاحد أن يشفع فى اسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفوع اليه أن يشفع فيه لما روى عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى ﴿ فيما ﴾ ورد عن ذوى البصائر والاحلام فى كنه مشروع الايقاع والايلام (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلد فوق عشر جلدات الا فى حد من حدود الله عز وجل (وقال) عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوقفوا الحدود ما وجدتم موقفا ولأن يخطئ الامام فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة فاذا وجدتم مخرجا لمسلم فادرؤا عنه الحدود (وقال) بعض الحكماء رب ذنب مقدار العقوبة فيه اعلام المذنب بما جنى لا يتجاوز حد الارتفاع الى حد الايقاع (وقيل) لحمة بن رافع الدوسى من أعدل الناس قال من عفا اذا قدر وأجمل اذا انتصر ولم يطغه غير الظفر (ويحكى) أن جعفر بن محمد الصادق قال لابى جعفر المنصور وقد غضب على رجل فاسرف فى عقوبته أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تغضب لله سبحانه باكثر مما غضب به لنفسه ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمنتقم فوق حقه لم عاقبت عبدى باكثر مما حددته فيقول يارب انما غضبت لك فيقول الله سبحانه أكان غضبك ان يكون فوق غضبى (وقال) أبو الدرداء لرجل اسمع كلاما يا هذا لا تغرقن فى سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من

عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه (وقال) بعض الحكماء ان الحق ثقيل فمن قصر فيه عجز ومن جاوزه ظلم ومن انتهى اليه اكتفى (أتى المأمون) برجل وجب عليه حد فأمر بضربه فقال يا أمير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال ما أنا بأرحم من الذي أوجب الحد عليك (وقالوا) جماع الخير كله في القيام بحدود الله (تقدمت) امرأة الى ابن الزيات وكان قد حبس ابنها في دم فاستغاثت فنهرها وزوى وجهه عنها فقال بعض من حضر ارحمها أيها الوزير انها أمه قال أفلا أرحم أم المقتول (شاعر)

اذا عفا الملك في عفوه * من ربه كدر نعماه * وان سطا عاقب ذا زلة * بقدره لا يتعداه

(وقال) أكثم بن صيفي لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فان الله تعالى أقدر منك على عدوك (وقال) سري السقطي خصلة من أعلام الاسلام وقواعد الايمان من اذا قدر لم يتناول ما ليس له (وقالوا) العفو احتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يفضي الى حد ولا ينقض سنة ولا يولد جرأة فأما الذي يرتكب عمدا أو يوجب حدا فلا احتمال له ترخيص في الذنوب والتجاوز عنه ابطال الحدود وذلك ما لا تحتمله السياسة ولا تطلقه الشريعة فمن عفا عمن يستوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق المثوبة (ذكر) الحدود التي أوجبها الله تعالى على من أفرط في ارتكاب الفواحش وتغالى (الحدود) وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر فلا تقام الا بعد سماع بينة أو اقرار فان لم تكن بينة أحلف الخصم وذلك في حقوق الآدميين وهي نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سكر وحد سرقة وحد قذف (لحد الزنا) وهو أكبر الكبائر يثبت بأحد أمرين اما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء يشترط في قبول شهادتهم رأي العين للمباضعة وفي جواز تعمد النظر خلاف وحد الرؤية أن يرى من شهد تغييب البالغ العاقل حشفة ذكره في أحد الفرجين لا عصمة بينهما ولا شبهة * والزاني نوعان بكر ومحصن ويجلد الفاعل في البكر ان كان حرا بالغا عاقلا عالما بالتحريم مائة سوط على سائر أعضائه دون الوجه والرأس والخاصرة وسائر الاعضاء المخوفة ويغربان كلاهما وقال مالك بتغريب الرجل دون المرأة وقال أبو حنيفة لا يغرب والتغريب عام مسافة القصر وحد الكافر غير الحربي والمسلم في الجلد والتغريب سواء وحد العبد على النصف من حد الحر ويغرب نصف عام في أحد القولين وقال مالك لا يغرب لما في تغريبه من الاضرار بسيده فاما المحصن فهو الذي أصاب وطأ محرما بعد نكاح وحده الرجم بالحجارة حتى يموت ولا يلزم الراجم توقي مقاتله ولا يجلد فان رجم بالبينة رجم في حفير يمنعه من الهرب وان هرب أتبع بالرجم حتى يموت وان رجم باقرار لم يحفر له وان هرب لم يتبع واذا تاب الزاني بعد القدرة عليه لم يسقط عنه الحد (حد السرقة) والسرقة أخذ مال من حرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل مختار لا شبهة له في المال ولا حرزه فحده قطع يده اليمنى من مفصل الكوع والنصاب ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار وهو عشرة دراهم عند الشافعي وثلاثة دراهم عند مالك والاحراز تختلف باختلاف الاموال واذا قطع السارق والمال باق رد على مالكه وان سرقه ثانية قطع وقال أبو حنيفة لا يقطع في مال مرتين وان عفا رب المال عن القطع لم يبطل ويستوى في قطع السرقة الرجل والمرأة والحر والعبد والمسلم والكافر * واذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وان سرق

خامسا لم يقتل بل يعزر لانها معصية ليس فيها حد ولا كفارة * واذا تلف المسروق فى يد السارق ضمن بدله وقطع لان الضمان يجب بحق الآدمى والقطع يجب لله فلا يمنع أحدهما الآخر كالدية والكفارة ولا يقطع صبي ولا مجنون ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال والده أو جده لان لكل واحد منهما شبهة فى مال الآخر (حد الخمر) كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ حد شاربه سواء أسكر أو لم يسكر اذا كان مكلفاً * والسكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين السماء والارض ولا بين الطول والعرض هذا قول أبي حنيفة وقيل هو ان يجمع بين اضطراب الكلام فهما وافهاما وبين اضطراب الحركة مشياً وقياما (ويحكى) أنه لما جلس أبو بكر محمد بن أبي داود الاصفهاني الظاهرى بعد أبيه يفتى استصغروه فدسوا اليه رجلا وقالوا له سله متى يكون الشارب سكران فسأله الرجل فقال اذا عزبت عنه الهموم وباح بسره المكتوم فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم (وقال آدم بن عبد العزيز فى حده)

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا * نرى الارض تمشى والجبال تسير

اذا مر كلب قلت قد مر فارس * وان مر هر قلت ذاك بعير

تسايرنا الحيطان من كل جانب * نرى الشخص كالشخصين وهو صغير

* والحد فى حق الحر ان يجلد أربعين بالايدى أو بأطراف الأكمام أو بالسوط ويبكت بالقول الممض والكلام الرادع وحد العبد على النصف من حد الحر كذا جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وصدرا من خلافة عمر فقال للصحابة أرى الناس قد انتهكوا فى شرب الخمر فما ترون فقال على رضي الله عنه أرى ان يجلد الحر ثمانين والعبد أربعين ففعل ذلك فلما لم يكن بد من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الفقهاء الاربعين الاولى حداً والثانية تعزيرا لاجل الافتراء لان الشارب اذا سكر عربد واذا عربد افترى واذا افترى استحق التعذير فان مات فى الاربعين كانت نفسه هدرا وان مات فى الثمانين ففيه قولان أحدهما جميع الدية لتجاوزه النص فى حده وهو الاربعون والثانى نصف الدية لان نصف حده نص والآخر مزيد (وحد القذف) ثمانون جلدة اجماعا وهو من حقوق الآدميين يستحق بالطلب ويسقط بالعفو ويعتبر فى المقذوف خمس شروط البلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة وان كان غير ذلك لا يحد قاذفه بل يعذر لأجل الاذى * وشرط القاذف أن يكون بالغاً عاقلا حراً وان كان صغيراً أو مجنوناً فلا يحد ولا يعزر وان كان عبدا حد أربعين لنقصه بالرق ويستوى فى الحد المسلم والكافر والمرأة ولا يحد القاذف بالسرقة والكفر بل يعزر لأجل الأذى * والقذف بالزنا ما كان بالتصريح لا بالتعريض وقيل بالتصريح والتعريض وهو مذهب مالك وقيل لا حد فى التعريض وهو مذهب الشافعى (والتعزير) هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ولا يبلغ به أدنى الحد فلا يبلغ به فى الحر الى الاربعين ولا فى العبد الى العشرين فالذي لم تشرع فيه الحدود كمباضعة الاجنبية فيما دون الفرج وسرقة ما دون النصاب والسرقة من غير حرز والقذف بغير الزنا أو الجناية التى لا قصاص فيها * ويجوز أن يكون التعزير بالعصا وبالسوط وهو على حسب ما يراه الامام ويختلف باختلاف الذنب وحال فاعله كقوله عليه الصلاة والسلام أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم الا فى الحدود فيعزر من جل قدره بالاعراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف ويعزر من

دونه بزواجر الكلام ويعزر من دونه بالضرب وحالهم فى الحبس كذلك من يوم الى غاية غير مقدورة *
ويجوز فى التعزير العفو عنه اذا لم يتعلق به حق لآدمى كالشتم والضرب وان عفا المشتوم أو المضروب كان ولى
الامر مخيرا بين التعزير تقويما أو العفو صفحا وان تعافوا قبل الترافع اليه كان ولى الامر مخيرا ويجوز الامر
(والجنايات) هى قود وعقل * والجنايات على النفوس ثلاثة عمد محض وخطأ وشبه عمد (أما العمد المحض)
فهو ان يتعمد رجل قتل انسان بما يقتل غالبا ففيه القود أو الدية * والقود أن يقتل القاتل بمثل ما قتل
به المقتول اذا قتل بالسيف لم يقتص منه الا بالسيف وان أحرقه أو أغرقه أو رماه بحجر أو رماه من شاهق
أو ضربه بخشبة أو حبسه ومنعه الطعام والشراب فمات فللولى ان يقتص بذلك لقوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به * والدية فى هذا القتل مائة من الابل فى مال القاتل حالة فان أعوزت الابل
وجب قيمتها بلغت ما بلغت وقيل ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الابل عبد
المطلب * وحكم القود فيه أن يفضل القاتل على المقتول بحرية أو اسلام فلا يقتل حر بعبد ولا ذكر بأنثى ولا
مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعى فان قتل حر عبدا فلا قود وكذا لو قتل مسلم كافرا وقال أبو
حنيفة يقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر والكافر بالمسلم ويقاد الرجل بالمرأة والمرأة
بالرجل والكبير بالصغير والعاقل بالمجنون مراعاة لقول الله تعالى ان النفس بالنفس وقال المخالف له هذه
الآية واردة بحكاية ما كتب فى التوراة على أهلها والذى خوطب به المسلمون كتب عليكم القصاص فى
القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ولا يقاد والد بولد ويقاد الولد بالوالد والاخ بالاخ (وأما الخطأ)
الظاهر فهو ان ينسب اليه الفعل من غير قصد لايقاع الفعل بالمقتول كرجل رمى هدفا فأصاب انسانا أو ركب
دابة فرمحت بانسان فمات فهذا وما شبهه اذا حدث عنه القتل قيل فيه خطأ محض تجب فيه الدية دون
القود على عاقلة الجانى فى ماله مؤجلة تؤخذ من حين يموت المقتول فى ثلاث سنين أخماسا عشرون خلفة
وهى التى مضى عليها سنة وخلفت عن أمهاتها وعشرون بنت مخاض وهى التى مضى لها من العمر سنتان
وعشرون بنت لبون وهى التى مضى لها من العمر ثلاث سنين وعشرون حقة وهى التى مضى لها من العمر
أربع سنين وسميت حقة لانها استحقت ان يحمل عليها وعشرون جذعة وهى التى مضى لها من العمر
خمس سنين ولا يتحمل القاتل مع العاقلة شيأ من الدية ولا يتحملها الأب وان علا ولا الابن وان سفل
لانهما ليسا من العاقلة * وعلى القاتل خطأ مع الدية عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب فانه لما اخرج
نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق
كاحيائها من قتل لان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ومن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به اليها فعليه
صيام شهرين متتابعين (ودية نفس الحر المسلم) ألف دينار وان كانت ورقا اثنا عشر ألف درهم وان كانت
ابلا فمائة من الابل وهى أصل الدية ودية المرأة على النصف من دية الرجل فى النفس والاطراف
ودية اليهودى والنصرانى ثلث دية المسلم وقال مالك نصفها ودية المجوسى ثلثا عشر دية المسلم ودية العبد
قيمته وان زادت على الحر أضعافا (وأما شبه العمد) فهو ان يكون عامدا فى الفعل غير قاصد للقتل كمعلم
أدب صبيا فمات أو عزر السلطان رجلا على ذنب فتلف فلا قود فى القتل وفيه الدية على العاقلة وهو ان يزاد

عليها ثلثها تؤخذ فيها ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة * والعاقلة هم العصبات الذين يرثون بالنسب والولاء واذا اشترك جماعة في قتل رجل واحد وجب القود على جميعهم وان كثروا ولولي الدم ان يعفو عمن شاء منهم ويقتل باقيهم وان عفى عن جميعهم فعليهم دية واحدة تقسط عليهم بالسوية وان كان بعضهم جارحا وبعضهم ذابحا فالقود في النفس على الذابح الموفي والجارح مأخوذ بجراحته * واذا قتل الواحد جماعة قتل بالاول ولزمه القود في الباقين وتؤخذ دياتهم من ماله * والقود في الاطراف كما قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ولا تقاد يمنى بيسرى ولا صحيحة بشلاء ولا ضرس بسن ولا ثنية برباعية ولا لسان ناطق بلسان أخرس لانه أكثر من حقه ويؤخذ الاخرس بالناطق وما انقسم الى أعلى وأسفل لم يؤخذ الاعلى بالاسفل ويقاد الشريف بالدني

﴿ ما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان وحواسه ﴾

العقل الاذنان السمع على حياله العينان البصر على حياله الاجفان الاهداب على حيالها الانف الشم على حياله الشفتان النطق على حياله الاسنان اللسان الذوق على حياله اللحيان اليدان الاصابع على حيالها الصلب قوة الامناء الاليتان الذكر الانثيان ابطال شهوة الجماع على حيالها الرجلان منفعة المشي والبطش من غير قطع اليدين والرجلين سلخ جميع الوجه نزع لحم الاكتاف نزع جميع اللحم النابت على الظهر

(ما تختص به المرأة دون الرجل)

الثديان وفي الرجل خلاف الشفران الافضاء * ويجب في كل جفن ربع الدية وفي كل سن خمس من الابل وكذلك في الاضراس والرباعيات وفي كل اصبع من اليد أو الرجل عشر الدية لا يفضل اصبع على أصبع وفي كل انملة ثلث عشر الدية ما خلا الابهام فان في كل أنملة منه نصف العشر (واذا) وجب القود في نفس أو طرف لم يكن لوليه أن ينفرد باستيفائه الا باذن السلطان وان صار الى حقه من غير اذن السلطان فلا شيء عليه واذا تعذر وخاف فوات القاتل فالولي مخير بين أن يعفو أو يقتل أو يأخذ الدية وذلك مما خص الله به هذه الامة وذلك ان الله كتب على أهل التوراة القصاص وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وأوجب على أهل الانجيل العفو وحرم عليهم القصاص وأخذ الدية (المحاربون) وهو اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق واخذ الاموال ومنع السابلة فالحكم فيهم كما قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض وحكم هذه الآية أنها مرتبة باختلاف افعالهم لا باختلاف صفاتهم فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومذهب مالك وأبي حنيفة أن يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يموت ولا بأس ان يطعم ويسقى لا يجوز العفو عن هذا القتل وان عفا ولي الدم ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى للسرقة ورجله اليسرى للمجاهرة باخافة السبيل ومن هيب ولم يقتل ولم يأخذ المال عزر لا غير ونفي (والنفي) هو الحبس وهو قول مالك وأبي حنيفة وقال الشافعي هو أن يطلبوا لاقامة الحدود فيبعدوا فان تابوا سقطت عنهم الحدود وقيل الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل * وتوبة المحارب

قبل القدرة عليه فان لم يكن فى منعة وضع عنه الحد الالهى ولا يسقط عنه حد الآدمى وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه تضع عنه جميع الحدود والحقوق الا الدماء والله أعلم

الباب الخامس عشر فى الاخوة وفيه ثلاث فصول

الفصل الاول من هذا الباب

(فى مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان)

(قال) الله تعالى حكاية عن قول الكفار فى دركات النار فى طلبهم الاغاثة من الصديق على ازالة ما مسهم من عذاب الحريق أو تخفيف مالهم من العذاب الاليم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قيل) انما سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه من المودة وسمى العدو عدواً لعدوه عليك اذا ظفر بك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان الله حيى كريم يستحى ان يعذب عبده بين اخوانه (وقال) عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه (وقال) عليكم باخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان وشركاء فى السراء والضراء وما احسن قول من قال

مادامت النفس على شهوة * الذ من ود صديق أمين
من فاته ود أخ صالح * فذلك المقطوع منه الوتين

(وقيل لحكيم) ما احسن العيش قال اقبال الزمان وعشرة السلطان وكثرة الاخوان

ماضاع من كان له صاحب * يقدر ان يرفع من شانه
وانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

(ولعلىّ كرم الله وجهه فى معناه)

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب * وان عدوّا واحدا لكثير

(وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (ويقال) الرجل بلا اخ كشمال بلا يمين وقال الشاعر

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

(وقالوا) من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والخذلان (وقالوا) اتخاذ الاخوان مسلاة للاحزان (وقالوا) مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين (الثعالبى) الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين * وقال الصديق ثانى النفس وثالث العينين * وقال فى لقاء الاخوان روح الجنان وراحة الجبان * وقال لا فاكهة أطيب من مفاكهة الاخوان ولا نسيم اروح من مناسمة الخلان * وقيل لبعضهم أيما أعز عليك شقيقك أم صديقك قال شقيقى اذا كان صديقى (وقالوا) الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس أمارة بالسوء والاخ الصالح لا يأمرك الا بالخير (ولم يقل) فى احتياج الانسان الى صديق يزينه فى المشاهد ويعينه على بلوغ المقاصد مثل قول الفقيه منصور

لولا صدود الصديق عني * ما نال واش منساه منى

ولا أدمت البكاء حتى * قرح فيض الدموع جفنى
وما جفاه الصديق الا * هجوم خوف عقيب أمن

(وقالوا) اصطف من الاخوان من كان ذا عقل موفور يهتدى به الى مراشد الامور فان الاحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال (وقالوا) اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه ردء لك عند حاجتك وركن عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عاقبتك

(وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه)

أخلاء الرجال هموا كثير * ولكن فى البلاء هموا قليل
فلا يغررك خلة من تصافى * فمالك عند نائبة خليل
وكم خل يقول أنا وفى * ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين * فذاك لما يقول هو الفعول

(وقد صرح الشاعر فى اعتبار الاخلاق واختيار الاعراق) بقوله

واذا جهلت من امرئ أعراقه * وذكرتها فانظر الى ما يصنع
ان النبات اذا استدام به الثرى * مرج النبات به فطاب المرتع

(آخر) صافى الكريم نخير من صافيته * من كان ذا شرف وكان عفيفا
ان الكريم اذا تضعضع حاله * فالخلق منه لا يزال شريفا

(وقال على) رضى الله عنه الاخ رقعة فى ثوبك فانظر بم ترقعه (وقال العتابى) لا تستكثرن من الاخوان الا ان كانوا أخيارا فان الاخوان غير الاخيار بمنزلة النار قليلها متاع وكثيرها بوار وقد قال الشاعر

لا تركنن الى أهل الزمان ولا * تأمن الى أحد واستشعر الحذرا
فان شككت فجرب من تعاشره * حتى يقول لك التجريب كيف ترى

(آخر) تخير من الاخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه
وقارن اذا قارنت حرا فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

(عدى بن زيد)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(آخر) لانك للجاهل خدنا فقد * يعتبر الصاحب بالصاحب
علامة الانسان فى خدنه * تبين للشاهد والغائب

(ولبعضهم)

اذا اخترت أن يبقى لك الدهر صاحباً * فمن قبل ان يصفو لك الودّ فاغضبه
فان كان فى حال التباغض راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال ابن مسعود) ما شىء ادل على شىء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب (وقال حكيم) كل

انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه (ومن النوادر) أن حكيما رأى غرابا مع حمامة فعجب من تآلفهما مع مباينتهما فى الجنس فأثارهما فاذا كل منهما مكسور الجناح فقال انما جمع بينهما العلة (وقالت الحكماء) الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق (وقالوا) على قدر تشاكل الاجناس تتألف قلوب الناس وأقربهما مشاكلة أحسنهما مواصلة وأكثرها تنافرا أطولهما تهاجرا (وحكى) أن عبد الله ابن جعفر جاء مكة ليلا فبات خارجها فلما اصبح دخلها فقال يا أهل مكة عرفنا أخياركم من اشراركم فى ليلة واحدة نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل أخيارنا على اخياركم وأشرارنا على اشراركم وقد نظم المتنبى هذا القول فى بيت واحد فقال

وشبه الشىء منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام

(ولغيره) لكل امرئ شكل من الناس مثله * واكثرهم شكلا أقلهم عقلا

وكل أناس يألفون لشكلهم * وأكثرهم عقلا أقلهمو شكلا

لان كثير العقل ليس بواحد * له فى فريق كل حين له مثلا

(آخر) وقائل كيف تهاجرتما * فقلت قولا فيه انصاف

لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال والاف

(وقال الجاحظ) من شأن الاجناس أن تتواصل ومن عادة الاشكال أن تتقاوم والشىء يتغلغل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقى عنصره وشج بعروقه وسبق بفروعه وتمكن على الاقامة وثبت ثبات الطينة

(وقال حاتم) وانى وجدت الفقر مشترك الغنى * وتارك شكل لا يوافقه شكلى

وشكلى شكل لا يقوم بمثله * من الناس الا كل ذى نقة مثلى

ولى ملح فى الجد والبذل لم يكن * تأنقها فيما مضى أحد قبلى

واجعل مالى دون عرضى جنة * لنفسى واستغنى بما كان من فضلى

(أبو سليمان الخطابى)

وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل

وأنى غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتى وبها أهلى

(ويقال) المودة نسبة من غير رحم وصلة من غير قرابة (شاعر)

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب نائيا * واذا المودة أقرب الانساب

(آخر) ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب بالنسب

كم من قريب بعيد الود مطمن * ومن بعيد سليم الود مقترب

﴿فنون شروط الاخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه﴾ والقول الجامع لحقوق الصديق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد

ترك حقا واجبا لاخيه عليه أن يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويجيبه اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات (وقال) عمر بن الخطاب ثلاث يصفو بها ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه نظم بعض الشعراء هذه الكلمات

ثلاث بها تصفو بود أخيكا * اذا اجتمعت بعد الاخوة فيكا
تسلم عليه ضاحكا متحببا * اليه اذا لاقيته ولقيكا
وتوسع له بالود فى كل مجلس * كما كنت يوما موسعا لابيكا
وتدعوه من اسمائه بأحبها * اليه تكن بالود منه وشيكا
وداوم عليها مع أخيك فانه * من السوء عند النائبات يقيكا

(وسئل) عبد الله بن عمر ما حق الصديق على صديقه قال لا تشبع ويجوع وتلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء نظم شاعر هذه الكلمات فقال

لخليلى علىّ منى ثلاث * واجبات اخص بها اخوانى
حفظه فى المغيب ان غاب عنى * ولقياه بالبشر ان لاقانى
ثم بذلى بما حوته يمينى * مشفقا فى الخطوب ان مادعانى

(فيما يعتمد من شرائط الاخاء والمودة رعاية الاخ أخاه فى الرخاء والشدة) (قال) على رضى الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته (وقال) طاوس اليمانى لا تواخين الا الكريم الابوة الكامل المروءة الذى ان بعدت عنه خلفك وان قربت اليه كنفك (وقال الثعالبى) ينبغى أن يكون الصديق لصديقه أسمع من خادم وأطوع من خاتم (وقيل) لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أى الاخوان أخلق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينساك عند البعد ان دنوت منه دعاك وان بعدت عنه رعاك لا يقبضه عنك يسر ولا يقطعه عنك عسر ان استعنته عضدك وان احتجت له رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه (وقال) جعفر الصادق رضى الله عنه للصداقة خمس شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شئ منها وهى أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وان لا يغيره عليه مال وان يراه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات (وقال) أبو بكر بن عبد الله المزنى اذا انقطع شسع نعل أخيك ولم تواسه فى الحفاء فقدمات الى جانب من الجفاء (ومن حق الصداقة) حفظ العهد وبذل المال واخلاص المودة ورعاية الغيب وتوقير المشهد ورفض الوحدة وكظم الغيظ واستعمال الحلم ومجانبة الخلاف واحتمال الكل وطلاقة الوجه وصدق اللسان والمشاركة فى البأساء

(ولقد كرم نجار من قال فى معرض الافتخار)

لم يبق منى على الايام باقية * الا انقضت غير حفظ العهد والذمم
هذان خلقان أيام الحياة معى * لا يبرحان على الاكثار والعدم

(أبو العتاهية) أحب من الاخوان كل موانى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى

يوافقني في كل أمر أريده * ويحفظني حيا وبعد مماتي
ومن لي بهذا ليت أني وجدته * فقاسمته مالي من الحسنات

(وقالوا) خير الاخوان من يستر ذنبك فلم يقرعك به ويخفي معروفه عندك فلم يمن به عليك (وقال اعرابي) اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه (وقال آخر) اصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة عدها وان عثر على سيئة سدها لاتخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه (أبو نصر الميكالي)

أخوك من ان كنت في * نعمى وبؤسى عادلك
وان بدا لك نقمة * بالبر منه عادلك

(آخر) خير اخوانك المشارك في المر * وأين الشريك في المر أينا
الذي ان حضرت زانك في الحي * وان غبت كان أذنا وعينا

(آخر) لعمرك مازان الفتى في أموره * ولاشان الاطباع الخلائق
ولاصاحب الاقوام في كل حالة * كحر كريم أو خليل موافق
يواسيك في البلوى ويمنحك الهوى * ويصفيك ودّا ماخضا غير ماذق
يكون اذا نابتك يوما عظيمة * سنانا لدى الهيجاء في كل مارق

(آخر) ان أخا الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقيل) لخالد بن صفوان أي اخوانك أوجب عليك حقا قال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي ويبسط عنده أملي (وقال الثعالبي) صديقك من يرضى خلتك ويسد خلتك (وقال) الحجاج لابن القرية ماالكرم قال صدق الاخاء في الشدة والرخاء (ويقال) صديقك من ساعفك في أطوارك وقدم سعيه في قضاء أوطارك أبو تمام حبيب

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الجهل ردّ جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

(وقال) الخليل بن احمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال اربع خصال الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسئلة ومخرج العذر قبل العتب (وقال رجل) لمطيع بن اياس جئتك خاطبا لمودتك قال قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لاتسمع في مقالة الناس (وقالوا) الستر لما عاينت أحسن من اذاعة ماظننت شاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * حليما ظريفا ماجدا فطناحرا
فان مابدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(قيل) لبعض الادباء من الرفيق قال من احسن شغله وأوكد فرضه ونفله فقيل له من

الشفيق قال من ان دهمتك محنـة قذيت عينه لك وان شملتك منحة قرت عينه بك فقيل له فمن الوفى قال من يحكى بالقصد كمالك ويرعى بلحظه جمالك قيل له فمن الصاحب قال الذي من اذا نأي ذكرك عند الناس وان دنا خدمك في الكناس (وقال بعض البلغاء) اذا جادلك أخوك بماله فقد جاد لك بنفسه لأنه قد بذل لك مالا قوام لنفسه الا به واذا بخل عليك برفده فلا تصدقه فى وده ولله در القائل

اذا صاح بى صاحبي يا أخى * وقد عظه الدهر لبيته
أعلل بالوصل عرس الاخاء * ليزكو ما كنت ربيته
له الصفو مما حوته يدي * ويبقى اذا زارنى بيته

(آخر) أميل مع الصديق على ابن أمى * وآخذ للصديق من الشقيق
فان أبصرتنى حرا مطاعاً * فانك واجدى عند الصديق

(وقالوا) لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك اياه عند الرخاء (وقالوا) اجعل حسنات أخيك له محسوبة وسيآته الى الزمان منسوبة (وقالوا) من علامة الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقا او لعدوّ صديقه عدوّا (وقالوا) ليس من الحب أن تحب مايبغض حبيبك

(السرى الرفاء) وليس يكون المرء سلم صديقه * اذا لم يكن حرب العدو المخالف
(آخر) صديق عدوى داخل فى عداوتى * وانى لمن ود الصديق ودود
(آخر) تودعدوي ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب

(آخر من أبيات)

اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانقطع الكلام

(وقالوا) يجب على الصديق ان يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة (وقالوا) اذا صح الود سقطت شروط الادب (ويقال) اذا صح الاعتقاد ذهب الانتقاد * وقال المأمون أحب الاخوان الىّ من يكفينى مؤنة التحفظ

﴿ ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفض العتاب واجتناب التقريع ﴾

قال عيسى عليه السلام الصبر على أخ بعيب فيه خير من اخ تستأنف مودته (وقيل) من عاتب فى كل ذنب أخاه فحقيق ان يمله ويقلاه (وقالوا) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان مابينهما من الاساءة * شاعر

زين أخاك بحسن وصفك فضله * واثبت لما يأتى من الحسنات
وتجاف من عثراته واسائه * من ذا الذى ينجو من العثرات

(وقالوا) العفو الذى يقوم مقام العتق ماسلم من تعداد السقطات وخلص من تذكار الفرطات (وقالوا) ليس من العدل سرعة العذل * ويقال العتاب داعية الاجتناب (وقالوا) عتاب الأحباب داعية الهجر والسباب (وقالوا) العتاب آكد دواعى القطيعة بين الأحباب * شاعر

لولا كراهية السباب وانني * أخشى القطيعة اذ ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم * مالو يمر على الفطيم لشابا

(آخر) تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من نمط الصواب
ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

(أحمد بن يوسف)

وكم قد قلتمو قولا لدينا * له لولا مهابتكم جواب
تركت عتابكم وعفوت انى * رأيت الهجر مبدؤه العتاب

(آخر) اذا اعتذر الصديق اليك يوما * من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

(آخر) لا تجفون أخا وان أبصرته * لك جافيا ولما تحب منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا * والماء يكدر ثم يرجع صافيا

(آخر) أخلص الود لمن آخيته * واغفر العثرة منه ان عثر
واذا زلت به النعل فلا * تلبسن من أجله جلد النمر
عد بحلم منك يطفي جهله * انما الجهل كنار تستعر

(آخر) اذا أنت عاتبت الملوك فانما * تخط على جار من الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ولم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

(آخر) وكم من قائل قد قال دعه * فلم يك وده لك بالسليم
فقلت اذا جزيت الغدر غدرا * فما فضل الكريم على اللئيم
وأين الالف يعطفني عليه * وأين رعاية الحق القديم

(ويقال) اذا انبسطت المكاتبة انقبضت المصاحبة (وقال) أبو بكر الخوارزمى لا خير فى حب لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه وانما العشرة مجاملة والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف لا يحتمل الحساب والصرف

(محمود الوراق)

ان التجنى قاطع الرفد * والغيظ يخرج كامن الحقد
فاقبل أخاك على تغيره * وارع الذى قد كان من عهد

(آخر) ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

﴿ بشار بن برد ﴾

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
فصل واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

(آخر) ارض من المرء فى مودته * بما يودى اليك ظاهره

من يكشف الناس لم يجد أحداً * تصح منهم له سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ * في كل زلاته تنافره

(ابن الرومي) هم الناس في الدنيا فلابد من قذى * يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف أنك تبتغي الـ * ـمهذب في الدنيا ولست المهذب

(العباس بن الاحنف)

ان بعض العتاب يدعو الى الهجـ * ـر ويؤذي به المحب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الو * د فلن يعطف العتاب القلوبا

(وقالوا) الاستقصاء أول الزهد وآخر الود (ومن أمثالهم) رب خطرة صغيرة عادت همة كبيرة وقال الشاعر

هذي مخايل برق خلفها مطر * جود ووري زناد خلفه لهب
وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

نصر بن سيار أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب اولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام

(عبدالله بن طاهر)

اذا ما صديقي ضرني سوء فعله * ولم يك عما ساءني بمفيق
صبرت على اشياء منه تريبني * مخافة أن أبقى بغير صديق

(ومنه قول الآخر)

وكنت اذا الصديق اراد غيظي * وأشرقني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة ان اعيش بلا صديق

(ومنهم من استحسن عتاب الأصحاب فربما كان حضا على اكتساب الحاب) (قالوا) معاتبة الاخ الصديق خير من فقده فلعلها تكون سببا الى صلاحه ورشده (وقالوا) ترك المعاتبة من علامات الاهمال والتواطئ على منهيات الاعمال (وقالوا) شر الاصحاب من لم ينجع فيه العتاب (وقال) علي رضي الله عنه عاتب أخاك بالاحسان اليه واردد شره بالافضال عليه (وقال) علي بن عبيدة الزنجاني العتاب حدائق الاحباب وثمار الود ودليل الظفر وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق (وقال) العتاب يداوي القلوب ويترجم عن خفيات العيوب وما احسن قول من قال

تواقف عاشقان على ارتعاب * أراد الوصل من بعد اجتناب
فلا هذا يمل عتاب هذا * ولا هذا يمل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شيء ألذ من العتاب

(آخر) أعاتب من أهواه في كل حالة * ليجتنب الامر الذي معه الذنب
فاني ارى للتأنيب عند حدوثه * بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب

(ومن مستحسنات المعاتبات قول القائل)

لاغرو ان كان من دونى بسركم * وأنثنى عنكموا بالويل والحرب
يدنو الاراك فيمسى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

(ولبعضهم)
سأنسيك نفسى ان نسيت مودّتى * كانك لم تخطر ببالى ولا وهمى
وأكفيك اذ لم تبغ حمد مذمتى * فتبرأ من حمدى وتبرأ من ذمى
وأنساك نسيان القرون التى مضت * عليها الليالى من جديس ومن طسم
فان قيل لى اين الذى كان بينكم * رددت عليه انه كان فى الحلم

(جرير)
فان تك قد مللت الآن منى * فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا * وتبلوا الناس والاخوان بعدى
فلا والله لا انساك حتى * أوسد مضجعى وأزور لحدى

(ابن الرومى)
تخذتكمو حصنا منيعا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها
اذا كنتم لا تدفعون ملمة * عن النفس كونوا لا عليها ولا لها

(ابراهيم بن العباس رحمه الله تعالى)

وكنت أخى باأخى الزمان * فلما تناصرت حربا عوانا
وكنت اعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا
وكنت أذم اليك الزمان * فها أنا أطلب فيك الزمانا

(وقال بعض الامويين يعاتب عيسى بن موسى)

ان تكلمت لم يكن لكلامى * موقع والسكوت ليس بمجدى
وأرانى اذا تأملت امرى * ناقص الحظ فى دنوى وبعدى
فأين لى أكل هذا التوانى * فى جميع الاخوان أم لى وحدى
أم ترى ما اصطنعته عند غيرى * واجبا أن اعده لك عندى
قد لعمرى أيست منك حياتى * ومحال أنى أرجيك بعدى

* وينبغى * للفطن اللبيب أن لا يوغل فى عتاب الحبيب فانهم قالوا فى كلام بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالخشبة المنصوبة فى الشمس تمال فيزيد ظلها وتفرط فى الامالة فتنقصه (وقالوا) الجواد اذا ضرب فى غير وقته كبا والحسام اذا استكره نبا (ولهذا) قال بعض الاعراب أقل الناس عقلا من أفرط فى اكتساب الاخوان وأقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم (ويقال) قارب الاخوان فان المقاربة أقرب الانساب ولا تتقص عليهم فان التقصى أقطع الاشياء للاسباب (ويقال) بدقيق العتب على الاحباب تنفر وحشيات الخواطر والالباب * وليعمل الصاحب فى مصاحبة أخيه بقول القائل

صاف الصديق وأصفه صفو الصفا * واخصص صديقك بالصداقة تخصص

وبقول الآخر وهو أليق بمن حسنت أخلاقه وكرمت أعراقه

خذ من صديقك مرأى غير مستمع * لا تعدون عيان المرء للخبر
ان كنت لا تصطفي ممن ترى أحدا * فاخلق لنفسك اخوانا على قدر

(وقالوا) كثرة العتاب تمحي مودات الضغائن وتثير كوامن الدفائن (شاعر)

كثر العتاب فقلت ان عاتبتها * كان العتاب لوصلها استهلاكا
ورجوت ان تبقى المودة بيننا * موقوفة فتركت ذاك لذاكا

(وما أظرف من قال)

وأخ كايام الحياة اخاؤه * تلون الوانا على خطوبها
اذا عبت منه خلة فكرهتها * دعتني اليه خلة لا أعيبها

(وكتب) يزيد بن معاوية لسالم بن زياد قليل العتاب يؤكد أواخي الاسباب وكثيره يقطع وصائل الانساب

لا تكثرن في كل حادثة * عتب الصديق فانه يهفو
هب مشربا يصفو فتحمده * أترى المشارب كلها تصفو

(آخر) لا يؤيسنك من صديقك نبوة * ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم
فاذا نبا فاستبقه وتأنه * حتى يفيء به الطباع الاكرم

(آخر) وارى الصديق اذا استشاط تغيظا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد
ولربما كان التغيظ باعثا * لتناول الآباء والاجداد

(آخر) كاف الخليل على الجميل بمثله * فاذا أساء فكافه بعتابه
واذا عتبت على امرىء آخيته * فتوق طار عتبه وسبابه
وألن جناحك ما استلان مودة * وأجب دعاه اذا دعا بجوابه

﴿ ومن ﴾ ذوى الانفة من أطاع أمر عقله فكافأ المتكلف للهوى على فعله بمثله كقول الشاعر

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته كبرا على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق بغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(آخر) واذا الصديق نأى بجانب نفعه * وحماك صوب غمامه المتدفق
وازور عنك بجاهه وبماله * وبيشره وجنى ولم يتخلق
فاعدده في الموتى فلا معنى له * وارم به الغرض البعيد وحلق
ان ظن منى للنار منه شفاعة * يوم القيامة ساء ظن الاحمق

﴿ الكميت ﴾ ولست اذا ولى الصديق بوده * بمكتئب أبكي عليه وأندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب
ألا ان خير الود ود تطوعت به * النفس لا ود أتى وهو متعب

﴿أبو العتاهية﴾ ما أنا الا كمن عناني * أرى خليل كما يراني

لست أرى ماملكت طرا * مكان من لايرى مكانى
من ذا الذى يرتضى الاقاصى * ان لم ينل خيره الادانى

(آخر) ومن شيمتى أنى اذا المرء ملنى * وأظهر اعراضا ومال الى الغدر
أطلت له فيما يحب عنانه * وتاركته فى جس مس وفى سر
فان عاد فى ودى رجعت لوده * وان لم يعد ألغيت ذاك الى الحشر

﴿محمد بن حازم﴾

تمادى به الهجران واستحسن الغدرا * وآلى يمينا لا يكلمنى الدهرا
فوالله ما استشنت بعد مودة * صديقا ولا أرهقت ذا زلة عسرا
فان عاد فى ودى رجعت لوده * والا فانى لا أحمله اصرا
وان مال عنى خائبا نحو عذره * تسليت عنه واستمرت له صبرا
أعد لمن أبدى العداوة مثلها * وأجزى على الاحسان واحدة عشرا

﴿سعيد﴾ أشكو الى الله جفاء امرىء * ما كان بالجافى ولا بالملول
كان وصولا دائما عهده * خير الاخلاء الودود الوصول
ثم ثناه الدهر عن رأيه * فحال والدهر لقوم يحول
فان يعد اشكو له وده * وان يطل هجرا فانى حمول

(آخر) فى سعة الارض وفى أهلها * مستبدل بالخل والجار
فمن دنا منك فأهلا به * ومن تولى فالى النار

﴿ملح﴾ من مدح الاخلاء الاصفياء وصفات مودات الاصدقاء الاولياء (مدح) الصاحب ابن عباد صديقا له فقال تصفحت أوطار القلوب فلم أجد أحسن من قربه وتأملت اشخاص الخطوب فلم ار افظع من بعده محاسنه انوار لم تحجب بسجوف ومباسمه شموس لم تتصل بكسوف وألفاظه تذكرنى بالشباب وريعانه بل بافنان الصبا وفتيانه (ومدح) حيث انتهى به المجلس حتى يدنيه ان أراد اكرامه فان فى ذلك تبجيلا لقدره وتأثيلا لتحسين ذكره (قال) الاحنف بن قيس لان أدعى من بعد أحب الى من ان أبعد من قرب وان كان خصيصا به ممن يجلس الى جانبه ويفشى اليه من سره ما يكتمه عن غيره فينبغى له وقت جلوسه ان يكون بينه وبين الرئيس فرجة لاحتمال ان يجىء من يجب عليه اكرامه ويرفع منزلته فيجلس فى تلك الفرجة (ومن) أدب الرئيس قلة الخلاف والمعاملة بالانصاف وترك الجواب على فاحش الخطاب وستر العيب وحفظ الغيب وان يحسن الحديث اذا حدث ويحسن الاستماع اذا حدث ولكن حرمة مجلسه اذا غاب كحرمته اذا حضر (وقالوا) اذا كلمك رئيسك فاصغ اليه بسمعك وأقبل عليه بوجهك وكل بشفتيه ناظريك وأشغل بحديثه خاطرك وأسمعه سماع مستبشر به مستظرف له وان احكمته علما وأتقنته فهما وأن لا تفرط فى الدلالة عليه فربما ساقت الانقباض اليه (وفى) كلام بعض الحكماء الاستماع بالعين فاذا رأيت عين من تحدثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك الى غيره (شاعر فى بنى العباس)

اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ❊ وان حدثوا أبدوا بحسن بيان

(وما أحسن قول من قال)

اذا ما سيد أدناك فاعلم ❊ بان عليك عين الانتقاد

فكن عف الجوارح ذا حفاظ ❊ فعين الانتقاد بلا رقاد

(وقال العباس) لولده عبد الله ان هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من الصحابة واني أوصيك بخمس خلال لا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمراً ولا تطلعنه منك على خيانة (وقالوا) من دخل على السلطان فعليه بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام (ومن أدبه) أن يكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد (حكى) أن زياداً ألم على استشاره حارثة بن بدر فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصكك ركابه ركابي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء ولا الروح في صيف ولا سألته عن شيء من العلوم الا حسبت أنه لا يحسن غيره (وقالوا) لا يقدر على صحبة الملوك الا من لا يستقل ما حملوه به ولا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يطغى اذا سلطوه ولا يبطر اذا أكرموه ولا يلحف اذا سألهم (وقالوا) اصحب الملوك بالحرمة والصديق بالتواضع والعدوّ بالحجة والعامة بحسن الخلق (وقالوا) من استخف بالاخوان أفسد مروأته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف بالملوك أفسد دنياه (وقال) عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن ابن وهب الحمصي مؤدب ولده بعد أن استخلصه وأنزله فوق منزلته يا عبد الرحمن اني قد جعلتك جليساً مقربا بعد ان كنت تابعاً مبعداً ومن لم يعرف نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه لا تطريني في وجهي فأنا أعلم بنفسي منك ولا تساعدني على شيء يقبح وان لج بي الغضب فان مرآة الرضا تغبى عنه فينتقص عندي دينك بالمساعدة عليه وكن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فقد قيل اذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تردن عليّ في محفل وكلمني بقدر ما أستطعمك واعلم أن الاستماع أحسن من القول واذا حدثتك حديثاً فلا يفوتك منه شيء فان قلة التفهم من القائل وضع له وأرني فهمك في طرفك فرب طرف أنطق من لسان

(ويجب) على الرئيس في معاشرة الجليس الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في اعرابي صديقه فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومواخاته كريمة هو كالمسك ان بعته نفق وان تركته عبق (شاعر يصف أخاله)

أخ وأب وابن وأم شفيقة ❊ تفرق في الاحباب ماهو جامعه

سلوت به عن كل من كان قبله ❊ وأذهلني عن كل ما هو تابعه

(آخر)

ولي صاحب أصفيه ودي وانه ❊ لينصفني في وده ويزيد

أمنت صروف الدهر بيني وبينه ❊ اذا دب بين الصاحبين حسود

(وصف المأمون) ثمامة بن أشرس فقال انه كان يتصرف في القلوب تصرف السحاب مع الجنوب (شاعر ولقد أحسن في وصفه لصديقه)

خل بلغت برأيه شرف العلا * وأخ غنيت به عن الاخوان
ومتى طلبت عليه طالب حاجة * كفلت يداه بذمتى وضمان

(آخر) موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتى ويجتنب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

(ومن كلام الثعالبى) يصف صديقا له فلان كريم ملء لباسه موفق مدد أنفاسه ذو جد كعلو الجد وهدى كحديقة الورد عشرته ألطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال والصق بالقلب من علائق الحب

فتى قد قد السيف ما ناء عوده * ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله
اذا جد عند الجد أهلك جده * وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

(آخر) أخ لى لم يلده أبى وأمى * تراه الدهر مغموما لغمى
يشاطرنى سرورى فى ابتهاجى * ويأخذ عند همى شطر همى
يبصرنى عيوبى حين تبدو * مخافة كاشح لهج بذمى
ويصفى الود منه أهل ودى * ويمنع من معاداتى وظلمى
وينفذ حكمه فى كل مالى * كما فى ماله يرضى بحكمى
فلو أحد من المحذور يفدى * اذا لفديته بدمى ولحمى

(آخر) لى صديق اذا نبا بى صديق * نبوة الدهر كان خير صديق
حقه واجب على مقيم * لا يؤدى وقد قضا لى حقوقى
صادق الود والاخاء وما كل * صديق فى وده بصدوق
فهو كالماء فى اللطافة واللين * وكالوالد الشفيق الرفيق
والشقيق الوصول والبر انكا * ن بعيدا منى وفوق الشقيق
قد جرى فى مفاصل الحب منه * حيث لا يهتدى مجارى العروق
خف نقلى على صديقى مذاصب * ح دون الاخوان وهو صديقى
هو جارى ان جار دهر وان عق * زمان فما له من عقوق

﴿ الفصل الثانى من الباب الخامس عشر ﴾

فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

(اعلم) ان أول ما ينبغى أن نبدأ به ما يجب من الادب على الجليس فى مصاحبة الرئيس (فمن) واجب أدبه أن الداخل على الرئيس أحد رجلين اما خصيص به أو أجنبي عنه فان كان اجنبيا فينبغى له اذا اذن له فى الدخول اليه أن يقف حيث يراه وان يبدأ بالسلام اذا دخل عليه وينظر بعين الاكبار اليه فان استدناه دنا وان أذن له فى الجلوس فليجلس أدبه * قال انس بن مالك ما بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه بين يدى جليس قط ولا جلس اليه احد فقام من عنده حتى يكون الرجل هو الذى يقوم ولا صافحه احد قط فأخذ بيده منه حتى يكون الرجل هو الذى يأخذ يده ولا رأيته قام مع أحد فانصرف عنه حتى يكون الرجل

هو الذى ينصرف وكان يكرم من يدخل اليه وربما بسط ثوبه له ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم اليهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف من صلاته وسأله عن حاجته (وقال) سعيد بن العاص رضي الله عنه لجليسى علىّ ثلاث اذا دنا رحبت واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث تثبت لك المحبة فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه (وقال) يحيى بن خالد لولده جعفر يابنى اذا حدثك جليسك فأقبل عليه واصغ اليه ولا تقل قد سمعناه وان كنت احفظ له منه حتى كأنك لم تسمعه الامنه فان ذلك مما يكسبه المحبة والميل اليك ولا تستخدمه اذا جلس الى مؤانستك فقد حكى ان هشام بن عبد الملك كان يحتم فقام اليه سعيد بن الوليد المعروف بالابرش ليسوّى عمامته فقال له مه انا لا نتخذ الاخوان خولا (وقام) عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج لجاسائه فقال أحدهم ألا أمرتنى يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك اصلاحه فقال ليس من المروأة أن يستخدم المرء جليسه قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

وممايثنى عطف الصديق الى التألف زيارته صديقه من غير انقطاع ولا تكلف

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا * وأحسن ما يقال امش ميلا وعد أخا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثا وزر أخا فى الله (وقالوا) المودة جسم روحها الزيارة (وقالوا) المحبة شجرة ثمرتها الثقة وأصلها الزيارة (شاعر)

رأيت أخا الدنيا وان بات آمنا * على سفر يسرى به وهو لا يدرى

تثاقلت الا عن يد أستفيدها * وزورة ذى ودّ أشدّ به أزرى

﴿وعلى﴾ الزائر فى الزيارة الاغباب فانه به يؤمن من تجافى الاحباب * قال عليه الصلاة والسلام زُرغباً تزدد حباً (وقالوا) ربما كان التقالى فى كثرة التلاقى * وما أحسن قول عبد المنعم بن غلبون المقرى

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الى مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

(وقالوا) قلة الزيارة أمان من الملالة (وقالوا) كثرة التعاهد سبب التباعد (شاعر)

زر قليلا لمن يودّك غبا * فدوام الوصال داعى الملال

﴿اعتذار من لم يزر﴾ أظرف ما كتب فى ذلك قول على بن الجهم

أبلغ أخانا تولى الله صحته * انى وان كنت لا ألقاه ألقاه

وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواي مثواه

الله يعلم أنى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه

﴿مكاتبات فى استدعاء الزيارة﴾ كتب بعضهم الى صديق له طال العهد بالاجتماع حتى كدنا ننسى ذكر عنه التلاقى وقد جملك الله للسرور نظاما وللانس تماما فأطلع فى فلك عينى شمسا وفى سماء قلبى بدرا فامضاء العزم بالحر أحرى (وكتب سعيد بن حميد لبعض اصدقائه) قد طلعت الكواكب تنتظر بدرها فان رأيتك

في الطلوع قبل غروبها (شاعر)

ولما نزلنا منزلاً جاده الندى * أنيقاً وبستاناً من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الأمانيا

(آخر) لو تفضلت بالمجيء الينا * لقررنا بقرة العين عينا

(وكتب آخر) يومنا أعزك الله رقيق الحواشي لين النواحي ذو سماء قد رعدت وبرقت وأنت موضع السرور ونظام العيش والحبور فاقبل الينا تتمم ولا تتأخر عنا تنم وانك بطاعتنا تسعد وبمخالفتنا لا ترشد

(كتب بعضهم) الى صديق له يستزيره بأبيات منها

والالف لا يصبر عن الفه * أكثر من يوم ويومين
وقد صبرنا عنكم جمعة * ما هكذا فعل المحبين

(وكتب) حميد بن مهران الى أبي أيوب الهاشمي يستدعيه

أفيك الردى يا بديع الورى * ومن حل من هاشم في الذرى
ويفديك من وده في المغيب * اذا امتحن الود واهي العرى
وصالك يعدل صدق الرجا * وصفو المدام وطيب الكرى
وقد تاقت النفس من وامق * الى ان تراك فماذا ترى

(آخر) جعلت فداك في رأسي خمار * وليس دواؤه الا العقار
وعندي من تحب فدتك نفسي * وأقداح وأكواب تدار
فبادر غير مأمور سريعا * فان بنا لموردك انتظار

(ومن) أظرف الاستدعاءات ما كتب به الرشيد هرون الى جعفر بن يحيى

سل عن الصارم بن يحيى نجده * راحلا نحونا من النهروان
ليصون المدام سهدا ويغشى الـ * ـهجر بين الأصوات والعيدان
فأتنا نصطبح ونلتذ جمعا * لثلاث بقين من شعبان

فقام اليه وقدم بين يديه رقعة مكتوبا فيها

ان يوما كنت فيه الى عبـ * ـدك يوم يسود كل زمان
يوم لهو كأنه طلعة الكا * س اذا قابلت خدود القيان
فاصطبح واغتبق فداؤك نفسي * من جميع الآلام والحدثان

(آخر) عندنا جدي رضيع * ودنين غير فارغ * وطفيلي مليح
واغل في الكاس والغ * وغزال من بني الديـ * ـلم يحكي البدر بازغ
ماله عندك عيب * غير أن ليس ببالغ * والزلال العذب مع بعـ
ـدك ملح غير سائغ * فتجشم واركب المهـ * ـلاج واحضر لا تراوغ

(وكتب بعض المجان)

عندنا قدر فريك * ليس للقدر شريك * ونبيذ في رطيل
وغلام مستنيك * فتعالوا تتغذى * ثم نشرب ونتيك

(وما أحسن) قول المعتمد بن عباد يستدعي ندماءه من الزهراء الى قصره بقرطبة

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساؤا
قد طلعتم بها شموساً صباحاً * فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

(ولآخر)

وماذا عليكم لو منتم بزورة * فأوجبتم فيها علينا التفضلا
فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا * فكونوا أناساً يحسنون التحملا

(اعتذار من لم يزر) أبو اسحق الصابي

عراني عنك يا مولا * ى عذر أيما عذر * عصوف الريح مع مد
عظيم زاخر يجري * فلم أقدم على الماء * ولم أجسر على الجسر
ولم أسمع الى الآن * على ما مد من عمري | بريح حجبت روحاً * وبحر صد عن بحر

وهو مأخوذ من قول الحسن بن وهب وقد اعتذر عن تأخره عن زيارة محمد بن عبد الملك الزيات لمطر عاقه عن زيارته

أوجب العذر في تراخي اللقاء * ما توالى من هذه الانواء
لست أدري ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقني عن سماء
غير اني أدعو على تلك بالصحـ * ـو وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه مني * كل يوم لسيد الوزراء

(كتب) بعض ظرفاء المحبين الى محبوبه يستدعيه لزيارته فلم يجبه بما أحب

كتبت اليك من شوقي بدمعي * وحرمة وجهك الحسن الجميل
لقد أسهرتني وأطلت ليلي * وأضحكت العواذل من عويلي

(فكان جوابه لما قرأه)

لقد أنفقت في عتب طويل * وقد أكثرت من قال وقيل
فأما ما ذكرت فقد فهمنا * وليس الى الزيارة من سبيل

﴿ ومن ﴾ أحسن ما أوجبه الوداد وافترض عيادة الاخ أخاه في حال المرض (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل في حديقة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما حديقة الجنة قال جناها (حكى) أن المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس نصف النهار فقال له المسور يا ابن عباس ان أحب الساعات الى ساعة أؤدي فيها حق الصديق (دخل بعضهم) على محمود الوراق يعوده فأنشده

فان تك حمى الغب شفك وردها * فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى * لكانت بنا الشكوى وكان لك الاجر

(وكتب) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الى الحسن بن وهب يتوجع له من حمى أصابته

يا حليف الندى ويا توأم الجو * د ويا خير من حبوت القريضا

ليت حالك لي وكان لك الاجـر فـلا تشتكي وكنت المريضـا

(وكتب) أبو الفتح بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمد اعتراه

عيناي أجمل من عينيك للرمد * فاسلم وقيت الردى في آخر الابد

من ضن عنك بعينيه ومهجته * فـلا رأى الخير في مال ولا ولد

ويجب على اللطيف الظريف في عيـادة المريض الضعيف تخفيف السلام وتقليل الـكلام وتعجيل القيام (ويقال) جلسة العيادة خلسة (وقالوا) التخفيف خير عادة في العيادة فان حاله كما قال عمرو بن العلاء وقد عاده صديق في مرض ألم به فأبطأ عنده فقال له ما يبطئك قال أريد أن أسامرك قال أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعني أنام والله أسأل أن يسوق لاهل العافية الشكر والى أهل البلاء الصبر (ومن آدابه) الاغباب فانه جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أغبوا في زيارة المريض واربعوا الا أن يكون مغلوبا (وحكى سلمة) قال دخلت على الفراء أعوده فاطلت وألحفت في السؤال فقال لي ادن فدنوت فأنشدني

حق العيادة يوم بعد يومين * ولحظة مثـل لحظ العين بالعين

لا تبرمن مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

(آخر)

أدب العيادة أن تكون مسلما * وتكون في أثر السـلام مودعا

فاذا نظرت الى العليل فلا تكن * متخشعا في اللمح او متوجعـا

بل كن اذا أبدى الحراك مسكنا * منه وعند الخوف منه مشجعا

واحذر بأن تنعى اليه ميتا * أو أن تذكره لميت مصرعا

واذا وجدت عليه اشفاقا فقم * من غير أن ترأى بذلك مسرعا

وتوق شر العـائدين فشرهم * من كان منهم موهمـا ومروعا

(دخل) علي بن ابراهيم العلوي المعروف بالاعرج على علي بن عيسى عائدا فأنشده

كم لوعـة للندى عليك وكم * من قلق للمجود من قلقـك

ألبسـك الله ثوب عافيـة * في نومـك المعتري وفي أرقك

ينزع من جسمك السقام كما * نزعت حبـل الملام من عنقـك

(آخر)

تلقيت السلامة من مريض * توقى كل نائبـة تنـوب

فانك ما اعتللت بل المعالي * وانك ما مرضت بـل القـلوب

(آخر)

ولمـا اشتكيت اشتكى كل ما * على الارض واعتل شرق وغرب

لانك قلب لهـذا الزمان * وما صح جسم اذا اعتـل قلب

(البسامي)

اذا ما صديق لي تأوه واشتكى * عدمت سروري ما اشتكى ورقادي

وحرمت شرب الراح ما دام شاكيا * ولم أخله من طارق وتـلادي

﴿ اعتذار من لم يعد ﴾

ان كنت في ترك العيادة تاركا * حظي فاني في الدعاء لجاهد

فلربما ترك العبادة مشفق * وأنى على غل الضمير الحاسد

(ولآخر)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ حممت طعم الرقاد

يا أخي الحافظ الاخوة والنا * زل من مقلتي مكان السواد

منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد

لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفتت من الأنين فؤادي

(ولآخر يعتذر بكونه لم يعلم)

دفع الله عنك نائبة السو * ء وحاشاك أن تكون عليلا

أشهد الله ما علمت وماذا * ك من العذر جائزا مقبولا

ولعمري أن لو علمت لقاسمـ * ـتك نصفا وكان ذاك قليلا

فاجعلن لي الى التعلق بالعذ * ر سبيلا أم أجد لي سبيلا

فقديما ماجاد ذو الود بالو * د وما سامح الخليل الخليلا

(الشريف أبو يعلى بن الهبارية)

العذر في تركي عيادة سيدي * اني له فيما اعتراه مقاسم

لا بل نصيبي منه فوق نصيبه * وعليه فيما أدّعيه مياسم

فلئن تألم جسمه أفديه من * داء يخامره وقلبي يألم

وأنا أحق بأن أعاد وانما * يدعى لخدمته الصحيح السالم

(حكى) محمد بن داود الظاهري في كتاب الزهرة ان الرشيد لما بلغه ان الفضل بن الربيع عليل كتب اليه متعذرا عن تأخره عن العبادة

أعزز عليّ بأن تكون عليلا * أو أن يكون بك السقام نزيلا

ولئن سئلت أجيب عنك بلوعة * اذ قيل أوعك أو أحس غليلا

فوددت اني مالك لسلامتي * فأعيرها لك بكرة وأصيلا

هذا أخ لك يشتكي ماتشتكي * وكذا المحب اذا أحب خليلا

(أنشدني) الشيخ الامام الفقيه المفيد أمين الدين محمد بن عليّ المحلي النحوي لنفسه يعتذر من تركه لعيادة بعض الرؤساء

ان جئت نلت ببابك التشريفا * وان انقطعت فأوثر التخفيفا

فوحق حبي فيك قدما انني * عوفيت أكره ان أراك ضعيفا

(ومما) يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يتعطف بها القلب الشارد (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء (وقال) عليه الصلاة والسلام تهادوا فان الهدية تذهب وغر الصدور (وكان) صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها * وقال لو أهدى اليّ كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت * وقالت عائشة رضى الله عنها اللطفة عطفة تزرع في القلوب المحبة والالفة (وفي الاثر) الهدية تجلب الى المودة القلب والسمع والبصر (شاعر)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البغيض من الهوى * حتى تصيره حبيبا
وتعيد مضطغن العدا * وة في تباعده قريبا

(ومن أمثالهم) اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا (وقال الجاحظ) ما استعطف السلطان ولا أسترضى الغضبان ولا أزيت السخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا (وقالوا) في نشر المهاداة طي المعاداة (وقال) ضياء الدين بن الاثير في رسالة يذكر فيها الهدية الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب بغير استئذان وبهدية المرء يستدل على عقله كما ذكر ان رجلا أهدى الى قتادة نعلا رقيقة فجعل النعمان يرزنها بيده ويقول يعرف قدر الرجل في سخف هديته اللهم الا أن يهدى شيأ خفيفا حقيرا فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا كما فعل أبو العتاهية فانه أهدى الى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها

نعلا بعثت بها لتلبسها * قدم تسير بها الى المجد
لو كان يحسن ان أشركها * جلدي جعلت شراكها خدي

(وأهدى) الاخيطل الاهوازي الى ابن حجر في يوم نوروز طبقا فيه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه

قل لابن حجر ذي السماح الخضرم * لا زلت كالورد نضير المبسم
ونافذا مثل نفاذ الاسهم * في عز دينار ونجح درهم

(وقال بعضهم) من امتنع من اهداء القليل لجلالة قدر المهدى اليه انقطعت سبل المودة بينه وبين اخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الاخاء (أبو العتاهية)

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في القلوب هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جمالا

(آخر)

ما من صديق وان تمت صداقته * يوما بانجح في الحاجات من طبق
اذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
لا تكذبن فان الناس مذ خلقوا * لرغبة يكرمون الناس أو فرق

(وبالجملة) اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع (أهدى) يعقوب الكندي الى بعض اخوانه سيفا وكتب معه الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدى اليك فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وتمضي في الامور مضاء المأثور وتصون عرضك بالارفاد كما تصان السيوف في الاغماد ويظهر دم الحياء في صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق في صفحات السيوف وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون المشرفيات (وأهدى) الصابي دواة ومرفعا وكتب معهما قد خدمت مجالس مولانا بدواة يداوي بها مرض عفاته ويروي بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته (وأهدى أيضا) الى بعض الاصحاب فرسا وكتب معه قد قدمت اليك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بنواصيه والاقبال غرة وجهه ونيل الاماني طلق شده وفتح الفتوح غاية شأوه وادراك المطالب تحجيل قوائمه وسلامة العواقب منتهى

عنانه والسلام ﴿من أهدى هدية حقيرة واعتذر عنها﴾ كتب بعضهم مع هدية حقيرة

قبول الهدية أكرومة * وحاشاك من ان ترد الكرم
فان الملوك على قدرها * لتقبل نشابة أو قلم

(ابن التعاويذي)

هدية المرء تنبي على مروأته * وعن حقارة مهديها وخسته
ومايحط من المهدى اليه اذا * كانت محقرة عن قدر رتبته
فاغفر جريمة من خست هديته * وتلك منه على مقدار قدرته

(وكتب آخر مع هدية أهداها ليلا)

بعثت عشيا الى سيد * بما هو من خلقه مقتبس
هدية خل صحيح الاخاء * جرى منه ذكرك مجرى النفس
فجد بالقبول وأيقن بان * لفرط الحياء أتت فى الغلس

(اخر)

يا أيها المولى الذى * عمت أياديه الجميلة
اقبل هدية من يرى * فى حقك الدنيا قليلة

(آخر)

قد بعثنا اليك أيدك الله * بشئ فكن له ذا قبول
لاتقسه الى ندى كفك الغمر * ولا نيلك الكثير الجليل
فاغتفر قلة الهدية منى * ان جهد المقل غير قليل

﴿ومن﴾ ظرائف الهدايا التى هى من أحسن مايسطر فى الصحف ويذكر مايروى أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فأهدى اليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملا احداهما ملحا طيبا وملا الاخرى سعدا معطرا وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الارادة لاسعفت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين الى خدمتك واتعبت المجتهدين فى كرامتك لكن قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة وقصرت بى الجدة عن مباهاة أهل المكنة وخشيت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد باسطا يد المعذرة صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير والقائم بعذرى فى ذلك ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج والخادم ضارع فى الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرته والاحسان اليه بالاعراض عن جراءته والرأى اسمى ثم دخل دار يحيى ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملأ احداهما دنانير والاخرى دراهم (ومن الحكايات المستظرفة) مايحكى أن بعض القياصرة افتصدت فاهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت سلة منها فوجدتها مملوءة ماشا وفيها رقعة مكتوب فيها ماش خير من لاش وفتحت الاخرى فاذاهى مملوءة عصافير فطار وا وفيها رقعة مكتوب فيها هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكرا له على سلامتك من فصدك وفتحت الاخرى فاذا هى فارغة لاشئ فيها الا رقعة

مكتوب فيها لو كان لداني لاهديناه فضحك من كان حاضرا ولم تدع القينة شيأ مما أهدي اليها الا اعطته منه

﴿اعتذار من لم يهد شيأ﴾

تأنق في الهدية كل قوم * اليك غداة شربك للدواء
فلما أن هممت بها مدلا * لموضع حرمتي بك والاخاء
رأيت كثير ما أهدي قليلا * لديكم فاقتصرت على الدواء

(آخر) ان أهد نفسي فهو مالكها * ولها أصون كرائم الذخر
أو أهد مالا فهو واهبه * وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرا فهو مرتهن * بجميل فعلك آخر الدهر

(آخر) وافق المهرجان حاشاك مني * رقعة الحال وهي داء الكرام
فاقتصرنا على الدعاء وفيه * عون صدق على قضاء الزمام

(آخر) هديتي تقصر عن همتي * وهمتي تفضل عن مالي
فخالص الود ومحض الولا * أحق ما يهدى به أمثالي

﴿ومن واجبات شيم الاحرار حفظ ما اودعوه من الاسرار﴾

وكتمان السر مما يجب على الاخوان أو يأخذوا انفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل (يحكى) أن رجلا اراد صحبة انسان فسأل بعض اصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السر حتى كأنه * اذا استنطقته عن حديثك جاهله
ويبدي لكم حبا شديدا وهيبة * وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال مثل هذا ينبغي ان يناط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب * وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات (وأسر رجل) الى صديقه حديثا فلما فرغ منه قال حفظته قال بل نسيته (وقيل) لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك للسر فقال اجعله عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بخروجه خروجها * وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم لا أجمعه وانساه كأني لم أسمعه (وقالوا) قلوب العقلاء حصون الاسرار * وقالوا صدور الاحرار قبور الاسرار * شاعر

ولي سرائر في الضمير طويتها * ينسى الضمير بانها في طيه

* وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم الخبر وأحلف للمستخبر (وما) أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسر في محاورة جرت بينهما

لسر صديقي بين جنبي معقل * مداه على المستبطنين طويل
اذا لحقت اذني به من لسانه * فليس عليها للمخاض سبيل

﴿وكتب اليه ايضا﴾

وللسر من بين جنبي ممكن * خفي قصي عن مدارج أنفاسي
أضن به ضني بموضع حفظه * فاحجبه عن احساس غيري واحساسي

كأني من فرط احتفاظي أضعته * فبعضي له واع وبعضي له ناسي

(آخر) لا يكتم السر الا من له حسب * فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

﴿ مجنون ليلى ﴾

ومستخبر عن سر ليلى رددته * بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها * وما أنا ان خبرتهم بأمين

(يروى) أن عليا رضي الله عنه قال لابي الاسود الدؤلي أريد رجلا لا تتخذه أنا قال يا أمير المؤمنين ألست كذلك قال بلى ولكن اريد رجلا أستريح منك اليه ومنه اليك ولكن كتوما للسر فان الرجل اذا أنس بالرجل ألقى اليه عجره وبجره وقال الشاعر

تصل الصديق اذا أراد وصالنا * ونعيد بعد صدودنا احيانا
لا مظهر عند القطيعة سره * بل حافظ من ذاك ما استرعانا

(آخر) ان الكريم الذي تبقى مودته * ويحفظ السر ان صافى وان صرما
ليس الكريم الذي ان غاب صاحبه * بث الذي كان من أسراره علما

﴿ سالم اليشكري ﴾

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما حال عن حفظ وده * وعندي له سر مذيعا له سرا

﴿ ناقضه آخر فقال ﴾

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أترك الاسرار تغلي على قلبي
فان سخين العين من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

﴿ ومما يفصم بين المتحابين عدم المحاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة ﴾

قال الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب فذو القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد عن الملاصقة والصاحب بالجنب الرفيق في السفر (وكان يقال) ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى * وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وان تؤمنه من حسدك وشرك (وقال) جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له فله حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الرحم وحق الجوار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا أبا ذر اذا طبخت اللحم فأكثر المرق وتعاهد جيرانك (وكان يقال) من نال من جاره حرم بركة داره (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذي جاره ولا يخيب من قصده (وكان) عبد الله بن أبي بكرة ينفق على أربعين دارا من جيرانه من سائر جهات داره الاربع في كل سنة أربعين ألف دينار وكان يبعث اليهم

الاضاحي والكسوة في الاعياد والمواسم (وأعطى) أبو الجهم العدوي في داره بالبصرة مائة ألف درهم فقال لهم وبكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص قالوا وهل رأيت جوارا يشترى قط قال والله لا بعت دار اتجاور رجلا ان غبت عنه سأل عني وحفظني في أهلي وان رآني رحب بي وقربني وان سألته قضى حاجتي وحياني وان لم أسأل عنه عطف علي وبداني والله لو أعطيت فيها ملء هذا ذهبا ما اخترته عليه ولا نظرت اليه فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة ألف درهم (وقال) جعفر بن أبي طالب لابيه يا أبتي اني لأستحي ان أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فقال له أبوه اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وقال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى (وقالوا) الاحسان الى الجار يعمر الديار ويزيد في الاعمار * شاعر

اني لاحسد جاركم بجواركم * طوبى لمن أضحى لدارك جارا
ياليت جارك باعني من داره * شبرا فاعطيه بشبر دارا

(وقال) بعض حكماء العجم حسن الجوار خير قرين وعلى استخلاص المودة خير معين * مسكين الدارمي ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي ينزل القدر ما ضر جارا لي أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر

أعمى اذا ما جارتي خرجت * حتى يواري جسمها الستر

(آخر) أجود وأرعى حرمة الجار انني * كريم يبالي كل عرق مهذب
وأمنع جيراني من الضيم والاذى * وأركب منا كرامهم كل مركب

(ومن النوادر المحكية في اكرام الجار) ما حكي أن يهوديا عطارا نزل ببعض أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطرية فمات عندهم فأتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه فاعلموه بخبر اليهودي فجاء وغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال اللهم ان هذا التاجر وله علينا ذمام فاذا قضينا ذمامه وصار اليك فلك الخيار ان تفعل به ما هو له أهل أو تفعل به ما أنت له أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة * شاعر

راع حقوق الجار في كل ما * حدده الله وأوصى به
وزره في الصحة مستبشرا * وعده في السقم وأوصابه
ولا تغيرك له حالة * تبدو كشهد القول أوصابه

وهذه ظرف تكون لما ذكرناه ختاما ولنفس المتأمل وقلبه شركا وزماما فيما يلزم الاصدقاء من تمازج الارواح امتزاج الصهباء بالماء القراح قيل لبعضهم صف لنا الصديق قال أنت هو وهو أنت الا انكما جسمان بينكما روح * وقيل لاسباط الشيباني صف لنا الاخوة وأوجز فقال اغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول * وقيل لافلاطون ما معنى الصديق قال هو أنت الا أنه غيرك (وقيل) لبعضهم ما الاصدقاء قال نفس واحدة وأجساد متفرقة * وقال ابن المقفع الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح * وقيل لارسطوطاليس وقد سئل عن الصديق ما معناه فقال قلب تضمنه جسمان نظمه بعض الشعراء فقال

بنفسي أخ لي في الامور مساعد * فلي وله جسمان والقلب واحد
اذا غاب عني لم أجد طعم لذة * لان فؤادي شطره متباعد

(آخر) بأبي من هو مني في الحشا * ليته يوما على عيني مشى

روحه روحي وروحي روحه * ان يشأ شئت وان شئت يشا

(ولقد تتبعت) ما قاله الناس في الاتحاد فما رأيت ولا سمعت أحسن من قول أبي الحسين الحلاج في ذلك

انا من اهوى ومن اهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال في الناس بنا
فاذا أبصرتني أبصرته * واذا أبصرته قلت أنا

﴿وله﴾

جبلت روحك من روحي كما * يجبل العنبر بالمسك العبق
فاذا مسك شيء مسني * فاذا أنت أنا لا نفترق

﴿وله﴾

مزجت روحك من روحي كما * تمزج القهوة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني * فاذا أنت أنا في كل حال

وهذا غاية ما بلغه علمي وأدركه فهمي وتصرف الناس في حسن الاختيار معدود من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب (وقد) أحسن الشريف الرضي في قوله يخاطب ابا اسحق الصابي

أنت الكرى مؤنس طرفي وبعضهم * مثل القذى مانع طرفي من الوسن
لقد تمازج قلبان كأنهما * تراضعا بدم الاحشاء لا اللبن

(ويقال) كاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان غزل الصداقة أرق من غزل العلاقة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (ويقال) اذا كاتبت أخاك فليكن المداد من سواد الفؤاد والقرطاس من بياض الوداد فان من كرمت خصاله وجب وصاله

﴿الفصل الثالث من الباب الخامس عشر﴾

في ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

قال الله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قالت عائشة رضي الله عنها هذه الاية نزلت في الثقلاء (وكان) أبو هريرة رضي الله عنه اذا استثقل رجلا يقول اللهم اغفر له وأرحنا منه * وكان الاعمش واسمه سليمان بن مهران اذا رأى ثقيلا قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون (وروى) عنه أنه قال من فاته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء (وقيل له) لم عمشت عينك قال من نظري الى الثقلاء فاني ما رأيت ثقيلا قط الا وأعمشت عيني * وكان يقول اذا كان عن يسارك ثقيلا في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك * وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا قال استراح العميان من النظر (وقيل) لارسطوطاليس لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان الحمل تشترك الجوارح في حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله * شاعر

ان الثقيل وان تخفف جهده * كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا

(وقال) بعض الملوك لطبيب جس نبضي فجسه وقال مزاج معتدل الا أني أرى فيه تكديرا فهل جالسك اليوم ثقيل قال نعم فقال هذا من ذاك (وقال) بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فان الفلاسفة قالوا مجالسة الثقلاء حمى الروح (وقيل) لمحمد بن زكريا الرازي أيما أمر الثقيل البرم أو شرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم فقال ليس ما أكسب الداء كما أعقب الشفاء ان مجالسة الثقيل تجلب الاسقام وتحل الاجسام وتورث

الاحزان وتؤلم الابدان وتهد الاركان وشرب الدواء يجلو الاجسام ويحلل الاسقام ويشحذ الافهام ويدفع الاحزان وينشط الكسلان ويقوى الامكان (وقال) ارسطوطاليس للاسكندر اياك ومجالسة الثقيل فان منها ذبول الروح وذهول العقل وموت الفزع (وقال الاصمعى) ستة يضنين وربما قتلن انتظار المائدة ودمدمة الخادم والسراج المظلم وبكاء الاطفال وخلاف من تحب ورؤية الثقيل

﴿ وممّا آثار بطلعته كوامن البغضاء فكشفت عن مساويه ستور الاغضاء ﴾

عاد الاعمش أبا حنيفة فقال له بعد ما أبرم في جلوسه يا أبا محمد ما أشد شيء مر بك في علتك قال جلوسك عندي قال ماتشتهي قال أشتهي أن لا أراك ويحكى أنه قال له يا أبا محمد لولا ما أخاف من التثقيل عليك لاتيتك في كل وقت فقال انك لتثقل علي وأنت في بيتك فكيف اذا جئتني (وقال رجل) لابي العيناء ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه الا عوضه الله خيرا منهما فما الذي عوضك قال ان لا أرى ثقيلا مثلك (واعتذر رجل) الى آخر في تقليل زيارته فقال ما رأيت احسانا يعتذر منه الا هذا (صلى) امام بقوم فأطال فلما سلم لامه بعض من صلى خلفه من الظرفاء فقال وانها لكبيرة الا على الخاشعين فقال أنا رسول الخاشعين اليك بانك ثقيل فانهم لا يطيقون الصبر على احتمال بردك (وقد) نظم أبو الحسن علي بن أبي الطيب الباخرزي أبياتا يهجو بها اماما ثقيلا ويذكر ما وجد من جوره في تطويله مقيلا ذكرها في هذا الموضع لائق لما جمعت من المعنى البديع واللفظ الرائق

وأثقل روحا من عقاب عقنقل * أخف دماغا من جنوب وشمأل
يؤم بنا في القطع قطع خيبة * وأم بصخر حطه السيل من عل
يطيل قياما في المقام كأنه * منارة قس راهب متبتل
ويفحش في القرآن لحنا كأنما * يشد بامراس الى صم جندل
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
وزاد برغمي ركعة في صلاته * ألم يكن التسليم منك بأمثل

(دخل ثقيل) على الصاحب بن عباد فاطال الجلوس وأبرم في المحادثة فكتب الصاحب رقعة وأعطاه اياها فقرأها فاذا فيها

ان كنت تزعم أن الدار تملكها * حتى نقوم فنبني غيرها دارا
أو كنت تعلم أن الدار أملكها * فقم لكي تذهب الاشجان والعارا

(ولما) قدم محمد بن المكرم من الجبل قال له أبو العيناء مالك لم تهد لنا شيأ فقال والله ما جئت الا في خف قال كذبت لو قدمت في خف خفت روحك يا عجبا من جسم كالخيال وروح كالجبال (وقال رجل) لبعض المغنيين في مشاجرة جرت بينهما والله ما تعرف الثقيل الاول ولا الثقيل الثاني فقال كيف لا أعرفهما وأنا أعرفك واعرف أباك * ألم بهذا بعض الشعراء فقال

ثقيلا براه الله وابن ثقيلة * أرى الثقيل طبعا في ابيك وفيكا
أبوك امام الناس في الثقل كلهم * وانت ولي العهد بعد أبيكا

(آخر)

يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
يمشي على الارض مختالا فأحسبا * من بغض طلعته يمشي على كبد

لو أن فى الناس جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

(قصد) حماد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب فكتب اليه يسأله الدخول عليه

هل لذى حاجة اليك سبيل * لا تطيل الجلوس فيمن يطيل

فلما قرأ البيت أجابه

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل * وكثير من الثقيل القليل

وقال محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه يهجو ثقيلا

يا ثقيلا على القلوب اذا عنّ * فقد أيقنت بطول السهاد

يا قذا فى العيون ما بين ألف * يا غريما أتى على ميعاد

يا ركودا فى يوم غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم الكساد

خل عنا فانما كنت فينا * واو عمرو كالحديث المزاد

(الناجم يذم ثقيلا)

يا قوة الناس ويا ضعف الامل * يا حيرة المملق أعيته الحيل * يا زحل الدهر ومريخ الدول

﴿ ومما استجدته من مذام الثقلاء الشافية محاسنها أفهام العقلاء ﴾

قال بعض البلغاء محذرا من مجالسة الثقيل اذا وافاك ثقيل فاره من خلقك التصرم ومن طبعك التبرم ولا توسعه ترحيبا ولا تحفل به تقريبا ولا تقبل اليه بوجهك ولا تبخل عليه بنهجك وأوحشه عند استئناسه وتهجم له بين جلاسه وأبعده ما استطعت واقطعه فيمن قطعت فبعده راحة لنفسك ومجلبة لانسك فانك ان أدنيته اليك وأدللته عليك ضنى به جسدك وكبدك وزاد به نكدك وكمدك (أبو بكر الخوارزمى) فلان اثقل من موت الخناق وكتاب الطلاق وفقد الحبيب وطلعة الرقيب وقدح اللبلاب فى كف المريض وأشد من خراج بلا غلة ودواء بلا علة ورؤية الموت عند الكافر وقد ختم أعماله بالكبائر فلان وخز فى الاكباد وسقم فى الاجساد * وصف العباس بن الاحنف ثقيلا فقال والله ما الحمام مع الاصرار وكثرة الذنوب مع الاقتار وشدة السقم فى الاسفار بآلم من لقائه (أبو نواس) الحسن بن هانىء الحكمى يذم ثقيلا

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفى ألم

لطلعته وخزة فى الفؤاد * كوخز المشارط فى المحتجم

أقول له اذا أتى لا أتى * ولا نقلته الينا قدم

فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم

(وصف) بعضهم ثقيلا فقال لا أدرى كيف لم تحمل الامانة أرض حملته وكيف احتاجت الى الجبال بعد ما أقلته كأنما قربه فقد الحبائب وسوء العواقب وكأنما وصله عدم الحياة وموت الفجاءة (شاعر)

يطول بقربك اليوم القصير * ويرحل ان مررت بنا السرور

لقاؤك للمبكر فأل سوء * ووجهك أربعاء لا تدور

(آخر) اذا ما تبدى طالعا فكأنه * حضور غريم أو طلوع رقيب

وان جاء نحوى قاصداً فكأنه * كتاب بعزل أو فراق حبيب

(آخر) وثقيل أشد من غصص المو * ت ومن كيده العذاب الاليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا * ن سواه عقوبة للجحيم

(حسام الدين البخارى)

خلق الناس من منى وهذا الـ * ـولد النحس من رجيع أبيه
فغدا لافتى ثقيلا مقيتاً * ليس فيه خير لمن يرتجيه
لم يكن منهما نكاح ولكن * فتحت فرجها فأحدث فيه
تيها لناظرى ولقلبي * حرجاً كلما نظرت اليه

(نادرة) دخل أعرابى على ثلاثة يشربون واغلا فقال أحدهم

أيها الداخل الذى جاء يطوى * حين لذ الحديث لى ولصحبي
(فقال الثانى) خف عنا فأنت أثقل والله * ـه علينا من فرسخي دبر كعب
(وقال الثالث) ومن الناس من يخف وفيهم * كرحى البزر دائر فوق قطب
(فقال الاعرابى) لست بالبارح العشية والله * ـه لشتم ولا لشدة ضرب
أو تميلوا بالكبر فوراً علينا * ثم تعلوا من فوق ذاك بعتب

فاستظرفوه وخالطوه بهم

﴿ ومما يكون لنفس المتأمل قوتاً * ذم من كان بغيضاً ممقوتاً ﴾

(سئل) جعفر الصادق رضى الله عنه هل يكون المؤمن بغيضاً قال لا ولا يكون ثقيلا (وذكر أنوشروان) أنه لما أراد ان يصير ولده هرمز ولى عهده استشار أولياءه فى ذلك فكل ذكر عيباً لا يستحق به الملك فمن قائل لا يصلح للملك لانه قصير وذلك مما يذهب بهاء الملك فقال أنوشروان محتجاً له انه لا يكاد يرى الا راكباً أو جالساً على سرير فلا يبين عليه ذلك ومن قائل انه ابن رومية والملك اذا كان ابن أمة نقصه ذلك من أعين الناس فقال أنوشروان محتجاً له ان الابناء ينتسبون الى الآباء ولا ينتسبون الى الامهات فلا يضره ما قلت فقال الموبذان ان فيه عيباً وهو أنه مبغض الى الناس فقال أنوشروان عند ذلك هذا هو العيب الذى لا مدح معه ولا عذر عنه والداء الذى لا برء له فقد قيل ان من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير للناس فلا خير فيه (وقالوا) فلان أوحش من ربع تحول سكانه وتحمل اظعانه وغارت نجومه وعفت رسومه (وقالوا) فلان أقذى للعين من ساعة داعية البين بين المحبين * وقالوا فلان لا تحبه الناس حتى تحب الارض الدم وذلك أنها تعاف الدم فلا تقبله شاعر يهجو بغيضاً

يا بغيضاً زاد فى البغـ * ـض على كل بغيض
أنت عندى قدح الصبـ * ـلاب فى كف المريض

(وقالوا) فلان أبغض من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى (وقالوا) مجالسة البغضاء تزيد الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب وتشد أزر الكرب وتكدح فى النشاط وتطوى بساط الانبساط

﴿ الباب السادس عشر فى العزلة وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول من هذا الباب ﴾

فى ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافى الاجناس

(قال الله تعالى) حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين (وقال) عليه الصلاة والسلام أحب العباد الى الله الاتقياء الاحفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يقربوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلام (وقيل) لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة قال أنا جليس الرب اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت له (وقال) ذو النون المصرى الانس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم قاطع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال الجنيد) للسرى السقطى أوصنى فقال لا تكن مصاحباً للاشرار ولا تشتغل باللاهى عن الاخيار (وفى) كتاب كليلة ودمنة ينبغى لذى المروءة أن يكون امامع الملوك مبجلاً أو مع النساك متبتلا كالفيل امان يكون مركباً نبيلا أو فى البرية مهيباً جليلا (وقال) على رضى الله عنه من وجد فى نفسه وحشة من الناس فليعلم ان الله احب ان يؤنسه به (وقالوا) ما استغنى احد بالله الا وافتقر الناس اليه (وقال) بعض الحكماء الانس بالله من حبه لك فان الله اذا أحب عبداً أوحشه من خلقه (وقد قيل) من خلق التوحيد حب الوحدة (وقال الجنيد) اطيب ساعاتى خلواتى والذ طاعاتى فى مناجاتى (ولله در من قال)

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنساً * يوحشه الاقرب والابعد

﴿ فما ﴾ يكون عونا للكريم على الانقطاع ذم ما الناس عليه من لؤم الطباع (قال) سفيان الثورى للحسن البصرى دلنى على من أجلس اليه قال تلك ضالة لا توجد (وقيل لبعضهم) ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود * الناشى

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

(وقيل لبعضهم) من أبعد الناس سفراً قال من كان فى طلب صديق صدوق يكون عونا له على مهماته وعونا على ملماته (سمع المأمون) أبا العتاهية ينشد

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب وقبل هذا البيت

عذيرى من الاخوان لا من جفوته * صفالى ولا من كنت طوع يديه

(وقال بعضهم) ان كان فى مخالطة الناس خير فان تركهم اسلم (وقال) بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك وبين الناس سور من حديد فافعل وان كان الانس فى الجماع فان السلامة فى العزلة (وقال الشاعر) ليس فى الناس وفاء * لا ولا فى الناس خير قد بلوت الناس طرا * فكسير وعوير

كن لقعر البيت جلسا * وارض بالخلوة أنسا واغرس الناس بارض الـ * زهد مهما شئت غرسا
وليكن بأسك دون الطـ * ـمع الكاذب ترسا لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا
(كتب بعضهم) الى صديق له أما بعد فاني أحمد الله الى الناس وأذم الناس اليه (وقيل لبعضهم) ما تجد فى الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم (وقال الشاعر)

وقالوا لقاء الناس أنس وراحة * ولو كنت أرض الناس ماعشت مفردا

(وكتب) محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه من مدينة السلام وكان أخوه بخراسان يشكو اليه قلة وفاء الرئيس وتأدبه بحضرة الجليس فكتب اليه جوابا

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا ما رأينا أحدا سا * وى على الخبرة فلسا

(آخر) قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا صار أحلى الناس في العين اذا ماذيق مرا

(أبو حامد الغزالى) لا تعجزن عن الوحدة وتفرد * ومن التفرد فى زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم أخوة * الا التملق باللسان وباليد
فاذا كشفت ضمير ما بصدورهم * أبصرت ثم نقيع سم الاسود

(آخر) اذا ما طلبت أخا مخلصا * فهيهات منك الذى تطلب
فكن بانفرادك ذا غبطة * فما فى زمانك من تصحب

(آخر) بلوت الناس وأهل الزمان * وكل بهجر ولؤم خليق
وأوحشنى من عدوى الزمان * وآنسنى بالعدو الصديق

(آخر) بلوت الناس من غرب وشرق * فلم تظفر يدى بصديق صدق
فقلت مجانبا للخلق طرا * يبيت منادمى قدحى وزقى
وفي الآداب لى الف أنس * وفضل الله يأتينى برزقى

(آخر) ما أعجب الناس فى تقلبهم * ذا شهد طعمه وذا صبر
ترضى على الشخص حين تبصره * ويسخط العقل حين يختبر

(وقال) بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم * منه قول على رضى الله عنه أخبر تقله (وقال المأمون) لولا أن كلام على فرع من كلام النبوة لعكسته وقلت أقله تخبر (وقال) وهيب بن الورد صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أزاح لى علة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة (وقال) على رضى الله عنه اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز (شاعر)

أما الوفاء فشئ قد سمعت به * وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم فى الدنيا أخا ثقة * فانه بشر لا يعرف البشرا

(آخر) ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب * فالناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا * وقلوبهم محشوة بعقارب

(آخر) لك الخير فاعلم ليس فى الناس منصف * وكل وداد فهو منهم تكلف

وكل اذا عاهدته فهو ناقض * لعهدك أو واعدته فهو مخلف
وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يثق * به وبهم الا جهول مسوّف

(آخر) ذهب الوفاء فلا وفا * ولا حياء ولا مروّة الا التواصل بالسا * ن من النفوس بلا أخوّة

(عبد المحسن الصورى) نزع الدهر خلتين من النا * س وفاء الاخاء وصدق الصديق

(ويقال) العزلة عن الناس توفر العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وتدفع مؤنة المكافأة فى الحقوق (لما) وقع الاختلاف فى المدينة خرج عروة بن الزبير الى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض اخوانه فقال رأيت ألسنتهم لاغية وقلوبهم لاهية وأديانهم واهية فخفت أن تلحقنى معهم الداهية (شاعر)

ألام على التفرد كل وقت * ولى فيما ألام عليه عذر
وكل أذى فصبور عليه * وليس على قرين السوء صبر

(آخر)
وأفردنى عن الاخوان علمى * بهم فبقيت مهجور النواحى
فكم ذم لهم فى جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

(الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه)

اذا لم أجد خلا تقيا فوحدتى * ألذ وأشهى من غوى اعاشره
وأجلس وحدى للسفاهة آمنا * أقر لعينى من جليس احاذره

(وقال) جعفر الصادق العزلة أسكن للفؤاد وأبعد من الفساد وأعود للمعاد (الثعالبى) اذا كان الصديق المجانس متعذرا وصحيح الاخاء لا يكاد يرى فالثقة بغير الله منفصمة العرى (وقالوا) اذا أنس اللبيب بالوحدة دون المصاحب ونزه نفسه باكرامها عند تغير الاخ والصاحب وتزين بالدين وتحلى بحلية المؤمنين وألزم نفسه الرياضة بالآداب واعتق رقها من أليم العذاب فقد استراح وأراح ووجد فى كل قطر المطار والمراح (وأنشد) لعلىّ بن عبد العزيز الجرجانى

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت فى وحدتى لكتبى جليسا
ليس شئ ألذ عندى من نفـ * ـسى فلم أبتغى سواها أنيسا
انما الذل فى مداخلة النا * س فدعها وعش كريما رئيسا

(وما أحسن قول بعضهم فى المعنى)

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم أخل من شاعر محسن * ومن مضحك طيب مندر
ومن حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر
فان ضاق صدرى باسراره * وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤثراً ما حييت * عليه نديماً الى المحشر

(ولآخر)
وما ظفرت يدى بصديق صدق * أخاف عليه الا خفت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الا ملت عنه

أنست بوحدتي حتى لواني * رأيت الانس لاستوحشت منه

(ابو فراس) بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

﴿ومما﴾ اخترت من كلام الحكماء الاجلاء في التحذير من اتخاذ الاصدقاء والاخلاء (قال بعض الزهاد) لو أن الدنيا ملئت سباعا ما خفتها ولو بقي واحد من الناس لخفته (وقالوا) استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (وقال آخر) ما بقي في الناس الاحمار رامح أو كلب نابح او اخ فاضح (وقال) أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه (وقال سلمان) الناس اربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فالآساد الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه

(شاعر) الناس اخلاقهم شتى وان جبلوا * على تشابه أفراد وأزواج

(وقال) بعض الحكماء احذروا الناس فاركبوا سنام بعير الأدبر ومولا ظهر جواد الاعقر ومولا قاب مؤمن الأخربوه (وقال) خالد بن صفوان الناس أجياف فمنهم كالكلب لا تراه الدهر الاهرارا على الناس ومنهم كالقرد يضحك من نفسه (وقال) عبد الحميد الكاتب الناس أجياف مختلفون واطوار متباينون فمنهم من علق مظنة لا تباع ومنهم من غل مظنة لا تبتاع (وقال) جعفر الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر (وقال) بعض البلغاء بلوت الناس طرا فلم أجد الامن يرى الحق باطلا والباطل حقا واللئيم مرفوعا والكريم ملقى والنصح غشا والغش نصحا والمدح هجاء والهجاء مدحا (العتابي في مثل ذلك)

تساوى أهل دهرك في المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح

وصار الناس كلهم غثاء * فما يرجون للامر النجيح

وأضحى الجود عندهم جنونا * فما يستعقلون سوى الشحيح

وكانوا يغضبون من الاهاجي * فصاروا يغضبون من المديح

(وقال حكيم) مصاحبة الناس خطر فمن صبر على صحبتهم فقد بالغ في العذر انما هو كراكب بحران سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق (شاعر)

تجنب قرين السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره

ومن يطلب المعروف في غير أهله * تجده وراء البحر أوفي قراره

(وصف) بعض البلغاء أهل زمانه فقال أحظى الناس لديهم من أحسن اليهم فان قصر عنهم رفضوه وأبغضوه ووتروه ولم يعذروه ان حضروا داهنوا وان غابوا شاحنوا ينطوون على الاحن ولا يرثون للممتحن غنيهم شحيح وفقيرهم مجبح ان رأوا خيرا دفنوه وان ظنوا شرا أعلنوه الواثق منهم على غرر والمتمسك بهم على خطرهم بين طاعن ثالب ومتقول كاذب وحسود موارب ان اختبرتهم تكشفوا وان اعتبرتهم تزيفوا وأنشد

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

(ولقد أحسن في التحذير من قال)

اياك ان تصطفي ممن ترى أحدا * ولا تثق بامرئ في حالة أبدا
من عاش منفردا لم يأته ندم * على اتخاذ صديق في الانام غدا

﴿ومما﴾ يكون مماثلا لهذا القول ومعادلا التحذير من صحبة السلطان وان كان عادلا (قال الاعمش) صحبة السلطان خطر ان أطعته خاطرت بدينك وان أغضبته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه (وقال) ابن مسعود ان الرجل ليدخل الى ذي سلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه منه شئ (وقال) عبد الله بن عمر ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا (وقال) الفضيل بن عياض كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن * وقال أيضا لان يدنو الرجل الى حتفه ومنيته خير له من ان يدنو الى ذي سلطان * وقال ايضا ما اقبح بالعالم أن يقال أين هو فيقال هو في بيت الامير وكتب أبو بكر بن عياش الى عبد الله بن المبارك ان كان الفضيل بن موسى لا يجالس السلطان فأقرئه مني السلام (أبو الفتح البستي)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما أرش ذلك الا الذل والندم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه غرض والدين منثلم
هذا اذا شرفت أيام دولته * نعوذ بالله ان زلت به القدم

(وقال) زياد بن أبي سفيان يوما لجلسائه من انعم الناس عيشا قالوا امير المؤمنين يعني معاوية قال فكيف بثغوره وأموره ان لأعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لروعة قال فمن قالوا فأنت قال فكيف بجنودي وخراجي ومداراة الناس قالوا فمن اذا قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوي اليها وخادم وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فانه ان عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه (شاعر)

وصاحب السلطان في محنة * في آجل الامر وفي حينه
ان ساءه خاف على نفسه * أو سره خاف على دينه

(آخر)

ان الملوك بلاء حيثما رحلوا * فلا يكن لك في اكنافهم ظل
ماذا تريد بقوم انهم غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
فان أتيتهم تبغي نوالهم * رجعت منقبضا من دينك الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

﴿الفصل الثاني من الباب السادس عشر﴾

فيما يحض على الاعتزال من ذميم الخلائق والخلال

فاهم ما نبدأ به منها ولا يمكننا الاعراض عنها ترفع من سوغته الاقدار منصبا أو مالا على صديق ما برح في وده يتغالى (قال بعضهم)

تغير عني حين وليه منصبا * وعهدي به من قبل ذا وهو صاحب
وما هو في الدنيا بأول صاحب * وأول رجل غيرته المناصب

(آخر)

ان الولاية معيار العقول بها * يبين من فيه نقص أو به عور
فكم أصمت سميعا كان ذا أذن * قبل التولي وأعمت من له بصر

(ويروى) عن محمد بن ادريس الشافعى أنه قال أظلم الناس لنفسه اللئيم فانه اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (شاعر)

ليس الكريم الذى ان نال منزلة * فضلا وطولا على اخوانه تاها
الحر يزداد للاخوان مكرمة * ان نال حظا من السلطان أو جاها

(أبو بكر الخوارزمى)

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الا يداخله كبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره يسر
وماذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا أن يلم به العذر

(ولبعضهم يعاتب صديقا له ولى حين ولى)

ولما صرفتك يد الليالى * وحكمك الزمان على بنيه
عدلت عن الوداد وكنت قدما * لدينا تبتغيه وترتضيه

(آخر)
دعوت الله أن تعلو محلا * علو البدر فى أفق السماء
فلما أن علوت علوت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى

(آخر)
ان الولاية غيرت أصحابنا * فلووا وجوههم عنا وتبدلوا
فاصبر على جور الليالى منهم * واترك عتابهم الى أن يعزلوا

(آخر)
قل لعبيد الله ذاك الذى * قد غير السلطان أطباعه
ابتاع ودى وهو ذو عسرة * حتى اذا نال الغنى باعه

(آخر)
ورب ذى ثقة قد كان لى سكنا * وكنت منه مكان العين فى الرأس
ولى وأعرض عنى اذ أفاد غنى * وخانه سوء بنيان وآساس
حتى اذا ما قضى من ماله وطرا * فيما أحب من اللذات والكاس
غدا الىّ بوجه ضاحك طلق * وعاد فى وده من بعد افلاس

(آخر)
تاه علينا وزاد اطراقه * وخاننا عهده وميثاقه
وكل من نال فوق رتبته * تغيرت للصديق أخلاقه

(وقال) عبد الصمد بن بابك يشكو صديقا مال حين اكتسب المال وحال عند ما صلح منه الحال

أشكو اليك زمانا ظل يعركنى * عرك الاديم ومن يعدى من الزمن
وصاحبا لست مغبوطا بصحبته * دهرا فغادرنى فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها * نحو السرور وألجانى الى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى * مع الاسى ودواعى البين فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا فى السر والعلن
وكان غالى به حينا فأرخصه * يامن رأى صفو ود بيع بالثمن

فليس في الارض مغبون بصفقته * ان لم يكن ذاك منسوبا الى الغبن
كانه كان مطويا على احن * ولم يكن من عيون الشعر أنشدني
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(وقال آخر) يعاتب صديقاله تغير عليه عندما نظر الزمان بعين المقت اليه

وكنت أخي ايام عودك يابس * فلما اكتسى واخضر صرت مع النسر
لعمرك لو ذوقتني ثمر الغنى * أذقتك ما يرضيك من ثمر الشكر
فلو نلت ما يغني بك اليوم اوغدا * أنلتك ما يبقى الى آخر الدهر
الم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الكفر

(آخر)
ألم تر أن ثقات الرجال * اذا الدهر ساعدهم ساعدوا
وان خانه دهره أسلموه * فلم يبق منهم له واحد
ولو علم الناس أن المريض * يموت لما عاده عائد

(آخر)
كم من صديق لنا أيام دولتنا * قد كان يمدحنا فصار يهجونا
لم ندر اذا ما انقضت عنا امارتنا * من كان ينصح ممن كان يغوينا
ما ان يلاطفنا من كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بايدينا

(آخر)
صديقك حين تستغني كثير * ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد اذا ما * طوى عنك المودة عند ضيق

(آخر)
أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن وجههم علينا
ومنهم من يمنع ما لديه * ويغضب حين نمنع ما لدينا
فان يك فعلهم سمجا وفعلي * قبيحا مثله فقد استوينا

﴿ ومما ﴾ يدل على صغر الهمة والنفس التلون على الصديق المصاحب بالامس (قال) بعضهم لان أبتلى بالف جوح لجوج أحب الى من أن ابتلى بمتلون (وقال آخر) اذا كان لك صديق فلا تتمن له رفعة فبقدر ارتفاعه يكون انحطاطك من عينه * ولا تلتفت الى قول حبيب بن أوس الطائى

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فانه بالرتبة يشمخ أنفه بعد الخسة والضعة ويفرد صديقه بالبؤس وان كان من قبل شريكه وقسيمه في الدعة ويقابل اقباله في الزيارة بالملالة ويعد معرفته له عثرة لا يرجى لها اقالة فان وقف ببابه حجبه وان دخل في غمار الناس ازدراه ومن تبرمه به أعجبه وخذ بما قال الفقيه منصور بن اسمعيل المقرى

اذا ما رأيت امرأ في حال عشرته * بادى الصداقة ما في ودّه دغل
فلا تمنّ له حالا يسرّ بها * فانه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصورا ألم بقول بعض البلغاء لا تطلبن لاخيك رتبة هي أرفع من رتبته التي هو مساو لك فيها فانه

ينتقل عنك فى أحوال ثلاثة يكون صديقك عند حاجته اليك ومعرفتك عند استغنائه عنك وعدوك حال احتياجك اليه (وقال) بعض الاعراب يذكر صديقا تلون عليه صفرت عياب الود بينى وبينه بعد امتلائها واكفهرت سوالف وجوه المسرات وكانت نضرة بمائها فأدبر ما كان بينى وبينه مقبلا وأقبل ما كان مدبرا وصارت مودته متنقلة كتنقل الافياء واخوته متلونة كتلون الحرباء (وقال بعضهم) المتلون ان ودك لشىء ملك عند انقضائه (ويقال) اياك ومن مودته على قدر حاجته اليك فمنه ذهاب الحاجة ذهاب المودة (وقال) بعض الاعراب لولده يابنى لا تصحب من اذا أيس من خيرك مال الى غيرك (وقالوا) اذا انقطع من صديقك رجاؤك فألحقه بعدوك (وما أحسن قول بعضهم)

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته زهداً على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(ولبشار بن برد) اذا كان ذواقا أخوك من الهوى * موجهة فى كل أوب ركائبه
فخل له وجه الفراق ولا تكن * مطية رحال كثير مذاهبه

(الكميت بن زيد) ولقد أحسن فى الانفة اذا عطس بأنف شامخ وأبان عن أنف فى الكرم راسخ من أبيات يفتخر

وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى * اذا صد عنه ذو المروأة يقرب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب
ألا ان خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(وقيل) لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير ثم أنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للحر ان زلت به القدم

(آخر) تلونت حتى لست أدرى من العمى * أريح جنوب أنت أم ريح عاصف
قريب بعيد جاهل متبصر * سخى بخيل مستقيم مخالف
صدوق كذوب لست أدرى خليله * أيجفوه من تلونه أم يلاطف
ولست بذى غش ولست بناصح * وانى من عجبى لشأنك واقف
كذاك لسانى شاتم لك مادح * كما أن قلبى جاهل بك عارف

(كتب بعضهم) الى صديق له تلون عليه أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الامر فيك لانك بدأتنى بلطف من غير جراءة ثم أعقبتنى جفاء من غير جريمة فأطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف بايضاح الرأى فى أمرك عن ظلمة الشك فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام (وكتب آخر)

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يداجينى
انى لاكثر مما شمته عجبا * يد تشج وأخرى منك تولينى

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه وآله واخوانه الذين كانوا ملازمين له فى حال

تصرفه واشتغاله فلما ردت اليه الوزارة اجتمعوا اليه وعطفوا عليه وجعل كل منهم يأخذ في السبق للقياه والنظر الى محياه فحين رآهم كذلك أنشد

ماالناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا
لايحلبون لحى در لقحته * حتى يكون لهم شطر الذى حلبوا

* عاد الزمان بعض الوزراء فنظر بعين المقت اليه وقبض عنه المسار بيد القبض عليه ثم عاد فألبسه من الاقبال حللاً أجره أذيالها وصرف لخدمته بأذمة الانقياد لحمله أعباء المنن وأثقالها فقال يعاتب من انقطع عنه فى حال خموله ويشعره بأن نجم سعده طلع بعد أفوله

عادانى الدهر بعض شهر * فأعرض الناس ثم بانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاود الزمان

﴿ ومن ذميم فعلات الاخوان الخوان اغتياب من غاب من الاخوان ﴾

(قال الله تعالى) ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دينه وعرضه وأن يظن به السوء (وقالوا) الاخ الصادق من أهدى الى أخيه عيبه وحفظ له غيبه * وقالوا الغيبة جهد العاجز * وقالوا اياك وصحبة من اذا حضر أثنى ومدح واذا غاب عاب وقدح (وقالوا) اللئيم اذا غاب عاب واذا حضر اغتاب (وقالوا) الريبة عار والغيبة نار (ويقال) من عف عن الريبة كف عن الغيبة (وقال العتابى) شر الاخوان من اذا وجد مادحاً مدح وان وجد قادحاً قدح وان استودع سراً فضح * الشريف الرضى

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد في جسوم أصادق

(ابن المعتز) بلوت أخلاء هذا الزمان * وأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم ان تصفحتهم * صديق العيان عدو المغيب

(وقال) من أكل خبزه بلحوم الناس لم يصن نفسه من الادناس * ومر عمرو بن العاص على جيفة ملقاة فقال لاصحابه والله لان يأكل أحدكم من هذه حتى يمريه خير له من أن يأكل لحم أخيه (وكان) أبو الطيب الظاهرى يهجو بنى ساسان فقال له نصر بن أحمد الى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد (وقيل) أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات مصراً على الغيبة فهو أول من يدخل النار ومن مات تائباً منها فهو آخر من يدخل الجنة (وقال) على بن الحسين لرجل اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس (اغتاب) رجل رجلا عند مسلم بن قتيبة فقال له مه فلقد تلمظت بمضغة طالما عافتها الكرام * ويحكى عنه أنه ذكر عنده رجل فتكلم فيه بعض أهل المجلس فقال له مسلم قد أوحشتنا من نفسك ومودتك ودللتنا على عورتك * وما أشد نصح من قال لا يكن لسانك رطباً بعيوب أصدقائك تزيدهم في أعدائك (أضاف) ابراهيم بن ادهم أناساً فلما قعدوا للطعام اخذوا في الغيبة فقال لهم ابراهيم ان من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم اكلتم اللحم قبل الخبز (ابو تمام)

قبح الله صاحبا قطف الصحـ * ـبة حرب المغيب سلم التلاقى

(الصاحب بن عباد)

احذر الغيبة فهى الـ * ـفسق لا رخصة فيه انما المغتاب كالآ * كل من لحم أخيه

(الوزير المغربى) أى شئ يكون اقبح مرأى * من صديق يكون ذا وجهين

من ورائى يكون مثل عدوى * واذا يلقنى يقبل عينى

(ابن المعتز) أخ لى يعطينى الرضا فى حضوره * ويمنعنى بعض الرضا وهو بائن

اذا ما التقينا سرنى منه ظاهر * وان غاب عنى ساءنى منه باطن

على غير ذنب غير أن مساويا * له علمتنى كيف تأتى المحاسن

(ولبعضهم يهجو) صديقك لا يثنى عليك بطائل * فماذا به عنك العدو يقول

وحسبك من لؤم وخبث طوية * بانك عن عيب الصديق سؤل

(آخر) يضاحكنى فوه اذا ما لقيته * ويرشقنى ان غبت عنه بأسهم

وكم من صديق وده فى لسانه * وفى قلبه ان غبت صاب وعلقم

(آخر) لى صاحب جعل المساوى دأبه * تصوير معناها وصيغة لفظها

فكأنه ملك الشمال موكل * أبدا بكتب السيآت وحفظها

(آخر) وما صاحبى عند ارخاء بصاحب * اذا لم يكن عند الامور الصعائب

اذا ما رأى وجهى فأهلا ومرحبا * ويرمى ورائى بالسهام القواضب

(آخر) اذا انتقد الناس الكرام رأيتهم * يطنوا طنين الزيف فى كف ناقد

(كثير عزة) أنت فى معشر اذا غبت عنهم * بدلوا كل ما يزينك شينا

واذا ما رأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم الرجال علينا

(ولله در من قال) شر السباع الضوارى كونه وزرا * والناس شرهم ما دونه وزر

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وما ترى بشرا لم يؤذه بشر

﴿ ومما يرغب الوحيد فى انفراده حسد أهل الصفوة من وداده ﴾

الحسد داء دوى وخلق ردى يدل على فساد الدين وقلة اليقين وما زال صاحبه حليف هموم وأليف غموم وظالما فى زى مظلوم وأى خير عند من جبلت على الحقد طباعه وحنيت على الغل أضلاعه وأمر بالاستعاذة بالله من شره وحض على الاحتراس من ضره (قيل) لعبد الله بن عبدة كيف لزمت البدو وتركت قومك قال وهل بقى فى الناس الا من اذا رأى نعمة بهت واذا رأى عثرة شمت ثم أنشد

عين الحسود اليك الدهر ناظرة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه

يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة * والقلب مكتتم فيه الذى فيه

(وقال معاوية بن أبي سفيان) كل الناس قادر أن أرضيه الا حاسد نعمة لا يرضيه الا زوالها * وقالوا الحسد داء يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود * نظم هذه الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس منى الرضا * الا الحسود فانه أعيانى
لاأن لى ذنبا اليه علمته * الا تظاهر نعمة الرحمن
يطوى على حسد حشاه لان يرى * من حال مالى أولفضل بيانى
ماان أرى يرضيه الا ذلتى * وذهاب أموالى وقطع لسانى

﴿ ونظمه آخر فقال ﴾

قل للذى بات محسودا على نعم * دع الحسود فقد قطعته قطعا
لو كنت تملك مايريد منك لما * صنعت معه كمعشار الذى صنعا

(وقال) بعض البلغاء الحسد شؤم واعتباره لؤم يقضى الاشباح ويضنى الارواح ويورث الارق ويحدث القلق ويكدّر غدران رفاهية العيش ويشعل نيران السفاهة والطيش وان الحسود مجروح فى جلده متألم مظلوم فى برده ظالم معارض لله فى مشيئته معترض عليه فى قضيته يعيش محروما ويبيت مغموما مدفوع فى الدنيا الى الكرب والتلف وممنوع فى العقبى من القربى والزلف لا تعمل شعلة القابس فى الحطب اليابس مايعمله الحسد بجسد صاحبه وبدن راكبه يشرب دمه ويأكل لحمه ويمشمش عظمه ويجعله معرضا للكروب ومبغضا الى القلوب فجدير بالانسان أن يفر من الحسد فوق فراره من الاسد (وقالوا) أسد يؤاتيك خير من حسود يراقبك (وقال) بعض السلف اذا أراد الله ان يسلط على عبده من لا يرحمه سلط عليه حاسدا يحسده (وقال اردشير) كل خلة رديئة فهى دون الحسد لان الحاسد يسئ بمن أحسن اليه ويتمنى الغوائل لمن أنعم عليه * أبو الطيب المتنبي

يريد بك الحساد ما الله دافع * وسمر العوالى والحديد المدرب
(وله) وأظلم خلق الله من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب
(وله) سوى وجع الحساد داو فانه * اذا حل فى قلب فليس يحول
فلا تطمعنّ من حاسد فى مودّة * وان كنت تبديها له وتنيل

(وقال ابن المعتز) الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ويبخل بما لا يملكه ويطلب ما لا يجده (وقال حكيم) الحسد يبدى نقص الحاسد ويدل على كمال المحسود * وما أحسن قول المعافي بن زكريا النهروانى

ألا قل لمن كان لى حاسدا * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنه بأن زادنى * وسدّ عليك وجوه الطلب
(أبو فراس) لمن جاهد الحساد أجر المجاهد * وأعجز ماحاولت ارضاء حاسد
ولم أر مثل اليوم اكثر حاسدا * كأن قلوب الناس لى قلب واحد

(وقالوا) لا تندمل من الحسود جراحه حتى ينتقص من المحسود جناحه (وقالوا) حسب الحسود ما يلقى من صغر الهمة فى حزنه لسرور صاحب النعمة (وقالوا) من عادات الاغبياء معادات الاغنياء (وقال) عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من

فضله يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة الحسود عدو نعمتى ومتسخط لقضائى غير راض بنعمتى * ولم أسمع بأحسد من حمزة بن بيض فى قوله وقد مر بواد مملوء ابلا وشاء وزرعا وزرعاء

الزارعون وليس لى زرع بها * والحالبون وليس لى ما أحلب
فلعل ذاك الزرع يؤذى أهله * ولعل ذاك الشاء يوما تجرب
ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال المرزبانى صاحب الاتفاق فلم يكن الا أيام قلائل حتى أصابهم جميع ما تمنى لهم (وأظرف من هذا) ما حكى أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا فقال أحدهم لاحد صاحبيه ما بلغ من حسدك قال ما اشتهيت ان أفعل بأحد خيرا قط لئلا أرى أثر ذلك عليه فقال له أنت رجل صالح لكنى ما اشتهيت أن يفعل بأحد خير قط لئلا تشير الاصابع بالشكر اليه فقال الثالث ما فى الارض خير منكما لكنى ما اشتهيت أن يفعل بى أحد خيرا قط قال ولم قال لانى أحسد نفسى على ذلك فقالا له أنت ألأمنا جداً وأكثرنا حسدا (وقالوا) الحسود عدو مهين لا يدرك وتره الا بالتمنى * شاعر

اياك والحسد الذى هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود وان أراك مودة * بالقول فهو لك العدو المجهد

(وقال على رضى الله عنه) لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله (وقيل) للعتابى فى مرض أصابه ما تشتهى قال أكبادا لحساد وأعين الرقباء وألسن الوشاة (وقال) بعضهم لولده اياك والحسد فانه يبين عليك ولا يبين على عدوك (وكان) يقال الحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم (ذم أبو بكر الخوارزمى حاسدا فقال) وأما فلان فمعجون من طينة الحسد والمنافسة ومضروب فى قالب الضيق والمناقشة يحمى من رزق الله مباحا ويحرم ما ليس فيه جناحا ويحجر من رحمته جناحا واسعا ويغار على البحر ممن يسبح فيه وعلى البدر ممن يستضىء به وعلى الشمس ممن طلعت عليه وعلى نسيم الهواء ممن وصل اليه لو ملك السماء لنهاها عن الامطار ولو أطاعته الارض لمنعها من تغذية النبات والاشجار ولو سخرت له الاشجار لحال بينها وبين الاثمار كأن كل رغيف يعطى من قوته وقوت عياله وكان كل درهم ينفق من ماله ومال اطفاله على انه يبخل على نفسه بالهواء ويحاسب اعضاءه على الغداء والعشاء * وقال الشاعر

لامات حسادك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

(أبو تمام) ان يحسدونى فانى لا ألومهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات أطولنا غما بما يجد

(وله) واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

(والمشهور) حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم

(ابن المعتز) ومن عجب الايام بـنى معـاشر * غضـاب على سبقى اذا أنا جاريت
يغيظهم فضلى عليهم ونقصهم * كأنى قاسمت الحظوظ فأحظيت
(آخر) انى حسدت فزادالله فى حسدى * لاعاش من كان يوما غير محسود
لايحسد المرء الامن فضائله * بالعلم والحلم أوبالفضـل والجود

﴿ وممايؤمر الكريم باجتنابه جارسوء ملاصق لجنابه ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله من جار سوء فى دار مقامه فان البادى يتحول (وكان) عمر رضى الله عنه يقول ثلاث كلهن فواقر صديق أن اسديت اليه عارفة لم يشكرها وان سمع كلمة لم يغفرها وجار ان رأى حسنة أخفاها وان عثر على سيئة افشاها وامرأة ان أقمت عندها آذتك وان غبت عنها خانتك (وكان يقال) من جهد البلاء جار سوء معك فى دار مقامة يلبس لك من البغضاء لامة لاينجع فيه عتب ولايرعوى للملامة (ومن دعاء الاعمش) اللهم انى أعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى أذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا أعلنه (وقال) لقمان لابنه يابنى حملت الحجارة والحديد فلم أرشيأ أثقل من جار سوء فى دار مقامة *شاعر وقد عرض دار هللبيع كراهة في جاره

ألا من يشـترى دارا برخص * كراهة بعض جيرتها تباع

(ولآخر) يلوموننى ان بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جارا هنـاك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانمـا * بجيرتهـا تغلو الديار وترخص

(وقال رجل) لسعيد بن العاص والله انى لاأحبك قال ولم لاتحبنى ولست لى بجار ولا ابن عم (ويقال) فى التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه أقاربه وجيرانه (وقالوا) ألأم الناس سعيد لاتسعد به جيرانه ولا تسلم منه اخوانه (استعرض) أبو مسلم الخراسانى فرسا أهدي له فقال لاصحابه لم يصلح هذا فكل قال شيأ فبعضهم قال يصلح لان ينفى به العار بأخذ الوتر والثار وآخر يقول يصلح لمنازلة الاقيال ومناضلة الابطال وآخر يقول يصان عن أن يذال بالاحداق ليوم يحرز به قصب السباق فقال أبو مسلم كلكم أخطأت استه الحفرة وزاف نقده عند الامتحان والخبرة فقالوا ولماذا يصلح أيها الامير فقال لمن يجد فى الهرب والفرار من جار سوء بعدم عما كنته السكون والقرار (وقيل) لابى الاسود الدؤلى لم بعت دارك فقال مابعت دارى وانما بعت جوارى (أنشدنى) أفضل الاماثل وأنبل الافاضل ذو العلم والعلم والسنان والقلم انسان عين الاعيان وزين أرباب البيان الامير ناصر الدين حسن عرف بابن النقيب الكنانى لنفسه يذم جاراله

لى جار شخصـه * اكبر أوصاف المعايب * حسد الجيرة فيه
وعداوات الاقارب * ليتـه لم يعنـنى * لم يكن عون النوائب

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس عشر ﴾

فيما نختم به الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

(قال الله تعالى) قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم *وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة

الداع اذا دعان * وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة * وقال عليه الصلاة والسلام استقبلوا أمواج البلاء بالدعاء * وقال عليه الصلاة والسلام ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء (ولما كان) الدعاء في الفضيلة بهذه المثابة استحب لمن وضع كتابا أن يختم به كما بدأ بالتحميد كتابه فاستخرت الله تعالى وانتخبت من الادعية التي صدرت عن صدور أهل الانابة وروت نفوس العباد منهل الاجابة وحذفت خوف التطويل أسانيدها ليسهل على الراغب فيها أن يدعو بهامتى أحب ويعيدها (وأشرف الاوقات) التي يتكفل النجح فيها باجابة الدعوات أوقات اختارها الله لاداء ما افترض من الصلوات فاذا رام امرؤ طلبته فليتضرع عقيب صلواته وتلو مناجاته لله بالاستكانة والخضوع ليرجع من توجهه وعرف القبول منه يضوع وليقل اللهم ارزقني موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لاتدع لي ذنبا الا غفرته ولا عيبا الا سترته ولا ضرا الا كشفته ولا سقما الا شفيته ولا رزقا الا بسطته ولا خوفا الا أمنته ولا سوأ الا صرفته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولي فيها صلاح الا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين (اللهم) اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ومن عاجل يمنع خير الآجل ومن حياة تمنع خير الممات ومن أمل يمنع خير العمل وأسألك الظفر والسلامة ودخول دار المقامة (اللهم) لاتحرمني سعة مغفرتك وسبوغ نعمتك وشمول عافيتك وجزيل عطائك ومنح مواهبك لسوء ما عندي ولا تخذلني بقبيح عملي ولا تصرف وجهك الكريم عني (اللهم) لاتحرمني وأنا أدعوك ولا تخيبني وأنا أرجوك (اللهم) انك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا محروما مقترا علي في الرزق فامح من أم الكتاب شقائي واقتار رزقي واثبتني عندك سعيدا مرزوقا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (اللهم) هذا مقام اللائذ بجنابك العائذ بك من النار يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك (اللهم) اني أدعوك بما دعاك به عبدك ذو النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبت له ونجيته من ظلمات ثلاث ظلمة الخطيئة وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وانا اسألك وانا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تستجيب لي كما استجبت له وأدعوك بما دعاك به عبدك ايوب اذ قال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له وكشفت ما به من ضر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وان تفرج عني كما فرجت عنه وان تستجيب لي كما استجبت له انك سميع الدعاء (اللهم) اني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع ودعاء لا يسمع وعين لا تدمع وصلاة لا ترفع (اللهم) اني أسألك في صلاتي وفي دعائي براءة تطهر بها قلبي وتؤمن بها روعي وتكشف بها كربي وتغفر بها ذنبي وتصلح بها أمري وتغني بها فقري وتذهب بها ضري وتفرج بها غمي وتسلي بها همي وتشفي بها

سقمى وتقضى بها دينى وتجلو بها حزنى وتجمع بها شملى وتبيض بها وجهى واجعل ما عندك خيرا لى (اللهم) أصبح ظلمى مستجيراً بعفوك وذنبى مستجيرا بمغفرتك وخوفى مستجيرا بأمنك وفقرى مستجيرا بغناك وضعفى مستجيرا بقوّتك وذلى مستجيرا بعزك ووجهى الفانى البالى مستجيرا بوجهك الدائم الباقى (اللهم) مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (اللهم) صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى فى حفظك وكلاءتك وودائعك التى لا تضيع واحفظنى من كل سوء ومن شر كل ذى شر واحرسنى من شر الشيطان الرجيم والسلطان المليم انك أشد بأساً وأشد تنكيلا (اللهم) ان كنت منزلا بأسا من بأسك أو نقمة من نقمك على أهل معصيتك بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون فصل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى وأهلى فى كنفك ومنعك وحرزك (اللهم) ان هذين الليل والنهار خلقان من خلقك فاعصمنى فيهما بحولك وقوتك ولا ترهمانى جراءة على معصيتك ولا ركونا الى مخالفتك واجعل عملى فيهما مقبولا وسعيى مشكورا وسهل لى ما أخاف عسره وصعب على أمره واقض لى فيهما بالحسنى وأمنى مكرك ولا تهتك عنى سترك ولا تنسنى ذكرك (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وآله وافتح مسامع قلبى لذكرك حتى أعى وحيك وأتبع كتابك وأصدّق رسلك وأومن بوعدك وأخاف وعيدك وأوفى بعهدك وآخذ بأمرك ولا أجترئ على نهيك (اللهم) انى أستودعك نفسى ودينى ومالى وأهلى وكل نعمة أنعمت بها علىّ فاجعلنى اللهم فى كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك ورعايتك وودیعتك يامن لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله ولا ينفد ما عنده (اللهم) انى أدرأ بك فى نحور أعدائى وكيد من كادنى وبغى على (اللهم) انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شتات أمرى وتلم بها شعثى وتحفظ بها غائبى وتصلح بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء (اللهم) وما قصرت عنه مسئلتى ولم تبلغه أمنيتى من خير وعدته أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه (اللهم) يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية (اللهم) انى أسألك حسن الظن بك والصدق فى التوكل عليك وأعوذ بك ان تبتلينى ببلية تحملنى ضرورتها على العبث بمعاصيك وأعوذ بك أن أقول قولا حقا من طاعتك ألتمس به سواك وأعوذ بك أن تجعلنى عبرة لغيرى وأعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما آتيتنى منى وأعوذ بك أن أتكلف طلب ما لم تقسمه لى وما قسمت لى من قسم أو رزقتنى من رزق فأتنى به فى يسر وعافية حلالا طيبا وأعوذ بك من كل شئ يزحزحنى عن بابك ويباعد بينى وبينك أو ينقص حظى عندك أو يصرف وجهك الكريم عنى (اللهم) دعاك الداعون ودعوتك وسألك السائلون وسألتك وطلبك الطالبون وطلبتك (اللهم) انت الثقة والرجاء واليك منتهى الرغبة والدعاء والشدة والرخاء (اللهم) وصل وسلم على سيدنا محمد وآله واجعل اليقين فى قلبى والنور فى بصرى والنصيحة فى صدرى وذكرك على لسانى (اللهم) أنت العاصم والمانع والواقى الدافع من كل سوء أسألك الرفاهية فى معيشتى بما أقوى به على طاعتك وأبلغ به رضوانك وأصير به منك الى دار السلام غدا (اللهم) لا ترزقنى رزقاً يطغينى ولا تبتلنى بفقر يضنينى وأعطنى فى الآخرة حظا

وافرا وفى الدنيا معاشا واسعا (اللهم) اليك مددت يدي وفيما عندك عظمت رغبتي فاقبل توبتي وارحم ضعف قوتي واغفر خطيئتي واجعل لي فى كل خير نصيبا والى كل بر سبيلا (اللهم) اغفر لي كل ما سلف من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارود على اسباب طاعتك واستعملني بها واصرف عني اسباب معصيتك وحل بيني وبينها (اللهم) أنت متعالى الشأن عظيم الجبروت شديد المحال ذو الكبرياء قادر قاهر قريب الرحمة سامع الصوت صادق الوعد وفيّ العهد مجيب المضطر قابل التوب محص لما خلقت تدرك ما طلبت شكور ان شكرت ذاكر ان ذكرت أسألك يا الهي محتاجا وأرغب اليك فقيرا وألجأ اليك خائفا وأرجوك ناصرا اللهم ضعفت فلا قوّة لي اللهم جئتك مسرفا على نفسي مقرا بسوء عملي (اللهم) خلقتني وأمرتني ونهيتني ورغبتني فى ثواب ما به أمرتني ورهبتني عقاب ما عنه نهيتني وجعلت لي عدوّا يكيدني وسلطته علي فاسكنته صدري وأجريته مجرى الدم مني لا يغفل ان غفلت ولا ينسى ان نسيت يؤمنني عقابك ويخوّفني غيرك ان هممت بفاحشة شجعني وان أردت صالحا ثبطني ينصب لي حبائل الشهوات ان وعدني كذبني وان اتبعت هواه أضلني ان لم تصرف عني كيده يستزلني وان لم تفلتني من حبائله يصدني وان لم تعصمني منه يضلني اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واقهر سلطانه عني بسلطانك عليه فافوز مع المعصومين منه (اللهم) لا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا مقدم لما أخرت ولا مؤخر لما قدّمت (اللهم) أنت العليم فلا يجهل وأنت الحليم فلا يعجل وأنت الكريم فلا يبخل وأنت العزيز فلا يذل وأنت المنيع فلا يرام وأنت المجير فلا يضام اغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وبالاجابة جدير لا إله إلا أنت

(قال المقيد) لشوارد فوائد ما ذكر من الاضداد والمؤتلف من غرائبها بين الاشباه والانداد وعند ما تم كتابنا واتسق قمر محاسنه بعد السرار وكاد سنا حسنه يعلق بالبصائر دون الابصار وتفجرت من خلال سطوره ينابيع الحكم وهم عبابها أن يفهق فينم بما كتم وسفرت ألفاظه عن معان كأحسن ما ينشق عنه الكمائم وقامت نفثات بدائعه لصريع الهموم مقام الرقى والتمائم تقاضاني بوعدي اياه عند ابتدائه بأن أطلعه باهر العقول أوليائه وأعدائه فاستخرت الله تعالى الكريم وأمسكت من عنان القلم فى مضمار الاطناب وقصرت خطوه لعلمي أن السآمة مقرونة بالاكثار والاسهاب وجلوته فى حال فتوته وفاء بعهده وانجازاً لما سبق من وعده مادّاً من صحائفه أكفاً يستنزل بها التصديق عن سوء التلفيق ويدرأ بها شبهات من يرى أن بيده زمام التوفيق فهو يتصرف به على حكم اختياره ومراده ويبلغ غاية أمله بجياد سعيه واجتهاده والى الله أبرأ من الحول والقوّة وأسأله ان يزحزحني عن الوقوع فى هذه الهوّة وأن يجعل هذا الكتاب للنفوس يعجب ويروق ويجريه بالمحبة مجرى الدم فى العروق وأن يدخلني جنات يجل وصفها وتفوق انه من راجيه قريب ولداعيه سميع مجيب آمين

حمداً لمن حلى الادباء بأصناف العلوم فحازوا قصب السبق فى ميدانها ما بين منطوق ومفهوم وصلاة

وسلاماً على أفصح العرب وعلى آله وأصحابه الذين من اقتدى بهم نال المرغوب والارب وبعد فقد تم
طبع كتاب غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للشيخ الامام العالم
العلامة والحبر البحر الفهامة أبي اسحق برهان الدين بن يحيى بن على
السكتبي المعروف بالوطواط بالمطبعة السكلية الفاخرة لحضرة
صاحبها ومديرها السيد (عبد الله افندى محمد)
التاجر بالسكة الجديدة بمصر القاهرة وكان ختام طبعه
فى أول رجب الفرد سنة ١٣٣٠ هجرية
على صاحبها افضل الصلاة
وازكى التحية

المكتبة والمطبعة الكلية

*(بالسكة الجديدة بمصر * تليفون نمرة ٢١٠٦)*

المكتبة * بها عموم اصناف الورق والدفاتر التجارية والزراعية والادوات الكتابية والمدرسية بكامل انواعها

المطبعة * مستعدة لطبع عموم اصناف الكتب بحسب رغبة كل طالب والاشغال التجارية والزراعية بكل الاجناس واللغات * التجليد بكل انواعه وعلى الله الاتكال وحسن المآل

(تنبيه)

قد تم طبع مختار الصحاح بالمطبعة الكلية بعد اجادة تصحيحه وحسن طبعه وجودة ورقه فمن اراد ان يكون في خزائنه فليطلبه من المكتبة ويباع بالمكاتب الشهيرة

وايضا قد تم طبع حاشية الشبراوي على الاربعين حديث النووية مزدانة بشكل الاحاديث وحسن الطبع وجودة الورق فمن اراد اقتناءها فليطلبها من المكتبة المذكورة ومن المكاتب الشهيرة